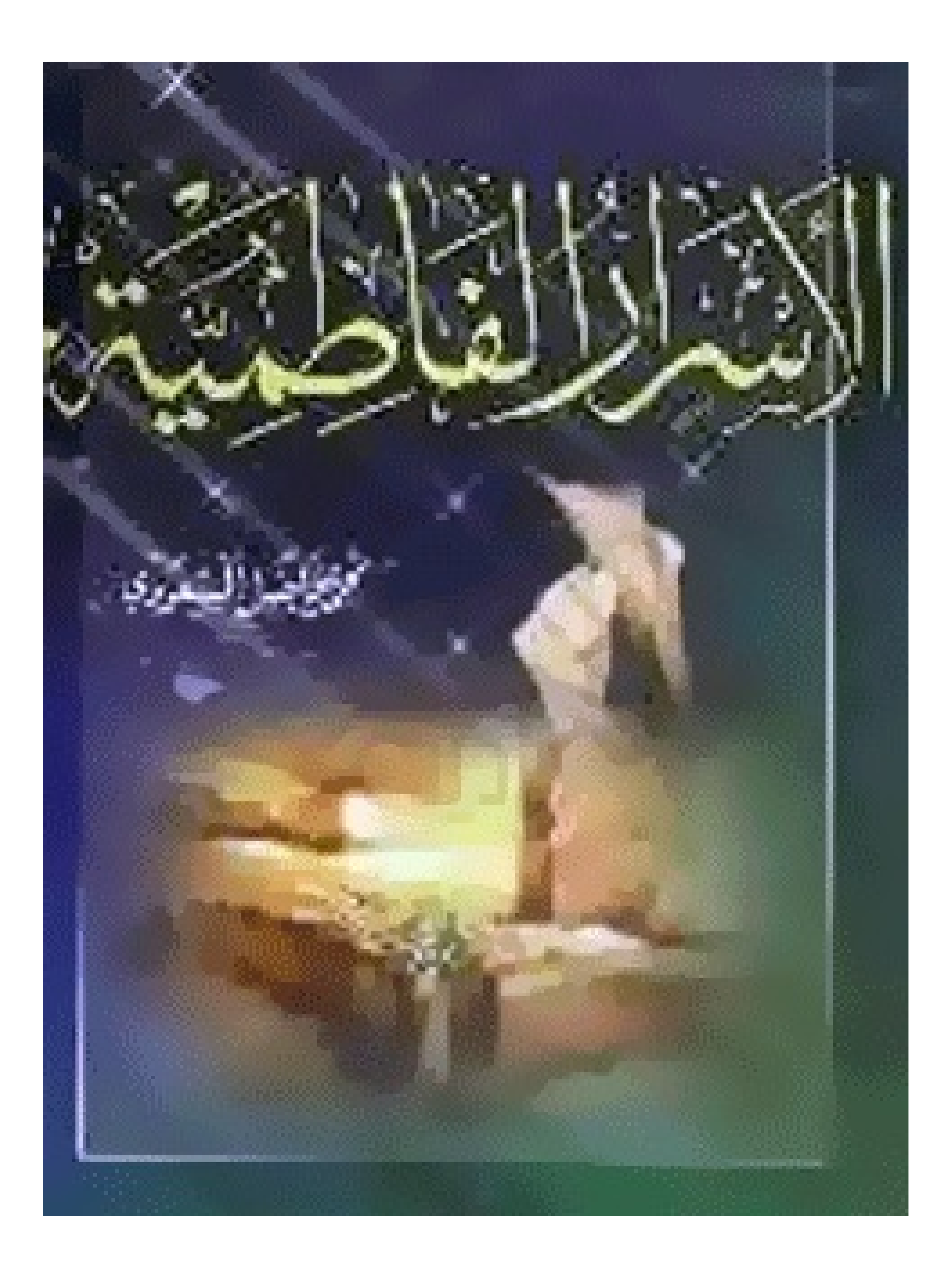

الأسرار الفاطمية


بسم الله الرحمن الرحیم

الاسرار الفاطمیه

کاتب:

محمدفاضل مسعودی

نشرت فی الطباعة:

الزائر الروضه المقدسه

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الاسرار الفاطميه

اشارهٔ

سرشناسه : مسعودی محمدفاضل گردآورنده عنوان و نام پدیدآور : الاسرار الفاطميه تاليف محمدفاضل المسعودی تقديم عادل العلوی مشخصات نشر : قم‌الزائر الروضه المقدسه لندن رابطه الصداقه الاسلاميه ۱۴۲۰ق = ۱۹۹۹م = ۱۳۷۸. مشخصات ظاهری : ص ۵۳۵ شابک : ۹۶۴-۶۴۰۱-۱۷-۱ ؛ ۹۶۴-۶۴۰۱-۱۷-۱ وضعيت فهرست نويسی : فهرستنويسی قبلی يادداشت : عربی يادداشت : چاپ دوم ۱۴۲۰ق = ۲۰۰۰م = ۱۳۷۹؛ ۲۵۰۰۰ ريال يادداشت : کتابنامه به‌صورت زيرنويس موضوع : فاطمه زهرا(س ، ۱۳؟ قبل از هجرت - ۱۱ق -- احاديث موضوع : احاديث شيعه -- قرن ۱۴ شناسه افزوده : آستانه مقدسه قم انتشارات زائر رده بندی کنگره : BP۲۷/۲۸/م۵الف۵ رده بندی ديويی : ۲۹۷/۹۷۳ شماره کتابشناسی ملی : م۷۸-۱۳۷۰۹

الاهداء

إلی مصباح الهدی وسفينهٔ النجاهٔ... إلی الموعود بشهادته قبل ولادته... إلی الذی بکاه رسول الله حين ولادته... إلی الذی قضی ضمآن بجنب الفرات... إلی الذی بکت عليه ملائکهٔ السماء... إلی خضيب الشيبهٔ بالدماء... إلی ساکن طفوف کربلاء... إلی من تطلب بدمه سيدهٔ النساء بعرصات يوم القيامهٔ... «لابدّ ان تردَّ القيامهَ فاطمٌ وقميصها بدم الحسين ملطخ» إلی خامس اصحاب حديث الکساء... إليک يا سيدی يا أبا عبدالله الحسين بن علی (عليه السلام)... أرفع لک هذا المجهود القليل راجياً من الله القبول... والغفران لی ولوالدی ولمن ينتفع بهذا الکتاب يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتی بقلب سليم... محمد فاضل المسعودی [صفحه ۶] بسم الله الرحمن الرحيم [صفحه ۷]

تقريض

تزيينا لکتابنا وتبيينا لعام الطبع طلبنا من الخطيب سماحهٔ الشيخ محمد سعيد المنصوری «حفظه الله ورعاه» ان يتفضل علينا بتوشيح لکتابنا الأسرار الفاطميهٔ وتأريخ يعرف به زمان طبعه فاستجاب لنا سماحته بهذه المقطوعهٔ الشعريهٔ المشتملهٔ علی معانی لطيفهٔ وخفيفهٔ علی الطبع والذوق امد الله فی عمره الشريف ووفقنا الله واياه وصالح المؤمنين لخدمهٔ الائمهٔ الأطهار لا سيما فاطمهٔ الزهراء عليها السلام أنالنا الله شفاعتها يوم القيامهٔ وصلی الله علی محمد وآله الطيبين الطاهرين. (محمدٌ) بالاسرارِ جاء ولم يجیء الينا بأسرارٍ سواهُ مؤلفُ علی أنّها بالفاطميهِ عُرّفَت وکلُّ الذی يُعزی لفاطمهَ يُعرفُ وهذا کتابٌ فی سليلهِ (احمد) ومِن ذُکرُها الذکرَ الجَميل المُشرِّفُ بِهِ قَد جَلی بالبحثِ عَن کلّ غامضٍ وعرّف عمّا فيهِ حارَ المعُرِّفُ ايانَ وفی «مُستودَع السر» ما به تُقرطُ اذانُ الوری وتُشنَّفُ فأبوابُهُ باباً فبَاباً وبحثُهُ لأبينُ مِن فجرِ ضحَوُکٍ وألطَفُ کتابٌ بهِ ما لَيسَ يحويه غيرُهُ وکلُّ علی قدرٍ من الدوح يَقطفُ وفکرتُهُ فيما نری من بَيانِه يميلُ اليها العبقَری المُثقَفُ وفاطمهٌ مهما نقوُل بشأنها فتلکَ من الأقوال اسمی واشرفُ فطوبی لمن مالا اليها بوّدِهِم وويلٌ لمن قالوا وفی القوَلِ اسرفُوا فظلوا طريقا کان فيه نجَاتهم اظلّم عنهُ الهَوی والتَعجرفُ فيانِعَمَ ما دبجّتَ يا نَجلَ «فاضِلٍ» بِمَن قد اتی فِيها من «الله» مصحفُ غدا سوف يأتيکَ الجزاءُ مضاعَفاً فأرّخهُ «ان نعم التقُی والتعففُ» ۱۴۱۹ هجری [صفحه ۹]

تقديم

العلامـة آيـة الله سـماحة السـيّد عـادل العلـوى بسـم الله الرحمن الرحيم الـدرّة البهيّـة فى الأسـرار الفاطميّـة الحمـد لله فـاطر السـماوات والأرضـين، خـالق فاطمـة الزهراء سيّدة نساء العالمين، والصـلاة والسـلام على أبيها محمـد الأمين، سـيد الأنبياء والمرسـلين، حبيب الله وخاتم النبيّين، وعلى بعلها أمير المؤمنين علىّ سيّد الأوصياء وإمام المتّقين، وعلى أولادهما الأئمة الميامين أهل البيت الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم ومنكرى فضائلهم من بدء الخلق إلى قيام يوم الدين. قال تعالى فى محكم كتابه الكريم ومبرم خطابه العظيم: (إنَّما يُريـدُ اللهُ لِيُـذهِبَ عَنْكُمُ الرِّجسَ أهْلَ البَيْتِ ويُطَهّركم تَطهيراً) [١] . وقال رسول الله صـلى الله عليه وآله: «لو كان الحُسن شـخصاً لكان فاطمة، بل هى أعظم. فاطمة ابنتى خير أهل الأرض عنصـراً وشـرفاً وكرماً» [٢] . الحديث عن الزهراء عليها السـلام إنّما هو حديث عمّا سوى الله سبحانه، فهى الكون [صفحه ١٠] الجامع بل الحديث عنها حديث عن الله سـبحانه لوحدة الرضا والغضب بينهما، فإنّه سبحانه يرضـى لرضاهـا ويغضب لغضـبها، والله المحسن وهو الجميـل ومطلق الجمـال والحسن، وإنّه يحبّ الجمـال، ولو كان الحسن والجمال شخصـاً لكـان فاطمـة، بـل هى أعظم، فهى جمـال الله وحسـنه، وإنّها الحوراء الإنسـيئة، فهى خير أهل الأرض عنصـراً، فإنّها نور الله جلّ جلالـه اشـتُقّت من نور أبيهـا وبعلهـا، وفارقتهمـا فى القوس النزولى، فكـان أبوها وبعلها فى صـلب آدم إلى عبـد المطلب وأبى طالب، وبقيت هى فى العرش الإلهى فى مشـكاة تحت ساق العرش، ثمّ انتقل إلى الجنّة، وبقى فى رياضها محبوراً، ثمّ أودعه الله فى شجرة من أشـجارها وفى ثمارها وأغصانها، حتى إذا عرج النبىّ الأعظم صـلى الله عليه وآله إلى السـماء ودخل الجنّـة، وأكل من تفّاحها ورطبها، فتناول من ثمار الجنّـة ومن شـجرة فاطمة عليها السـلام فتحوّلت نوراً فى صـلبه، ثمّ هبط إلى الأرض، فواقع خديجة الكبرى لتحمل منه فاطمة الحوراء الإنسيّة، ومن ثمّ كان النبىّ يشمّ منها رائحة الجنّة. ففاطمة عليها السلام من صلب خاتم النّبيّين وأشرف خلق الله أجمعين محمد المصـطفى صـلى الله عليه وآله مباشـرة ومن دون واسـطة، دون غيرها، فكانوا من صلب آدم عليه السلام. فهى خير أهل الأرض عنصـراً، وأشـرف بعـد أبيها وبعلها مقاماً، وأكرم منزلاً. فخلقت من نور محمّدى علوىّ قبل خلق آدم بآلاف من السـنين، خلقت حوريّة فى صورة إنسـيّة، ثمّ تكوّنت نطفتها فى أعالى الجنّـة، ونطقت وتحـدّثت فى بطن اُمّها، وقال جبرئيل عنها أنّها النسـلة الطاهرة الميمونة، وسـجدت ونطقت بالشـهادتين عنـد ولادتها، فهى المباركـة الطاهرة الصدّيقـة الزكيّـة الرضـيّة المرضـيّة المحدّثـة الزهراء البتول الحرّة، العـذراء الحوراء النوريّـة السـماويّة الحانية، اُمّ الحسـنين، اُمّ أبيها، اُمّ الأئمة النجباء، فهى الصدّيقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الاُولى. ومن عرفها حقيقـةً فقـد أدرك ليلـة القـدر. والمعرفة أساس الحياة وروحها، فمن لا معرفة له ـ كالكافر ـ فلا حياة له، وكان ميّتاً يمشـى بين الأحيـاء. وبالمعرفـة يتمّ الإيمـان ويزداد بزيادتهـا، وإنّهـا تأخـذ حيّزاً كبيراً فى الحيـاة الإنسانيّـة بكلّ أبعادها وجوانبها، حتّى الشـريعة المقّدسـة التى هى عبـارة عن قوانين الحياة التشـريعيّة من أجل السـعادة الأبديّـة، فالمعرفـة لها الحظّ الأوفر على [صـفحه ١١] مسـتوى الاُصول والفروع والأخلاق، وإنّما يفضّل الناس بعضـهم على البعض فى المقياس الإلهى بالمعرفـة ولوازمها كالإيمان والتقوى والعلم النافع والعمل الصالح، كما جاء فى الحديث الشـريف: «أفضـلكم إيماناً أفضـلكم معرفة» [٣] . فلاـ يمكن من حطّ قيمـة المعرفة والاستهانة بها مطلقاً، بل جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «لا يقبل الله عملاً إلاّ بمعرفة، ولا معرفة إلاّ بعمل، فمن عرفت دلّته المعرفة على العمل، ومن لـم يعمل فلا معرفة له» [۴] . فأصل كلّ شىء وأساسه هو المعرفة، حتّى قال أمير المؤمنين علىّ عليه السلام لكميل ابن زياد: «يا كميل، ما من حركـة إلاّ وأنت محتاج فيها إلى معرفة» [۵] . ولا تكون المعرفة تامّة إلاّ بإدراك القضايا وفهمها، دركاً صحيحاً وفهماً كاملاً، بـدراسات حقّه ميدانيّة وتحقيقيّة، والتى يبتنى صـرحها الشامخ على ضوء البراهين الساطعة والاسـتدلالات العقليّة اللامعة، والحجـج العمليّـة الواضـحة. فالمعرفة يعنى الدراية الكاملة والفهم العميق والدرك الصـحيح، وقيمة الإنسان بمعرفته. يقول الإمام الباقر لولـده الصادق عليه السـلام «يا بنى، إعرف منازل الشـيعة على قـدر روايتهم ومعرفتهم، فإنّ المعرفـة هى الدرايـة للروايـة». فالرواية نقل الحديث الشريف عن المعصومين عليهم السلام، والدراية تفقّه الحديث وفهمه: «وبالدرايات للروايات يعلو المؤمن إلى أقصى درجات الإيمان». و «حـديث تـدريه خيرٌ من ألف حـديث ترويه». و«قيمـة كلّ امرىء وقدره معرفته». فالواجب علينا أن نفهم القرآن والروايات بتفهّم وعمق، وتـدبّر وتفكّر، وإلاّ فهمّة السـفهاء الرواية، وهمّة العلماء الدراية. فلا بدّ لكلّ ذى لبّ أن يعرف الأشـياء على ما هى عليها

بحسب الطاقة البشريّة، [صفحه ۱۲] وأولى شيء بالمعرفة، وإنّه مقدّم على كلّ المعراف والعلوم هو معرفة أُصول الدين بالبرهان واليقين، وبدءاً بالمعرفة الجلاليّة ثمّ الجماليّة ثمّ الكماليّة. ومن الأُصول معرفة الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام، فمن عرفها حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر التى هى خيرٌ من ألف شهر. ألا إنّها سمّيت فاطمة لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها. فمن يعرفها؟! وعلى معرفتها دارت القرون الأُولى، وما تكاملت النبوّة لنبيّ حتى أُمر بفضلها ومحبّتها [۶] . ومن الواضح أنّ المعرفة الكاملة والتامّة لا تكون إلاّ ـ بعد الإحاطة بالشيء، ومن يقدر على أن يحيط بفاطمة الزهراء عليها السلام إلاّ من كان خالقها ومن كان كفواً لها، فلا يعرفها ويعرف أسرارها إلاّ ـ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ورسول الله محمد صلى الله عليه وآله، فإنّ الخلق كلّهم حتّى الأنبياء والملائكة والجنّ والإنس فطموا وقطعوا عن كنه معرفتها والإحاطة بها، فلا يعرفها حقّاً إلاّ الله ورسوله ووصيّه عليهما السلام. ففاطمة الزهراء وديعة المصطفى وحليلة المرتضى مظهر النفس الكلّية على أتمّ الوجوه الممكنة فهى الحوراء بتعيّن إنسى، مطلع الأنوار البهيّة، وضياء المشكاة النبويّة، صندوق الأسرار الإلهيّة، ورعاء المعارف الربّانيّة، عصمة الله الكبرى، وآية الله العظمى. لا ريب ولا شكّ أنّ فاطمة أحرزت مقام العصمة الإلهيّة الكبرى، كما عليه الإجماع القطعى وذهب إليه الأعاظم من عباقرة العلم والمعرفة، كالشيخ المفيد والسيّد المرتضى. كما تدلّ الآيات الكريمة والروايات الشريفة على ذلك، يكفيك شاهداً آية التطهير، وما أدراك ما آية التطهير، فمن أنكر ذلك فهو كالأعمى الذى ينكر نور الشمس. والعصمة من اللطف الإلهى الخاصّ ويعنى القوّة النوريّة الملكوتيّة الراسخة فى نفس المعصوم عليه السلام، تعصمه وتحفظه من كلّ شين، كما تزيّنه بكلّ زين، فيعصم من [صفحه ۱۳] الذنوب والمعاصى والآثام والسهو والنسيان والغفلة، وما شابه ذلك، ومن كان معصوماً فى دهره لا يصدر منه الشين مطلقاً. وفاطمة الزهراء عليها السلام إنّها المعصومة بعصمة الله سبحانه، كما عصم اولادها الأئمة الأطهار، فإنّ عصمتهم كعصمة القرآن، فهما الثقلان بعد رسول الله لنت يفترقا فى كلّ شيء من البداية وحتّى النهاية، ومنها العصمة. مفطومة من زلل الأهواءِ معصومةٌ من وصمة الخطاءِ فهذا من عقيدتنا الحقّة فى الزهراء عليها السلام، ولمّا كان الأذان والأقامة للصلوات اليوم إعلان وإعلام فى بيان العقيدة، ولمّا كانت الحياة عقيدة وجهاد، فلا مانع، بل من الراجح أن يعلن الشيعى المخلص عن عقائده الصحيحة فى أذانه وإقامته للصلاة، فيعلن للعالم فى كلّ يوم إنّه يؤمن بتوحيد الله، كما يؤمن برسول الله ونبوّته، ويؤمن بولاية عليّ أمير المؤمنين حجّة الله ويؤمن بإمامته وإمامة أولاده الطاهرين، كما يشهد بعصمة الزهراء وطهارتها، أى فى أذانه وإقامته، يخبر عن معتقده فى المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام. فيقول فى أذانه وإقامته بعد الشهادة الثالثة، الشهادة الرابعة لا بقصد الجزئيّة، فتقول فيها ما تقول فى الشهادة الثالثة، ولا أظنّ أن يخالفنى فى ذلك واحد من الفقهاء والعلماء إلاّ من يجهل المبانى الفقهيّة، وما جاء وراء الفقه من المعانى الدقيقة. فيجوز أن يقول المؤذّن والمقيم بعد الشهادة الثالثة: (أشهد أنّ فاطمة الزهراء عصمة الله) [۷] مرّتان أو مرة واحدة أو يلحق ذلك بالشهادة الثالثة بعد قوله: (أشهد أنّ عليّاً وليّ الله وأنّ فاطمة الزهراء عصمة الله)، فتدبّر. وممّا يدلّ على مقامها الشامخ وعصمتها الذاتيّة الكلّية كما فى الأنبياء [صفحه ۱۴] والأوصياء عليهم السلام أنّ الله يغضب لغضبها ويرضى لرضاها ـ كما ورد مستفيضاً عند الفريقين السنّة والشيعة ـ فإنّ الله سبحانه لم يغضب لنبيّ من أنبيائه: (وذا النون اذ ذهبا مُغاضِباً فَظَنَّ أنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ). ولكن يغضب لغضب فاطمة عليها السلام. ثمّ لا تجد معصوماً تروّج بمعصومة إلاّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، ولولا ـ عليّ لما كان لفاطمة كفوّ آدم ومن دونه، فإنّ المعصومة لا يتزوّجها إلاّ المعصوم، فإنّ الرجال قوّامون على النساء، فلا يكون غير معصوم قوّاماً على المعصومة، ومن خصائص أمير المؤمنين التى لا يشاركه فيها أحد حتّى رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله هو زواجه من المعصومة فاطمة الزهراء عليها السلام، وهو الزواج المبارك فى عالمى التكوين والتشريع، وإنّه من زواج النور من النور، كما ورد فى الأخبار، فالمعصومة لا يتزوّجها إلاّ المعصوم عليها السلام. وفاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين فى الدنيا والآخرة، كما تشهد بذلك آية التطهير والمباهلة وحديث الكساء وأصحابه الخمسة المصطفى والمرتضى وابناهما وفاطمة عليهم السلام. وربّما قدّم المباهلة النساء والأبناء على الأنفس للإشارة إلى أنّ الأنفس فداها. «فداها أبوها». وإنّما يعرف هذا وأمثاله بالمعرفة المعنويّة الذوقيّة التى يحصل عليها العارف بالشهود والكشف بعد صيقلة الروح والقلب، لا ـ بالمعرفة المفهوميّة

الاستدلاليّة من البرهان والكسب وحسب، وليس العيان كالبيان. وما يسطّر القلم فى معرفة فاطمة إلّا وشحات من بحر معرفتها، وإنّما عرفناها وعرفنا الأئمة الأطهار بما نطق به الثقلان القرآن وأهله، وإلّا فقد فطم الخلق عن كنه معرفتها، فمن يعرفها ويعرف اسرارها؟ وما يقال فى هذا المضمار ليس إلّا ما عند الكاتب، لا ما عند المكتوب عنه، فالاسرار الفاطميّة ليس إلّا من سرّ الكاتب وسريرته لا من أسرارها وحقيقتها، فإنّ حقيقة فاطمة عليها السلام حقيقة ليلة القدر، حقيقة [صفحه ۱۵] الكون وما فيه. والله سبحانه خلق عالم الملك ـ وهو عالم الناسوت ـ على وزان عالم الملكوت ـ وهو عالم الأرواح ـ والملكوت على وزان الجبروت ـ وهو عالم العقول ـ حتّى يستدلّ بالملك على الملكوت، وبالملكوت على الجبروت. ثمّ بين العالم العلوى والعالم السفلى قوساً نزوليّاً وصعوديّاً، وقد عبّر عن القوس النزولى فى نزول فيض الله ورحمته على الكون بالليل والليالى، كما عُبّر عن القوس الصعودى باليوم والايام. وعصمة الله فاطمة الزهراء عليها السلام كما عبّر عنها بليلة القدر، كذلك هى يوم الله. والإنسان الكامل هو القرآن الناطق، ففى ليلة القدر نزل القرآن، ونزل أحد عشر قرآناً ناطقاً فى فاطمة الزهراء فهى الكوثر، وهى الليلة المباركة، وليلة القدر خيرٌ من ألف شهر، أى ألف مؤمن، فإنّها اُم الأئمة الأبرار واُمّ المؤمنين الأخيار، والملائكة من المؤمنين الذين حملوا علوم آل محمد عليهم السلام وأسرارهم، وروح القدس فاطمة يتنزّلون فى ليلة القدر بإذن ربّهم من كلّ أمرٍ سلامٌ هى حتى مطلع الفجر قائم آل محمد عليه السلام [۸] . وليلة القدر قلب الإنسان الكامل الذى هو عرش الرحمان، وإنّه أوسع القلوب، فروح الأمين فى ليلة مباركة يتنزّل بالقرآن فينشرح صدره، فليلة القدر الصدر النبوىّ الوسيع، ومثله يحمل القرآن العظيم دفعةً واحدةً فى ليلةٍ واحدة، ثمّ طيلة ثلاث وعشرين عاماً ينزل تدريجاً. فليلة القدر الذى حمل القرآن دفعة واحدة فى معارفه وحقائقه ولطائفه هى فاطمة الزهراء عليها السلام، وما من حرف فى القرآن إلّا وله سبعون ألف معنى، وإنّ فاطمة عليها السلام لتعرف كلّ هذه المعانى فمن عرفها حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، فهى القلب اللامع الذى يتجلّى فيه الغيب الجامع. فهى درّة التوحيد وحقيقة القرآن المجيد، بل وحقيقة النبوّة والإمامة، وما يجمع بينهما وبين التوحيد، أى حقيقة الولاية. [صفحه ۱۶] فمن يقدر على الإحاطة بمعرفة فاطمة الزهراء عليها السلام بما هى هى، وبما تحمل فى ذاتها وصفاتها من الأسرار وسرّ السرّ، هيهات هيهات، لا يعرفها حقيقة إلّا مصوّرها وبارؤها وابوها وبعلها عليهما السلام، ولمثلها يقوم خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله إجلالاً ويقبّل صدرها ويدها، ويشمّ منها رائحة الجنّة، ولا يخرج من المدينة حتّى يودّعها ولا يدخل حتّى يسلّم عليها أوّلاً. وليس كلّ هذا باعتبار العاطفة الأبويّة، بل لما تحمل من الفضائل النبويّة والأسرار العلويّة. فمن هى؟ هى التى كانت مفروضة الطاعة على جميع الخلق من الجنّ والإنس والطير والوحوش. هى التى لا يذكر الله الحور العين فى كتابه وفى سورة الدهر عندما يذكر منقبة من مناقبها إجلالاً وتكريماً وتعظيماً لها. هى الكوثر التى خصّها الله بالخلق النورى من بين النساء، وبالمهدى من آل محمد صلى عليهم السلام، وبالذرّية المباركة الطاهرة، بالحسن والحسين و الأئمة المعصومين عليهم السلام. هى التى اشتقّ اسمها من اسم الله فكان فاطراً وكانت فاطمة، وإنّها صاحبة السرّ المستودع، ولها من المناقب والفضائل ما لايمكن للبشر أن يحصيها، وإذا كانت ضربة علىّ عليه السلام يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين أو افضل، فمن يقدر أن يعدّ عبادتهم؟ وفاطمة كفو لعلىّ عليهما السلام، فلها ما لعلىّ فى كلّ شىء إلّا الإمامة، كما كان لعلىّ ما لرسول الله إلّا النبوّة. والمرأة إذا لم تكن نبيذة، فإنّ لها أن تصل إلى مقام الولاية العظمى، فتكون أفضل من الأنبياء كفاطمة الزهراء عليها السلام، فهى حلقة وصل بين النبوّة والإمامة، فهى نور المُهج وحجّة الحجج... وهى بضعة المصطفى وبهجة قلبه، من سرّها فقد سرّ رسول الله، ومن آذاها فقد آذى رسول الله، ومن آذى رسول الله فقد آذى الله، ومن آذى الله ورسوله، فعليه لعنة الله أبد الآبدين، وكذلك لمن أغضبها وغضبت عليه، فارجع إلى التأريخ لتعرف على [صفحه ۱۷] من غضبت فاطمة؟ وماتت وكانت واجدة عليهم؟ أصفاها الله وطهّرها تطهيراً، فهى سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين، وإنّها أوّل من تدخل الجنّة، وتمرّ على الصراط، ومعها سبعون ألف جارية من الحور العين. هى زينة العرش الإلهى كزوجها الولىّ والوصىّ، وهى أعبد الناس، حبّها ينفع فى مئة موطن من المواطن، أيسرها الموت والقبر والميزان والمحشر والصراط والمحاسبة، ومن أحبّها فهو فى الجنّة، ومن أبغضها وآذاها فهو فى النار. فالويل كلّ الويل لمن ظلمها وظلم بعلها وذرّيتها وشيعتها، الويل كلّ الويل لمن غصب حقّها وكسر

ضلعها وأسقط جنينها ولطم خدّها وأنكر فضلها ومناقبها ومثالب أعدائها. ثم لو تلونا وقرأنا زيارة الجامعة الكبيرة [۹] الواردة بسند صحيح عن الإمام الهادى عليه السلام، والتى تعدّ فى مضامينها من أفضل وأعظم الزيارات، لوجدنا أنّها تذكر وتبيّن شؤون الإمامة بصورة عامّة، لنعرف الإمام المعصوم عليه السلام بمعرفة مشتركة لكلّ الأئمة الأطهار عليهم السلام، فكلّ واحد منهم ينطبق عليه ما جاء فى فقرات الزيارة ومفرداتها. إلّا أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام لا تزار بهذه الزيارة، فلا يقال فى شأنها أنّها موضع سرّ الله وخزانة علمه وعيبته، فهذا كلّه من شؤون حجّة الله على الخلق، وفاطمة الزهراء عليها السلام هى حجّة الله على حجج الله، كما ورد عن الإمام العسكرى عليه السلام: «نحن حجج الله على الخلائق، واُمّنا فاطمة حجّة الله علينا». ولهذا يقول صاحب الزمان عجّل الله فرجه الشريف: «ولى اُسوةٌ بأمّى فاطمة». فالأئمة اُسوة الخلق وقادتهم، وفاطمة اُسوة الأئمة عليهم السلام. إنّها عليها السلام تساوى أبيها فى خلقه النورى، وقال فى حقّها: «فاطمة روحى التى بين جنبىّ». وربما الجنبان إشارة إلى جنب العلم وجنب العمل، فهى تحمل روح النبىّ بعلمه [صفحه ۱۸] وعمله، وكلّ كمالاته العلميّة والعمليّة إلّا النبوّة، فهى الأحمد الثانى، وهى روحه التى بين جنبيه. ويحتمل أن يكون إشارة الجنبين إلى النبوّة المطلقة والولاية العامّة، فقد ورد فى الخبر النبوىّ الشريف: «ظاهرى النبوّة، وباطنى الولاية». مطلقاً التكوينية والتشريعية على كلّ العوالم العلوية والسفلية، السماوية والأرضية، كما ورد: «ظاهرى النبوذة، وباطنى غيبٌ لا يدرك». وأنفسنا فى آية المباهلة تجلّت وظهرت وكان مصداقها الخارجى أمير المؤمنين علىّ عليه السلام فالزهراء عليها السلام يعنى رسول الله وأمير المؤمنين، فهى مظهر النبوّة والولاية، وهى مجمع النورين: النور المحمّدى والنور العلوىّ، وكما ورد فى تمثيل نور الله فى سورة النور وآيته: (اللهُ نورُ السَّماوات وَالأرضِ مَثَلُ نورِهِ كَمِشْكاةٍ). بأنّه كالمشكاة، وورد فى تفسيرها وتأويلها أنّ المشكاة فاطمة، وفى هذا المشكاة نور رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام، ثمّ نور على نور وإمام بعد إمام، يهدى الله لنوره من يشاء. فالنبوّة والإمامة فى وجودها النورى، وهذا من معانى (السرّ المستودع فيها) [۱۰]، فهى تحمل أسرار النبوّة والإمامة، كما تحمل أسرار الكون وما فيه، تحمل أسرار الأئمة الأطهار وعلومهم، تحمل أسرار الخلقة وفلسفة الحياة، ولولا مثل هذا المعلول المقدّس لما خلق الله النبىّ والوصىّ كما ورد فى الحديث الشريف المعراجى: «يا أحمد، لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا علىّ لما خلقتك، ولو لا فاطمة لما خلقتكما». [صفحه ۱۹] ولا فرق بين الأحد والأحمد إلّا ميم الممكنات التى غرق فيها كلّ شىء... والاُمّ تحمل جنينها وولدها، وفاطمة اُمّ أبيها، فهى تحمل النبىّ فى أسرار نبوّته وودائعها، كما تحمل أسرار الممكنات فى جواهرها وأعراضها، وبنورها الزاهر ازدهرت السماوات والأرض، فالله الفاطر فطر الخلائق بفاطمة الزهراء وبنورها الأزهر... ولمثل هذه الخصائق القدسيّة كان النبىّ الأعظم صلى الله عليه وآله يقول: فداها أبوها. مشكاة نور الله جلّ جلاله زيتونة عمّ الورى بركاتها هى قطب دائرة الوجود ونقطة لمّا تنزّلت أكثر كثراتها هى أحمد الثانى وأحمد عصرها هى عنصر التوحيد فى عرصاتها فاطمةً خيرَ نساء البشر ومن لها وجه كوجه القمرِ فضّلك الله على كلّ الورى بفضل من خصّ بآىّ الزمرِ زوّجك الله فتىً فاضلاً- أعنى عليّاً خير من فى الحضرِ وأخيراً عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال «فاطمة بهجة قلبى، وابناها ثمرة فؤادى، وبعلها نور بصرى، والأئمة من ولدها اُمناء ربّى، وحبله الممدود بينه وبين خلقه، من اعتصم به نجا، ومن تخلّف عنه هوى» [۱۱]. هذا وقد غمرتنى الفرحة والبهجة عندما لمست أناملى الداثرة ما خطّه يراع فضيلة مروّج الأحكام حجّة الأسلام الكاتب المعتمد المؤلف السند الخطيب الكامل الشيخ محمد فاضل المسعودى دام وفّقاً. وقد أبدع سماحته فى سفره هذا القيّم (الأسرار الفاطميّة)، وملأ فراغاً فى المكتبة الإسلامية العربية، من معرفة نورانية حول السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام، بقلم سلس وبيان جميل، وتصوير رائع، وقد حاول أن يؤدّى ما هو الحقّ فى كلّ فصل من فصوله، فللّه درّه وعليه أجره وكثّر الله من أمثاله. [صفحه ۲۰] كان سماحته يحضر عندى كفاية الاُصول وأبحاثنا الفقهيّة ـ خارج الفقه (الاجتهاد والتقليد) ـ ولا يزال بحمد الله يحضر حضور تفهّم واستيعاب فى جمع من طلبة العلوم الإسلامية فى حوزة قم العلمية من جاليات مختلفة. وقد سألت الله فى سنين من حياتى فى ليالى القدر أن يوفّق جميع أهل العلم، لا سيّما أولئك الذى حضروا عندى دروسهم الحوزوية، أن يوفّقهم لخدمة الدين والمذهب فى كلّ المجالات العلمية والعملية، بأقلامهم وألسنتهم، بالتأليف والتصنيف والتدريس والتبليغ والخطابة والإمامة فى

المحاريب، وغير ذلك من المسؤوليات الدينيـة والاجتماعية الملقاة على عاتق علماء الدين ورجال العلم، أعزّهم الله فى الدارين. وأرى اليوم مرّةً اُخرى قد أثمرت الجهود، ولم تذهب الأنعاب ضياعاً، بل بين حين وحين تؤتى الشجرة الطيّبة اُكلُها، بل الحوزة المباركة هى البركة والخير المستمرّ والمستقرّ، وإنّها الكوثر العذب والمنهل الصافى والينبوع المتدفّق... والشيخ الكاتب قد أجاد فى هذا الكتاب الرائع بتعريف جملة من أسرار سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، وما أروع ما كتب وما أجمل ما اختار، لاسيّما وهذه الهجمات المدسوسة بين حين وحين تتغلغل فى صفوفنا، من قبل الاستعمار والاستكبار العالمى، ضدّ مقامات أهل البيت عليهم السلام، وفاطمة الزهراء عليها السلام، والعجب أنّها تصدر تارةً من أبناء المذهب، وممّن ينتسب إلى الذرّية الطاهرة!! ليفرّق بيننا ويمزّقنا كى يسود علينا وينهب خيرات بلادنا ومآرب اُخرى. ألا أنّهم أرادوا أن يطفئوا نور الله، والله متمّ نوره ولو كره المشركون والكافرون، وإنّه يؤيّد دينه برجال تطفح من أقلامهم الإسلامية عبقات الولاء والإخلاص، ويتدفّق منها المودّة الخالصة فى قربى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله. أسأل الله سبحانه أن يسدّد خطاهم، ويبارك لهم فى حياتهم العلمية والعملية، ويوفّقهم لما فيه من الخير من طلب العلم النافع والعمل الصالح وخدمة الدين ونشر معارف الإسلام وحقائق المذهب الناصعة. عهدى إليهم أن لا أنساهم من الدعاء وأملى بهم أن لا ينسونى من صالح دعواتهم الطيبة. [صفحه ۲۱] بطوبى لك يا قرّة العين بما كتبت يراعك المباركة، وستلقى الأجر من اُمّنا فاطمة الزهراء عليها السلام، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، إلّا من أتى الله بقلبٍ سليم، والسلام عليك وعلى أعزّائى طلّاب العلوم الدينية ورجال العلم والفضيلة، وعلى كلّ مؤمن ومؤمنة، ودمتم بخير وسعادة، وتقبّلوا تحيّات [۱۲] . العبد عادل العلوى قم المقدّسة ـ الحوزة العلميّة

المقدمة

بسمه تعالى الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين حبيب اله العالمين ابى القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، اللهم صلِّ على الصديقة فاطمة الزكية حبيبة حبيبك ونبيك وأمُّ احبائك وأصفيائك التى انتجبتها وفضلتها واخترتها على نساء العالمين، اللهم كُن الطالب لها ممن ظلمها واستخف بحقها وكن الثائر اللهم بدم اولادها اللهم كما جعلتها أمُّ أئمة الهدى وحليلة صاحب اللواء والكريمة عند الملاء الأعلى فصلِّ عليها وعلى امها صلاة تكرم بها وجه أبيها محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتقر بها اعين ذريتها وأبلغهم عنى فى هذه الساعة وفى كل ساعة افضل التحية والسلام واردد على منهم السلام انك جواد كريم. وبعد فانه لا يخفى على المتتبع لسيرة وحياة أهل البيت عليهم السلام انه قد كُتِبَت فيهم الكثير من الكتب وبالخصوص فى شخصية فاطمة عليها السلام ومعرفتها حيث دارت فى مجمل بحوثها على طريقة السرد التأريخى او المقارنة الموضعية ـ بين حياتها سلام الله عليها وبين باقى النساء المؤمنات اللآتى ذكرهن القرآن الكريم ـ أو على طريقة الاستنتاج والتحليل الواقعى والموضوعى لجميع مواقفها الاسلامية التى اتخذتها خلال مسيرتها الحياتية والتى كانت مليئة بالدروس والعبر والعظات الإنسانية البليغة. على أن هذا الكتاب الذى بين يديك أيها القارىء الكريم قد جاء ليمثل مجموعة السبل التى لابد من الكتاب أو المؤلف أن يجمعها ويصبها فى قالب حسن وهو يعرض شخصية مثل شخصية الصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام، حيث فيه الأسرار الغمضة التى جاءت على شكل عناوين لبعض هذه البحوث مثل: حقيقة السر المستودع، أصل يوم العذاب، فاطمة حجة الله الكبرى، وأيضا فيه المقارنة الموضوعية، والإستنتاج العلمى، والتحليل المثمر، وكما سيظهر لك من خلال قراءة هذه البحوث والمحاضرات. [صفحه ۲۴] على أننى أُنبه القارىء العزيز أننى قد وضعت فى الكتاب بعض المواضيع التى ذكرتها بعض الكتب من باب اتمام الفائدة فى الكتاب على امل ان يكون شاملاً لكثير من القضايا الحساسة والعقائدية فى حياة فاطمة سلام الله عليها، وليرجع اليها الكاتب والخطيب والباحث حين تعوزه المصادر والكتب، وقد توجت كل بحث فى بدايته بقصيدة شعرية فى حياة فاطمة عليها السلام لتكون محطات ادبية فاطمية يستفيد منها القارىء اثناء ترحاله من بحث إلى آخر، لذا جاء هذا الكتاب ليمثل مصباحاً جديداً فى معرفة فاطمة عليها السلام انشاء الله راجياً أن أكون قد أديت بعض الحق الذى علىّ فى توضيح بعض القضايا العقائدية فى شخصيتها الاسلامية الفذة، والحمد لله رب العالمين. محمد فاضل المسعودى

قم المقدسة ۱۸ ذی الحجة ـ عید الغدیر المبارک [۱۳] . ۱۴۱۹ هـ [صفحه ۲۵]

التمهید

(اللهم أنی أسألک بحق فاطمة وأبیها وبعلها وبنیها والسر المستودع فیها...) قبل الدخول فی مضامین هذا الدعاء لابد من الإشارة إلی عدة أسئلة مهمة تتعلق بسند هذا الحدیث، وهل ورد فیه سند؟ وفی أی کتاب مذکور؟ وهل جاء هذا الحدیث علی لسان المعصوم أم لا؟ کل هذه الأسئلة لابد من الإجابة علیها قبل الدخول فی صمیم هذا البحث، فنقول: أن هذا الحدیث لم نرَ له سنداً فی أی کتاب من الکتب المتداولة ولم یروَّ عن أی معصوم من أهل بیت العصمة، ولکن وجدناه مکتوباً فی کتاب فاطمة بهجة قلب المصطفی تحت عنوان (دعاء التوسل بها علیها السلام) حیث رواه مؤلف الکتاب الشیخ الهمدانی بقوله: سمعت شیخی ومعتمدی أیة الله المرحوم ملّا علیّ المعصومی یقول فی التوسل بالزهراء علیها السلام «الهی بحق فاطمة وأبیها وبعلها وبنیها والسر المستودع فیها... [۱۴] ». وأیضاً وجدنا هذا الدعاء ضمن الوصایا المهمة التی أوصی بها آیة الله المرعشی النجفی أبناءه بالمداومة علی قراءته وبالخصوص ابنه الکبیر حیث یقول: (وأوصیه ـ أی ابنه الأکبر ـ بمداومة قراءة هذا الدعاء الشریف فی قنوتات فرائضه... اللهم أنی أسألک بحق فاطمة وأبیها وبعلها وبنیها والسر المستودع فیها أن تصلی علی محمد وآل محمد وأن تفعل بی ما أنت أهله ولا تفعل بی ما أنا أهله...» [۱۵] . [صفحه ۲۶] بما أعظمه من دعاء بحیث یذکره السید المرعشی النجفی رحمه الله فی ضمن وصایاه المهمة التی أوصی بها، وأی فضیلة لهذا الدعاء والتوسل بحق الزهراء علیها السلام کی یَکونَ من أهم الأدعیة فی قنوتات فرائض السید المرعشی رحمه الله. لابد له من کرامة عظیمة وأهمیة جلیلة بحیث لا یترک من الوقوف معه والإستضاءة من نوره وبیان مضامینهُ وتجلیت حقائقه لکی نعرف فاطمة حتی معرفتها وعلی القدر المتیسر منه. وهذا الحدیث وان لم یکتب له سند فی کتب الحدیث، ولکن جاء مضمونه مطابقاً لکثیر من الروایات الشریفه المأثورة فی حق الصدیقة الکبری فاطمة علیها السلام، وعلی مضمونه وحقائقه توجد أدلة وشواهد تؤکد حقیقته وان لم یرد فی کتب الأدعیة، ولکن یکفی فی نقله علی ما استفدناه من الکتابین المذکورین اللذین ذکرا هذا الدعاء، ومن باب التسامح فی أدلّة السنن یهون الخطب فی سنده، وعلی ضوء ما تفهمه من هذا الدعاء سوف یکون حدیثنا حوله فی بحثین: البحث الأول: التوسل والإستغاثه بالزهراء علیها السلام. البحث الثانی: حقیقة السر المستودع فی فاطمة علیها السلام. [صفحه ۲۹]

حقیقة التوسل والإستغاثة بالزهراء

التوسل بفاطمة علیها السلام للخطیب الشیخ محسن الفاضلی توسَّلت بالحوراء فاطمةَ الزّهـرا لتلهمنی حتی أقولَ بها شِعـرا فجاء بحمـدِ الله ما کنت أبتغی فأبدیتُ للمعبودِ خالقی الشّکـرا أجل هی روح المصطفی کُفءُ حیدرٍ وأمُّ أبیها هل تری مثلَه فخرا أول المثلِ الأعلی بکلِّ خصالها جلالاً کمالاً عفّةً شرفاً قدرا حوت مَکوُماتٍ قطُّ لم یحو غیرُها فمن بالثّنا منها ألا قُلْ لَنا أحری وسیلتُنـا والله خیرُ وسیلةٍ بحقٍّ کما وهی الشفیعةُ فی الأخری أیـا قاتَلَ اللهُ الذی راعها وقد علیها قسی ظلماً وروّعها عصْرا وسوّد متنیها وأحرقَ بابَها وأسقطها ذاکَ الجنینَ علی الغبرا أیا مَن توالیها أتنسی مُصابَها وتَسلو وقد أمست ومقلتُها حمرا من الضّربِ ضرِب الرّجس یوم تمانعت بأن یذهبوا بالمرتضی بعلِها قَسرا وعادت تعانی هظمَها ومصابَها بفقدِ أبیها وهی والهفتا عَبری الی أن قضت روحی فداها ولاـ تَسل عن أحوالها واللهُ من کلّنا أدری [صفحه ۳۱] حقیقة التوسل والاستغاثة بالزهراء منذ أن خلق الله البشریة وبالتحدید منذ أن خلق أدم وحواء جعل لهم وسیلة یتوسلون بها إلیه لقضاء حوائجهم خصوصا أن ابینا آدم علیه السلام عندما أذنب بترک الأولی قد توسّل إلی الله تعالی بغفران ذنبه «ترکه الاولی» وکان من جملة ما توسل به الکلمات التی تلقاها من الله تعالی وتاب بها علیه تبارک وتعالی ولقد فسرت هذه الکلمات بأصحاب الکساء الخمسة محمد وعلی وفاطمة والحسن والحسین صلوات الله وسلامه علیهم اجمعین کما جاء ذلک فی تفسیر قوله تعالی (فتلقی آدم من ربه

كلمات فتاب عليه إنّهُ هو التواب الرحيم) [۳۱] ، إن آدم رأى مكتوباً على العرش أسماء معظمة مكرمة، فسأل عنها فقيل له: هذه أسماء أجل الخلق منزلة عند الله تعالى والأسماء هى: محمد وعلى وفاطمة والحسين عليهم السلام فتوسل آدم عليه السلام إلى ربه بهم فى قبول توبته ورفع منزلته. به قد أجاب الله آدم إذ دعا ونتجى فى بطن سفينة نُوحُ قومُ بهم غفرت خطيئة آدم وهُمُ الوسيلة والنجوم الطُلّع [۱۷] . وعلى هذا الأساس كان التوسل بأولياء الله وأحبائه من الأمور المتعارفة والمتسالمة عليها عند المسلمين بل يتعدى ذلك إلى غير المسلمين فنحن نجد ان الكثير من الديانات الأخرى غير الأسلامية تتوسل بشيء ما للتقرب إلى الله تعالى أو إلى الآلهة التى يعتقدون بها وهذا ما وجدنا فى مشركى قريش حيث كانوا يعبدون اللات والعزى ليقربونهم إلى الله زلفى وكما صرح بذلك القرآن الكريم فى بعض آياته، وعلى كل حال فقد وردت عدة آيات قرآنية تؤكد هذه المسألة فى القرآن الكريم منها قوله تعالى: [صفحه ۳۲] (وابتغوا إليه الوسيلة) [۱۸] ، حيث كان القرآن موافقاً فى هذه المسألة لعقلاء أنفسهم وهذا ما نجده فى طلب حوائجهم من الذين هم فى موضع القيادة أو المسؤولية فيسألونهم قضاء حوائجهم وهم أما زعيم أو رئيس أو حتى رجل كريم... وهذا ليس من الشرك فى شيء، فهذا مما يساعد عليه العرف العقلائى فنحن عندما نذهب إلى الطبيب نلتمس لديه الشفاء والعلاج وصولاً إلى الصحة والسلامة، وما الطبيب الحقيقى إلاّ الله تعالى فهل هذا يعتبر شركاً بالله عز وجل؟ ويدل على هذا الأمر ماروى فى قصة أبناء يعقوب على لسان القرآن الكريم عندما أدركوا انهم قد ارتكبوا ذنوباً كثيرة بحق أخيهم يوسف حيث جاءوا أباهم يعقوب قائلين: (يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنّا كنّا خاطئين) [۱۹] على أساس أن أباهم هو وسيلة الغفران لهم من قبل رب العالمين (وابتغوا إليه الوسيلة). وعلى هذا الأساس كان التوسل أمراً دينياً قد تعارف عليه الناس منذ أن خلق الله البشرية وقد جاء الأسلام ليؤكد على ضرورة هذا الأمر وذلك من خلال إتخاذ الوسيلة التى نتوسل بها إلى الله تعالى، ولم نجد من وقف ضد هذا الأمر ـ أى التوسل ـ إلاّ ما أسسه ابن تيمية وتلاميذه فى القرن الثامن الهجرى، وتلاه فى عقائده الباطلة والتى لا تتملك دليل منطقى برهانى محمد بن عبد الوهاب الذى أسس أضل واطغى جماعة على الدين الأسلامى ألا وهى الوهابية العمياء فأعتبر التوسل بأولياء الله تعالى من الأنبياء والأوصياء وعباد الله الصالحين بدعة ـ تارة ـ وعبادة للأولياء أنفسهم تارة أخرى. وقد خالفت الوهابية كل المرتكزات العقلائية فى هذا المضمار وخصوصاً نحن نؤمن بأن القرآن الكريم قد أكد على حقيقة اتخاذ الوسيلة وبأشكال متعددة، وليس هذا على ما يدعيه محمد بن عبد الوهاب نوعاً من أنواع الشرك بالله تعالى، والقرآن الكريم نفسه أكد على ضرورة اتخاذ الوسيلة إلى الله تعالى. والتوسل يكون على قسمين أو صورتين: [صفحه ۳۳] ۱ـ التوسل بالأولياء أنفسهم، كأن نقول: (اللهم أنى أتوسل إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن تقضى حاجتى). ۲ـ التوسل بمنزلة الأولياء وجاههم عند الله تعالى كأن نقول (اللهم أنى أتوسل إليك بجاه محمد وحرمته وحقه أن تقضى حاجتى). أما الوهابية فإنهم يُحرمون الصورتين معاً، فى حين أن الأحاديث الشريفة وسيرة المسلمين تشهدان بخلاف ما تدعيه الوهابية وتؤكدان جواز الصورتين معاً [۲۰] فلقد جاء الحديث الشريف عن عثمان بن حنيف ليؤكد على هذه الحقيقة حقيقة جواز التوسل بأولياء الله تعالى حيث يقول: «إن رجلاً ضريراً أتى إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أُدْعُ الله يعافينى. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إن شئتَ دعوت، وأن شئت صبرت وهو خير؟ فقال: فادعُه ـ فأمره ـ ان يتوضأ فيحسن وضوءه ويصلى ركعتين ويدعوا بهذا الدعاء: اللهم أنى اسئلك واتوجّه إليك بنبيك نبى الرحمة، يا محمد إنى أتوجه بك إلى الله فى حاجتى لتقضى!، اللهم شفعه فىَّ. قال ابن حنيف: فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا كأن لم يكن به ضرّ. ويعتبر هذا الحديث من الأحاديث الصحيحة السند وقد أثبتته كتب العامة قبل الخاصة حتى ابن تيمية نفسه اعتبر ناقل هذا الحديث ثقة [۲۱] . أن هذا الحديث من خلال التأمل الدقيق فى ألفاظه يظهر معناه واضحاً جلياً. حيث دل على ان الإنسان له أن يتوسل إلى الله تعالى بالذين جعلهم أدلاء على مرضاته وسبل نجاته ألا وهم الأنبياء وأفضلهم وأحسنهم خاتمهم نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته، والتوسل يكون بجرمتهم وكرامتهم وحقهم على الله تعالى. أما التوسل بالأنبياء وبحقهم فهذا ما جاء على لسان الحديث المروى فى وفاة فاطمة أُمّ أمير المؤمنين حيث يقول الحديث «لما ماتت فاطمة بنت أسد دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجلس عند رأسها [صفحه ۳۴] فقال: رحمك الله يا أمى بعد أمّى ثم دعا

رسول الله أسامَةِ بن زيـد وأبا أيوب الأنصارى وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود يحفرون، فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده وأخرج ترابه فلما فرغ دخل رسول الله فاضطجع فيه، ثم قال: والله الذى يُحى ويميت وهو حيٌّ لا يموت إغفر لأمى فاطمة بنت أسد، ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى [۲۲] . أما ما ورد فى التوسل بالنبى نفسه، فقد روى جمع من المحدثين ان اعرابياً دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: «لقد أتيناک ومالنا بعيرٌ يئط ـ أى مثل صوت البعير ـ ولا صبى يغط ـ وهو صوت النائم ـ ثم أنشأ يقول: أتيناک والعـذراء تدمى لبانُها وقد شغلت أم الصبيّ عن الطفلِ ولا شىء مما يأكل الناس عندنا سوى الحنظل العامى والعلهز الفسْلِ وليس لنا إلا إليک فرارُنا وأين فرارُ الناس إلا إلى الرسلِ فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يَجُر رداءه، حتى صعد المنبر فرفع يديه وقال: اللهم اسقنا غيثاً... فما ردا النبى حتى ألقت السماء... ثم قال: لله دَرُّ أبى طالب لو كان حياً لقرت عيناه من ينشدنا قولَهُ؟ فقام على بن أبى طالب عليهما السلام وقال: كأنک تريدُ يا رسول الله ـ قَولَهُ: وأبيض يُستسقى الغمامُ بوجهه ثِمال اليتامى عصمَةٌ للأراملِ يطوف به الُهلاک من آل هاشم فهم عنده فى نعمةٍ وفواضل فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم أجل فانشد على عليه السلام أبياتاً من القصيدة، والرسول يستغفر لأبى طالب على المنبر، ثُم قام رجل من كنانة وأنشد يقول: لک الحمد والحمد ممن شكر سقينا بوجه النبى المَطَر [۲۳] . ولنعم ما قال سواد بن قارب فى القصيدة التى يتوسل بها بالنبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأشهد أن الله لا ربٌ غيرُه وانک مأمون على كل غائب وانک أدنى المرسلين وسيلة إلى الله يابن الأكرمين الاطائب [صفحه ۳۵] فمرنا بما يأتيک يا خير مُرسلٍ وان كان فيما فيه شيبُ الدوائب وكن لى شفيعاً يوم لا ذو شفاعةٍ بِمُضض فتيلًا عن سواد بن قاربِ [۲۴] . أما التوسل بأولياء الله تعالى فهذا ما اثبته الكتب الكثيرة وخاصة الموجودة فى كتب العامة حيث ورد فى كيفية استقساء المسلمون بعم النبى «العباس» واستسقى عمر بن الخطاب بالعباس عام الرمادة، لما اشتَدّ القحط فسقاهم الله تعالى به، وأخصبت الأرض ـ فقال عمر هذا ـ والله ـ الوسيلة إلى الله والمكان منه. وقال حسّان: سأل الأمام وقد تتابع جد بنا فسقى الغمام بغُرّة العّباسِ عم النبى وصفو والِدهِ الذى وَرث النبى بذاك دون الناس أحيى الأله به البلاد فأصبحت مخضرة الأجانب بعد اليأس ولما سقى الناس طفقوا يتمسحون بالعباس ويقولون هنيئاً لک ساقى الحرمين [۲۵] . اقول: بعد هذا البيان يظهر لنا ان التوسل بالأولياء الصالحين مما جرت به السنة الشريفة فضلا عن القرآن الكريم نفسه، وعلى هذا الأساس جاء هذا الدعاء المروى عن علمائنا الأفاضل: «اللهم إنى أسألک بحق فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها... والذى يظهر من خلال استقراء الروايات المأثورة فى حق الزهراء أن هذا الدعاء وارد فى حق التوسل بالصديقة الطاهرة الزهراء عليها السلام فتارة نجد بعض الأحاديث تبين كيفية التوسل بالزهراء وتارة أخرى تبين كيفية الاستغاثة بالصديقة الشهيدة سلام الله عليها. فقد ورد عن لسان العلامة المتبحر المجلسى ما نصه: وجدت نسخة قديمة من مؤلفات بعض أصحابنا رضى الله عنهم ما هذا لفظه: هذا الدعاء رواه محمد بن بابويه رحمه الله، عن الأئمة عليهم السلام وقال: ما دعوت فى أمر إلاّ رأيت سرعة الإجابة وهو... (يا فاطمة الزهراء يا بنت محمد، يا قرة عين الرسول، يا سيدتنا ومولاتنا، إنّا [صفحه ۳۶] توجهنا واستشفعنا، وتوسلنا بک إلى الله، وقدمناک بين يدى حاجتنا، يا و جيهة عند الله أشفعى لنا عند الله...) [۲۶] . وروى فى كيفية التوسل بالزهراء، أن تصلى ركعتين، فاذا سلمت فكبر الله ثلاثاً، وسبح تسبيح الزهراء عليها السلام واسجد وقل مائة مرة: يا مولاتى، يافاطمة أغيثينى، ثم ضع خدّک الأيمن، وقل كذلک، ثم عد إلى السجود وقل كذلک، ثم خدک الأيسر على الارض وقل كذلک، ثم عد إلى السجود وقل كذلک مائة مرة وعشر مرات، أذكر حاجتک تقضى [۲۷] أما صلاة الاستغاثة بالبتول فهو نفس العمل السابق إضافة إلى ذلک تقول فى السجود: (يا آمناً من كلّ شىء وكل شىء منک خائف حذر، أسألک بأمنک من كل شىء وخوف كلّ شىء منک، أن تصلى على محمد وآل محمد، وأن تعطينى أماناً لنفسى وأهلى ومالى وولدى حتى لا أخاف أحداً ولا أحذر من شىء أبداً، إنک على كل شىء قدير). والدعاء الذى افتتحنا به البحث يؤكد على مسألة مهمة أخرى وهى حق فاطمة عليها السلام والذى يهمنا فى هذا المقام هو معرفة حق فاطمة وما المقصود منه، والذى نراه بعد تتبع بعض روايات أهل البيت عليهم السلام أنّ حق أهل البيت عظيم وحقوقهم كثيرة، ولكن الأهم من هذا كله هو معرفة الحق الأكبر، والذى عبرت عنه

الروايات حق المعرفة، وبعبارة أخرى أهم حق هو معرفة كونهم عليهم السلام مفترضوا الطاعة وهذا ما أشارت إليه الكثير من الروايات المروية فى المقام. حيث فسرت حق الأئمة تارة بأنهم حجة الله على الخلق والباب الذى يؤتى منه والمأخوذ عنه، وأنهم مفترضوا الطاعة، وهكذا بالنسبة للأئمة عليهم السلام، أمّا الصديقة الشهيدة، فحقها كبير على الناس وخصوصاً الأنبياء، حيث ورد أنه ما تكاملت نبوة نبى من الأنبياء حتى أقر بفضلها ومحبتها وهى الصديقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الأولى، وكذلك ورد أنها مفترضة الطاعة على جميع البشر وهذا حقها الأكبر [صفحه ۳۷] على الناس حيث يقول الحديث: «ولقد كانت عليها السلام مفروضة الطاعة، على جميع من خلق الله من الجن والأنس والطير، والوحش، والأنبياء، والملائكة» [۲۸] على أنه كلما ثبت من حقوق للأئمة عليهم السلام فهو ثابت للصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام وخصوصا نحن نعلم انه ورد عن الإمام الحسن العسكرى عليه السلام انه قال: (نحن حجج الله على الخلق وجدتنا فاطمة حجة الله علينا). اذن من خلال هذا الموضوع نفهم ان لحقيقة التوسل بالصديقة الشهيدة عليها السلام لقضاء الحاجات بوجاهات عند الله دوراً مهماص فى ترسيخ عقيدة الإنسان المؤمن بها حيث بعد قضاء الحاجة على يديها يجد المؤمن ايماناً راسخاً بها هذا من جهة، وان حقيقة التوسل بها يضعنا أمام جملة من الحقائق لابد من الوقوف معها والتأمل فى مغزاها من جهة اُخرى. وأوَّل هذه الحقائق المنزلة العظيمة والجليلة والفريدة التى كانت تتمتع بها بضعة النبى صلى الله عليه وآله وسلم مما جعلها موئلاً لكل مستغيث ومقصداً لكل طالب حاجة ضاق بحاجته ذرعاً وهو لا يدرى باب من يطرق حتى تقضى حاجته وتجاب استغاثته، فاذا بالإمام الصادق عليه السلام يقول لنا: عليكم بالزهراء، استغيثوا بأسمها ونادوا مولاتكم فاطمة، وحينئذ تقضى حاجتكم، وتنالون مطلبكم ويكفى فى مقام بيان منزلتها انها كانت المرجع لأبيها حيث كنّاها النبى صلى الله عليه وآله وسلّم بأُمّ أبيها، وانها كانت بضعة منه فمن أغضبها فقد أغضبه صلى الله عليه وآله وسلم ويكفى فى منزلتها أيضاً أنها سيدة نساء أهل الجنة،بل سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين فى الدنيا والآخرة، وأنها أم الأئمة المعصومين وانها حليلة سيد الأوصياء على بن أبى طالب عليه السلام. وأما الحقيقة الثانية التى أثبتتها أحاديث التوسل بالصديقة الشهيدة، هو مسألة الشفاعة، ولما لها من الأهمية الكبرى فى حياة الفرد المؤمن، حيث نجد مسألة الشفاعة لها دور كبير فى بعث الأمل فى روح المذنبين وأن لهم أملاً يظهر خلال الدنيا على نحو التوسل وفى الآخرة على نحو الشفاعة وهذا ما أكده القرآن الكريم فى كثير من آياته [صفحه ۳۸] حيث يقول سبحانه وتعالى: (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن) [۲۹] ، (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن اذن له) [۳۰] ، (لا يمكلون الشفاعة إلّا من اتخذ عند الرحمن عهداً) [۳۱] فإذا كان الله سبحانه وتعالى يأذن لبعض عباده بأن يشفعوا لغيرهم من الناس فمن أولى من بضعة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الخصوصية. والحقيقة الأخرى التى كشفت عنها روايات التوسل والأستغاثة بالصديقة الشهيدة هى مسألة تسبيح الزهراء عليها السلام، ذلك التسبيح الذى علمه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأبنته بأن تكبر الله سبحانه أربعاً وثلاثين وتحمده ثلاثاً وثلاثين وتسبحه ثلاثاً وثلاثين، عندما جاءته والإمام على بن أبى طالب عليه السلام تشكو له صلى الله عليه وآله وسلم إجهادها ونصبها ومعاناتها فى عمل البيت، فطلبت منه صلى الله عليه وآله وسلم أن يعينها بخادمة تكون معواناً لها، فكان أن علمها هذا التسبيح الذى عملت به سلام الله عليها وعنها أخذ المؤمنون يسبحون به ويتعبدون بعد كل صلاة، وكأنه صلى الله عليه وآله وسلم أراد ان تصبح الزهراء عليها السلام حاضرة فى كل صلاة يؤديها مؤمن، إذ كلما تَعَبدَّ بهذا التسبيح متعَبِد تذَكرّ الزهراء ومكانتها من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومن الله سبحانه وتعالى. [صفحه ۴۱]

حقيقة السر المستودع فى فاطمة

اشاره

عبد الحسين صادق العاملى أنائحة مثلى على العرصةِ القَفرا تعالى أُقاسمكِ المناحةَ والذكرى حديث الجوى ياورقُ يرويه كلُّنا

عن العَبرةِ الوطفاءِ والكبدِ الحرّى كلانا كئيبٌ يُتبعُ النـوحَ أنّـةً إذا ماوعاها الصخرُ صدّعتِ الصخرا خذى لك شطراً من رسيسٍ مبّرح ولى منُهُ ياذاتَ الجناحِ ذرى شطرا خلا ـ إنّها تبكى ومافاضَ دمْعُها وأرسلتُها من ذمقلتى أدمعاً حمرا فلا ـ جمرُ أحشائى يجففُ عبرتى ولا عبرتى فى صوبها تثخمد الجمرا وقائلةٍ وهىَّ الخليةَ من جوىً معرّسُهُ أضحى فى الحيازَم والصدرا رويدكَ نهنْهْ عن غرامِكَ واتخذْ شعاريكَ فى الخطبِ التجلدَ والصبرا فقلتُ ولكنْ فاتنى الصبرُ كلّهُ لرزءٍ أُصيبتْ فيهِ فاطمةُ الزهرا غداةَ تبدْت مستباحاً خباؤها ومهتوكةً حُب الخفارةِ والسترا على حينَ لاعينُ النبى أمامها لنُبصر ماعانتهُ بضعتهُ قَسرا على حينَ لا يفُ الرسولِ بمنتضى الغرارِ ولم تنظر لرايتهِ نشرا بنحلتها جائتْ تطالُب معشراً بدا كفرهمْ من بعدِ ما أضمروا الكفرا عَمُوا عنْ هواها ثمّ صمّوا كثيرُهم كأنّ بسمع القوم من قولِها وَقرا لقدْ أرعشت بالوعظِ صلَّ ضغونِهمْ فثاروا لها والصلُّ إنْ يرتعشْ يضرا فلو أنهمْ أوصى النبى بظلمهمْ لها ما استطاعوا غيرَ ما ارتكبوا أمرا وأنّى وهمْ طوراً عليها تراثَها أبوا وأبوا منها البُكا تارةً أُخرى وهمْ وشموها تارةً بسياطهمْ وآونةً قدْ أوسعوا ضلعَها كسرا وخلى حديثَ البابِ ناحيةً فما تمثلتُهُ جرتْ مقلتى نهرا بنفسى التى ليلًا توارتْ بلحدها وكان بعينِ الله أنْ دُفنتْ سرّا بنفسى التى أوصتْ باخفاءِ قبرها ولولاهُم كانتْ بأظهارِهِ أحرى

كتمان الأسرار

أكد القرآن الكريم فى كثير من آياته المباركة على اطلاع البارى عزّ وجل على خائنة العين وما تخفى الصدور، ويعنى هذا أن الله يعلم السر وما أخفى، وهو ما أضمره الإنسان وأسرّه ثمّ نسيه (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) [۳۲] ، وايضاً جاء قوله تعالى (وأسروا قولكم أو اجهروا به، أنه عليم بذات الصدور) [۳۳] ليؤكد هذه الحقيقة، حقيقة السر الذى يكتمه الأنسان على غيره ولكن لا يخفى على الله تعالى أى سرٌ لأنّ الله تعالى خالق الإنسان فى هذا العالم وإلى ذلك أشار القرآن (قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض، إنه كان غفوراً رحيما) [۳۴] ، فيعلم الله تعال حقيقة أسرار الناس وما يكتمون، إلاّ أنّه هناك اسرار مودعة من قبل الله تعالى عند كثير من الأولياء وخصوصاً الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين حيث أمرهم بحفظها ولا يظهروها إلا لمن هو أهل لها، ولنعم ما قيل فى الشعر المنسوب الى مولى الموحدين أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام حيث قال: لا تَفْشِ سِرًا ما استطعت الى امرىءٍ يُفشِى اليك سَرَ سَرَائر يُستودَعُ فكما تراه بِسِرّ غيرك صانعاً فكذا بِسِرّكَ لا محالة يصنع وإلى ذلك أشار الفرزدق: لا يكْتُم السِّرَّ إلا من له شَرفُ والسِّرُّ عند كرام الناس مكتُومُ [صفحه ۴۴] السِّرُّ عندى فى بيت له غلقٌ ضلت مفاتيحه والباب مَردُومُ اذن الأسرار المودعة من قبل الله تعالى عند الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين هى أمانات وكما ورد فى المثل الذى يقول «السر أمانة فانظر عند من تضع أمانتك». وقال الله تعالى: (ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) [۳۵] . وأسرار الله تعالى كلها أماناته فى أرضه وقلوب أوليائه ولا إجازة لهتكها وكشف قناعها إلا بين يدى صاحبها الذى هو أهلٌ لها وهذا أمرٌ أمر الله تعالى به عباده المخلصين من الأنبياء والأولياء ـ عليهم السلام ـ وبالغ معهم، وأمرهم ايضاً ان يأمروا بذلك المؤمنين ويبالغوا فيه، حتى قالوا «افشاء سر الربوبية كفر وهتك استار الألوهية زندقة» وقالوا «لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها، فتظلموها، ولا تمنعوها من أهلها فتظلموهم كونوا كالطبيب الشفيق يضع الدواء موضع الداء». وقالوا فى الشعر المنسوب الفارسى «فمن منع الجهال علماً أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم»، وأقوالهم الشاهدة بذلك واشاراتهم الدالة عليه أشهر وأظهر من أن تخفى على أحد، ومع ذلك نحن نذكر بعض ذلك استظهاراً لك ولغيرك لئلا يهمله أحد ويوقع نفسه فى الهلاك الأبدى والشقاء السرمدى، حيث جاء قوله تعالى تعليماً لعباده وتأكيداً لهم فى أداء الأمانة التى هى أسراره إلى أهلها (أنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها، وحملها الإنسان أنه كان ظلوماً جهولاً) [۳۶] . والمراد انه يقول: الذى هم الملائكة والجن والحيوانات والوحوش الطيور وغير ذلك ـ أو على استعداد كل واحد من السماوات والأرض والجبال بنفسها، لانها عند الأكثرين شاعرة بذاتها ـ لاجل ايداع أمانتنا التى هى أسرارنا فما وجدنا أهلاً لها ومستعدين لحملها لعدم قابليتهم وضعف استعدادهم لأن حمل الشيء وقبوله موقوف على قابليه ذلك الشيء واسعداده ووجدنا الإنسان أهلاً لها ومستعداً

لحملها فأمرناه بحملها وأشرنا إليه بقبولها لأنّه كان «ظلوما جهولاً» أى بسبب أنه كان مستعداً لها ومستحقاً لحملها «بظلوميته وجهوليته». [صفحه ۴۵] فكأنه يقول: ان السبب الأعظم والمُمَد الأعلى فى أهليته لهذه الأمانة المعروضة على السماوات والأرض والجبال ومافيها من المخلوقات كان «ظلوميته وجهوليته» لانه لو لم يكن مستحقا لحملها ومستعداً لقبولها لكان كغيره من الموجودات لعدم هاتين الصفتين فيه، وعلى هذا التقدير تكون صفتا «الظلومية والجهولية» مدحاً له «يعنى للإنسان» لا مذمة كما ذهب إليه أكثر المفسرين [۳۷] ، ولا شك انه كذلك واللام فى «لانه» لام التعليل لا غير، ليعرف به هذا المعنى والمراد بالإنسان نوعه وبالحمل استعداده للحمل وقابليته له. وهذا هو المعنى المطابق للامانة والعرض والحمل والقبول والإباء اجمالاً لاغير، وإلّا الأمانة ما كانت شيئاً محسوساً معروضاً على كل واحد من الموجوادات حساً وشهادة ولا كان آباؤهم عنها قولاً وفعلاً، كما يرسخ فى اذهان المحجوبين عنها. اذن بما أنه تعالى مع عظمة شأنه وجلالة قدره لم يضع ويدع الأمانة إلا عند أهلها، ولم يأذن بها إلا إلى صاحبها فلا ينبغى ان يفعل غيره بخلاف ذلك وإلا يكون مخالفاً لأمره سالكاً غيره طريقه وايضاً لو لم تكن رعاية الأمانة عنده عظيمة ما مدح بنفسه للراغبين أمانته، وما سلكهم فى سلك المصلين الصلاة الحقيقية، وما جعلهم من الوارثين (قد افلح المؤمنون الذى هم فى صلاتهم خاشعون، والذين هم عن اللغو معرضون، والذين هم للزكاة فاعلون) إلى قوله تعالى (اولئك هم الوارثون الذى هم يرثون الفردوس هم فيها خالدون) فحيث مدحهم على ذلك وسلكهم فى سلك هؤلاء المعظمين بل قدمهم عليهم وجعلهم من الوارثين «الذين يرثون الفردوس» فعرفنا ان رعايتها «يعنى رعاية الأمانة» معتبرة وقدرها جليل وشأنها عظيم وبالجملة الخيانة فى هذه الأمانة هى أيداعها عند غير أهلها، وامساكها عن أهلها، وكلاهما غير جائز وإليه أشار جل ذكره فى قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وانتم تعلمون) أى «لا تخونوا الله والرسول» بأيداع أسرارهم عند غير أهلها «وأنتم تعلمون» عاقبة الخائن وصعوبة عذابه وشدة عقوبته: (ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) اى ذلك القول «وصاكم به [صفحه ۴۶] لعلكم تتقون» عنها أى تحترزون عن الخيانة بعد ذلك وتعظمون مكانتها. جعلنا الله من الحاملين أمانته والراعين عهده، الموفين به الوارثين جنته، بمحمد وآله أجمعين. واذ فرغنا من كلام الله تعالى، فلنشرع فى كلام الأنبياء عليهم السلام ومنها قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم «من وضع الحكمة فى غير أهلها جهل، ومن منع عن أهلها ظلم» «ان للحكمة حقاً، وان لها أهلاً: فأعط كل ذى حق حقه» وقوله صلى الله عليه وآله وسلم «ان من العلم كهيئة المكنون، لا يعلمه غلا أهل المعرفة بالله، فاذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله» وغير ذلك من الأقوال المعلومة لأهلها. والغرض انه صلى الله عليه وآله وسلم أمر بذلك وفعل بنفسه، لأنه إذا أراد إيداع مثل هذه الأسرار فى قلوب أصحابه وخواصه كان يخلو بهم ويقول فى آذانهم، كما فعل بأمير المؤمنين على عليه السلام وأخبر عنه أمير المؤمنين بقوله «تعلمت من رسول الله ألف باب من العلم، وفتح الله تعالى لى بكل باب ألف باب» وإلى كتمانه واخفائه بنفسه عن الأغيار أشار أيضاً بقوله «اندمجت على مكنون علم، لو أبحث به لا ضطربتم اضطراب الارشية فى الطوى البعيدة». والى ثمرة أظهاره ـ أعنى من الفساد ـ أشار أيضاً وقال «والله لو شئت أن أخبر بكل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت ولكنى أخاف أن يكفروا برسول الله» وهذا أمر منه بأخفاء اسرار الله وكتمانها وكناية عن أخفائها ولهذا لما قال له الخصم «أنت تتكلم بالغيب» قال ويحك! ان هذا ليس بغيب، ولكنّه علم تعلمتُ من ذى علم» أراد به النبى صلى الله عليه وآله وسلم. وكما فعل بسلمان ايضاً، أى جعله صاحب سِر وقال فيه: «سلمان منّا أهل البيت» أى من أهل بيت التوحيد والعلم والمعرفة والحكمة لا من أهل بيت النسوان والصبيان والاهل والاولاد، وقال تأكيداً لهذا المعنى «لو علم أبو ذر ما فيبطن سلمان من الحكمة لكفره!» وروى «لقتله!» وكلاهما صحيح فأنظر إلى عظمة السر المودع عند سلمان، وعلى المبالغة فى كتمان أسرار الله تعالى حيث عرفت أنّ كبار الصحابة كانوا يخفون بعضهم عن بعض حتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولعظمة أن سلمان وقربه إلى حضرة الرحمان قال عليه السلام «الجنة أشوق الى سلمان من سلمان الى الجنة» وكذلك لجلالة قدر أويس القرنى رحمه الله لا طلاعه على أسرار الله تعالى كشفا وذوقا، قال صلى الله عليه وآله وسلم فى حقه حيث كان [صفحه ۴۷] يستنشق من طرف اليمن روائح أنفاسه الشريفة من حيث الباطن أو الظاهر: «أنى لأستنشق روح الرحمن من طرف اليمن» وورد «من ناحية اليمن» و «من قبل اليمن» وقد سأله

سلمان عن هذا الشخص فقال له عليه السلام: «ان باليمن لشخصاً يقال له: «أويس القرنى يحشر يوم القيامة أمة وحده يدخل فى شفاعته مثل ربيعة ومضر، ألا من رآه منكم فليقرأه عنى السلام، ليأمره أن يدعو لى». وإلى غلبة هذه الأسرار بالنسبة إليه فى بعض الأوقات قال: «لى مع الله وقت لا ـ يسعنى فيه مقرب ولا ـ نبى مرسل» والمراد أنّ لى مع الله حالات وأوقات لا ـ يمكن ان يطلع عليها أحد، لا ملك مقرب ولا نبى مرسل ولا غيرهم من المخلوقات، وكأنه يشير الى أنه ما تنكشف عليه هذه الاسرار ولا تتجلى له هذه الأنوار إلّا عنده تجرده عن جميع التعلقات الروحانية والجسمانية ـ حتى النبوة والرسالة ـ وعن جبرئيل وابلاغه أيضاً لقوله عليه السلام: «لو دنوت أنملة لا حترقت» وبالحقيقة المعراج عبارة عن هذا المقام، إن اُريد به العراج المعنوى، وإن اُريد به المعراج الصورى فهو ظاهر وقد عبر عليه السلام عن شدة تعلقه بالنبوة والرسالة ومنعهما من الوصول إلى حضرة الحق جل جلاله وقال حين خلاصه عنهم لحظة «لا يسعنى فيه ملك مقرب أى جبرئيل وابلاغه «ولا نبى مرسل» أى النبوة ورسالتهما لأن الرسالة ابلاغ ما حصل عن النبوة وإلى هذا المقام أشار ـ جل ذكره ـ «ولن أجد من دونه ملحداً إلاّ ـ بلاغاً من الله ورسالاته» وأمثال ذلك كثيرة. والغرض منه أنّ إخفاء أسرار الله تعالى ـ خصوصاً الأسرار المتعلقة بهم ـ واجب من غير أهلها لأنها لا زالت كذلك أى مخفية عن غير أهلها، مودعة عند أهلها، وإذا عرفت هذا فلنرجع إلى قول الأولياء عليهم السلام أعنى اكتفينا منهم بأعظمهم وأكملهم الذى هو نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ومنها قول أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام وأقواله فى هذا الباب كثيرة نذكر منها أحسنها وألطفها، وهو ما جرى بينه وبين كميل بن زياد النخعى رحمه الله الذى كان من أخص تلامذته وأعظم أصحابه وإليه تنسب خرقة الموحدين وطريقة المتحققين حين سأله عن «الحقيقة» بقوله «ما الحقيقة!» فقال له عليه السلام: «مالك والحقيقة؟» يعنى من أنت [صفحه ۴۸] والسؤال عن الحقيقة ولست بأهلها! فقال كميل: «أولست بصاحب سرك؟» قال: «بلى ولكن يرشح عليك ما يطفح منّى» يعنى أنت صاحب سرى ومن أخص تلامذتى ولكن لست بأهل لمثل هذا السر والإطلاع عليه لأنه «يرشح عليك ما يطفح من» و «إلّا كان الأمر» يضرك ويضرنى لأن ظرفك لا يحتمل فوق قدرك، وأنا مأمور بوضع الشىء فى موضعه، فقال كميل: «أومثلك يخيب سائلاً ـ؟» أى مثلك فى العلوم والحقائق والإطلاع على استعداد كل سائل «يخيب سائلاً» أى يمنعه عن حقه ويجعله محروماً عن مراده، خائباً عن مقصوده، ساكتاً عن جوابه؟ لا والله بل يجب عليك وعلى مثلك جواب كل واحد منهم بقدر استعداده وفهمه وادراكه مطاوعة لقوله تعالى: (أما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدّث) وأسوة نبيك صلى الله عليه وآله وسلم لقوله «كلموا الناس على قدر عقولهم» فشرع الإمام عليه السلام بعد ذلك فى بيانه وقال: الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة، فقال كميل: زدنى فيه بياناً، قال الإمام عليه السلام: صحو الموهوم مع محو المعلوم. قال كميل: زدنى فيه بياناً، قال الإمام عليه السلام: هتك السر لغلبة الستر. قال كميل: زدنى فيه بياناً. قال الإمام عليه السلام: نور يشرق من صبح الأزل، فيلوح على هياكل التوحيد آثاره. قال كميل: زدنى فيه بياناً، قال الإمام عليه السلام: أطف السراج، فقد طلع الصبح. وهذا الكلام يحتاج إلى شرح طويل وبسط عظيم، ولكن معنى الكلام الأخير انه يقول: اسكت بعد ذلك أى بعد هذا البيان التام والإظهار الكامل والكشف الجلى، عن السؤال من لسان العقل ومقام القلب ومرتبة السلوك، لأنه قد طلع تباشير شمس الحقيقة وظهر شعاعها فى الآفاق، ولست أنت بعد ذلك، محتاجاً إلى السؤال من لسان العقل الذى كالسراج بالنسبة للشمس. والمراد أن الشخص إذا وصل إلى مقام المشاهدة والكشف فلا ـ ينبغى له أن يطلب المقصود من طريق المجادلة والمباحثة لأنّ الكشفيات والذوقيات غير قابلة للعبارة والاشارة والسؤال والجواب كما أشار إليه أولاً ـ «كشف سبحات الجلال من غير اشارة» فكأنه أمره بالسكوت والصمت والتوجه إلى حضرته تعالى حتى يدرك مقصوده بالذوق الذى هو أعلى مراتب الوصول إلى الله تعالى، وعن هذا المقام قال [صفحه ۴۹] العارف: «من عرف الله كلَّ لسانه» أى «من عرف الله» على سبيل المشاهدة والذوق «كلَّ لسانه» عن العبارة والاشارة والغرض من هذا كله ان الإمام عليه السلام اذا كان بأفشاء الأسرار اللهية من أعظم خواصه وأكبر تلامذته بهذه المثابة، فلا يجوز لغيره افشاؤها مع كل أحد من العوام والجهال، فاذن عليك بكلتمانها واخفائها عن غير أهلها اتباعاً لله تعالى ولرسوله ولإمام المسلمين كافة. ويروى عن كميل رضى الله عنه مثل ذلك أيضاً وأبلغ فى كتمان الأسرار واخفائها، كما هو مذكور فى نهج البلاغة،

وهو أنه قال رضى الله عنه: «أخذ بيدى أمير المؤمنين على عليه السلام فأخرجنى الى الجبّانة فلمّا أصحر، تنفس الصعداء، ثم قال لى: يا كميل بن زياد! «إنّ هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها فأحفظ عنّى ما أقول لك: الناس ثلاثة: فعالم ربانى ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيؤا بنور العلم، ولم يلجأ وإلى ركن وثيق. يا كميل: العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق وصنيع المال يزول بزواله، يا كميل! معرفة العلم دين يدان به، به يكسب الإنسان الطاعة فى حياته وجميل الاحدوثة بعد وفاته، العلم حاكم والمال محكوم عليه، يا كميل بن زياد: هلك خزان الاموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقى الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم فى القلوب موجودة؟ إنّ ههنا لعلّماً جماً ـ وأشار بيده إلى صدره ـ لو أصبت له حملة! بلى! أصبت لقناً غير مأمون عليه، مستعملاً آلة الدين للدنيا، ومستظهراً بنعم الله تعالى على عباده، وبحججه على أوليائه، أو منقاداً لحملة الحقّ لا بصيرة له فى أحنائه، ينقدح الشك فى قلبه لاول عارض من شبهة: ألا! لاذا ولاذاك، أو منهوماً باللذة ـ سلس القيادة للشهوة، أو مغرماً بالجمع والادخار ليس من رعاة الدين فى شىء أقرب شىء شبهاً بهما الانعام السائمة، كذلك يموت العلم بموت حامليه، اللهم بلى: لاـ تخلو الأرض من قائم الله بحججه، إمّا ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيّناته، ولم ذا؟ وأين أولائك ـ لا والله ـ الاقلون عدداً. والاعظمون عند الله قدراً، بهم يحفظ الله تعالى حججه وبيناته، حتى يودعوها نظراءهم، ويزرعوها فى قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، [صفحه ۵۰] وباشروا ردح اليقين، واستلانوا ما استوعره المترفون، وانسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأدبانٍ أرواحها معلقة بالمحل الاعلى أولائك خلفاء الله فى أرضه، والدعاة إلى دينه، آه، آه! شوقاً الى رؤيتهم». واذ فرغنا من كلامه فى كتمان الأسرار والمبالغة فيه بقدر هذا المقام، فلنشرع فيه من كلام الأئمة المعصومين من أولاده عليهم السلام ومبالغة فى هذه المقدمة، وان قيل: يكفى فى هذه المقدمة ما قدمتم من آية أو آيتين، وخبر أو خبرين لأنّ المقصود يحصل منهما، فلا فائدة فى التطويل وزيادة فى الكلام؟ أجيب عنه بأن المراد ليس نفس الاخفاء ولا الكتمان، بل هناك غرض آخر يفهم من البحث الاتى فى آخر هذه العجالة وهو معرفة حقيقة السر المستودع فى فاطمة وهل هو ظاهر أم مستور ستره الله عن جميع البشر إلا الأولياء الخلص، وبقية الأغراض سوف تظهر من بعد ذلك. ومنها قول الأئمة المعصومين من أهل بيت النبى ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ وهو أنّه مروىٌّ برواية صحيحة عن احدهم عليهم السلام قال: «أن أمرنا صعب مستعصب، لاـ يحتمله إلاّ ملك مقرب، أو نبى مرسل، أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان»، وقال: «خالطوا الناس بما يعرفون ودعوهم بما ينكرون،ولا تحملوا على أنفسكم وعلينا، أنّ أمرنا صعب مستعصب، لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبى مرسل، أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان» [۳۸] . وروى محمد بن عبدالجبار عن الحسين بن الحسين اللؤلؤى عن محمد بن الهيثم، عن ابيه، عن أبى حمزة الثمالى، قال: «سمعت أبا جعفر «يعنى الإمام الباقر» ـ يقول: أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب، أو نبى مرسل، أو مؤمن امتحنه الله قلبه للإيمان. ثم قال: يا أبا حمزة! ألست تعلم أنّ من الملائكة مقرباً وغير مقرب؟ ومن النبيين مرسلاً، وغير مرسل؟ وفى المؤمنين ممتحناً وغير ممتحن؟ قال: قلب بلى؟ ألاـ ترى صعوبة أمرنا؟ ان الله تعالى أختار له من الملائكة المقرب ومن النبيين المرسل ومن المؤمنين الممتحن». [صفحه ۵۱] وروى محمد بن الحسين، عن محمد بن سنان، عن عمار بن مروان، عن جابر عن أبى عبدالله يعنى الإمام جعفر الصادق عليه السلام ـ أنه قال: «أمرنا سرٌّ مستور فى سّر، وسرّ مستسّر، وسرّ لا يفيده إلا سرّ وسرّ على سرّ، مقنّع بسّر» وروى ايضاً أنّه قال: «أمرنا سرّ مستور فى سرّ، مقنع بالميثاق: من هتكه أذله الله» [۳۹] وروى ابن محبوب، عن مرازم، قال «قال لى أبو عبدالله عليه السلام: «أمرنا هو الحق وحقّ الحقّ، وهو الظاهر، وباطن الباطن، وهو السرّ، وسرّ السرّ، والسر المستتر، وسرّ مقنع بسّر». وإلى كتمان هذا السر، أشار بقوله عليه السلام: «التقية دينى ودين آبائى، فمن لا تقية له، لا دين له» [۴۰] يعنى: الإتقاء والإحتراز من افشاء الأسرار الإلهية، «دينى ودين آبائى» من الأنبياء والأولياء عليهم السلام «فمن لاـ تقية له» فى إخفائها «لا دين له» وإلى هذا أشار علماؤنا فى كتبهم وقالوا: التقية واجبة لا يجوز رفعها إلى أن يخرج الإمام القائم الذى يظهر الدين كله ويكون من المشرق إلى المغرب على ملّة واحدة كما كان الشأن فى زمان آدم عليه السلام، فمن تركها «يعنى التقية» قبل خروجه فقد خرج مندين الإمامية، وخالف الله تعالى

ورسوله والأئمة عليهم السلام وهذا الكلام منقول من «اعتقادات ابن بابويه رحمه الله». وروى عمران بن موسى عن محمد بن على وغيره، عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن جعفر عن أبيه عليهما السلام قال: «ذكر عليّ عليه السلام التقية فى يوم عيد». قال والله لو علم أبو ذر ماذا فى قلب سلمان، لقتله!»، ولقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينهما، فما ظنك بسائر الخلق؟ «ان علم العلماء صعب مستصعب، لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبى مرسل، أو عبد مؤمن، امتحن الله قلبه للإيمان. قال: «وإنما صار سلمان من العلماء، لأنه أمرؤ منّا أهل البيت». فلذلك نسبته الينا [۴۱] وإلى هذا كله أشار الإمام المعصوم زين العابدين عليه السلام فى أبيات منسوبة إليه، وهو قوله: انى لاكتم من علمى جواهره كيلا يرى الحقَّ ذو جهل فيفتتنا وقد تقدمّنا فيها أبو حسن مع الحسين ووصّى بها قبلها الحسنا [صفحه ۵۲] يا رب جوهر علم لو أبوح به لقيل لى: أنت ممن يعبد الوثنا! ولا ستحل رجال مسلمون دمى يرون أقبح ما يأتونه حسنا وعلى هذا الاساس نجد ان الأئمة من آل محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كانوا يحملون الأسرار الربانية التى أفاضها البارى عليهم منذ أن خلقهم أنواراً وجعلهم بعرشه محدقين وإلى أن مَنَّ بهم علينا، ولكن لا يظهرون هذه الأسرار إلا لمن وجدوه أهلاً لحمل الأمانة، ومستودعاً لها، وإلى هذا الأمر ـ أعنى حمل الأسرار ـ ورد فى الزيارة الجامعة الكبيرة لأئمة المؤمنين عليهم السلام ما نصهُ: (... السلام على محال معرفة الله ومساكن بركة الله ومعادن حكمة الله وحفظه سر الله... اصطفاكم بعلمه، وارتضاكم لغيبه، واختاركم لسره... وأنصاراً لدينه، وحفظة لسره... ومستودعاً لحكمته...). وغير ذلك من الاقوال والزيارات الواردة والتى تصفهم عليهم السلام بأنهم المستودع لسّر الله، وان هذه الاسرار لا يعطوها إلا إلى أهلها وإلى ذلك أشار الحديث المروى عن أبى بصير قال: «قال أبو عبدالله عليه السلام: يا أبا محمد، إن عندنا والله سراً منسّر الله وعلماً من علم الله، والله لا يحتمله ملك مقرب ولا نبى مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للايمان، والله ما كلف الله ذلك، أحداً غيرنا ولا استعبد بذلك أحداً غيرنا، وان عندنا سراً من سر الله، وعلما من علم الله أمرنا بتبليغه فبلغنّا عن الله عزّ وجل ما أمرنا بتبليغه، فلم نجد موضعاً ولا أهلاً ولا حمالة يحتملونه حتى خلق الله لذلك أقواماً، خلقوا من طينة خلق منها محمد وآله وذريته عليهم السلام، ومن نور خلق الله منه محمداً وذريته وضعهم بفضل صنع رحمته التى صنع منها محمداً وذّريتَهُ، فبلّغنا عن الله ما أمرنا بتبليغه فقبلوه واحتملوا ذلك «فبلغهم ذلك عنا فقبلوه واحتملوه» وبلغهم ذكرنا فمالت قلوبهم إلى معرفتنا، وحديثنا فلولا أنهم من هذا لما كانوا كذلك، لا والله ما احتملوه، ثم قال: إنّ الله خلق أقواماً لجهنم والنار، فأمرنا أن نبلغهم كما بلغناهم، وأشمأزوا من ذلك ونفرت قلوبهم وردوه علينا ولم يحتملوه، وكذبوا به وقالوا ساحرٌ كذاب، فطبع الله على قلوبهم وأنساهم ذلك، ثم أطلق الله لسانهم ببعض الحق فهم ينطقون به وقلوبهم منكرة، ليكون ذلك دفعاً عن أوليائه وأهل طاعته، ولو لا ذلك ما عُبدَ الله فى أرضه، فأمرنا بالكف عنهم والستر والكتمان، فاكتموا عمّن أمر الله بالكف عنه واستروا عمن أمر الله [صفحه ۵۳] بالستر والكتمان عنه، قال: ثمّ رفع يده وبكى وقال: اللهم إن هؤلاء لشر ذمة قليلون، فاجعل محيانا محياهم ومماتنا مماتهم ولا تسلط عليهم عدواً لك فتفجعنا بهم، فأنك إن أفجعتنا بهم لم تعبد أبداً فى أرضك وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً [۴۲] ». أقول: يظهر من هذا الحديث عدة أمور أهمها: إنّ أهل البيت عليهم السلام عندهم أسرار قد آمنهم عليها رب العزة لا يتحملها غيرهم ولا يخرجونها إلى أحد منهم مكلفون بها وبحملها والحفاظ عليها وهذا هو معنى «حفظة سرّ الله» الوارد فى الزيارة الجامعة الكبيرة، وايضاً قوله عليه السلام ان عندنا... وعلماً من علم الله يعنى حكمة الله تعالى انهم هم الودائع لها وهذا معنى قوله فى الزيارة ومستودعاً لحكمته، وعلى هذا تكون هذه الأسرار خاصة بهم لا يخرجونها إلى غيرهم فهم أولى بحملها من غيرهم لانهم فقط الذين يحتملونها. وكذلك عندهم سّر من أسرار الله تعالى وعلماً من علم الله تعالى احتمله نبيٌ مرسل وملك مقرب وعبد امتحن الله قلبه للايمان وقد عبر الرواية ان هذه الأسرار والعلوم لا يحتملها إلا من هو مخلوق من طينتهم وهم الشيعة الحقيقيين، الذى بشرهم هذا الحديث بالدعاء من قبل الإمام عليه السلام لهم بأن تكون حياتهم مثل حياة أهل البيت عليهم السلام. إذن يظهر من هذا الحديث وأحاديث مأثورة عنهم عليهم السلام أنهم كانوا يحملون أسرار الله تعالى قد أودعها البارى عز وجل فيهم وكما بينت ذلك الفقرات الواردة فى الزيارة الجامعة، وبما أنهم ذرية الصديقة الشهيدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها والتى قد أُقر بفضلها ومحبتها جميع الأنبياء والبشر

وانها كانت مفروضة الطاعة وعلى معرفتها دارت القرون الاولى، تكون عندئذ ايضاً حاملة للاسرار الالهية لانه كيف تكون حجة الله على الأئمة وكما ورد ذلك فى الحديث المأثور عن الإمام الحسن العسكرى «نحن حجج الله على خلقه وجدتنا فاطمة حجة الله علينا» وهم حاملين للاسرار وهى تكون غير حاملة له؟ ولكن السؤال الذى ينقدح فى المقام هو كيف كانت مستودعاً للسر الالهى وما هو حقيقة هذا السر المستودع؟ كل هذه الأسئلة لابد [صفحه ۵۴] من ادراكها وعلى ما تحتمله لكى نعرف فاطمة ولو معشار عُشر المعرفة التى فُطمنا عنها ـ أى عن معرفة فاطمة عليها السلام. اقول: قبل أن ندخل فى تفاصيل السر المستودع وحقيقة ماهيته لابد أن نرى كيف إقتضت ات الزهراء لحمل الأمانة الالهية التى جعلها مستودعاً لها، وهذا يظهر لنا من خلال مراجعة واستقراء الاحاديث المأثورة فيها والزيارات الواردة فى علو مقامها وشأنها ونستنطقها الحال ونستقرئها الجواب لكى نفهم كيف اقتضت المشيئة الربانية ذلك، وان أول ما يظهر من الجواب على ذلك من خلال الزيارة الواردة فى شأنها فى يوم الاحد والتى تقول الزيارة: «السلام عليك يا ممتحنة إمتحنك الذى خلقك قبل أن يخلقك وكنت لما امتحنك صابرة». والذى يظهر من هذه الزيارة المخصوصة للصديقة الشهيدة انها أُمتحنت من قبل البارى عز وجل وقبل خلقها أى عندما كانت نوراً من الانوار التى خلقها الله تعالى قبل الخلق بالف عام والتى كانت بعرشه محدقة، والامتحان كان لها لاجل أظهار مقامها السامى ومنزلتها الحقيقية حيث كانت نتيجة الامتحان صابرة، والمعروف عند العرف العقلائى ان الامتحان يمتحن فيه الشخص لُيعرف مدى استعداداته وقابلياته «عند الامتحان يكرم المرء أو...»، لذا نجد من باب البارى عز وجل الذى هو سيد العقلاء بل هو خالق العقل أجرى الامتحان الربانى للزهراء حيث امتحنها، ونحن نعرف ان الامتحان يكون للمرء إما لزيادة منزلة ومقام أو لأجل شيء آخر، ولكن الزهراء عليها السلام إمتحنها الله تعالى لكى تكون حاملة للأسرار الالهية وذلك ما إقتضته المشيئة الربانية فيها، لذا كانت ناجحة فى الامتحان الربانى قبل خلقها حيث استحقت لقب الصابرة، اما ماهية هذا الامتحان وفى أى موضوع كان، وكيف أجراه الله تعالى عليها؟ فهذا ما أشارت إليه بعض الروايات والتى نستفيد من خلال التمعن فيها والتدقيق فى مدلولاتها انها امتحنت فى حمل الأمانة الربانية فوجدها البارى عز وجل صابرة على حمل العلم والأمانة الربانية، لذا استحقت حمل الأسرار الربانية، ولكن ينقدح السؤال المهم فى المقام ما هو حقيقة هذا السر المستودع فى فاطمة؟. أقول: قبل الاجابة على حقيقة هذا السر، أود أن أشير إلى مسألة مهمة تظهر لنا من [صفحه ۵۵] خلال عرض الروايات التى تقول ان الاسرار التى اكن يحملها أهل البيت لا يتحملها إلا نبى مرسل أو ملك مقرب أو عبد أمتحن الله قلبه للايمان، أى من خلال عرض هذه الروايات الواردة فى حمل أسرار الأئمة وانه لا يحملها إلا الممتحن ومطابقتها مع الزيارة الخاصة بالصديقة الطاهرة والتى تقول «السلام عليك يا ممتحنة» يظهر لنا من خلال هذه المطابقة ان العبد الممتحن هو الوحيد الذى يستطيع حمل الأسرار والعلوم الربانية فأفهم تغنم فان فى الأمر اشارات لا يسع المقام أن يُظهرها من خلال القلم أو الكتاب. أما حقيقة السر المستودع فيظهر لنا من خلال عدة احتمالات نحتملها فى كونها هى مفاد السر المستودع، ولا تقصد من ان ظهور هذه الاحتمالات يكون بالقطع اليقينى، كلا فان الأمر أعلى وأجل من أن يظهره قلم أو يحظر على ذهن كاتب، أو عالم، وأنما الأمر يتجاوز المقام، فان من الأسرار التى يمتلكها أهل البيت عليهم السلام ما لم يخطر على بال بشر، وكيف لا وهم الذين اصطفاهم الله تعالى ليكونوا الدالين على مرضاته وهم الصراط الاقوم، اما هذه الاحتمالات فلها شواهد ولها قرائن تدل عليها ولا يعنى انها هى السر المستودع فى فاطمة عليها السلام بل نترك ذلك للمؤمن لكى يتبحر فى عرفان الصديقة الطاهرة سلام الله عليها عسى ولعل يصل الى حقيقة الأمر، اما هذه الاحتمالات مع بعض القرائن والشواهد عليها: ۱ـ السر المستودع هو المهدى (عج): قد يكون السر هو صاحب الزمان عج الذى سوف يُظهِر الله الدين كله على يديه فى آخر الزمان، لكون ان الزهراء عليها السلام جدّته، وخصوصا نحن نعلم أن الأئمة من ولدها، فعليه قد يكون السر الذى سوف يُظهِرهُ الله فى وقته هو الإمام الحجة، ويدل على كون المهدى هو من ولد فاطمة عليها السلام، فى الحديث المروى عن أبى أيوب الأنصارى والذى من جملته كان الخطاب لفاطمة عليها السلام... عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... «ومنا سبطا هذه الأمة وسيّدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين وهما أبناك، والذى نفسى بيده منا مهدىّ هذه الأمة وهو من ولدك» [۴۳] . [صفحه ۵۶] وعن أُم سلمة، قالت:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «المهدى من عترتى من ولد فاطمة» [۴۴] . وقد يرد على هذا الاحتمال بأنه اذا كان المهدى (عج) سراً من الأسرار المستودعة فى فاطمة فى ذلك الزمان ولم يعرف ولم يُظهر لأ؛دنا فان هذا القول الآن يصبح منتفى لكون مسألة الإمام المهدى والوعد الالهى فيه أصبحت من المتسالمات عند أكثر المسلمين، هذا من جهة، وكون الدعاء يقول أى أتوسل بفاطمة وأبيها وبعلها وبنيها... ولفظة بنيها تشمل كل أبناء الزهراء المعصومين والدعاء فى ختامه يقول والسر المستودع، فانه لا معنى ان يتوسل المؤمن بالسر المستودع الذى يكون المهدى (عج) وفى نفس الوقت يتوسل ببنيها، الذى هو منهم ومشترك معهم، وربما يجاب أنّه من باب ذكر الخاص بعد العام ليفيد الحصر أو الإختصاص؟!!! ۲ـ وقد يكون السر المستودع أشارة الى ان ولاية الله تعالى سوف تكون فى ولد فاطمة وان الأئمة المعصومين منها سلام الله عليها، وقد وردت عدة شواهد روائية تدل على أن الأئمة من ولد فاطمة عليها السلام وان الولاية فيهم والإمامة منحصرة فى وجودهم المبارك وهذا ما اثبته القرآن الكريم والسنة الشريفة ويكفى فى اثبات ولايتهم ما جاء فى كتاب الغدير للعلامة الامينى، ولكن ننقل لك بعض الشواهد فى هذا الأمر المهم والتى كان منها ما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى حديث طويل قال: «إن الله عز وجل نظر إلى الأرض ثالثة فاختار منها أحد عشر إماماً... وأمّهم فاطمة ابنتى [۴۵] . وفى حديث آخر عن جابر بن عبدالله الانصارى قال: «أشهد بالله لقد دخلت على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأهنئها بولدها الحسين، فاذا بيدها لوح أخضر من زبرجدة خضراء فيه كتاب أنور من الشمس... فقلت: ما هذا يا بنت رسول الله؟ فقالت: هذا لوح أهداه الله عز وجل إلى أبى، فيه اسم ابى وأسم الاوصياء [صفحه ۵۷] بعدى من ولدى، فسألتها ان تدفعه إلى لأنسخه ففعلت... [۴۶] ». وهذا الاحتمال يرد عليه بكون الدعاء، يقول بفاطمة... وبنيها والسر المستودع فيكون تكرار للقسم بالأئمة الذين هم بنيها وكذلك بالسر المستودع الذى هو الأئمة. ۳ـ السر المستودع هو أمرهم كما فى بصائر الدرجات عن الصادق عليه السلام: «إن أمرنا سّر مستتر وسّر لا يفيده إلا سّر وسّر على سّر وسرّ مقنع بسر». وعنه عليه السلام أيضاً: «إن أمرنا هذا مستور مقنع بالميثاق من هتكه أذله الله». وعنه عليه السلام: «أن أمرنا هو الحق وحق الحق وهو الظاهر وباطن الظاهر وباطن الباطن وهو السّر وسّر السّر وسّر مستسر وسّر مقنع بالسر». فالزهراء بما أنها أم الأئمة وهى حجة الله عليهم وانها مفروضة الطاعة على جميع البشر كما ورد ذلك فى الاحاديث المأثورة تكون الأسرار التى مودعة فيها معروفة عند الأئمة وهم يحافظون عليها وقائمون بمقتضاها، أو تعلقاتها أو تبليغ دواعيها ومحافظين على هذه الأسرار ولا يظهرونها لأحد إلا من كان محتملاً لعلمهم واسرارهم ولذلك ظهر الشىء القليل منها، لسلمان وكميل وأبى ذر وغيرهم من المؤمنين الممتحنين، فامرهم هو سر الله تعالى المودع فى فاطمة عليها السلام والأئمة يحافظون على اسرار هذا الأمر وان كان تفسير الأمر فى الروايات المأثورة هو أمر الولاية، «السلام على محال معرفة اله ومساكن بركة الله ومعادن حكمة الله وحفظة سر الله» [۴۷] . ۴ـ السر المستودع هو العلوم الربانية المودعة فى فاطمة عليها السلام، وهذا ما نستطيع فهمه من خلال الأحاديث المروية فى شأنها سلام الله عليها حيث كانت المحدّثة من قبل الملائكة وكان لها مصحف يتوارثه الأئمة واحداص بعد واحد وفيه كل ما يحتاجونه من الذى يجرى على البشر وفيه أسماء الحكام الذى يحكمون وحكموا من زمن آدم الى آخر يوم من الدنيا، وعليه نحتمل ان يكون المصحف هو السر المودع فى فاطمة وهذا فيه من الأمور التى لم يطلع عليها سوى ابناء الزهراء الأئمة المعصومين الذين يتوارثون هذا المصحف وينظرون فيه وهو من املاء رسول الله وربما من املاء الإمام على بن أبى طالب عليه السلام، وهذا ما أشارت إليه جملة من الروايات الواردة فى المقام ومنها: «ما رواه الحسين بن أبى العلاء قال سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول عندى الجفر الأبيض قال قلنا وأى شىء فيه، قال: فقال لى زبور داود، وتورة موسى، وانجيل عيسى، وصحف ابراهيم والحلال والحرام ومصحف فاطمة ما أعم أن فيه قرآنا وفيه ما يحتاج الناس الينا ولا نحتاج إلى أحد حتى أنّ فيه الجلدة ونصف الجلدة وثلث الجلدة...» [۴۸] . وأيضاً ما رواه أبو بصير بالسند المتصل قال دخلت على أبى عبدالله عليه السلام فقلت له إنى أسئلك جعلت فداك عن مسئلة ليس هيهنا أحد يسمع كلامى فرفع أبو عبدالله عليه السلام ستراً... «وساق الحديث»... حتى أجابه الإمام قائلاً: «وان عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة قال مصحف فيه مثل

قرآنكم هـذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد انما هو شـيء املاها الله وأوحى اليها قال قلت هذا والله هو العلم انه لعلم وليس بـذاك قال ثم سـكت ساعة ثم قال: انّ عندنا لعلم ما كان وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة قال قلت جعلت فداك هذا والله هو العلم قال انه العلم وما هو بذاك، قال قلت جعلت فداك، فأى شـيء هو العلم، قال ما يحدث باللّيل والنهار الأمر بعد الأمر والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة [۴۹] . وفى حديثٍ عن حمّاد بن عثمان قال سـمعت أبا عبدالله عليه السـلام يقول: «تظهر الزنادقة فى سنة ثمانية وعشـرين ومائـة وذلك لأنى نظرت فى مصـحف فاطمـة قال فقلت: وما مصـحف فاطمة عليها السـلام؟ فقال: ان الله تبارك وتعالى لما قبض نبيه صـلى الله عليه وآله وسلم دخل على فاطمة من وفاته من الحزن مالا يعلمه إلا الله عز وجل فأرسل اليها ملكا يسّلى عنها غمها ويحدثها، فشـكت ذلك الى أمير المؤمنين عليه السـلام فقال لها إذا أحسـست بذلك فسمعت الصوت فقولى لى فاعلمته فجعل يكتب كلما سـمع حتى أثبت من ذلك مصـحف قال: ثم قال اما انه ليس فيه من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون. [صفحه ۵۹] أقول: يظهر من هذا الحديث وأحاديث أخرى مأثورة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام ان مصحف فاطمة متوارث من قبل الأئمة وفيه علم ما كان ويكون إلى آخر الزمان، وفيه الحكام الـذين يحكمون والفرق التى تظهر وتبتـدع فى كل زمان، ويظهر من هـذا المصـحف انه من إملاء الإمام على عليه السـلام حيث كانت الملائكة تحدث الصديقة الشـهيدة عليها السـلام بعد وفاة رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم وتملى على علىّ عليه السـلام ويكتبه، وعلى هـذا الاساس يكون المصـحف متأخر رتبـة فى الوجود والظهور عن الاساس الـذى اسسـناه فى كون السـر المسـتودع فى فاطمـة كان بعـد امتحانها قبل الخلق وكما بيّناه فى مقدمـة البحث، فعليه يكون هـذا الاحتمال فى كون المصحف هو السر المستودع فى فاطمة عليها السلام بعيد وعلى ضوء الاساس الذى بيناه، لذا تكون العلوم الربانية ليست هى السر المسـتودع وخصوصا نحن نعلم ان ورد فى الروايـة الشـريفة عن أبى عبـدالله عليه السـلام حيث يقول: (إن عنـدنا والله سـرّاً من سـرّ الله، وعلماً من علم الله، والله ما يحتمله ملك مقرب ولا نبى مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للأيمان والله ما كلّف الله ذلك أحـداً غيرنا، ولا استعبد بذلك أحداً غيرنا...) [۵۰] . فيتبين من هذه الرواية ان عند أهل البيت بما فيهم فاطمة عليها السلام عندهم سراً من سر الله تعالى وهذا غير العلم وإلا لكان الإمام يقول العلم نفسه السـر بل انه فصّل بين السـر والعلم فعليه العلم غير السـر المستودع فيهم عليهم السلام. ۵ـ قـد يكون السـر هو ما أشارت الرواية المروية فى شأن الحديث القدسـى المروى عن لسان جابر بن عبدالله الاصـنارى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الله تبارك وتعالى أنّه قال: «يا أحمد لولاك لما خلقت الافلاك، ولولا على لما خلقتك ولولا فاطمة لما خلقتكما» [۵۱] . أى إنه العلة الغائيّة لخلقكما كما يظهر من الحديث القدسـى هو وجود فاطمة عليها السلام، أما كيف يكون هذا الأمر فهـذا ما سـيتبين لنا من خلال بحث هـذا الحـديث فى موضوع [صـفحه ۶۰] مسـتقل انشاء الله. ۶ـ السـر المسـتودع هو اسم الله الأعظم. عنـدما نراجع الروايـات الواردة فى شـأن أهـل الـبيت عليهم السـلام نجـد أن ممـا حظى به الأئمـة عليهم السـلام، دون غيرهـم هو أنهم يحملون اسم الله الأعظم وهذا ما صـرحت به الاحاديث المأثورة عنهم، حيث خصـهم البارى عز وجل بهذا الكرامة العظيمة، وكما تبين لنا من الرواية المتقدمة ان السـر الذى بحوزة أهل البيت هو غير العلم والحكمة التى يتملكها أهل البيت عليهم السـلام، فقد يكون السر الـذى يملكونه هو نفسه الاـسم الاـعظم لله تعـالى الـذى إذا دعى به أجاب، والـذى يـدل على أنهم عنـدهم اسم الله الاعظم جملـة من الروايات الواردة فى المقام منها ما ورد عن جابر عن أبى جعفر عليه السلام قال: «ان اسم الله الاعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً وانما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فُخسف بالأرض ما بينه وبين سـرير بلقيس حتى تناول السـير بيده، ثم عادت الأرض كما كانت أسـرع من طرفة عين، ونحن عندنا من الأسم الاعظم اثنان وسـبعون حرفاً، وحرف واحد عند الله استأثر به فى علم الغيب عنده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم [۵۲] وعن النوفلى، عن أبى الحسن صاحب العسكرى عليه السلام قال: سمعته يقول «اسم الله الاعظم ثلاثة وسـبعون حرفاً، كان عند آصف حرف فتكلم به فأنخرقت له الأرض فيما بينه وبين سـبأ ـ أى مملكة سـبأ او مدينة سبأ حيث كان عرش بلقيس ـ فتنـاول عرش بلقيس حتى صـيره إلى سـليمان، ثم انبسـطت الأـرض فى أقـل من طرفه عين، وعنـدنا منه اثنـان وسـبعون حرفاً، وحرف عند الله مستأثر به فى علم الغيب [۵۳] . أقول: وكثيرةٌ هى الأحاديث المأثور عنهم عليهم السلام فى هذا الباب حيث خصهم الله

تبارک وتعالی بهـذه الخصوصـیۀ والـذی یظهر من هذه الأحادیث انهم افضل مقاماً ومنزلةً من الأنبیاء السابقین، بدلالۀ هذه الاحادیث، وکل ما ثبت للأئمۀ علیهم السـلام فهو ثابت للصدیقۀ الشهیدة علیها السلام من حیث کونها أُم الأئمۀ الاطهار ومن کونها حجۀ الله علی الأئمۀ وکما [صفحه ۶۱] سیمر بنا ذلک فی شرح هذا الحدیث، وکذلک هناک عدة اشارات فی الروایات إلی مسألۀ أسم الله الأعظم وکیف ان الإمـام علی علیه السـلام الـذی هو کفؤ الزهراء علیهـا السـلام کـان یحمل اسم الله الاعظم الـذی اذا دعی به أجاب وهـذا ما وجدناه فی قضـیۀ رده الشـمس التی غابت فی أرض بابل حیث سأله أحد أصحابه یا أمیر المؤمنین کیف رددت هذه الشمس، فقال له سئلت الله تعالی بأسـمه الاعظم ان یردها علیها فردها، وکما ورد فی سورة الواقعـۀ (فسبح باسم ربک العظیم) [۵۴] وعلی هذا الأساس فـان کل ما أعطاه الله تبارک وتعالی وخص به أهل البیت علیهم السـلام فهو ثابت للزهراء علیها السـلام، فعلیه تکون الصدیقـۀ الطاهرة حامـل لاـسم الله الاعظم الـذی خصه الله تبارک وتعالی بأهل بیت النبوة ومعـدن الرسالـۀ، فیکون وعلی ما احتمله بل أرجحه علی بقیۀ الاحتمالات الاخری ان السـر المستودع فی فاطمۀ هو اسم الله الاعظم، والذی یدل علیه علی ما استفیده من الدعاء الذی بدأنا به البحث «اللهم انی أسألـک بحق فاطمـۀ وأبیهـا وبعلهـا وبنیهـا والسـر المسـتودع فیها...» حیث یظهر من هـذا الـدعاء أولاً التوسل بحق فاطمـۀ... وکذلک التوسل إلی الله تعالی بالسر المستودع، والتوسل لا یکون إلی الله تعالی إلا بالذی یکون له شأن عند الله عز وجل، ونبتغی إلیه الوسـیلۀ، فعلیه نحتمل أن یکون السـر هو اسم الله الاعظم المسـتودع عنـد فاطمـۀ علیها السـلام، وأبناؤها وخصوصا هناک شواهد تدلل علی ان هـذا الاـسم لا یخرجونه أهل البیت علیهم السـلام الی أحـد وکما ورد فی الحـدیث المروی فی شأن عمر بن حنظلـۀ حیث قال لأـبی جعفر علیه السـلام: «إنی أظنّ أنّ لی عنـدک منزلـۀ، قـال: أجـل، قـال: قلت فإنّ لی إلیک حاجـۀ قال وما هی؟ قال: قلت تعلمنی الأـسم الأـعظم قـال وتطیقه قلت نعم قال: فادخل البیت قال: فـدخل البیت فوضع أبو جعفر علیه السـلام یـده علی الأرض فأظلم البیت فارعـدت فرایص عمر فقـال: ما تقول اعلمک فقال لا قال: فرفع یـده فرجع البیت کما کان» [۵۵] . ویوجـد أیضاً شاهد آخر یدل علی کون فاطمۀ علیها السلام تمتلک الاسم الاعظم وذلک عندما قادوا علیاً علیه السلام فی یوم سقیفۀ بنی ساعدة للبیعۀ فخرجت نفسی لها الفداء تجر أذیالها [صـفحه ۶۲] خلف ابن عمهـا وهی تقول خلو ابن عمی أو لاکشـفن رأسـی للـدعاء، حیث یقول سـلمان «فخرجت فاطمۀ علیها السـلام فقالت: یا أبا بکر أترید أن ترملنی من زوجی ـ والله ـ لئن لم تکف عنه لأنشـرن شـعری ولأشـقن جیبی، ولآتین قبر أبی، ولأصـیحن الی ربی: فأخذت بید الحسن والحسـین علیهما السـلام، وخرجت ترید قبر النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم، فقال علی علیه السـلام لسـلمان: أدرک أبنـۀ محمد صـلی الله علیه وآله وسـلم فإنی أری جنبتی المدینۀ تکفیان، والله ان نشـرت شـعرها، وشـقت جیبهـا، وأتت قبر أبیهـا، وصـاحت الی ربها لا یناظر بالمدینـۀ أن یخسف بها (وبمن فیها)، فادرکها سـلمان رضـی الله عنه فقال، یا بنت محمـد، أن الله بعث أباک رحمـۀ فارجعی فقال: یا سـلمان، یریدون قتل علی، ما علی علیَّ صبر، فدعنی حتی آتی أبی فأنشـر شـعری، وأشق جیبی، وأصـبح إلی ربی، فقال سـلمان أنی أخاف ان تخسف بالمدینـۀ، وعلی علیه السـلام بعثنی إلیک ویأمرک ان ترجعی الی بیتک وتنصـر فی. فقالت: إذا أرجع وأصبر، وأسـمع له وأطیع» [۵۶] . ویظهر من هـذه الروایـۀ ان الصدیقۀ الزهراء علیها السـلام لو أنها دعت الله تعالی لاسـتجاب الله دعائها، فان الإمام علی علیه السـلام عنـدما قال: (فانی أری جنبتی المدینـۀ تکفیان) یعنی إشارة إلی أنّها کانت عنـدها الولایـۀ التکوینیۀ وکما سـنقف مع هذا البحث انشاء الله تعالی، وعلی کل حال فان الصدیقۀ کانت تحمل الاسم الاعظم، ولا ضیر فی ذلک فهی أم أبیها وأم الأئمۀ الاطهار الذین یحملون الأسم الاعظم الذی إذا دعی به أجاب، وهناک اشارة لطیفۀ فی کون فاطمۀ الزهراء علیها السـلام لها أسم مشـتق من أسماء الله الحسنی حیث وَرَدَ ذلک فی حدیث الاشتقاق «هذه فاطمۀ وأنا فاطر السموات والأرض، فاطم أعدائی من رحمتی یوم فصل قضائی، وفاطم أولیائی عما یعیرهم ویشـینهم، فشـققت لها أسماً من أسمی». وقال رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم: «أن الله شق لک یا فاطمۀ اسـماً من اسـمائه وهو الفاطر وأنت فاطمۀ» وعلیه فان فاطمۀ ودیعۀ المصطفی، فاطمۀ الانسـیۀ، الحوراء مطلع الانوار العلویۀ ومشـکاة الولایۀ وأم الأئمۀ وعیبۀ العلم ووعاء المعرفۀ. واختتم هذا البحث فی [صفحه ۶۳] أمرٍ قد أستفدته واستنتجته من خلال بعض الروایات الواردة فی کتب الحدیث کأمثال الکافی والبصائر وغیرهما، حیث یظهر من خلال

الروايات أن أمر آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم أمر جسيم مقنع بالميثاق لا يستطاع فهمه وادراكه وذكره وهذا الأمر هو (كما عبرت عنه الرواية ـ «أمرنا» سر فى سر وسر مستتر فى سر ولا يفيده إلا سر وسر على سِّر وسِّر مقنع بسر وهو الحق وحق الحق وهو الظاهر وباطن الظاهر وباطن الباطن وهو السر وسر السر وكذلك ورد فى الحديث الشريف انه لو قد قام قائمنا لتكلم بهذا الأمر وصدقه القرآن، وكذلك وجدت ان هذا الأمر ـ وكما ورد فى الرواية ـ هو الذى جعل الملائكة مقربين وغيرُ مقربين والأنبياء مرسلين وغير مرسلين والمؤمنين ممتحنين وغير ممتحنين، وعليه يكون الأمر هو السر، فما هو السر؟؟؟... (إنما أمره إذا اراد شىء ان يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون). [صفحه ۶۷]

فاطمة حجة الله الكبرى

اشاره

السيد محمد جمال الهاشمى أى خطبٍ يبكى عليه خطابى ومصابُ قدْ شابَ شهدىْ بصابِ [۵۷] . آه [۵۸] يومُ الزهراء أىُّ فؤادٍ علوىٍّ عليك غيرُ مذابِ لكَ فى الدهرِ رنّةٌ رددتْها بخشوع أجيالُهُ واكتئاب فهى تارٌ تذكى القرونَ ونورٌ رفَّ لألأؤهُ على الأحقاب وهىّ للمجدِ فيه للسا لكِ تبدوْ الصعابُ غيرَ صعاب غابَ نورُ النبى وانقطعَ الوحىُ وخارتْ عزائمُ الآراب وارتمى موكب الحياةِ وجاشتْ نزعاتُ النفاقِ فى الاحزاب فانطوى النورُ فى ظلامٍ كثيفٍ نشرتْهُ جرائمُ الأنقلاب وانمحى الحقُّ والصراحةُ لما سادَ عهدُ الضلالِ والإرتياب موقفٌ أربكَ العصورَ فأخفتْ رأيها فى القلوبِ والأهداب غضبةُ الحقّ ثورةٌ تجرفُ الباطلَ فى موجِ عزمها الوثّاب عجبٌ أمرُها وأعجبُ منُهُ أنها تنتمى لذات نقاب [۵۹] . واذا اللبرة الجريحة ثارت لهث الموت بين ظفر وناب شمرت للجهاد سيدة الاسلام عن ذيل عزمها الصخّاب وأتتْ ساحةَ الجهادِ بايمانٍ يردُّ السيوفَ وهى نوابى [۶۰] . حاكمت عهدّها المدمى بقلبٍ واغرٍ من شجونها لَهابِ لم تدْع للمهاجرينَ وللانصارِ رأياً إلّا انمحى كاضباب [صفحه ۶۸] واستعانتْ بالحقّ درعٌ من أمانٍ وصارمٌ منْ صوابِ رجمتهمْ بالمخزياتِ فآبوا وهم يحملونَ سوءَ المآب حججٌ كالنجم ينشُرها الحقُّ ويرمى الشهابَ إثرَ الشهاب فهى إما عقلٌ وإما حديثٌ جاءَ عن نصِ سنةٍ أو كتاب فتهاوتْ احلامُهمْ كصروحٍ شادها الوهمُ عالياً فى السراب آه لولا ضَعْفُ النفوسِ لما استرجَعَ ركبُ الهدى على الأعقاب ولما عادتِ الامارةُ للقومِ وحازوا امامةَ المحراب واستقرتْ هوجُ العواصفِ لَّما قابلتها سياسةُ الأرهاب لأخطابُ من عاذلٍ لا جوابٌ عن سؤالٍ لاهجمةٌ من عتاب ومنذ انهارتْ الرجالُ وعادوا بتلولٍ من خزيهمْ وروابى واختفى النصُّ بالولايةِ لّما أشهرَ الكيدُ فكرةَ الانتخاب أوقدَ الغدرُ فى السقيفةِ ناراً علُقتْ فى مواكبِ الأحقاب وتلاشى الغديرُ إلّا بقايا تترامى بها بطونُ الشِعاب وتوالتْ مناظرٌ مؤلماتٌ مثلتها عداوةُ الأصحاب من هجومِ الأرجاسِ بالنارِ كىْ تحرقَ بيتَ الاكارمِ الاطياب وانكسارِ الضلعِ المقدس بالضغطِ وسقطِ الجنينِ عندَ الباب وانتزاع الوصىّ سحباً من الدارِ بتيارِ ثورةِ الأعصاب واغتصابِ الحقُ الصريحِ جهاراً باختلاف الأعذارِ للإغتصاب [صفحه ۶۹] فاطمة حجة الله الكبرى عن الإمام الحسن العسكرى عليه السلام أنه قال «نَحْنُ حُججُ الله على خلقه، وجّدتنا فاطمة عليها السلام حُجّةُ الله علينا» [۶۱] . يعتبر هذا الحديث من الاحاديث المهمة التى وردت عن الإمام الحسن العسكرى عليه السلام، لذا ونحن نقف نستلهم الدروس العقائدية من سلالة بيت النبوة ومعدن الرسالة لابد لنا ان نتأمل فى هذا الحديث ونرى مدى مصداقيته فى عالم الواقع والثبوت، وبعبارة اخرى هل لهذا الحديث وجه للاستدلال به فى المحاورات العقائدية التى تخص حياة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام ام لا؟ وهل هناك وجه من الصحة بحيث تكون الصديقة الطاهرة عليها السلام الحجة على الأئمة أم يتجاوز الأمر الى أبعد من ذلك؟ وما هى الثمرة لهذا الحديث إذا ثبت له الواقعية والمصداقية ومدى تأثيره على الجانب العقائدى للفرد المؤمن؟ كل هذه الأسئلة نحتاج الوقوف عليها والتأمل فيها

واستجلاء حقائقها وادراك مغازى هذا الحديث العقائدى. وهذا ما سيتبين لنا من خلال البحث الذى سنقسمه الى ثلاث امور اساسية وهى: الأمر الأوّل: معنى الحجة؟ الأمر الثانى: شرعية الحجة. الأمر الثالث: كيف كانت فاطمة عليها السلام حجة الله على الأئمة؟ [صفحه ۷۰]

معنى الحجة؟

وردت عدة تعاريف للحجة وماهيتها ولها عدة معانى لابد لنا من الوقوف عليها وعلى المعنى الذى يهمنا فى المقام والذى من شأنه ان يبين معنى الحديث الشريف بحيث لا يبقى فيه أى اجمال وفى كل الجهات المبحوث عنها فى المقام وجرت عادة أهل العلوم عندما يأتون إلى موضوع ما ويريدون أن يعرفوه بأى تعريف كان فانهم يعرفونه بالتعريف اللغوى وتعاريف الحجة. ۱ـ الحجة لغة؛ كل شيء يصلح ان يحتج به على الغير وذلك بأن يكون به الظفر على الغير عند الخصومة معه والظفر على الغير على نحوين: «أحدهما» إما بأسكاته وقطع عذره وباطاله. «والآخر» واما بأن يلجئه على عذر صاحب الحجة فتكون الحجة معذرة لدى الغير والحجة هى الدليل والبرهان. وقال الازهرى: انما سميت حجة لانها تُحَج أى تقصد لأن القصد لها واليها وكذلك معنى المحجة أى محجة الطريق وهى المقصد والمسلك [۶۲] . ۲ـ واما الحجة فى الاصطلاح العلمى فلها معنيان أو اصطلاحان: ما عند المناطقة: ومعناها «كل ما يتألف من قضايا تنتج مطلوباً» أى مجموع القضايا المترابطة التى يتوصل بتأليفها وترابطهما إلى العلم بالمجهول سواء كان فى مقام الخصومة مع أحد أم لم يكن، وبحثنا من جهة هذا التعريف المنطقى سوف يكون بربط مجموعة من القضايا وتأليفها لكى تصل إلى العلم بالمجهول وهو كيف أصبحت فاطمة حجة على الأئمة بل على الأنبياء فضلًا عن الخلق كما سيتبين من خلال البحث. وهنالك معنى للحجة لدى الاصوليين وهو «كل شيء يثبت متعلقه يثبت متعلقه ولا يبلغ درجة [صفحه ۷۱] القطع» أى لا يكون سبباً للقطع بمتعلقه، وإلّا القطع يكون القطع هو الحجة ولكن هو حجة بمعناها اللغوى أو قل بتعبير آخر «الحجة» كل شيء يكشف عن شيء آخر ويحكى عنه على وجه يكون مثبتاً له» [۶۳] ونعنى بكونه مثبتاً له: ان اثباته يكون بحسب الجعل من الشارع لا بحسب ذاته فيكون معنى اثباته له حينئذ انه يثبت الحكم الفعلى فى حق المكلف بعنوان انه هو الواقع، وانما يصح ذلك ويكون مثبتاً له فبضميمة الدليل على اعتبار ذلك الشيء الكاشف الحاكى وعلى انه حجة من قبل الشارع. كما تنقسم الحجة فى المنطق إلى قياس وتمثيل واستقراء، والحجة ما يصح الاحتجاج به وما يحتج به المولى على العبد فى مقام المنجزية ويحتج به العبد على المولى فى مقام المعذرية، ثم الحجة تنقسم بالتقسيم الاولى إلى عقلية وشرعية، والاولى هى التى يصح التعويل عليها بصورة عامة فى كل سؤال عن السبب، والثانية هى التى يصح التعويل عليها بصورة عامة فى كل سؤال عن السبب، والثانية هى التى يصح الاحتجاج بها فى الامور الشرعية، أى ما يصح التعويل عليها فى الفتاوى للفقيه، فهى بصورة خاصة وبين الحجتين نسبة العموم المطلق، فكل شرعية عقلية ولا ـ عكس فان الحاكم بصحة الحجة هو العقل وكل واحد من القسمين ينقسم إلى حجة الزامية وإلى حجة ارشادية والاولى بمعنى ما يجب عند العقل التعويل عليه والالزام بما تقتضيه نفس الحجة والثانية ما يجوز التعويل عليه والارشاد ويكون من خواصها. فالحجج الالزامية العقلية كالبراهين الدالة على المبدأ والمعاد والنبوة الخ والحجج الإرشادية العقلية كاخبار العالم ورأى المتخصص وقول الخبير وتصير الزامية عند الرجوع اليها والتعويل عليها والحجج الالزامية الشرعية كالانبياء واوصيائهم المعصومين فانهم حجج الله ويجب الاخذ باقوالهم وافعالهم وتقريرهم والذى يعبر عنها القول والفعل والتقرير بالسنة [۶۴] ، وفيما نحن فيه من معرفة معنى الحجة يفيدنا فى المقام الحجة لغة ومنطقا لكونها يوصلان بالقطع بامر بحيث يصلح ان يحتج به على الغير سواء فى الدنيا أو الآخرة، وعلى ضوء الاستدلالات العقلية البرهانية. وعلى [صفحه ۷۲] ضوء التعاريف المتقدمة يكون قد لاح لنا مفهوم آخر غير الحجة وهو المحجة، والحجة تبين لك معناها من التعارف المتقدمة، أما المحجة فهى المسلك والطريق الذى يتوصل به إلى الغير والمحجة هى الطريق السليم الذى لا إعوجاج فيه، فلقد ورد فى هذا المعنى عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام انه قال وسمع كثيراً يردد هذا القول: علمُ الحجة واضح لمريده وأرى القلوب عن

المحجة فی عمی وقـد عجبـت لهالک ونجاتـه موجـودة ولقد عجبـت لمن نجی

شرعیة الحجة

هناک عـدة احتجاجات وردت فی القرآن الکریم قد اثبتها الله تبارک وتعالی لنبیه محمد صـلی الله علیه وآله وسـلم لانبیاءه المرسـلین من الاـولین والاخرین لکی یحتجوا بها علی للناس المشـککین أو الناکرین للرسالـة أو النبوة أو النبی ومعاجزه وکراماته، ولقـد بین الله تعالی فی کتابه الشـریف بعض الایات التی نسـتفید من خلالها ان الله تعالی یحتـج یوم القیامـة بالانبیاء علی الناس وهذا ما ما أشار إلیه القرآن الکریم فی قوله تعالی (إنا أوحینا إلیک کما أوحینا إلی نوح والنبیین من بعده... إلی قوله تعالی... رسـلاً مبشرین ومنذرین لئلا یکون الناس علی الله حجـة بعـدَ الرسل وکان الله عزیزاً حکیما) [۶۵] ومن جهـة اخری ورد فی القرآن الکریم بعض الاحتجاجـات بین الکافرین فی ما بینهم فی النار حیث جاء قوله تعالی (وإذ یتحاجون فی النار فیقول الضـعفاء للـذین اسـتکبروا إنا کنا لکم تبعاً فهل أنت مُغنون عنـا نصـیبنا من النار) [۶۶] . وکـذلک نجـد قوله تعـالی (فمن حاجـک فیه من بعـد مـا جـاءک من العلم فقل تعالوا نـدع أبنائنا وأبنـاءکم ونساءنـا ونساؤکم وأنفسـنا وأنفسـکم ثم نبتهل فنجعل لعنـة الله علی [صـفحه ۷۳] القوم الکـافرین) [۶۷] جاء لیؤکـد حقیقة النصاری وطلبهم من الرسول الاحتجاج حول مسألة عیسـی ابن مریم وکیف واجههم الرسول الاکرم صـلی الله علیه وآله وسـلم بقضـیة المباهلـة التی خسـروا فیها والقی ما فی أیـدیهم من الحجة التی کانوا یحتجون بها علی الرسول صـلی الله علیه وآله وسـلم. وکثیرةٌ هی الاحتجاجـات الموجودة فی القرآن الکریم والتی جـاءت بعضـها لکی تثبت اعجاز القرآن الکریم واخری لتبین احتجاجات ابراهیم مع قومه واخری تثبت احتجاجات الرسول مع قومه وهکـذا لئلا یکون للناس علی الرسول المرسل الحجـة البالغـة، ولذا نجد أمیر المؤمنین علی علیه السـلام یقول فی معرض بیـان ان العبـاد لابـد لهم ان یتعظوا وینتفعوا بحجـج الله تعـالی فانه لا ینفع أی شـیء یوم القیامـة إلا الإیمان المقرون بالولایـة والعمل الصالح. «انتفعوا ببیان الله واتعظوا بمواعظ الله واقبلوا نصـیحة الله فان الله قد أعذر إلیکم بالجلیة وأخذ علیکم الحجـة وبین لکم محابّه من الاعمال ومکاره منها لتبتغوا هذه وتجتنبوا هذه». ویعنی هذا ان العباد لابد لهم من الانتفاع من العلم المقرون بالعمل الصالـح وإلاّ العلم وحـده لیس فیه فائـدة ولابد للعباد أن یسـتفیدوا من المواعظ لیتعظوا بها فی مقام العمل، ومع ذلک نجـد فی کثیر من الروایـات الشـریفة مسألـة الاحتجـاج البـالغ من الله تعالی حیث سـئل الإمام الصادق علیه السـلام عن قوله تعالی «فلله الحجـة البالغة» فأجاب علیه السـلام: «قال إذا کان یوم القیامه قال الله تعالی للعبد أکنت عالماً؟ فان قال نعم. قال: أفلا عملت بما علمت وان قلت کنت جاهلاً قال له: أفلا تعلمت؟ فتلک الحجـة البالغـة لله تعالی». وهنا ینقدح سؤال مهم قد یرد فی ذهن الکثیر من المؤمنین وهو هل کل الناس یحتج علیهم الله تعالی یوم القیامة علی ضوء هذا الحدیث الشریف؟ والجواب علی ذلک أنه لیس کل الناس یحتج علیهم الله تبارک وتعالی یوم القیامـة بل هناک عنق من الناس لا یسـئلون ولا یحاسـبون ومنهم المجنون الفاقد عقله، أما الأطفال الذین لم یبلغوا سن التکلیف الشـرعی وماتوا فانهم یلحقون بأبائهم وعلی ما ورد فی قوله تعالی [صـفحه ۷۴] (والذین آمنوا واتبعتهم ذریتهم بأیمان الحقنا بهم ذریتهم وما التناهم من عملهم من شـیء). حیث قال العلامـة المجلسـی حول هـذه الآیـة المبارکة: «اعلم انه لاخلاف بین أصـحابنا فی أن الأطفـال المؤمنین یـدخلون الجنـة وذهب المتکلمون منـا الی أن أطفال الکفار لا یـدخلون النار فهم إما یـدخلون الجنـة أو یسـکنون الاعراف وذهب أکثر المحـدثین منا الی ما دلت علیه بعض الأخبار الصـحیحة من تکلیفهم فی القیامـة بدخول النار المؤججـة لهم؟ فیکون من یسـتجیب یـدخل الجنة ومن لا یستجیب یدخل النار». وعلی ضوء الإحتجاجات الواردة فی الکتب المعتبرة روی ان هنـاک احتجـاج لطیف بین أمیر المؤمنین وأحـد الیهود حیث قـال للامـام علی علیه السـلام، مـا صبرتم بعـد نبیکم إلا خمس وعشـرین سـنة حتی قتل بعضـکم بعضاً. فقال له علیه السلام: بلی ولکن ما جفّ ـ جفّت ـ أقدامکم من البحر حتی قلتم: یا موسی ادعل لنـا إلهاً کمـا لهم آلهـة. وهنـاک الکثیر من الاحتجاجـات المهمـة التی وردت فی القرآن الکریم وفی الکتب المعتبرة کـل ذلـک لما للحجـة من امر مهم فی اثبـات المـدعی علی الخصم الناکر مثلا او السالب للحق، والثمرة فی ذلک کله من القرآن الکریم ومن الکتب

الصحيحة لكى يستنير البشر بنور الحجة الربانية وليستفيدوا منها ويتعظوا بالمواعظ الربانية هذا معنى الحجة وماهية الاحتجاجات والتاكيد عليها من قبل الله تعالى. وعلى هذا الأساس تكون شرعية الحجّة ثابتة على ضوء القرآن الكريم والسنة والعقل ولا نريد الدخول كثيراً فى هذا الأمر بل اشرنا فى بعض موارده فلقد جعل الله تعالى للحجة شرعية ذاتية تلزم الغير على ضوء مقتضاها العمل بها حيث جاء قوله تعالى (وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا) أى جعلنا لهم بالجعل التكوينى ان يكونوا ائمة يقصدون فى كل شىء والإمام المعصوم هو الذى يحتج به على الغير فهو حجة على الناس جميعاً وإلّا كيف يكون امام يقصد ويحتج به ومن هذا المنطلق تكون فاطمة الزهراء عليها السلام حجة على الأئمة عليهم السلام كحجية الزامية شرعية فيجب من جهة الله تعالى الأخذ باقوالها وافعالها والله تبارك وتعالى هو الذى جعل لها الحجية على الخلق بما فيهن الأئمة عليهم السلام وهذا القول بصورة اجمالية اما كيف كانت حجة بالمعنى التفصيلى فهذا ما يحتاج بيان مقدمات وامور توصلنا إلى هذه النتيجة وهذا ما سنبحثه فى الأمر الثالث انشاء الله.

كيف كانت فاطمة حجة على الأئمة

وهذا يتوقف على بيان أمرين: الأوّل: إن من أهم المسائل الأساسية فى العقيدة الاسلامية والتى تؤخذ حيزا كبيراً، على المستوى الدراسى سواء النظرى أو الفكرى هى مسألة ضرورة بعثة الأنبياء، وهذه المسألة العقائدية المهمة تأخذ ضروريتها من عدة عوامل تكون الحجر الأساسى لهذه الضرورة، فالإنسان لم يخلق عبثاً (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وانكم إلينا لا ترجعون) بل خلق الأنسان لهدف وهو السير فى طريق تكامله من خلال ممارسة الأفعال الاختيارية القادر عليها وكل ذلك لاجل التوصل إلى كماله النهائى هذا الكمال الذى لا يتوصل إليه إلّا باختياره وانتخابه. على ان الاختيار الصحيح والواعى بكل ما يمتلكه الإنسان من شعور وقدرة على إدائه يحتاج أيضاً إلى المعرفة الصحيحة للاعمال الحسنة والاعمال القبيحة والطرق الصالحة وغير الصالحة، وانما تمكن الإنسان من اختيار طريق تكامله بكل حرية ووعى فيما لو كان يعرف الهدف وطريق الوصول إليه، وكان عرافاً بكل العقبات والعراقيل والانحرافات والمزالق. اذن فمقتضى الحكمة الالهية ان توفر للبشر الوسائل والمستلزمات الضرورية للحصول على مثل هذه المعارف والمدركات وإلّا فيكون حاله مثل الشخص الذى يدعوا ضيفاً إلى داره ثم لا يدله على موضعه ولا على الطريق المؤدى إليه ومن البديهى ان مثل هذا العمل مخالف للحكمة. على ان المعارف والمدركات البشرية العادية والمتعارفة والتى يحصل عليها الإنسان نتيجة التعارف بين الحس والعقل وان كان لها الدور الفاعل فى توفير ما يحتاج إليه فى حياته ولكنها لا تكفى فى التعرف على طريق الكمال والسعادة [صفحه ۷۶] الحقيقية فى جميع المجالات الفردية والاجتماعية والمادية والمعنوية والدنيوية والاخروية، واذا لم يوجد طريق آخر لسد النقائص والفجوات فلن يتحقق الهدف الإلهى من خلق الإنسان، وبملاحظة هذه الامور المهمة من هدف خلق الإنسان ومعرفته لطريق الخير والشر ومحدودية مداركه الحسية والعقلية، نتوصل الى نتيجة مفادها: ان الحكمة الالهية تقتضى وضع طريق آخر للبشر ـ غير الحس والعقل ـ من أجل التعرف على مسار الكمال فى كل المجالات حتى يستطيع البشر من الاستفادة منه مباشرة أو بواسطة فرد آخر أو أفراد آخرين وهذا الطريق هو أرسال الأنبياء والمرسلين عبر طريق الوحى الذى يستفيد منه البشر ويتعلموا منه كل ما يحتاجون إليه من أجل الوصول إلى السعادة والكمال النهائى. وعلى هذا الاساس شاءت قدرة البارى عز وجل ومن جهة اللطف الربانى ومن جهة اللاعبثية فى خلق البشر أن يرسل الأنبياء والمرسلين الى البشر لهدايتهم وتوضيح معالم طريق التكامل لهم وعلى ما تتحمله قدرتهم فى التكليف الربانى كل ذلك لئلاـ يقول الناس يوم القيامة لولاـ أرسلت الينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى. ولكن قبل أرسال الأنبياء لابد من طريق لاختيارهم من البشر عامة، وهذا الاختيار أو ما يعبر عنه بالاصطفاء أو الاستخلاص لا يكون إلا عن حكمة اقتضت ذلك فان الحكيم لاـ يفعل إلا ما تقتضى الحكمة لوجود ذلك الشىء، فالاصطفاء والاختيار من قبل الله تعالى تارة يكون للانبياء، واخرى للأوصياء وللاولياء والصلحاء والعلماء وهكذا اما كيفية الاصطفاء والاختيار، فذلك ما يكون عن طريق الاختبار والامتحان الذى يتعرض له الأنبياء لأصطفائهم للنوة وتحمل مشاقها، فالامتحان والاختبار يخرج الطاقات الكامنة فى النفس البشرية،

ونضرب مثال على ذلک من الحیاة العرفیة للبشر، فانت عندما ترید أن تختار أو ترسل من ینوب عنک فی قضیة معینة فانه یقیناً لا تختار ولا ترسل إلا من کانت له القابلیة والاستعداد على تحمل ما تؤدیه إلیه وله الاستعداد وایضاً على تمثیلک فی تلک القضیة ولا ترسل أیاً کان فأن المردود یکون علیک سلبیاً إذا کان الشخص المختار سلبیاً فی تصرفاته وایجابیاً اذا کان المختار ایجابیاً فی تصرفاته وأفعاله ما یؤدیه عنک، اما کیفیة هذا الاخیار فی الشخص الذی سوف [صفحه ۷۷] یمتلک فهذا ما سیکون عن طریق التجربة والامتحان والاختیار خلال مسیرة حیاتک مع ذلک الشخص الذی سینوبک فی المهام والذی ترید ان تؤهله للقیام بأعمالک مثلا أو التبلیغ لک فأنت ترى من خلال معاشرة ذلک الشخص مدى التزامه بتعلیماتک وبعد النجاح فی هذه الامور تستخلصه لنفسک وتختاره وکیلا عنک ینوب عنک فی هذه الامور المهمة، کذلک الحال مع الله تعالى بأعتباره سید العقلاء بل هو خالق العقل والعقلاء فهو عندما یرید ارسال رسول أو نبی لابد له من الامتحان قبل الاصطفاء والاختیار وهذا ما نجده من خلال استقراء آیات القرآن الکریم حیث یوجد عدة شواهد على هذه المسألة کما فی قضیة نبی الله ابراهیم عندما اختاره الله أولا نبیاً وبعد ذلک خلیلًا وبعد ذلک اماماً فانه لم ینال الإمامة إلا بعد التعرض للامتحانات والاختبارات من قبل الله تعالى وفی ذلک یقول الله تعالى فی قصة أبراهیم (واذا ابتلى ابراهیم ربه بکلمات فاتمهن قال انی جاعلک للناس اماماً...) حیث کلف الله سبحانه وتعالى نبیه ابراهیم علیه السلام بتکالیف شتى فکانت النتیجة ان ابراهیم أتم هذه التکالیف وامتثلها واطاع الله تعالى ومن هذه التکالیف قضیة ذبحه لولده اسماعیل (یا بنی أنی أرى فی المنام أنی أذبحک) وقد وصف الله تعالى ابراهیم علیه السلام بالوفاء حیث قال تعالى (وابراهیم الذی وفى). والخلاصة على ما ورد عن الإمام الصادق علیه السلام انه قال «إن الله ابتلى ابراهیم بذبح ولده اسماعیل فعزم على ذلک.. اما معنى قوله فاتمهن ـ فهو یعنی الاستجابة والطاعة لأوامر الله تعالى ولذا استحق الإمامة التی هی منزلة عظیمة، جزاءً لاخلاصه ونجاحه فی الامتحانات التی تعرض لها. وهکذا الحال مع جمیع الأنبیاء حیث اختبرهم الله تعالى قبل اصطفائهم وکان الباری عز وجل عالماً بالانبیاء أنهم أوفیاء له وملتزمین لأوامره وشروطه لذلک اصطفاهم. الثانی: إنّ الله تعالى عندما اصطفى واستخلص الأنبیاء کان ذلک بعد أن شرط علیهم الزهد فی درجات هذه الدنیا الدنیة وزخرفها وزبرجها فشرطوا لله تعالى ذلک وعلم الله تعالى منهم الوفاء بذلک. اما السؤال الذی یطرح فی ما نحن فیه هو لماذا طلب وشرط الله تعالى من الأنبیاء الزهد حب الدنیا؟ والجواب على ذلک: انه من الملازمات العقلیة لحب الدنیا هو إمال السیئات والذنوب وذلک للارتباط الوثیق بین [صفحه ۷۸] حب الدنیا والذنوب فکلما ازداد حب الإنسان للدنیا إزدادت ذنوبه وکما ورد فی الحدیث الشریف ان «حب الدنیا رأس کل خطیئة» فاذا لم یکن حب الدنیا له وجود فی حیاة الإنسان فسوف تکون النتیجة مفادها: ان الإنسان سوف یبتعد عن الذنوب بقدر ابتعاده عن حب الدنیا، وما نحن فیه فان إعمال الشرط من الله تعالى على الأنبیاء بالزهد فی حب الدنیا سوف تکون من نتائجه ان یترکوا الدنیا والتعلق بها کذلک لا یعملون الذنوب والمعاصی وبالنتیجة النهائیة سیکونون معصومین بالعصمة الذاتیة التی تکون ملازمة لهم من جهة لطف الله تبارک وتعالى اضافة الى الضرورة الربانیة اقتضت ذلک ایضاً. اما لماذا إشترط الزهد فی حب الدنیا وما حاجة العصمة للانبیاء، فهذا ما یکون الاحیاج إلیه بصورة ضروریة ومؤکد ولإحتیاج الأنبیاء العصمة فی مقام التبلیغ للرسالة السماویة بل مطلق العصمة لهم، ولئلا یکون للناس الحجة البالغة على الله تعالى، والعصمة لا تأتی مع حب الدنیا. اما الدلیل على هذا الکلام فناهیک عن القرآن الکریم والروایات الواردة فی المقام التی تدل على المطلب بل هناک الدلیل العقلی على ذلک، اما الدلیل الذی تقوم بالاستدلال به فهذا ما أثبته دعاء الدبة الشریف حیث ورد فیه. «اللهم لک الحمد على ما جرى به قضاؤک فی أولیاؤک الذین استخلصتهم لنفسک ودینک إذ أخترت لهم جزیل ما عندک من النعیم المقیم الذی لا زوال له ولا أضمحلال بعد أن شرطت علیهم الزهد فی درجات الدنیة وزخرفها وزبرجها فشرطوا لک ذلک وعلمت منهم الوفاء به فقبلتهم وقربتهم وقدمت لهم الذکر العلی والثناء الجلی واهبطت علیهم ملائکتک وکرمتهم بوحیک ورفدتهم بعلمک وجعلتهم الدریعة الیک والوسیلة الى رضوانک... الخ». اذن بعد الإمتحان والاختیار والمشارطة من الله تعالى بترک حب الدنیا والزهد فیها وبعد العلم من الله بهم بأنهم أوفیاء کانت النتیجة النهائیة لهذا الامتحان والإختبار وهی: ۱ـ الاستخلاص والاصطفاء. ۲ـ

القبول من الله تعالى لهم. ۳ـ الذكر العلى والثناء الجلى للأنبياء «أى قدم اليهم ذلك». [صفحه ۷۹] ۴ـ انزال الوحى عليهم. ۵ـ كانوا الحجج على الخلق من قبل الله تعالى. اما لماذا الاستخلاص والاصطفاء وتقديم هذه الامور للانبياء عليهم السلام؟ فنقول: ان هذا كله لكى يكون: إقامة للدين «إقامة لدينك» أى تقديم واقامة النظام والاكمل للبشرية. ولئلا يزول الحق عن مقره ويغلب الباطن على أهله. ولئلا ـ يقول أحد لولا ـ أرسلت الينا رسولا ـ منذراً واقمت لنا علماً هادياً نتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى. هكذا كان الامتحان والاختبار بالنسبة للانبياء بحيث زهدوا فى حب الدنيا فكانوا من المقربين لدى الله تعالى. أما ما علاقة هذه الامور بكون فاطمة حجة على الأئمة؟ فنقول: نحن عندما نزور الأئمة عليهم السلام بالزيارة الجامعة الكبيرة المروى عن الإمام الهادى عليه السلام بأعتبار انها جامعة لكل الفضائل والدرجات والمقامات للأئمة عليهم السلام لا تزور بها فاطمة عليها السلام؟ لماذا؟ لانها لها زيارة مخصوصة وهى زيارتها يوم الاحد من كل أسبوع حيث تقول هذه الزيارة «السلام عليك يا ممتحنة امتحنك الذى خلقك قبل ان يخلقك وكنت لما إمتحنك صابرة». اذ نفهم من هذه الزيارة الخصوصة امتحان الزهراء عليها السلام قبل خلقها، لأظهار مقامها حيث امتحنها فكان لها المقام السامى فأصبحت الصابرة، والمعروف ان الامتحان يُمتحن به الإنسان ليعرف مدى استعدادته وقابلياته «عند الامتحان يكرم المرء أو يهان» وكذلك عرف الامتحان ليكون لزيادة منزلة ولاسباب أخرى، وهذا ما جرى مع فاطمة الزهراء عليها السلام حيث امتحنها الله تعالى لكى تكون حاملة لشىء إقتضت إرادة السماء وذلك نتيجة لنجاحها فى الامتحان حيث اسحقت لقب الصابرة، اما ماهية هذا الامتحان وعلى أى موضوع جرى امتحان الزهراء عليها السلام من قبل الله تعالى فهذا ما نتركه الى بحث آخر انشاء الله. ولكن المهم فيما نحن فيه هو ان الله تعالى وجدها صابرة وهذا من المقامات العالية [صفحه ۸۰] فنحن نعلم، ان من ألقابها الصابرة، والصبر مقام سامى، اما معرفة علو شأن هذا المقام فهذا نراه من خلال القرآن الكريم، حيث أثبت الله تعالى الثواب لكثير من الفضائل الموجودة فى القرآن أما الصبر والصابر فأن اجرهم غير محدود وهذا ما نجده فى قوله تعالى (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) يعنى أنه لا يوجد أجر محدود للصابر وللصبر بل أجره مفتوح وهذا يؤدى الى ان الصبر يكون فى اعلى مقامات الفضائل الاخلاقية، ومن هنا كان الصبر أم الاخلاق بل هو أفضلها واحسنها فى كل شىء فما من شىء إلاّ ومقرون الصبر معه فالصلاة مقرون بالصبر عليها والطاعة كذلك والإيمان لابد من الصبر عليه لاثباته على النفس الانسانية ولذلك جعل الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد كما ورد فى الحديث الشريف ذلك، فاذا كان الصبر هكذا مقامه فانه سوف يكون الاساس لكثير من الاخلاق، فلذا كان الزهد فرع من الاصل والام الذى هو الصبر وليس العكس صحيح فالزاهد لا يكون زاهداً حتى يصبر ويُصبر نفسه على ترك الدنيا وزخرفها واموالها وكل شىء يؤدى به الى الزهد، ومن هنا كان بيت القصيد وهو ان الزهراء حجة على الأنبياء من جهة صبرها فى عالم الغيب والشهادة وصبرها فى الدنيا على ما جرى عليها من المحن والظلم، وكذلك كانت الحجة على الأنبياء كما شهدت الكثير من الروايات الشريفة، وكما سيأتى بعد قليل رواية مهمة تثبت هذه الفضيلة للزهراء، وهذا أيضاً ما أثبتته الشواهد فنحن نجد ان الكثير من الأنبياء كانوا يدعون الله تعالى أن يطّول عمرهم وهذا بخلاف فاطمة الزهراء عليها السلام حيث كانت مستبشرة عندما أخبرها النبى الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم انها أول أهله لحوقاً به وهذا ما ذكره العلامة الاردبيلى رحمه الله فى فضيلتها من جهة كونها تحب الموت ولاتكرهه حث قال العلامة الاردبيلى ما نصه: ان الطباع البشرية مجبولة على كراهة الموت مطبوعة على النفور منه، محبة للحياة، مايلة اليها، حتى الأنبياء عليهم السلام على شرف مقاديرهم وعظم أخطارهم ومكانتهم من الله تعالى ومنازلهم من محال قدسه وعلمهم بما تؤول إليه أحوالهم وتنتهى إليه أمورهم أحبوا الحياة ومالوا إليها وكرهوا الموت ونفروا منه. وقصة آدم عليه السلام مع طول عمره وامتداد أيام حياته معلومة. [صفحه ۸۱] قيل: انه وهب داود عليه السلام حيث عرضت عليه ذريته أربعين سنة من عمره فلما استوفى أيّامه وحانت منّيته وانقضت مدة أجله وحّم حمامه جاءه ملك الموت يقبض نفسه التى هى وديعة عنده فلم تطب بذلك نفسه وجزع وقال: أن الله عرفنى مدة عمرى وقد بقيت منه أربعون سنة، فقال: إنك وهبتها ابنك داود فأنكر أن يكون ذلك، قال النبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم: فجد فجهدت ذرّيته. ونوح عليه السلام كان أطول الأنبياء، أخبر الله تعالى عنه أنه لبث فى قومه ألف سنة إلا

خمسين عاماً فلما دنا أجله قيل له: كيف رأيت الدنيا؟ فقال: كدار ذات بابين دخلت فى باب وخرجت من باب. وهذا يدل بمفهومه على انه لم يرد الموت ولم يؤثر مفارقته. وابراهيم عليه السلام: روى أنه سأل الله تعالى أن لا ـ يميتهُ حتى يسأله عليه السلام فلما استكلمل ايامه التى قُدرّت له خرج فرأى ملكاً على صورة شيخ فانٍ كبير قد أعجزه الضعف وظهر عليه الخراف «أى فساد العقل من الكبير» ولعابه يجرى على لحيته وطعامه وشرابه يخرجان من سبيله عن غير اختياره، فقال له: يا شيخ كم عمرك؟ فأخبره بعمر يزيد على عمر ابراهيم بسنة، فاسترجع وقال: أنا أصير بعد سنة الى هذه الحال فسأل الموت. فهؤلاء الانبياء ممن عرفت شرفهم وعَلاء شأنهم وارتفاع مكانهم ومحلهم فى الآخرة وقد عرفوا ذلك وابت طباعهم البشرية إلا الرغبة فى الحياة. وفاطمة عليها السلام امرأة حديثة عهد بصبى ذات أولاد صغار وبعل كريم لم تقض من الدنيا إرباً «أى حاجة» وهى فى غضارة عمرها وعنفوان شبابها يعرّفها أبوها أنها سريعة اللحاق به فتسلوا موت أبيها صلى الله عليه وآله وسلم وتضحك طيّبة نفسها بفراق الدنيا وفراق بنيها وبعلها، فرحة بالموت مايلة إليه مستبشرة بهجومه مسترسلة عند قدومه وهذا أمر عظيم لا تحيطه الالسن بصفته ولا تهتدى القلوب الى معرفته وما ذاک إلا لأمر علّمه الله من أهل البيت الكريم وسراً وجب لهم مزّية التقديم فخصهم بباهر معجزاته وأظهر عليهم آثار علائمه وسماته وايدهم ببراهينه والصادقة ودلالاته، والله أعلم حيث يجعل رسالته [۶۸] . [صفحه ۸۲] جوهرةُ القدس من الكنز الخفى بدت فأبَدتْ عاليات الأحرف وقد تجلى فى سماء العَظَمة من عالم الاسماء أسمى كلمة بل هى أمُ الكلمات المحكمة فى غيب ذاتها نكاتٌ مبهمة أمُّ الأئمة العقول الغُرِّ بلْ أُمُّ أبيها وهو علةُ العللْ [۶۹] . أليس ذلک من الفضائل العالية حيث كانت الزهراء عليها السلام حجة على الأنبياء بأعتبار صبرها وفضلها. أما كونها عليها السلام حجة على الأئمة كما هى حجة على الأنبياء فهذا ما يتبين لنا من خلال عدة أحاديث مأثورة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، منها ما ورد عن جابر بن عبدالله الأنصارى، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عن الله تبارک وتعالى انه قال: «يا أحمد، لولا ـ ک ما خلقت الأفلاک، ولولا علىّ لما خلقتک، ولولا فاطمة لما خلقتكما [۷۰] ». أمّا الدليل الثانى: فنقول انه ورد فى الحديث الشريف المأثور عن أهل بيت العصمة عليهم السلام ما نصه «انه ما تكاملت نبوة نبى من الأنبياء حتى أقر بفضلها ومحبتها وهى الصديقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الاولى» [۷۱] . يعنى ما تكاملت نبوة نبى ـ والنبوة خلاصة التوحيد ـ إلا لمن أقر بفضلها ومحبتها والإقرار هو الشهادة على النفس والاعتراف منها للغير واقرار العقلاء على انفسهم جائز، فهذه شهادة من الأنبياء لها بالفضل والمحبة والفضل يعنى انها كانت لها زيادة فى الفضائل على الأنبياء بل هى صاحبة الفضل عليهم بانه لم تكتمل نبوة نبى إلا ـ بها عليها السلام. وفى ذيل هذا الحديث اعلاه يقول المحقق البارع أبو الحسن النجفى ما نصه: ان المراد من القرون هى قرون جميع الأنبياء والأوصياء وأمم من ادم فمن دونه حتى نفس خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم أجمعين، يعنى ما بعث الله عز وجل أحداً من الأنبياء والأوصياء حتى أقروا بفضل الصديقة الكبرى ومحبتها. ويؤيده ما ذكره السيد هاشم البحرانى صاحب تفسير البرهان فى مدينة المعاجز عنه عليه السلام ما تكاملت النبوة لنبى حتى أقر بفضلها [صفحه ۸۳] ومحبتها [۷۲] . وأيضاً ما ورد عن جاب بن عبدالله الأنصارى عن ابى عبدالله عليه السلام قال: قلت لم سميت فاطمة الزهراء «زهراء»؟ فقال: لأنّ الله عز وجل خلقها من عظمته... الى ان يقول الله تعالى للملائكة فى ماهية نور فاطمة ما نصه.. فأوحى الله إليهم: هذا نور من نورى اسكنته فى سمائى، خلقته من عظمتى، أُخرجه من صلب نبى من انبيائى أفضله على جميع الأنبياء وأخرج من ذلک النور أئمة يقومون بأمرنى يهدون الى حقى واجعلهم خلفائى فى أرضى بعد انقضاء وحى [۷۳] وعن أبى عبدالله عليه السلام انه قال: لولا ان أمير المؤمنين عليه السلام تزوجها لما كان لها كفوء الى يوم القيامة على وجه الأرض آدم فمن دونه [۷۴] ولقد علق على هذا الحديث الشريف صاحب كتاب البحار العلامة المجلسى رحمه الله حيث قال: يمكن ان يستدل به ـ أى بالحديث أعلاه على كون على وفاطمة عليهما السلام أشرف من سائر أولى العزم سوى نبينا صلى الله عليهم أجمعين. لا ـ يقال: لا يدل على فضلهما على نوح وابراهيم عليهما السلام لاحتمال كون عدم كونهما كفوءين لكونها من أجدادها عليها السلام. لأنا نقول: ذكر آدم عليه السلام يدل على أن المراد عدم كونهم أكفاءها مع قطع النظر عن الموانع الأخر على انه يمكن أن يتشبث بعدم القول بالفصل [۷۵] وايضاً هناک حديث يدل على أفضلية فاطمة الزهراء على

الأنبياء وعلى جميع البشر حيث ذكر المحدث الكبير العلامة الخبير الطبرسي رضى الله عنه:عن أبى جعفر عليه السلام: ولقد كانت عليها السلام مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجن والنس والطير والوحوش والأنبياء والملائكة [۷۶] ونقف مع وجه آخر قد يمكن أن نثبت من خلاله حجية فاطمة عليها السلام على الأئمة، وهو ما نستفيده من خلال الحديث المذكور فى كون على عليه السلام كفواً لفاطمة الزهراء عليها السلام، حيث ورد فى الحديث المذكور عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم «لولا على لم يكن لفاطمة [صفحه ۸۴] كفو» [۷۷] . وأيضاً ورد عن أم سلمة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «لولا يخلق علياً لما كان لفاطمة كفو [۷۸] وهذا يعنى أن أكثر المقامات التى كانت للامام أمير المؤمنين على عليه السلام هى ثابتة للصديقة الشهيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، فهما فى منزلة واحدة من الإيمان والتقوى، وإلّا لما كان كل منهما كفواً للأخر؟ وعليه تكون فاطمة حجة على الأئمة عليهم السلام كما كان أمير المؤمنين عليه السلام الحجة على الأئمة عليهم السلام، فلقد ورد فى عدة أحاديث ان على عليه السلام سيد الأوصياء وخيرهم وأفضلهم لذا كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «منا خير الأنبياء وهو أبوك ـ والكلام مع فاطمة عليها السلام ـ ومنا خير الأوصياء وهو بعلك [۷۹] ». وفى حديث آخر عن أمير المؤمنين أنه قال: «والله لأتكلمن بكلام لا يتكلم به غيرى إلا كذاب: ورثت نبى الرحمة، وزوجتى خير نساء الأمة، وأنا خير الوصيين» [۸۰] والذى نريد القول به من هذا الكلام أن الإمام على عليه السلام كان خير الأوصياء وافضلهم فلقد ورد فى شرح نهج البلاغة فى أن أمير المؤمنين كان يصلى فى اليوم والليلة الف ركعة. قال ابن أبى الحديد: وما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده ان يبسط له نطع بين الصفين ليلة الهرير فيصلى عليه ورده والسهام تقع بين يديه، وتمر على صماخيه يميناً وشمالاً فلا يرتاع لذلك فلا يقوم حتى يفرغ من وظيفته، وما ظنك برجل كانت جبهته كثفته بعير لطول سجوده، وإذا تأملت دعواته ومناجاته وقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه واجلاله وما يتضمنه من الخضوع لهيبته، والخشوع لعزته والاستخذاء له، عرفت ما ينطوى عليه من الاخلاص، وفهمت من أى قلب خرجت وعلى أى لسان جرت، وقيل لعلى بن الحسين عليهما السلام وكان الغاية فى العبادة: أين عبادتك من عبادة جدك؟ قال: عبادتى من عبادة جدى كعبادة جدى من عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [۸۱] فيظهر من هذا الحديث أحاديث أخرى أن الإمام على بن أبى طالب عليه السلام كان متميز عن باقى [صفحه ۸۵] الأئمة عليهم السلام من ناحية مدى تصديه لشؤون الإمامة والولاية وتحمل المشاق للدفاع عن حريم الرسالة المحمدية، وإلّا فالأئمة عليهم السلام جميعاً من ناحية الانوار متحدين فهم كلهم نور واحد ولكن الاختلاف كان من جهة تصديهم لشؤون الخلافة والمشاق التى تحملوها، وعليه تكون الصديقة الزهراء عليها السلام كفو للامام أمير المؤمنين فهى أم الأوصياء وروح النبوة وبضعة الرسول، وزوجة خير الأوصياء. وعلى ضوء هذه الاحاديث وعلى أساس أحاديث أخرى اغمضنا النظر عليها لئلا يطول المقام بنا، كانت فاطمة الزهراء وبدليل الاولوية وفحوى الخطاب الحجة على الأنبياء والأئمة، ونقول ليس فقط ما تكاملت نبوة نبى فحسب بل ما تكاملت الإمامة فى امامتها ولا ـ تكامل العلماء فى علمائها وإلّا الادباء فى أدبهم والحكماء فى حكمهم والاتقياء فى تقواهم وكل كامل فى كمال حتى يقر بفضلها ويؤمن بمحبتها فهى الصديقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الاولى والاخرى [۸۲] فاذاً كانت فاطمة حجة وما تزال حجة على الأئمة عليهم السلام. وحبها من الصفات العالية عليه دارت القرون الخالية بابى فاطم وقد فطمت بأسمها نار حشرها ولظاها هى والله كوثر قد اعدت لبنيها وكل من والاها هى عند الله اعظم خلق وبها دار فى القرون رحاها وهكذا كانت فاطمة الزهراء عليها السلام بهذه الوجوه وادلة اخرى الحجة على الأنبياء والأوصياء وبهذا المعنى الذى وضحناه تبين لنا عِظم مقام فاطمة عليها السلام وعلو قدرها عند البارى عز وجل ونكتفى بهذا البيان حول الوقوف على قول الإمام الحسن العسكرى «فاطمة حجة علينا». [صفحه ۸۹]

اصل يوم العذاب

فى ظلامات فاطمة

الشیخ حبیب شعبان [۸۳] . أیا منزلَ الاحباب ما لکَ موحشاً بزهرتکَ الأریاحُ أودت بما تسفی تَعفیتَ یا ربعَ الاحبةِ بعدهم فذکرتنی قبرَ البتولةِ إذ عفَی رمتها سهامُ الدهرِ وهیَ صوائبٌ بشجوٍ إلی أن جُرّعت غصصَ الحنفِ شجاها فراقُ المصطفی واحتقارُها لدی کلِّ رجسٍ من صحابتهِ جِلفِ لقد بالغوا فی هضمِها وتحالفوا علیها وخانوا الله فی محکمِ الصحفِ فآبت وزندُ الغیظِ یقدحُ فی الحشا تعثرُ بالأذیالِ مثنیة العطف وجائت إلی الکرارِ تشکو اهتضامَها ومدت الیهِ الطرفَ خائعةَ الطرف أبا حسنٍ یا راسخ العلمِ والحجی [۸۴] إذا فرت الابطالُ رعباً من الزحف ویا واحداً أفنی الجموعَ ولم یزل بصیحته یسومونَنی مالا ـ اطیق من الخسف ویلطم وجهی نَصبَ عینیکَ ناصبُ العداوةِ لی بالضرب منی یستشفی فتُغضی ولا ـ تُنضی حسامَکَ آخذاً بحقی ومنهُ الیومَ قد صفرت کفَی لمن أشتکی إلاّ الیکَ ومَن بهِ الوذُ وهل لی بعدَ بیتکَ من کهف وقد أضرموا النیرانَ فیهِ وأسقطوا جنینی فوا ویلاهُ منهم ویا لهفی وما برحت مهضومةً ذاتَ علةٍ تأرقُها البلوی وظالمها مُغفی إلی أن قضت مکسورةَ الضلعِ مسقِطاً جنینٌ لها بالضربِ مسودّة الکتف [صفحه ۹۱]

لماذا هذا البحث (أصل یوم العذاب...)

قال المفضل للإمام الصادق علیه السلام: یا مولای ما فی الدموع ثواب؟ قال: ما لا یحصی إذا کان من محقّ. فبکی المفضل (بکاءاً) طویلاً ویقول: یا ابن رسول الله إنَّ یومکم فی القصاص لأعظم من یوم محنتکم، فقال له الصادق علیه السلام: ولا کیوم محنتنا بکربلاء وإن کان یوم السقیفة واحراق النار علی باب أمیر المؤمنین والحسن والحسین وفاطمة وزینب وأم کلثوم وفضة وقتل محسن بالرفسة أعظم وأدهی وأمرّ، لأنّه أصل یوم العذاب [۸۵] . من منطلق هذه الروایة التی رواها المفضل عن الإمام الصادق علیه السلام، واستناداً إلی کلام الإمام المعصوم الذی هو معصوم الکلام، والذی لا ـ یأتیه الباطل لا ـ من بین یدیه ولا ـ من خلفه، حیث یعتبر کلام الإمام المعصوم من الادلة الشرعیة الاربعة: القرآن الکریم والسنة والعقل والاجماع فهو داخل ضمن السنة النبویة الشریفة، باعتباره یمثل الامتداد الحیة لها کان عنوان هذا البحث مستمداً من هذه الروایة والتی تروی قصة مظلومیة فاطمة الزهراء سلام الله علیها والذی بیّن فیه الإمام الصادق علیه السلام عِظم ومرارة مصیبة أهل البیت علیهم السلام عند هجوم القوم علی دار أمیر المؤمنین سلام الله علیه بأعظم تعبیر یجعل المؤمن الباحث عن الحقیقة والعقیدة والصحیحة یقف عنده کثیراً [صفحه ۹۲] ویدقق فیه طویلاً لیری لماذا عبّر عنه الإمام علیه السلام بهذا القول العظیم بأنه أصل یوم العذاب، لا شک ولا ریب ان کلام الإمام الصادق علیه السلام لا یأتی اعتباطا وعبثاً دون أن تکون هناک مقدمات أولیة یقینیة عنده بحیث تؤدی بالأمر إلی أن تصل فیه النتیجة النهائیة وعلی ضوء هذه المقامات المهمة أن تکون المظلومیة العظمی لأهل بیت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائکة وبالخصوص اُم أبیها فاطمة الزهراء سلام الله علیها هی الاساس والاصل لیوم الحسرة أو کما عبر عنه الإمام علیه السلام بیوم العذاب. لذا جاء هذا البحث أصل یوم العذاب فی ظلامات فاطمة الزهراء سلام الله علیها باعتبارها قطب الرحی الی تدور حوله محوریة أهل البیت علیهم السلام والذی اعتمدنا فی تسمیته هذه علی روایة المفضل عن لسان الإمام الصادق علیه السلام لکی لا نخرج حتی فی تسمیتنا لأی شیء عن تسمیات وتعبیرات أهل البیت علیهم السلام. وسیکون بحثنا فی هذا الموضوع عن مقدمات مهمة، وخصوصیات قیمة مرتبطةٌ بصمیم البحث وتکون هی المحور والاساس للنتیجة النهائیة للبحث، وخصوصاً ما یتعلق بمقامات فاطمة الزهراء سلام الله علیها لما لها من الأثر الکبیر علی عظم ومرارة مظلومیتها سلام الله علیها فانه کلما کان المقام سامی وعظیم للانسان المؤمن فانه بالنتیجة والقطع الیقینی سوف تکون ظلامته ومظلومیته عظیمة وکبیرة وعلی قدر ایمانه ومقامه الرفیع. وکذلک سوف یکون هناک بحث مهم وعلی ضوء القرآن والسنة لبیان هذه المقامات وکذلک اظهار مظلومیة أهل البیت وبالأخص الزهراء سلام الله علیها علی ضوء السنة الشریفة وآراء ومعتقدات العلماء الأبرار إلی أن نصل إلی مسألة ارتباط هذه المظلومیات بصمیم عقائدنا وبالنتیجة کیفیة تعبیر الاماما الصادق علیه السلام بأن مظلومیة أهل البیت علیهم السلام فی ذلک الوقت وحتی وقتنا هذا هی الأصل لیوم العذاب.

ما معنى أصل يوم العذاب

وأصل الشيء الاساس الذي يُبنى عليه ذلك الشيء وقد يكون أصل الشيء المنطلق له أو أسفله وحسب التعريفات اللغوية التي وردت في تعريفه، ومن هنا نقف مع رواية [صفحه ۹۳] المفضل التي رواها عن الإمام الصادق عليه السلام لكي نفهم كيف يجري الحال مع هذه الرواية، فالسؤال المطروح فيما نحن فيه يقتضي أن نفهم أن أصل يوم العذاب هل يقصد به الاساس الذي بني عليه ظلم أهل البيت عليهم السلام من ذلك الحين أو أنه يقتضي ـ الاصل ـ معناه يوم القيامة الذي سوف يكون فيه الاساس لعذاب الذين ظلموا أهل البيت عليهم السلام فيكون الجزاء جهنم خالدين فيها أبداً؟ أما الشق الأوّل الذي يقصد به ويقول ان أصل يوم العذاب هو ذلك اليوم الذي سُلبت فيه الخلافة من أمير المؤمنين عليه السلام ـ يوم السقيفة ـ وإضرام النار على باب بيت أمير المؤمنين وفاطمة عليهما السلام... وقتل محسن بالرفسة، حيث أسس الظلم والعذاب على أهل البيت عليهم السلام ولم يروّ الراحة والاطمئنان من يوم ظلم فاطمة إلى واقعة كربلاء وقتل أهل البيت وتشريدهم إلى ظهور الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) فان العذاب موجوع والاذى مبثوث لكل من ولاهم واتبعهم من شيعتهم وعلى هذا الاساس يكون أصل يوم العذاب هو اليوم الذي أسس الظلم على أهل البيت عليهم السلام في هذه الحياة الدنيا، وهذا القول الذي يقول ان يوم العذاب هو يوم الظلم الذي جرى على أهل بيت النبوة بعيد عن المتفاهم العرفي ولا يساعد عليه الحال لأنّ هناك فرق بين أن نقول يوم الظلم ويوم العذاب لانه الظلم وارد في الحياة الدنيا أما العذاب فيكون له يوم خاص وكما عبر عنه القرآن يوم التغابن ويوم القيامة.... فلذا الظاهر من خلال الرواية ان يوم العذاب ليس هو يوم الظلم الذي جرى على أهل بيت النبوة عليهم السلام لأن العذاب لا يطلق على هكذا حالٍ وانما يطلق على يوم القيامة الذي سوف يكون فيه العذاب للظالمين أما ما الذي يصح ان يعبر منه فهذا ما يمكن ان نقول به هو يوم المصائب ويوم المحن الابتلاءات والظلامات اذن يكون هذا القول منتفي في كون يوم العذاب هو اليوم الذي أسس فيه الظلم لأهل بيت النبوة. وعلى الشق الثاني من معنى الأصل ليوم العذاب يكون معناه ان يوم القيامة سوف يكون فيه العذاب والخزي للذين أخذوا الخلافة من أصحابها الحقيقيين وظلموا الزهراء عليها السلام وأضرموا النار على بيت أمير المؤمنين وقتلوا المحسن بن علي عليه السلام بالرفسة، فتكون هذه الظلامات هي الاساس والاصل ليوم العذاب في نار جهنم [صفحه ۹۴] للذين فعلوا ذلك الظلم العظيم وكما عبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله تعالى (ان الظالمين لهم عذاب أليم). وعليه الذي على ما احتمله ان الصحيح عندي هو المعنى الوارد في تفسير الاصل ليوم العذاب يعني ان أساس يوم العذاب في القيامة سوف يكون بسبب هذا الظلامات من ظلامة يوم السقيفة واحراق النار وقتل محسن بالرفسة وغير ذلك من الظلامات ذلك لأن هناك عدة أدلة وشواهد تثبت هذه المسئلة وايضاً نفهم هذا من خلال عدة روايات شريفة وشواهد تاريخية بينت هذه المسألة، وهناك قرينة في المقام تثبت هذا المعنى وهي الرواية نفسها حيث نستفيد منها ان المفضل يسأل الإمام عليه السلام ويقول ان يومكم في القصاص لاعظم من يوم محنتكم... حيث عبر عن يوم القيامة بيوم القصاص الذي سوف تكون فيه جهنم عذاباً للظالمين، واضافة إلى ذلك قال المفضل ان يوم محنتكم وهذا يدل على ان هناك فرق بين ان نقول يوم العذاب ويوم المحنة.. وايضاً هناك قرينة متصلة في الرواية الشريفة نفسها حيث توجد تكملة لهذه الرواية التي يرويها المفضل حيث تقول: «ويأتي محسن مخضباً محمولاً تحمله خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت أسد أُم أمير المؤمنين على عليه السلام وهما جدتاه... وفاطمة تبكي وتصيح وتقول: هذا يومكم الذي كنتم توعدون... فيأخذ رسول الله محسناً على يديه رافعاً له إلى السماء وهو يقول: إلهي وسيدي صبرنا في الدنيا احتساباً وهذا اليوم الذي تجد كل نفس ما عملت من خيراً محضراً وما عملت من سوءٍ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً». فعلى أساس هاتين القرينتين نحتمل احتمالاً قويا ان أصل يوم العذاب المقصود به هو يوم القيامة الذي سوف يكون فيه نار جهنم للظالمين أشد عذاباً وأكبر تنكيلاً. وربما يرد علينا في ما نحن فيه اشكال وهو اذا كانت ظلامات أهل البيت عليهم السلام من السقيفة واحراق بيت فاطمة وقتل محسن... الخ هو الاساس وأصل يوم العذاب في القيامة فماذا تقول في الذين كانوا قبل هذه الظلامات وقبل زمن الرسول صلى

الله علیه وآله وسلم ـ أی الامم الاخری ـ فانهم ما کانوا یعلمون ذلک فکیف توجه هذه المسألة؟ نقول: انه لا ضیرَ فی ذلک ولا یقدح فیما نحن فیه ذلک لکون عندنا روایة تقول انها ـ [صفحه ۹۵] أی الصدیقة الطاهرة فاطمة علیها السلام ـ کانت مفروضة الطاعة علی جمیع من خلق الله من الجن والانس والطیر والوحش والأنبیاء والملائکة [۸۶] ، فاذا کان هکذا حالها فبالنتیجة تکون الحجة علی جمیع من خلق الله تعالی وخصوصاً انه ما تکاملت نبوة نبی من الأنبیاء حتی أقر بفضلها ومحبتها وهی الصدیقة الکبری وعلی معرفتها دارت القرون الاولی ـ أی المتقدمة علی هذا الزمان ـ وعلیه لو کان الأنبیاء والمؤمنین قبل بعثة الرسول صلی الله علیه وآله وسلم حاضرین فی زمن الرسول صلی الله علیه وآله وسلم لکانوا قسمین إما راضین بما فعل القوم من الظلم بحق فاطمة وبعلها وبنیها وإما لم یکونوا راضین. فان کانوا راضین کانت لهم جهنم مقراً ومقاما وان لم یکونوا راضین بظلمها کانت لهم الجنة دار سرور ونعیم وعلی هذا الاساس یتضح کیف یکون ظلم أهل البیت وخصوصا الصدیقة الشهیدة فاطمة علیها السلام الاساس لیوم العذاب هذا من جهة. ومن جهة أخری نحن نعلم ان هناک أحادیث وردت علی لسان أهل بیت العصمة مفادها ان الله یرضی لرضا فاطمة ویغضب لغضبها فمن کانت فاطمة راضیة عنه رضا عنه الله تبارک وتعالی ولا شک ولا ریب ولا شک أن رضا الله یرضاه الأنبیاء والمؤمنین السابقین علی زمن الرسول صلی الله علیه وآله وسلم فیکونوا عندئذ راضین عمن رضیت عنه فاطمة وغاضبین علی من غضبت علیه لانها مظهر رضا الله تعالی وغضبه وعلیه یکون الاصل ثابت. اذن ونحن نقف مع هذا البحث ومدی ثبوتیته لا بد لنا من أن نقدم بعض الأمور التی یتوقف علیها عِظَم هذه المسئلة التی نحن بصددها، وهذه الامور هی: الأمر الأول: مقامات الزهراء الأمر الثانی: ظلامات الزهراء علیها السلام.

مقامات الزهراء وفیه

اشاره

أـ مقامها عند الله تعالی ب ـ مقامها عند الملائکة ج ـ مقامها عند الأنبیاء والنبی محمد صلی الله علیه وآله وسلم مقامها عند الأئمة علیهم السلام هـ ـ مقامها عند العلماء والمحدثین ت ـ مقامها یوم القیامة. [صفحه ۹۷]

مقامها عند الله تعالی

إنّ من المقامات التی خصت بها فاطمة الزهراء علیها السلام هو مقام الرضا أی ان الله یرضی لرضاها ویغضب لغضبها، حیث جاءت الکثیر من الروایات الشریفة المأثورة عن الرسول وأهل بیته علیهم السلام لتؤکد هذه المنقبة العظیمة للصدیقة الشهیدة. وهذا مما یدل علی کونها ذو مقام عالی وشریف سامی لها عند الله تعالی: إذ لا معنی ان یرضی الله لشخص من دون أن یکون له عند الله منزلةً وکرامةً علیه، وهذا مما یساعد علیه العرف العقلائی إضافة إلی الشواهد القرآنیة الکثیرة علی هذه المسألة، فنحن نجد من خلال الممارسات الحیاتیة ان الکثیر من الاصدقاء مثلاً یرضون لرضا شخص معین بالحق ویقبلون شفاعته وتوسطه أو رضاه عن شخص معین لحل مشکلة ما، وکذلک الحال فی الغضب، وعلی هذا الاساس تکون فاطمة کریمة عند الله تعالی لعلو شأنها ومنزلتها عنده لذلک یرضی لرضاها ویغضب لغضبها. عن النبی صلی الله علیه وآله وسلم قال: «یا فاطمة ان الله لیغضب لغضبک ویرضی لرضاک» [۸۷] . وکذلک ما ورد عنه صلی الله علیه وآله وسلم انه قال: «یا فاطمة أبشری فلک عند الله مقامٌ محمودٌ تشفعین فیه لمحبیک وشیعتک فتُشفعین» [۸۸] . ویظهر أیضاً مقامها عند الباری عز وجل من خلال الحدیث الطویل الذی یروی عن أهل بیت العصمة عن الله تعالی حیث یقول الباری عز وجل: «یا فاطمة وعزتی وجلالی وارتفاع مکانی لقد آلیت علی نفسی من قبل أن أخلق السموات والأرض بألفی عام أن لا أعذب محبیک ومحبی عترتک بالنار» [۸۹] . فأی منزلة ومقام لها عند الله تعالی بحیث یقسم الله تعالی بعزته وجلاله أن لا

يعذب بالنار شيعة الزهراء ومحبيها، وهذا الحديث له مقام عالي يثبته حديث آخر [صفحه ۹۸] ورد فی شفاعة الزهراء علیها السلام فی یوم القیامة واعطاء الكرامة العظمی لها آنذاک. ومن المقامات الأخری لها علیها السلام هو علة الایجاد أی أنها كانت علة الموجودات التی خلقها الباری عز وجل وكما ورد فی الحـدیث الـذی یقول فیه الباری عز وجل: «یا أحمد! لولاک لم خلقت الأفلاک، ولولا علی لم خلقتـک ولولا فاطمـة لما خلقتكما» [۹۰] . ولاـ نریـد الوقوف مع هـذا الحـدیث الآن بل نترک بحثه إلی الفصول القادمـة من هـذا الكتاب، وكثیرة هی المناقب والمقامات التی لها عند الله تعالی.

مقامها عند الملائكة

فی حـدیث طویل.. «... فقالت الملائكة: إلهنا وسیدنا لمن هذا النور الزاهر، الذی قد أشـرقت به السـموات والأرض؟ فأوحی الله إلیها: هذا نور اخترعته من نور جلالی لأمتی فاطمة ابنة حبیبی، وزوجة ولیّی وأخو نبیّی وأبو حججی علی عبادی، أُشهدكم ملائكتی أنّی قد جعلت ثواب تسبیحكم وتقدیسـكم لهـذه المرأة وشـیعتها ومحبیها إلی یوم القیامة» [۹۱] . وهـذا یعنی انها علیها السـلام لها مقام النور الزاهر عند الملائكة فهم یعرفونها فی السماء بالنور الزاهر الذی أزهرت السماوات والأرض بنورها ولأجل ذلک سمیت بالزهراء.

مقامها عند الأنبیاء والنبی محمد

أما عند الأنبیاء فهذا ما یدل علیه الحدیث المأثور عن أهل بیت العصمة علیهم السلام الذی یقول: ما تكاملت نبوة نبی من الأنبیاء حتی أقر بفضـلها ومحبتهـا وهی الصدیقـة الكبری وعلی معرفتها دارت القرون الاولی، حیث یظهر من هـذا الحـدیث ان لها مقام سامی عند الأنبیـاء لأنه ما تكاملت نبوتهم حتی أقروا بمنزلتها ومقامها وفضـلها [صـفحه ۹۹] ومحبتهـا، واللطیف هنا انما الأقرار یكون عنـد من له الحق علی الآـخرین، وعلیه یكون الأنبیـاء أقروا لله تعالی ـ لأنه هو صاحب الحق علیهم ـ بفضـلها ومحبتها، أما عنـد النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم فان مقامها رفیع ولو أردنا أن نكتب عن مقامها عند الرسول لاحتجنا إلی مجلدات فی هذا الأمر ولكن علی ما یسعنا المقام نقول: ان مقامها یظهر من خلال أحادیث الرسول صـلی الله علیه وآله وسـلم نفسه حیث تارة یقول فداک أبوک ومرة أخری یقول لها أُم أبیهـا، وأخری بضـعة منی ولحمهـا لحمی ودمهـا دمی ولكن الأـهم من هـذا كله فإنهـا علیها السـلام یكفی من مقامها ومنزلتها عند الرسول صـلی الله علیه وآله انه قال فی حقها: «من عرف هـذه فقد عرفها، ومن لم یعرفها فهی فاطمة بنت محمد وهی بضـعة منی وهی قلبی الذی بین جنبی فمن آذاها فقد آذانی، ومن آذانی فقد آذی الله» [۹۲] . وأیضاً قوله صلی الله علیه وآله وسلم: «ومن أنصفک فقد أنصـفنی، ومن ظلمک فقد ظلمنی، لأنک منّی وأنا منک، وأنت بضـعة من وروحی التی بین جنبیّ ثم قال صـلی الله علیه وآله وسـلم: «إلی الله أشكو ظالمیک من امتی» [۹۳] .

مقامها عند الأئمة

ورد عن الإمام الحسن العسـكری علیه السلام أنه قال: «نحن حجج الله علی خلقه وجدتنا فاطمة حجة الله علینا» [۹۴] وهذا الحدیث من الأحادیث العظیمـة الـذی أعطی لفاطمـة علیها السـلام وعلی لسان حفیـدها الحسن العسـكری علیه السـلام أكبر شـهادة عظمی بحقها، وسـیأتی مفصـلاً البحث حول هـذا الحـدیث الشـریف. ویظهر من خلال حدیث أخر عظم منزلة ومقام فاطمة عند الأئمة علیهم السـلام حیث [صفحه ۱۰۰] خرج من الناحیة الشـریفة عن الإمام المهدی (عجل الله تعالی فرجه الشـریف) أنه قال: «وفی ابنة رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم لی أسوة حسـنة...» [۹۵] فـأی مقام یظهر لنا من خلال هـذا التوقیع الشـریف والـذی بین فیه الإمام (عجل الله تعالی فرجه الشـریف) أن له اسوة حسـنة بفاطمة أی اتخذها قدوة له یتأسـی بها فی المعضلات والمصائب. وهناک الكثیر من المقامات التی اشتركت الزهراء علیها السـلام مع الأئمة فیها من حدیث كونهم الصـراط المسـتقیم واشتراكها معهم فیه وكذلک كونهم الكلمات التی

تلقاها آدم عليه السلام لتوبته واشتراكها معهم فى المباهلة مع وفد نجران والذى تدل على أنها كانت قطب الرحى الذى دار فى المباهلة وكونها الشجرة الطيبة واشتراكها فى النور معهم والتطهير فى آية التطهير... الخ من المناقب والمقامات العالية لها عليها السلام ولقد تظافرت الروايات الشريفة على هذه المقامات.

مقامها عند العلماء والمحدثين

۱ـ قال ابن صبّاغ المالكى: ولنذكر طرفاً من مناقبها التى تشرف هذا النّسب من نسبها، واكتسى فخراً ظاهراً من حسبها، وهى فاطمة الزهراء بنت مَنْ أنزل عليه: سبحان الذى أسرى، ثالثة الشمس والقمر، بنت خير البشر، الطاهرة الميلاد، السيّدة بإجماع أهل السّداد [۹۶] . ۲ـ قال الأُستاذ عبد الزهراء: ونحن حين نتناول الحديث عن الزهراء عليها السلام بصفتها غرس النبوّة، وشجرة الإمامة، فإنّما تنكشفُ لنا أبعادُ الرّسالة الإسلامية بطابع تجسيدى نلمسه فى كل جانب من جوانب شخصيّتها عليها السلام ونحن نتابعها، ففى قرانها بعليٍّ بن أبى طالب عليه السلام تنجلى لنا الصورة الحيّة التى رسمها الإسلام للقرآن الذى ارتضاه خالق هذا الوجود، وفى مواقفها البطولية بعد وفاة أبيها يتكشّف لنا المدى [صفحه ۱۰۱] البعيد الذى رسمه الإسلام للمرأة من حقوق وواجبات، ومدى فاعليتها فى بناء المجتمع الإسلامى. وعلى هذا الأساس تقاس سائر جوانب شخصية الزهراء عليها السلام [۹۷] . ۳ـ قال العلامة محمد بن طلحة الشافعى: اعلم ـ أيّدك الله بروح منه ـ أن الأئمة الأطهار المعدودة مزاياهم فى هذا المؤلّف، والهداة الأبرار المقصودة سجاياهم بهذا الصنّف لهم برسول الله زيادة على اتصالهم به بواسطة فاطمة عليها السلام. فبواسطتها زادهم الله تعالى فضل شرف وشرف فَضْل، ونيل قدر وقدر نيل، ومحلَّ علوّ وعلوّ محلّ، وأصل تطهير وتطهير أصل... فانظر بنُور بصيرتك ـ أمدّك الله بهدايتها ـ إلى مدلول هذه الآية [۹۸] وترتيب مراتب عباراتها وكيفيّة إشارتها إلى علوّ مقام فاطمة الزهراء فى منازل الشرف وسمو درجتها، وقد بيّن ذلك وجعلها بينه وبين عليٍّ تنبيهاً على سرّ الآية وحكمتها، فإن الله عزَّ وجل جعلها مُكتَفةً من بين يديها ومن خلفها ليظر بذلك الاعتناء بمكانتها. وحيث كان المراد من قوله «وأنفسَنا» نفس عليٍّ مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم جعلها بينهما إذا الحراسة بالأحاطة بالأنفس أبلغ منها بالأبناء فى دلالتها [۹۹] . ۴ـ قال الحافظ أبو نعيم الإصفهانى: ومن ناسكات الأصفياء وصفيّات الأتقياء فاطمة ـ رضى الله تعالى عنها ـ السيّدة البتول، البضعة الشبيهة بالرسول، وأوّلهم بعد وفاته به لحوقاً، كانت عن الدنيا ومُتعتها عازفةً، وبغوامض عيوب الدنيا وآفاتها عرافة [۱۰۰] . ۵ـ قال عبد الحميد ابن أبى الحديد: وأكرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة إكراماً عظيماً أكثر مما كان الناس يظنُّونه وأكثر من إكرام الرجال لبناتهم، حتى خرج بها عن حدّ حبّ الآباء للأولاد، فقال بمحضر الخاصّ والعامّ مراراً لا مرّة واحدة، وفى مقامات مختلفة لا ـ فى مقام واحد: «انها سيدة نساء العالمين، وإنها عديلة مريم بنت عمران، وإنها إذا مرّت فى الموقف فى الموقف نادى مناد من جهة العرش: يا أهل الموقف غضُّوا أبصاركم [صفحه ۱۰۲] لتعبر فاطمة بنت محمد». وهذا من الأحاديث الصحيحة، وليس من الأخبار المستضعفة. وإنّ إنكاحه عليّاً إيّاها ما كان إلا بعد أن أنكحه الله تعالى إيّاها فى السماء بشهادة الملائكة؛ وكم قال لا ـ مرّة: «يؤذينى ما يؤذيها، ويغضبنى ما يغضبها، وإنها بضعة منى، يريبنى ما رابها» [۱۰۱] . ۶ـ قال الأُستاذ توفيق أبو علم: كانت ـ رضى الله عنها ـ كريمة الخليفة، شريفة الملكة، نبيلة النفس، جليلة الحس، سريعة الفهم، مرهفة الذهن، جزلة المروءَة، غرّاء المكارم، فيّاحة نفّاحة، جرئية الصدر، رابطة الجأش، حميّة الأنف، نائية عن مذاهب العجب... وكانت فى الذروة العالية من العفاف والتصادق، طاهرة الذيل، عفيفة المئزر، عفيفة الطرف... إنّها سليلة شرف لا ـ منازع لها فيه من واحدة من بنات حوّاء فمن تراه... واكتفائها بشرفها كأنّها فى عزلة بين أبناء آدم وحوّاء [۱۰۲] . ۷ـ قال الأُستاذ عباس محمود العقاد المصرى: فى كل دين صورةُ الأُنوثية الكاملة المُدّسة يتخشّع بتقديسها المؤمنون، كأنّما هى آية الله فيما خلق من ذكر وأُنثى؛ فإذا تقدّست فى المسيحية صورة مريم العذراء، ففى الإسلام لا ـ جرم تتقدّس صورةُ فاطمة البتول [۱۰۳] . ۸ ـ قال الدكتور على إبراهيم حسن: وحياة فاطمة هى صفحة فذّة من صفحات التاريخ، نلمس فيها ألوان العظمة، فهى ليست كبلقيس أو كليو بطرة، استمدّت كلَّ عظمتها من عرش كبير وثروة طائلة

وجمال نادر. وهى ليست كعائشة نالت شهوتها لما انّصفت به من جرأة جعلتها تقود الجيوش، وتتحدّى الرجال، ولكنّا أمام شخصية استطاعت أن تخرج إلى العالم وحولها هالة من الحكمة والجلال، حكمة ليس مرجعها الكتب والفلاسفة والعلماء، وإنما تجارب الدهر الملىء بالتقلبات والمفاجأت، وجلال ليس مستمداً من ملك أو ثراء، وانما من صميم النفس... [۱۰۴] . [صفحه ۱۰۳] ۹ـ قال العلامة الإربلى: فلنبدأ الآن بذكر فاطمة عليها السلام التى زاد إشراق هذا النسب بإشراق أنوارها، واكتسب فخراً ظاهراً من فخارها، واعتلى على الأنساب بعلوّ منارها، وشرف قدره بشرف محلّها ومقدارها، فهى مشكاة النبوة التى أضاء لألاؤها، وتشعشع ضياؤها، وسحت بسحب الغرّ أنواؤها، وعقيلة الرسالة التى علت السبع الشداد مراتب علاـ وعلاء، ومناصب آل وآلاء، ومناسب سناً وسناء، الكريمة الكريمة الأنساب، الشريفة الشريفة الأحساب، الطاهرة الطاهرة الميلاد، الزهراء الزهراء الأولاد، السيدة باجماع أهل السداد، الخيرة من الخير: ثالثة الشمس والقمر، بنت خير البشر، اُم الأئمة الغرر، الصافية من الشوب والكدر، الصفوة على رغم من جحد أو كفر، الحالية بجواهر الجلال، الحالّة فى أعلى رتب الكمال، المختارة على النساء والرجال، صلى الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبينها السادة الأنجاب، وارثى النبوة والكتاب، وسلّم وشرّف وكرّم وعظّم [۱۰۵] . ۱۰ـ وقال أيضاً: إن فاطمة عليها السلام هى سليلة النبوة ورضيعة درّ الكرم والاُبوة، ودرّة صدف الفخار، وغرّة شمس النهار، وذُبالة [۱۰۶] مشكاة الأنوار، وصفوة الشرف والجود، وواسطة قلادة الوجود، نقطة دائرة المفاخر، قمر هالة المآثر، الزهرة الزهراء، والغُرَّة الغرّاء، العالية المحل، الحالّة فى رتبة آل عُلاء السامية، المكانة المكينة فى عالم السماء، المضيئة النور، المنيرة الضياء، المستغنية باسمها عن حدِّها ووَسمها، قُرّة عين أبيها، وقرار قلب اُمِّها، الحالية بجواهر عُلاها، العاطلة من زخرف دنياها، أمة الله وسيدة النساء، جمال الآباء وشرف الأبناء، يفخر آدم بمكانها، ويبوح نوح بشدّة شأنها، ويسموا إبراهيم بكونها من نسله، وينجحُ إسماعيل على إخوته إذ هى فرع أصله، وكانت ريحانة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من بين أهله، فما يجاريها فى مَفْخر إلا مغلّب [۱۰۷] ، ولا يباريها فى مجد إلا مؤنّب [۱۰۸] ، ولا يجحد حقّها إلا مأفون [۱۰۹] ، ولا يصرف عنها وجه [صفحه ۱۰۴] إخلاصه إلا مغبون [۱۱۰] . ۱۱ ـ قال العلامة الخبير ابن شهر آشوب (ره): وقلنا الصدّيقة بالأقوال، والمباركة بالأحوال، والطاهرة بالأفعال، الزكية بالعدالة، والرضية بالمقالة، والمرضية بالدلالة، المحدثة بالشفقة، والحرّة بالنفقة، والسيّدة بالصدقة، الحصان بالمكان، والبتول فى الزمان، والزهراء بالإحسان، مريم الكبرى فى الستر، وفاطم بالسرّ. وفاطمة بالبرّ، النوريّة بالشهادة، والسماوية بالعبادة، والحانية بالزهادة، والعذراء بالولادة، الزاهدة الصفيّة، العابدة الرضيّة، الراضية المرضيّة، المتهجّدة الشريفة، القانتة العفيفة، سيدة النسوان، وحبيبة حبيب الرحمن، المحتجبة عن خزّان الجنان، وصفيّة الرحمن، ابنة خير المرسلين، وقرّة عين سيّد الخلائق أجمعين، وواسطة العقد بين سيّدات نساء العالمين، والمتظلّمة بين يدى العرش يوم الدين، ثمرة النبوّة، وام الأئمة وزهرة فؤاد شفيع الامة، الزهراء المحترمة، والغرّاء المحتشمة، المكرّمة تحت القبّة الخضراء، والإنسيّة الحوراء، والبتول العذراء، ستّلا النساء [۱۱۱] ، وارثة سيد الأنبياء، وقرينة سيد الأوصياء، فاطمة الزهراء، الصدّيقة الكبرى، راحة روح المصطفى، حاملة البلوى من غير فزع ولا شكوى، وصاحبة شجرة طوبى، ومن أنزل فى شأنها وشأن زوجها وأولادها سورة هل أتى، ابنة النبى، وصاحبة الوصى، وام السبطين، وجدّة الأئمة، وسيدة نساء الدنيا والآخرة، زوجة المرتضى، ووالدة المجتبى، وابنة المصطفى، السيدة المفقودة، الكريمة المظلومة الشهيدة، السيدة الرشيدة، شقيقة مريم، وابنة محمد الأكرم، المفطومة من كل شرّ. المعلومة بكل خير، المنعوتة فى الإنجيل، الموصوفة بالبرّ والتبجيل، درّة صاحب الوحى والتنزيل، جدّها الخليل، ومادحها الجليل، وخاطبها المرتضى بأمر المولى جبرئيل [۱۱۲] . ۱۲ ـ قال المحقق الشهير الحاج ملّا محمد باقر صاحب الخصائص الفاطمية: سبحانك اللهم فاطر السموات العلى، وفالق الحب والنوّى، أنت الذى فطرت اسماً من [صفحه ۱۰۵] اسمك، واشتققته من نورك، فوهبت اسمك بنورك حتى يكون هو المظهر لظورك، فجعلت ذلك الاسم جرثومة لجملة أسمائك، وذلك النور ارومة [۱۱۳] لسيّدة إمائك، ونـاديت فى الملأـ الأعلى: أنا الفاطر وهى فاطمة، وبنورها ظهرت الأشياء من الفاتحة إلى الخاتمة. فاسمها اسمك، ونورها نورك، وظهورها ظهورك، ولا إليه غيرك، وكل كمالٍ ظلّـك، وكل وجودٍ ظلّ وجودك، فلما فطرتها فطمتها عن الكدورات البشرية، واختصصتها بالخصائص الفاطمية، مفطومة عن

الرعونات [۱۱۴] العنصريّة، ونزّهتها عن جميع النقائص، مجموعة من الخصائل المرضيّة بحيث عجزت العقول عن إدراكها، والناس فطموا عن كنه معرفتها، فدعا الأملاك في الأفلاك بالنوريّة السماوية، وبفاطمة المنصورة... ام السبطين وأكبر حجج الله على الخافقين، ريحانه سدرة المنتهى، وكلمة التقوى، والعروة الوثقى، وستر الله المرخى، والسعيدة العظمى، والمريم الكبرى، والصلواة الوسطى، والإنسيّة الحوراء التيم بمعرفتها دارت القرون الاولى. وكيف احصى ثناها وإنّ فضائلها لا تحصى، وفواضلها لا تقضى؟! البتول العذراء، والحرّة البيضاء، ام أبيها، وسيدة شيعتها وبنيها، ملكة الأنبياء، الصدّيقة فاطمة الزهراء، نعم ما قال: خجلاً من نور بهجتها تتوارى الشمس في الافق وحياءً من شمائلها يغطّى الغصن في الورق [۱۱۵] . ۱۳ ـ قال المحقق البارع السيد كاظم القزويني: فاطمة، وما أدراك من فاطمة! شخصية إنسان تحمّل طابع الانوثة لتكون آية على قدرة الله البالغة واقتداره البديع العجيب، فإن الله تعالى خلق محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ليكون آية قدرتة في الأنبياء، ثم خلق منه بضعته وابنته فاطمة الزهراء لتكون علامةً وآيةً على قدرة الله في إيداع مخلوق أنثى تكون كتلة من الفضائل، ومجموعة من المواهب فلقد أعطى الله تعالى فاطمة الزهراء أوفر حظ من العظمة، وأوفى نصيب من الجلالة بحيث لا يمكن لأيّة أنثى لأيّة أنثى أن تبلغ تلك [صفحه ۱۰۶] المنزلة، فهي من فصيلة أولياء الله الذين اعترفت لهم السماء بالعظمة قبل أن يعرفهم أهل الأرض، ونزلت في حقّهم آيات محكمات في الذكر الحكيم تتلى آناء الليل وأطراف النهار منذ نزولها إلى يومنا هذا وإلى أن تقوم القيامة. شخصية كلما ازداد البشر نضجاً وفهماً للحقائق واطّلاعاً على الأسرار ظهرت عظمة تلك الشخصية بصورة أوسع، وتجلت معانيها ومزاياها بصورٍ أوضح. إنّها فاطمة الزهراء الله يثني عليها , ويرضى لرضاها، ويغضب لغضبها، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينوّه بعظمتها وجلالة قدرها، وأمير المؤمنين عليه السلام ينظر إليها بنظر الإكبار والإعظام، وأئمة أهل البيت عليه السلام ينظرون إليها نظر التقديس والإحترام [۱۱۶] .

مقامها يوم القيامة

إن أفضل مقام تعطى فاطمة عليها السلام يوم القيامة هو مقام الشفاعة الكبرى والذي من خلال هذه المنزلة يظره قدر ومقام فاطمة عند الله تعالى يوم القيامة وأمام الخلائق جميعاً، فلقد ورد في تفسير فرات... فإذا صارت عند باب الجنة تلتفت فيقول الله عزوجل: يا بنت حبيبي، ما التفاتك وقد أمرت بك إلى جنتي؟ فتقول: يا رب! أحببت أن يعرف قدري في مثل هذا اليوم، فيقول الله: يا بنت حبيبي ارجعي فانظري من كان في قلبه حب لك أو لأحد من ذريتك خذي بيده فأدخليه الجنة. قال أبو جعفر عليه السلام ـ والله ـ يا جابر إنها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبيها كما يلتقط الطير الحب الجيد من الحب الرديء. فاذا صار شيعتها معها عند باب الجنة يلقى الله في قلوبهم أن يلتفتوا فإذا التفتوا فيقول الله عز وجل: يا أحبائي ما التفاتكم وقد شفعت فيكم فاطمة بنت حبيبي؟ فيقولون: يا رب أحببنا أن يعرف قدرنا في مثل هذا اليوم؛ فيقول الله: يا أحبائي [صفحه ۱۰۷] ارجعوا وانظروا من أحبكم لحب فاطمة، انظروا من أطعمكم لحب فاطمة انظروا من كساكم لحب فاطمة، انظروا من سقاكم شربة في حب فاطمة، انظروا من ردّ عنكم غيبة في حب فاطمة، خذوا بيده وأدخلوه الجنة. قال أبو جعفر عليه السلام: ـ والله ـ لا يبقى في الناس إلا شاك أو كافر أو منافق، فإذا صاروا بين الطبقات، نادوا كما قال الله تعالى: (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم) فيقولون: (فلو أنّ لنا كرة فنكون من المؤمنين). قال أبو جعفر عليه السلام: هيهات هيهات منعوا ما طلبوا (ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون). [صفحه ۱۰۸]

ظلامات فاطمة الزهراء

نبذوا العهد والكتاب وما جاء به في الوصيّ خلف الظهور عدلوا عن أبي الهداة الميامين إلى بيعة الأثيم الكفور قدموا الرجس بالولاية للأمر على أهل آية التطهير لست تدرى لم أحرقوا الباب بالنار أرادوا إطفاء ذاك النور لست تدرى ما صدر فاطم ما المسمار ما حال ضلعها المكسور ما سقوط الجنين ما حمره العين وما بال قرطها المنثور

دخلوا الدار وهى حسرى بمرأى من علىّ ذاك الأبى الغيور واستداروا بغياً على أسد الله فأضحى يقاد قود البعير ينظر الناس ما بهم من معين وينادى وماله من نصير والبتول الزهراء فى إثرهم تعثر فى ذيل بردها المجرور بأنين يوهيم الصفا بشجاه وحنين يذيب صمّ الصخور ودعتهم: خلّوا ابن عمى عليّاً أو لأشكو إلى السميع البصير ما رعوها بل روعوها ومرّوا بعلى ملبّباً كالأسير بعض هذا يريك ممّن تولّى بارز الكفر ليس بالمستور [صفحه ۱۰۹]

تمهيد

جاء الدين الإسلامى الحنيف ليمثل عصارة الأديان السماوية المتعددة وخلال الفترات المتعاقبة حيث قدم النظام الأشمل والأكمل للحياة وعلى كافة المستويات سواء الإجتماعية أو الإقتصادية أو السياسية وهذا ما نراه واضحاً جلياً فى أدنى تأمل للنظرية الإسلامية المتمثلة فى طرفى العقيدة والشريعة، وكان من جملة ما أكدت عليه الرسالة السماوية المتمثلة فى بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو حرمة الظلم ومعاونة الظالمين ذلك ان الله تبارك وتعالى قد حرم على نفسه الظلم وكما ورد فى الحديث القدسى: «يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا». فالإسلام دين المساواة والعدل ولا يرضى بالظلم والبغى، حيث أنزل الله تعالى فى كتابه الكريم الكثير من الآيات القرآنية المباركة التى تدل دلالة قطعية واضحة البراهان على ضرورة العدل بين الرعية وعدم البغاء والظلم فيما بينهم، حيث اعتبرت هذه الضرورة من الواجبات المهمة على كافة الأصعدة والمجالات الحياتية، فنرى من خلال الضرورة من الواجبات المهمة على كافة الأصعدة المجالات الحياتية، فنرى من خلال مراجعة الأحكام الشرعية التى أقرتها الشريعة الإسلامية أن الكثير منها قد لوحظ فيه عدم الظلم للآخرين والتعدى على حقوقهم، كل هذه التأكيد لكى تسير الإنسانية فى الطريق الذى ارتضاء الله تبارك وتعالى لها ولكى تصل إلى شاطىء الأمان والكمال وضمن الأهداف المحددة من خلال الرسالة المحمدية السمحاء. ونجد من خلال استقراء القرآن الكريم أن أكثر الآيات القرآنية الواردة فى المقام قد تكون صريحة فى تحريم الظلم سواء كان ذلك بذكر لفظة الظلم بصورة مباشرة أو عن طريق ذكر نقيضه الذى هو العدل وكما سيتبين من خلال مطالعة الآيات القرآنية التالية: [صفحه ۱۱۰] حيث جاء قوله تعالى (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) [۱۱۷] ليؤكد على حقيقة اختصت لها الشيعة مع بعض الفرقة الدينية الآخرى ألا وهى مسألة العدل حيث أقرت الشيعة بأن من أصول الدين هو العدل وهو أن الله ليس بظالم ولا يظلم أحداً فهو العدل لهذا نجد فى هذه الآية القرآنية أن الله قد حرم على نفسه الظلم فلا يظلم عباده بل هو المفيض عليهم رحمته الربانية ونعمته الالهية. وجاء قوله تعالى (ما للظالمين من نصير) [۱۱۸] ليؤكد على مسألة أخرى بحيث انها من الأهمية قد ذكرها الله تعالى ليذكر بها البشرية بأن الظالمين ليس لهم نصير ولا تنصرهم السماء وبنفس الوقت قد أكد الله فى آية أخرى وطلب من المؤمنين بأن لا ينصروا الظالمين باى شكل من الأشكال (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) [۱۱۹] . وهكذا جاءت الكثير من الآيات القرآنية الكريمة حاملة بين طياتها التأكيد على هذا الأمر المهم والضرورى لتكامل البشرية. وقد يرد وينقدح سؤال مهم فى ذهن كل إنسان واعى وفاهم للأمور الإسلامية أنه إذا كان هذا الحال فى حرمة الظلم وعدم معونة الظالمين فما المفهوم من الظلم وأى ضابطة نرجع اليها فى معرفة الظلم وتعريفه معناه؟ فنقول ان الظلم من الأمور التى يدرك الذهن ويفهمها بأدنى تأمل ذلك أنه من الأمور الفطرية والعقلية هو قبح الظلم وأنه يأباه العقل والناس جميعاً مشتركين فى هذه المسألة أعنى قبح الظلم، ومع ذلك كله نعطى بعض التعاريف للظلم لكى لا- يرد أى استيضاح حوله فى حالة عدم فهم معناه. الظلم لغة: أما لغة فقد جاء فى لسان العرب [۱۲۰] : الظلم وضع الشىء فى غير موضعه. وأصل الظلم الجور ومجاوزة الحد، ويقال ظلمه يظلمه ظلماً ومظلمة، فالظلم [صفحه ۱۱۱] مصدر حقيقى وهو ظالم وظلوم والظلمة هم المانعون أهل الحقوق حقوقهم، والظلامة ما تظلمه وهى المظلمة. وتظالم القوم: ظلم بعضهم بعضاً وفى المفردات للراغب الاصفهانى [۱۲۱] : والظلم عند أهل اللغة وكثيرون أهل العلم: وضع الشىء فى غير موضعه المختص به إما بنقصان أو بزيادة وإما بعدول عن وقته أو مكانه. وقال الفيروز آبادى [۱۲۲] والظلم يقال فى مجاوزة الحق ويقال فى الكثير والقليل. أما عرفاً: فالظلم معناه

بخس النسا أشياءهم وحقوقهم والاعتداء على الغير باى صورة كانت سواء قولاً أو عملاً. وأما شرعاً: الظلم وضع الشيء في غير موضعه الشرعى [۱۲۳] والظلم أصله الجور ومجاوزة الحد ومعناه الشرعى وضع الشيء في غير موضعه الشرعى [۱۲۴] وهكذا يتبين لمن يقصد السؤال في معرفة الظلم ويدقق في مقولات علماء اللغة وغيرهم من أهل الشرع واللغة وأهل المعرفة في هذا المقام، ولنعم ما قال الحكيم أرسطو في هذا المقام حيث أطلق هذه الكلمات ليعبر عن طبيعة الفطرة الإنسانية في هذه المسألة (الظلم من طبع النفوس، وانما يصدها عن ذلك إحدى علتين: إما علة دينية لخوف معاد أو علة سياسية لخوف سيف). فيكون مقال القائل أن النفوس لا تظهر هذا الظلم للعلتين المتقدمتين، ولكن نقول إذا فقدتا هاتين العلتين فماذا سيكون الحال، قطعاً عند ذلك يسقط الواعز النفسي للإنسان فيكون من أعتى الظالمين. إذن بعد هذه المقدمة التي ارتأينا أن نقدمها لكي يتضح الحال والمقام في الظلم وقبحه وحرمته ندخل في هذا الفصل لكي نعيش القصة والحديث التأريخي الذي لا يزال يأكل بنفوس المسلمين وإلى وقتنا الحاضر ألا وهو حدث ظلامات فاطمة الزهراء بضعة النبي الهادي المختار تلك التي لم يترك في المسلمين آنذاك من أهله ومن ذريته إلا هذه الميمونة الطاهرة ذو النسل المبارك ام الحسنين عليهما السلام. [صفحه ۱۱۲] فتعال معي أيها القارى العزيز لنروى لك تلك الظلامات ونغوص في أعماق التاريخ لنجد ما يطالعنا به القوم من الظلامات التي أطبقت عليها الخاصة والعامة على ثبوتها وصدورها ولكن اتباع الأهواء والصدود عن الحق هو الذي جعل الكثير منهم يأخذ هذه الأحداث مأخذاً تاريخياً ليس فيه أى فائدة وليس له أى علاقة لا بأصول الدين ولا بالعقيدة وانما هو مجرد حدث لا يضر من عرفه ولا ينفع من جهله، وأنى لهم بالمعرفة الحقة والنور المستبين ذلك أن (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) فهلم بنا لكي نقف مع هذه الدراسة التي أفاضها لنا التاريخ ونحققها بعمق وتركيزعلى كل جوانبها وحسب ما تسعنا قابليتنا المحدودة في معرفة كوامن الأسرار ونزيح ما استتار في ظلم التاريخ عن هذه الظلامات عن غبار جعل الكثير من أبصار وبصائر الذين يدعون الصلة بالرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم من جهة الإسلام انهم يحبون ويوالون الرسول في كل شيء ولكن...؟!! ولنقف بدقة متناهية مع هذه الظلامات ونعرض جميع الأسئله الواردة في المقام ونعرضها على كتاب الله الغريز باعتباره المصدر الأول لكل سؤال ولكل استفهام من أى من كان، ونعرضها على سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهو الذي (لا ينطق عن الهوى... إلا وحى يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى). ونستنطق بهذه الأسئلة العقل ليكون القارىء العزيز على ثقة بما يتطلع إليه ويصل إلى مقام الإطمئنان الذي تصبو إليه النفس الإنسانية. وقبل كل شيء ينقدح سؤال مهم ألا وهو هل أخبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بما سيجرى على أهل بيته من بعده أم لم يخبر؟ والجواب نجده واضحاً من خلال مطالعة كتب التأريخ والحديث حيث ورد عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث طويل أنه قال في قضية الإسراء والمعراج لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قبل الله تعالى «إن الله مختبرك ـ أى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ـ في ثلاث ينظر كيف جدك؛ قال: أسلم لأمرك يا رب ولا ـ قوة لي على الصبر إلا بك، فما هن؟ إلى أن يقول الإمام الثالثة... وأما الثالثة: فما يلقى أهل بيتك من بعدك من القتل: أما أخوك على فيلقى من امتك [صفحه ۱۱۳] الشتم والتضعيف والتوبيخ والحرمات والجهد والظلم وآخر ذلك القتل. فقال: يا رب، سلمت وقبلت، ومنك التوفيق والصبر. وأما ابنتك فتظلم، وتحرم، ويؤخذ حقها غصباً الى تجعله لها، وتضرب وهي حاملة، ويدخل على حريمها ومنزلها بغير إذن، ثم يمسها هوان وذل ثم لا تجد مانعاً وتطرح ما بطنها من الضرب وتموت من ذلك الضرب، قلت إنا لله وإنّا إليه راجعون قبلت يا رب وسمك ومنك التوفيق والصبر [۱۲۵] . إذن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يعلم ما سيجرى على بضعته الطاهرة وما يكون مآل الأمور من بعده، ويعلم من الذى سوف يكون الظالم لها ولبعلها ولذلك نجده في أكثر من مرة يوصي الزهراء وأمير المؤمنين بالصبر بما سيجرى عليهم من بعده، ولقد جاء في المأثور الروائي أنه طالما أخبرهم بذلك وخصوصاً عند قرب وفاته حيث أخبر الصديقة الشهيدة عليها السلام بأنها ستظلم من بعده وانها أول الناس لحوقاً به من أهل بيته بعد أربعين يوماً من وفاته وقيل بإثنين وسبعين يوماً، وهكذا تظافرت الروايات الكثيرة في إثبات هذه المأساة للزهراء من بعد أبيها، أما من الذي يظلمها حقها؟ فهذا ما ترويه قصة سقيفة بني ساعدة وإليك ما جرى في تلك الواقعة الأليمة لأهل بيت النبوة والتي كانت مفتاح الظلم الذي سنه

الخلیفـة الأول والثانی علی أهل البیت علیهم السـلام. عن عبـدالله بن عبد الرحمان قال: ثم إن عمر احتزم بإزاره وجعل یطوف بالمدینة وینـادی: ألاـ إن أبا بکر قـد بویع له فهلموا إلی البیعـة، فینثال الناس یبایعون، فعرف أن جماعـة فی بیوت مسترون، فکان یقصـدهم فی جمع کثیر ویکبسـهم ویحضـرهم المسجد فیبایعون، حتی إذا مضت أیام أقبل فی جمع کثیر إلی منزل علی علیه السلام فطالبه بالخروج فـأبی، فـدعا عمر بحطب ونـار وقال: والـذی نفس عمر بیـده لیخرجنّ، أو لأحرقنّه علی ما فیه. فقیل له: إنّ فاطمـة بنت رسول الله،وولد رسول الله، وآثار رسول الله صـلی الله علیه وآله وسلم فیه؛ وانکر الناس ذلک من قوله، فلما عرف إنکارهم قال: ما بالکم أترونی فعلت ذلک؟! [صفحه ۱۱۴] إنما أردت التهویل؛ قال: وخرجت فاطمة بنت رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم إلیهم فوقفت خلف الباب ثم قالت: «لا عهـد لی بقوم أسوأ محضـراً منکم، ترکتم رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم جنازةً بین أیـدینا وقطعتم أمرکم فیما بینکم، ولم تؤمّرونا، ولم تروا لنا حقّاً، کأنّکم لم تعلموا ما قال یوم غـدیر خم؛ والله، لقـد عقـد له یومئـذ الولاء لیقطع منکم بذلک منها الرجاء ولکنکم قطعتم الأسـباب بینکم وبین نبیّکم، والله حسـیب بیننا وبینکم فی الدنیا والآخرة [۱۲۶] . عن سـلمان الفارسی رضی الله عنه أنه قال: وکان علی بن أبی طالب علیه السـلام لما رأی خـذلان الناس له، وترکهم نصـرته، واجتماع کلمة الناس منع أبی بکر، طاعتهم له، وتعظیمهم له، جلس فی بیته؛ فقـال عمر لأـبی بکر: مـا یمنعـک أن تبعث إلیه فیبـایع، فـإنّه لم یبق أحـد إلا وقـد بایع، غیره وغیر هؤلاء الأربعة معه؛ وکان أبو بکر أرقّ الرجلین، وارفقهما، وادهاهما، وأبعدهما غوراً؛ والآخر أفظّهما وأغلظهما، وأخشـنهما، وأجفاهما، فقال: من نرسل إلیه؟ فقال عمر: أرسل إلیه قنفـذاً ـ وکان رجلًا فظّاً غلیظا جافیاً من الطلقاء، أحد بنی تیم ـ فأرسـله وأرسل معه أعواناً، فانطلق فاسـتأذن، فأبی علیّ علیه السـلام أن یأذن له. فرجع أصحاب قنفذ إلی بی بکر وعمر، وهما فی المسجد والناس حولهما فقالوا: لم یأذن لنـا، فقال عمر: هو إن أذن لکم وإلا فادخلوا علیه بغیر إذنه. فانظلقوا، فاسـتأذنوا، فقالت فاطمـة علیها السـلام: أخرّج علیکم أن تـدخلوا بیتی بغیر إذنٍ؛ فرجعوا، فثبت قنفذ، فقالوا: إنّ فاطمة قالت: کذا وکذا، فحرجتنا أن ندخل علیه البیت بغیر إذن منها، فغضب عمر، وقال: ما لنا وللنساء؛ ثم أمر أناساً حوله، فحملوا حطباً وحمل معهم فجعلوه حول منزله، وفیه علی وفاطمة وابناهما علیهم السلام، ثم نادی عمر حتی اسـمع علیاً: والله لتخرجنّ ولتبایعنّ خلیفـة رسول الله، أو لأضـر منّ علیک بیتک ناراً، ثم رجع فقعـد إلی أبی بکر، وهو یخاف أن یخرج علی بسیفه، لما قد عرف من بأسه وشدّته. [صفحه ۱۱۵] ثم قال لقنفذ: إن خرج وإلاّ فاقتحم علیه، فإن امتنع فاضرم علیهم بیتهم ناراً: فانطلق قنفذ، فاقتحم هو وأصـحابه بغیر إذن، وبادر علی إلی سـفیه لیأخذه، فسبقوه إلیه فتناول بعض سیوفهم فکثّروا علیه فضبطوه، وألقوا فی عنقه حبلًا أسود؛ وحالت فاطمـة علیها السـلام بین زوجها وبینهم عنـد باب البیت، فضـربها قنفذ بالسوط علی عضدها، فبقی أثره فی عضدها من ذلک مثل الدملج من ضـرب قنفذ إیّاها؛ فأرسل أبو بکر إلی قنفذ: اضـربها؛ فالجأها إلی عضادة باب بیتها، فدفعها فکسر ضلعاً من جنبها، وألقت جنیناً من بطنها، فلم تزل صاحبة فراش حتی ماتت من ذلک شهیدة صلوات الله علیها [۱۲۷] . وفی کتاب سلیم بن قیس، فی حـدیث طویل، قال: فلما کان اللیل حمل علی فاطمـة علیهما السـلام علی حمار وأخذ بیدی إبنیه الحسن والحسـین علیهما السـلام فلم یدع أحدا من أصحاب رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم إلا أتاه فی منزله، فناشدهم الله حقه ودعاهم إلی نصرته، فما اسـتجاب منهم رجل غبرنا الأربعـة، فإنّا حلقنا رؤوسـنا، وبذلنا له نصـرتنا، وکان الزبیر أشدّنا بصیرة فی نصـرته؛ فلما رأی علی علیه السـلام خذلان الناس إیّاه وترکهم نصـرته، واجتماع کلمتهم مع أبی بکر، وطاعتهم له، وتعظیمهم إیاه لزم بیته، فقال عمر لأبی بکر: ما یمنعک أن تبعث إلیه فیبایع، فإنه لم یبق أحـد إلا وقـد بایع، غیره وغیر هؤلاء الاربعـة، وکان أبو بکر أرقّ الرجلین وأرفقهما وآدهاهما وأبعدهما غوراً، والآخر أفظّهما وأغلظهما وأجفاهما؛ فقال [له] أبوبکر: من نرسل إلیه؟ فقال عمر: نرسل إلیه قنفذاً، وهو رجل فظّ غلیظ جافّ من الطلقاء، أحد بنی عدیّ بن کعب، فأرسـله إلیه، وأرسل معه أعواناً، فانطلق فاستأذن علی علی علیه السلام، فأبی أن یأذن لهم. فرجع أصـحاب قنفـذ إلی أبی بکر وعمر، وهمـا جالسـان فی المسـجد والنـاس حولهما، فقالوا: لم یؤذن لنا؛ فقال عمر: اذهبوا فإن أذن لکم، وإلاّـ فادخلوا [علیه] بغیر إذن!! فانطلقوا فاسـتأذنوا؛ فقالت فاطمـة علیها السـلام: أحرّج علیکم أن تـدخلوا علی بیتی بغیر [صـفحه ۱۱۶] إذن، فرجعوا، وثبت قنفذ الملعون، فقالوا: إنّ فاطمة قالت: کذا وکذا، فتحرّجنا أن ندخل بیتها بغیر إذن، فغضب عمر، وقال: ما لنا

وللنساء!! ثم أمر اناساً حوله أن يحملوا الحطب؛ فحملوا الحطب، وحمل معهم عمر فجعلوه حول منزل على وفاطمة وابناها عليهم السلام ثم نادى عمر ـ حتى اسمع علياً وفاطمة عليهما السلام: ـ والله ـ لتخرجنّ يا على ولتبايعنّ خليفة رسول الله، وإلا أضرمت عليك [بيتك] النار. فقالت فاطمة عليها السلام: يا عمر، ما لنا ولك؟ فقال: افتحى الباب، وإلاّ أحرقنا عليكم بيتكم؛ فقالت: يا عمر،أما تتقى الله تدخل على بيتى؟ فأبى أن ينصرف، ودعا عمر بالنار فأضرمها فى الباب، ثم دفعه فدخل، فاستقبلته فاطمة عليها السلام وصاحت: يا أبتاه، يا رسول الله فرفع عمر السيف ـ وهو فى عمده ـ فوجأ به جنبها، فصرخت يا أبتاه! فرفع السوط فضرب به ذراعها... [۱۲۸] . وروى عن زيد بن أسلم أنه قال: كنت ممّن حمل الحطب مع عمر إلى باب فاطمة حين امتنع على وأصحابه عن البيعة، فقال عمر لفاطمة: أخرجى من فى البيت وإلا أحرقته ومن فيه، قال: وفى البيت على وفاطمة والحسن والحسين وجماعة من أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم. فقالت فاطمة: أتحرق علياً وولدى؟ قال: إى ـ والله ـ أو ليخرجنّ وليبايعنّ [۱۲۹] . وروى عن عمرو بن أبى المقدام، عن أبيه، عن جدّه: ما أتى علىّ يوم قطّ أعظم من يومين أتيا علىّ: فأمّا اليوم الأول: فيوم قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: وأمّا اليوم الثانى: فوالله إنّى لجالس فى سقيفة بنى ساعدة عن يمين أبى بكر والناس يبايعونه، إذ قال له عمر: يا هذا، ليس فى يديك شىء مهما لم يبايعك علىّ؛ فابعث إليه حتى يأتيك يبايعك، فإنّما هؤلاء رعاع. فبعث إليه قنفذ، فقال له: اذهب فقل لعلىّ: أجب خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فذهب قنفذ فما لبث أن رجع، فقال لأبى بكر: قال لك: ما خلّف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحداً [صفحه ۱۱۷] غيرى. قال: ارجع إليه فقل: أجب فإنّ الناس قد أجمعوا على بيعتهم إيّاه، وهؤلاء المهاجرين والأنصار يبايعونه وقريش، وإنما أنت رجل من المسلمين، لك ما لهم، وعليك ما عليهم؛ فذهب إليه قنفذ فما لبث أن رجع، فقال: قال لك: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لى وأوصانى أن ـ إذا واريته فى حفرته ـ لا ـ أخرج من بيتى حتى اؤلّف كتاب الله، فإنّه فى جرائد النخل، وفى أكتاف الإبل، قال عمر: قوموا بنا إليه. فقام أبو بكر، وعمر، وعثمان، وخالد بن الوليد، والمغيرة بن شعبة، وأبو عبيدة بن الجرّاح، وسالم مولى أبى حذيفة، وقنفذ، وقمت معهم. فلمّا انتهينا إلى الباب فرأتهم فاطمة (صلوات الله عليها) أغلقت الباب فى وجوههم، وهى لا ـ تشكّ أن لا يدخل عليها إلا باذنها، فضرب عمر الباب برجله فكسره ـ وكان من سعف ـ ثم دخلوا فأخرجوا عليّاً عليه السلام ملبّباً. فخرجت فاطمة عليها السلام فقالت: يا أبابكر، أتريد أن ترمّلنى من زوجى ـ والله ـ لئن لم تكفّ عنه لأنشرنّ شعرى ولأشقّنّ جيبى، ولآتينّ قبر أبى، ولأصيحنّ إلى ربّى؛ فأخذت بيد الحسن والحسين عليهما السلام فإنّى أرى جنبتى المدينة تكفيان؛ والله إن نشرت شعرها، وشقّت جيبها، وأتت قبر أبيها، وصاحت إلى ربّها لا يناظر بالمدينة أن يخسف بها [وبمن فيها]، فأدركها سلمان رضى الله عنه، فقال: يا بنت محمد، إنّ الله إنّما بعث أباك رحمة، فارجعى. فقالت: يا سلمان، يريدون قتل علىّ، ما على علىّ صبر، فدعنى حتى آتى قبر أبى فأنشر شعرى، وأشقّ جيبى، وأصيح إلى ربّى، فقال سلمان: إنّى أخاف أن تخسف بالمدينة، وعلىّ عليه السلام بعثنى إليك، ويأمرك أن ترجعى إلى بيتك، وتنصرفى. فقالت: إذاً أرجع، وأصبر، وأسمع وأطيع. قال: فأخرجوه من منزله ملّبا، ومرّوا به على قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: فسمعته يقول: يـ (ابن أمّ إنّ القوم استضعفونى) [۱۳۰] إلى آخر الآية. وجلس أبو بكر فى سقيفة بنى ساعدة، وقدم علىّ، فقال له عمر: بايع. فقال له علىّ عليه السلام: فإن أنا لم أفعل، فمه؟ فقال له عمر: إذاً أضرب والله عنقك. فقال له علىّ عليه السلام: إذاً ـ والله ـ أكون عبدالله المقتول، وأخا رسول الله؛ فقال عمر: أمّا عبدالله المقتول فنعم، وأمّا أخو رسول الله فلا ـ حتّى قالها ثلاثاً ـ فبلغ ذلك العباس بن عبد المطّلب فأقبل مسرعاً يهرول، فسمعته يقول: ارفقوا بابن أخى، ولكم علىّ ان يبايعكم، فأقبل العبّاس وأخذ بيد علىّ، فمسحها على يد أبى بكر، ثم خلّوه مغضباً، فسمعته يقول ـ ورفع رأسه إلى السماء ـ: اللهمّ إنّك تعلم أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قد قال لى: إن تمّوا عشرين فجاهدهم، وهو قولك فى كتابك (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مأتين) [۱۳۱] . قال: وسمعته يقول: اللهمّ وإنّهم لم يتمّوا عشرين ـ حتّى قالها ثلاثاً ـ ثم انصرف [۱۳۲] . ولقد ورد عن عبد الرحمان بن عوف عن أبيه، قال: دخلت على أبى بكر أعوده ـ فى احتضاره ـ فاستوى جالساً... فقال إنّى لا آسى على شىء إلا على ثلاث وددت أنّى لم أفعلهنّ: وددت أنّى لم أكشف بيت فاطمة وتركته، وأن اغلق على الحرب، ووددت أنّى يوم السقيفة كنت

قذفت الأمر فی عنق أبی عبیدة أو عمر، فكان أمیراً وكنت وزیراً... [۱۳۳] . ویؤید هذا المعنی ما روی فی حدیث احتضار أبی بكر عن كتاب سلیم بن قیس الهلالی.. حیث یقول: فلقیت محمد بن أبی بكر فقلت: هل شهد موت أبیك غیر أخیك عبدالرحمان وعائشة وعمر؟ [قال: لا. قلت:] وهل سمعوا منه ما سمعت؟! قال: سمعوا منه طرفاً فبكوا، وقالوا: یهجر! فأمّا كلمّا سمعت أنا فلا. [صفحه ۱۱۹] قلت: والذی سمعوا منه ما هو؟ قال: دعا بالویل والثبور؟! فقال له عمر: یا خلیفة رسول الله، مالك تدعو بالویل والثبور؟ قال: هذا محمد وعلی یبشّرانی بالنار، بیده الصحیفة التی تعاهدنا علیها فی الكعبة، وهو یقول «[لعمری] لقد وفیت بها فظاهرت علی ولیّ الله أنت وأصحابك، فأبشر بالنار فی أسفل السافلین». فلمّا سمعها عمر خرج وهو یقول: إنّه لیهجر! قال: لا ـ والله ـ لا أهجر [أین تذهب] قال عمر: أنت ثانی اثنین إذ هما فی الغار! قال: الآن أیضاً؟! أولم احدثك أنّ محمّداً ـ ولم یقل رسول الله ـ قال لی وأنا معه فی الغار: إنّی أری سفینة جعفر وأصحابه تعوم فی البحر»، قلت: فأرنیها، فمسح وجهی، فنظرت إلیها، فاستیقنت عند ذلك أنّه ساحر! [فذكرت لك ذلك بالمدینة فاجتمع رأیی ورأیك علی أنّه ساحرا!]. فقال عمر: یا هؤلاء إنّ أباكم یهجر! واكتموا ما تسمعون منه، لا یشمت بكم أهل هذا البلد ثم خرج وخرج أخی [وخرجت عائشة] لیتوضأ وللصلاة، فأسمعنی من قوله ما لم یسمعوا. فقلت له ـ لمّا خلوت به ـ: یا أبه، قل: لا إله إلّا الله، قال: لا أقولها أبداً، ولا أقدر علیها حتّی [أرد النار] فأدخل التابوت. فلمّا ذكر التابوت ظننت أنه یهجر. فقلت له: أیّ تابوت؟! فقال: تابوت من نار، مقفّل من نار، فیه اثنا عشر رجلًا: أنا وصاحبی هذا، قلت: عمر؟! قال نعم [فمن أعنی]، وعشرة، فی جبّ فی جهنّم علیه صخرة، إذا أراد الله أن یسعّر جهنّم رفع الصخرة، قلت: تهذی؟! قال: لا والله، ما أهذی، لعن الله ابن صهّاك، هو الذی صدّنی عن الذكر بعد إذ جاءنی فبئس القرین، لعنه الله، ألصق خدّی بالأرض، فألصقت خدّه بالأرض فما زال یدعو بالویل والثبور حتّی غمّضته... [۱۳۴] . أما حدیث إسقاط الجنین ـ محسن علیه السلام ـ فهناك عدة كتب تروی لنا هذه القصة إضافة إلی كسر الضلع وإضرام النار فلقد روی عن محمد بن عمار بن یاسر قال: [صفحه ۱۲۰] سمعت أبی یقول ـ فی حدیث ـ: قال: وحملت بالحسن علیه السلام فلمّا رزقته، حملت بعد أربعین یوماً بالحسین علیه السلام، ثم رزقت زینب، وام كلثوم، وحملت بمحسن. فلما قبض رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وجری ما جری فی یوم دخول القوم علیها دارها، وإخراج ابن عمّها أمیر المؤمنین علیه السلام وما لحقها من الرجل: أسقطت بن ولداً تماماً، وكان ذلك أصل مرضها ووفاتها (صلوات الله علیها) [۱۳۵] . وقال المجلسی فی البحار... عن المفضل بن عمر عن الصادق علیه السلام فی حدیث طویل: وجمعهم الجزل والحطب علی الباب لإحراق بیت أمیر المؤمنین وفاطمة والحسن والحسین وزینب وأمّ كلثوم وفضّة، وإضرامهم النار علی الباب، وخروج فاطمة علیها السلام إلیهم، وخطابها لهم من وراء الباب وقولها: ویحك یا عمر، ما هذه الجرأة علی الله وعلی رسوله؟ ترید أن نقطع نسله من الدنیا وتفنیه وتطفیء نور الله؟ والله متمّ نوره، وانتهاره لها، وقوله: كفّی یا فاطمة، فلیس محمد حاضراً، ولا الملائكة آتیة بالأمر والنهی والزجر من عند الله، وما علیّ إلا ـ كأحدٍ من المسلمین، فاختاری إن شئت خروجه لبیعة أبی بكر، أو إحراقكم جمیعاً. فقالت وهی باكیة: اللهمّ إلیك نشكو فقد نبیّك ورسولك وصفیّك، وارتداد امّته علینا، ومنعهم إیّانا حقّنا الذی جعلته لنا فی كتابك المنزل علی نبیك المرسل: فقال لها عمر: دعی عنك یا فاطمة، حمقات النساء، فلم یكن الله لیجمع لكم النبوّة والخلافة وأخذت النار فی خشب الباب، وإدخال قنفذ یده (لعنه الله) یروم فتح الباب؛ وضرب عمر لها بالسوط علی عضدها حتی صار كالدملج الأسود؛ وركل الباب برجله، حتی أصاب بطنها وهی حاملة بالمحسن لستّة أشهر، وإسقاطها إیّاه، وهجوم عمر وقنفذ وخالد بن الولید؛ وصفقه خدّها حتی بدا قرطاها تحت خمارها، وهی تجهر بالبكاء، وتقول: واأبتاه، وارسول الله ابنتك فاطمة تكذّب، وتضرب، ویقتل جنین فی بطنها. [صفحه ۱۲۱] وخروج أمیر المؤمنین علیه السلام من داخل الدار محمرّ العین حاسراً، حتی ألقی ملاءته علیها وضمّها إلی صدره وقوله لها: یا بنت رسول الله، قد علمت أنّ أباك بعثه الله رحمة للعالمین، فالله الله أن تكشفی خمارك، وترفعی ناصیتك، فوالله یا فاطمة، لئن فعلت ذلك لا أبقی الله علی الأرض من یشهد أنّ محمداً رسول الله، ولا موسی ولا عیسی ولا إبراهیم ولا نوح ولا آدم، [ولا] دابّة تمشی علی الأرض، ولا طائراً فی السماء إلا أهلكه الله. ثم قال: یابن الخطّاب، لك الویل من یومك هذا وما بعده وما یلیه، اخرج قبل أن اشهر سیفی فافنی غابر الامّة،

فخرج عمر وخالد بن الوليد وقنفذ وعبد الرحمان بن بى بكر، فصاروا من خارج الدار. وصاح أمير المؤمنين بفضّة يا فضّة، مولاتک فاقبلى منها ما تقبله النساء، فقد جاءها المخاض من الرفسة، وردّ الباب، فأسقطت محسناً. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: فإنّه لا حق بجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيشكو إليه الحديث [۱۳۶] . وفى علم اليقين فى اصول الدين: ثم إنّ عمر جمع جماعة من الطلقاء والمنافقين وأتى بهم إلى منزل أمير المؤمنين عليه السلام فوافوا بابه مغلقاً فصاحوا به: اخرج يا علىّ، فإنّ خليفة رسول الله يدعوک، فلم يفتح لهم الباب؛ فأتوا بحطب فوضعوه على الباب، وجاؤوا بالنار ليضرموه، فصاح عمر، وقال: والله، لئن لم تفتحوا لنضرمنّه بالنار، فلمّا عرفت فاطمة عليها السلام أنّهم يحرقون منزلها قامت وفتحت الباب، فدفعها القوم قبل أن تتوارى عنهم، فاختبت فاطمة عليها السلام وراء الباب والحائط. ثم إنّهم تواثبوا على أمير المؤمنين عليه السلام وهو جالس على فراشه، واجتمعوا عليه حتى أخرجوه سحباً من داره، ملبّباً بثوبه يجرّونه إلى المسجد. فحالت فاطمة عليها السلام بينهم وبين بعلها، وقالت: والله، لا أدعكم تجرّون ابن عمّى ظلماً، ويلكم ما أسرع ما ختنم الله ورسوله فينا [صفحه ۱۲۲] أهل البيت، وقد أوصاكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باتّباعنا ومودّتنا والتمسّک بنا! وقال الله تعالى: (قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودّة فى القربى). قال: فتركه أكثر القوم لأجلها، فأمر عمر قنفذ بن عمّ أن يضربها بسوطه. فضربها قنفذ بالسوط على ظهرها وجنبيها إلى أن أنهكها وأثّر فى جسمها الشريف وكان ذلک الضرب أقوى ضرراً فى إسقاط جنينها، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سمّاه محسناً، وجعلوا يقودون أمير المؤمنين عليه السلام إلى المسجد حتى أوقفوه بين يدى أبى بكر، فلحقته فاطمة عليها السلام إلى المسجد لتخلّصه، فلم تتمكّن من ذلک؛ فعدلت إلى قبر أبيها فأشارت إليه بحزنة ونجيب، وهى تقول: نفسى على زفراتها محبوسة يا ليتها خرجت من الزفرات لا خير بعدک فى الحياة وإنّما أبكى مخافة أن تطول حياتى ثم قالت: وااسفاه عليک يا أبتاه، وأثكل حبيبک أبو الحسن المؤتمن، وأبو سبطيک الحسن والحسين، ومن ربّيته صغيراً، وآخيته كبيراً، أجلّ أحبّائک لديک وأحبّ أصحابک عليک، أوّلهم سبقاص إلى الإسلام، ومهاجرة إليک يا خير الأنام؛ فها هو يساق فى الأسر كما يقاد البعير. ثم إنّها أنّت أنّةً وقالت: وامحمّداه، واحبيباه، واأباه، واأبا القاسماه، واأحمداه، واقلّة ناصراه، واغوثاه، واطول كربتاه، واحزناه، وامصيبتاه، واسوء صباحاه؛ وخرّت مغشيّة عليها، فضجّ الناس بالبكاء والنجيب، وصار المسجد مأتماً. ثم إنّهم أوقفوا أمير المؤمنين عليه السلام بين يدى أبى بكر، وقالوا له: مدّ يدک فبايع، فقال: ـ والله ـ لا ابايع، والبيعة لى فى رقابكم. فروى عن عدىّ بن حاتم أنّه قال: ـ والله ـ ما رحمت أحداً قطّ رحمتى علىّ بن أبى طالب عليه السلام حين اتى به ملبّباً بثوبه، يقودونه إلى أبى بكر، وقالوا: بايع. قال: فإن لم أفعل؟ قالوا: نصرب الذى فيه عيناک. قال: فرفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إنّى اشهدک أنّهم أتوا أن يقتلونى، فإنّى عبدالله وأخو رسول الله، فقالوا له: مدّ يدک فبايع، فأبى عليهم فمدّوا يده كرهاً فقبض علىّ عليه السلام أنامله، فراموا بأجمعهم فتحها فلم يدورا، فمسح عليها أبو بكر، وهى [صفحه ۱۲۳] مضمومة، وهو عليه السلام يقول وينظر إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (يابن أمّ إنّ القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى). قال الراوى: إنّ علياً عليه السلام خاطب أبا بكر بهذين البيتين: فإن كنت بالشورى ملكت امورهم فكيف بهذا والمشيرون غيّب وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرک أولى بالنبىّ وأقرب وكان عليه السلام كثيراً ما يقول: واعجباه تكون الخلافة بالصحابة، ولا تكون بالقرابة والصحابة؟! [۱۳۷] . وفى الملل والنحل: إنّ عمر ضرب بطن فاطمة عليها السلام يوم البيعة حتى ألقت الجنين من بطنها وكان يصيح: أحرقوا دارها بمن فيها. وما كان فى الدار غير علىّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام [۱۳۸] . وعن الوافى بالوفيات: قال صلاح الدين الصفدى الشافعى المتوفّى ۷۶۴ فى ترجمة «النظام» فى ذكر أقواله: وقال: إنّ عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة، حتى ألقت المحسن من بطنها [۱۳۹] . وعن لسان الميزان: إنّ عمر رفس فاطمة عليها السلام حتى أسقطت بمحسن [۱۴۰] . وعن العقد الفريد: الذين تخلّفوا عن بيعة أبى بكر، علىّ عليه السلام والعباس والزبير وسعد ابن عبادة، فأمّا علىّ عليه السلام والعبّاس والزبير فقعدوا فى بيت فاطمة عليها السلام حتى بعث إليهم أبوبكر عمر بن الخطاب ليخرجوا من بيت فاطمة، وقال له: إن أبوا فقاتلهم، فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار؛ فلقيته فاطمة فقالت: يابن الخطّاب، أجئت لتحرق دارنا؟! قال: نعم... [۱۴۱] . وعن معارف القتيبى: إنّ محسناً فسد من زخم قنفذ

العدوی [۱۴۲] . [صفحه ۱۲۴] وعن إثبات الوصیة:... فأقام أمیر المؤمنین علیه السلام ومن معه من شیعته فی منزله بما عهد إلیه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، فوجّهوا إلی منزله، فهجموا علیه، وأحرقوا بابه واستخرجوه منه کرهاً، وضغطوا سیّدة النساء بالباب حتی أسقطت محسناً، وأخذوه بالبیعة فامتنع وقال: لا أفعل، فقالوا: نقتلک، فقال: إن تقتلونی فإنّی عبدالله وأخو رسوله... [۱۴۳] . وعن بیت الأحزان: قال المحدّث القمّی (ره): وکان سبب وفاتها أنّ قنفذاً مولی عمر نکزها بنعل السیف [۱۴۴] . وعن ملتقی البحرین: أخذت فاطمة علیها السلام باب الدار ولزمتها عن ورائها، فمنعتهم عن الدخول، ضرب عمر برجله علی الباب؛ فقلعت فوقعت علی بطنها (سلام الله علیها)، فسقط جنینها المحسن [۱۴۵] . وروی فی علة وفاة الصدیقة الطاهرة علیها السلام: ان عمر بن الخطاب هجم مع ثلاثمائة رجلٍ علی بیتها سلام الله علیها [۱۴۶] . أقول: إنّ هذا الهجوم الشرس الذی قاده عمر وعصابته الأوباش والطلقاء والمنافقین علی بیت الوحی والرسالة وهم الذین قال الله تعالی فی حقهم: (فی بیوت أذن الله أن ترفع ویذکر فیها اسمه): وقال عز ذکره: (إنّما یرید الله لیذهب عنکم الرجس أهل البیت ویطهّرکم تطهیراً): وکان النبی الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم لا یدخله حتی یستأذن من أهله، ولکن الأوغاد دخلوه عنوة وبغیر استئذان وکان عددهم «۳۰۰» نفراً کما فی الروایة، وکان فی مقدّمتهم عمر ومعه الفتیلة، أبو بکر، عثمان، خالد بن الولید، المغیرة بن شعبة، أبو عبیدة بن الجرّاح، سالم مولی أبی حذیفة، قنفذ أن عمّ عمر ـ وکان رجل فظاً، غلیظا، جافیاً من الطلقاء [صفحه ۱۲۵] ـ اسید بن خضیر، وسلمة بن سلامة بن وقش وکانا من بنی عبدالله الأشل، ورجل من الأنصار، زیاد بن لبید، وزید بن اسلم، وکان ممّن حمل الحطب مع عمر. وکانت بدایة هذا الهجوم کما جمعته من الروایات: ادخال قنفذ لعنه الله یده یروم فتح الباب ثمّ دعا عمر بالنار فأضرمها فی الباب، ثمّ دفعها برجله فکسرها ودخل. أرسل أبو بکر إلی قنفذ: أن اضربها فألجأها إلی عضادة باب بیتها، فدفعها فکسر ضلعاً من أضلاعها ونبت مسمار الباب فی صدرها، ثمّ لطم عمر خدّها حتّی احمرّت عینها، کما صرّح بهذا نفسه «صفقت خدّها حتی بدا قرطاها تحت خمارها». فی روایة اخری: «قال عمر: فصفقت صفقة علی خدّها من ظاهر الخمار، فانقطع قرطها وتناثر إلی الأرض». ثمّ عمر رفس فاطمة علیها السلام، ثمّ رفع السیف وهو فی غمده فوجأ به جنبها، ورفع السوط فضرب بها ذراعها، ثمّ ضربها بالسوط عل یعضدها حتی صار کالدملج الأسود، ثمّ أخذ من خالد بن الولید سیفاً فجعل یضرب علی کتفها، ثمّ ضرب المغیرة بن شعبة فاطمة علیها السلام حتّی أدماها، ثمّ سلّ خالد بن الولید السیف لیضرب فاطمة علیها السلام، ثمّ لکزها قنفذ بنعل السیف بأمر عمر، ثمّ ضرب قنفذ فاطمة بالسوط علی ظهرها وجنبیها إلی أن أنهکها وأثّر فی جسمها الشریف، ثمّ ضرب عمر بطن فاطمة علیها السلام حتّی ألقت الجنین من بطنها وکان یصیح: أحرقوا دارها بمن فیها. وهذا المشهد الدامی الذی تتفطّر منه السماوات والأرض، وساعد الله قلب صاحب الأمر عجّل الله تعالی فرجه الشریف بما جری لأُمّه فاطمة علیها السلام یذکرنا أیضاً بما جری علی ولدها الإمام الشهید الحسین علیه السلام حین داست خیول بنی امیّة لعنهم الله علی جسده وصدره الشریف یوم عاشوراء. وأخیراً کما قالت الزهراء علیها السلام الشهیدة المظلومة المضطهدة فی ذلک الیوم: «أخذ عمر السوط من ید قنفذ مولی أبی بکر فضرب به عضدی، فالتوی السوط علی عضدی حتی صار کالدملج، ورکل الباب برجله فردّه علیّ وأنا حامل، فسقطت لوجهی والنار تسعر وتسفع وجهی، فضربنی بیده حتی انتثر قرطی من اذنی وجاءنی المخاض فأسقطت محسناً قتیلاً ـ بغیر جرم». [صفحه ۱۲۶] هذا ما استطعنا أن نثبته من خلال الکتب التی روت لنا قصة السقیفة وظلم الزهراء علیها السلام، أمام ظلمها فی فدک فسوف یأتینا فی بحثنا حول فدک وندعوا الله تعالی ونتوسل إلیه عن المظلومة أن یوفقنا لخدمتها ونیل شفاعتها والسیر علی هداها، واللعنة الدائمة علی ظالمیها وقاتلیها. أمّا مصادر ما جری علی الصدیقة فاطمة علیها السلام من الظلامات، فهی: ۱ ـ تاریخ الیعقوبی: ۲: ۱۱۶. ۳ ـ الإمامة والسیاسة: ۱: ۱۹، ۲۰. ۵ ـ الملل والنحل للشهرستانی: ۱: ۵۷. ۷ ـ الوافی بالوفیّات: ۵: ۳۴۷. ۹ ـ تاریخ أبو الفداء: ۱: ۱۶۴. ۱۱ ـ أعلام النساء: ۴: ۱۱۴. ۱۳ ـ قرّة العین للدهلوی: ۷۸. ۱۵ ـ ابن خیزران فی غرره: ۲۷۱. ۲ ـ العقد الفرید: ۴: ۲۵۹، ۵: ۱۳. ۴ ـ لسان المیزان: ۱: ۲۶۸، ۴: ۱۸۹. ۶ ـ انساب الأشراف: ۱: ۵۸۶. ۸ ـ الکنی والألقاب: ۳: ۲۱۹. ۱۰ ـ تاریخ الطبری: ۳: ۲۰۲. ۱۲ ـ إثبات الوصیّة: ۱۲۳. ۱۴ ـ السیرة الحلبیّة: ۳: ۳۶۲. ۱۶ ـ تلخیص الشافی: ۳: ۷۶. ۱۷ ـ صحیح البخاری: ۴: ۹۶، ۵: ۱۷۷. ۱۸ ـ شرح نهج البلاغة: ۲: ۴۵ و۴۶ و ۵۰ و

۵۶، ۶: ۱۰، ۱۱: ۱۱۳، ۱۴: ۱۹۳. لقد تفجّرت قرائح شعراء أهل البيت عليهم السلام من خبر المسمار وآلمهم المصاب الجلل، على مصيبة الزهراء عليها السلام عامّة، وفى خبر المسمار خاصّة، وظلّ خبر المسمار الدامى الذى نبت فى صدر الزهراء البتول تتذاكره الشيعة جيلًا بعد جيل فبقيت ناراً فى قلوبهم لا ينطفىء أوارها إلى يوم القيامة ومن الفقهاء العظام الذين ذكروا خبر المسمار: السيد صدرالدين الصدر رحمه الله المتوفى سنة ۱۳۷۳ هـ ق حيث قال ضمن قصيدته: من سعى فى ظلمها من راعها من علا ـ فاطمة الزهراء جارا من غدا ظلماً على الدار التى اتخذتها الإنس والجنّ مزارا طالما الأملاك فيها أصبحت تلثم الأعتاب فيها والجدارا [صفحه ۱۲۷] ومن النار بها ينجو الورى من على أعتابها أضرم نارا والنبىّ المصطفى كم جاءها يطلب الإذن من الزهراء مرارا وعليها هجم القوم ولم تك لاذت لا وعلياها الخمارا لست أنساها ويا لهفى لها إذ وراء الباب لاذت كى توارا فتك الرجس على الباب ولا تسألن عمّا جرى ثم وصارا لا تسلنى كيف رضّوا ضلعها واسألنّ الباب عنها والجدارا وسألن لؤلؤ قرطيها لما انتثرت والعين لم تشكو إحمرارا وهل المسمار موتور لها فغدا فى صدرها يطلب ثارا وقال الشيخ الفقيه المحقّق محمد حسين الاصفهانى الغروى النجفى (ره) المتوفى سنة ۱۳۶۱ هـ: أيضرم النار بباب دارها وآية النور على منارها وبابها باب نبىّ الرحمة وباب أبواب نجاة الامّة بل بابها باب العلىّ الأعلى فثم وجه الله قد تجلّى ما اكتسبوا بالنار غير العار ومن ورائه عذاب النار ما أجهل القوم فإنّ النار لا تطفىء نور الله جلّ وعلا لكنّ كسر الضلع ليس ينجبر إلا بصمصام عزيز مقتدر إذ رضّ تلك الأضلع الزكيّة رزيّة لا مثلها رزيّة ومن نبوع الدم من ثدييها يعرف عظم ما جرى عليها وجاوزوا الحدّ بلطم الخدّ شلّت يد الطغيان والتعدّى فاحمرّت العين وعين المعرفة تذرف بالدمع على تلك الصفة ولا تزيل حمرة العين سوى بيض السيوف يوم ينشر اللوى وللسياط رنّة صداها فى مسمع الدهر فما أشجاها والأثر الباقى كمثل الدملج فى عضد الزهراء أقوى الحجج ومن سواد متنها اسودّ الفضا يا ساعد الله الإمام المرتضى [صفحه ۱۲۸] ووكز نعل السيف فى جنبيها أتى بكلّ ما أتى عليها ولست أدرى خبر المسمار سل صدرها خزانة الأسرار وفى جنين المجد ما يدمى الحشى وهل لهم اخفاء أمر قد فشى والباب والجدار والدماء شهود صدق ما به خفاء لقد جنى الجانى على جنينها فاندكّت الجبال من حنينها أهكذا يصنع بابنة النبى حرصاً على الملك فيا للعجب أتمنع المكروبة المفروحة عن البكاء خوفاً من الفضيحة تالله ينبغى لها تبكى دما ما دامت الأرض ودارت السما لفقد عزّها أبيها السامى ولاهتضامها وذل الحامى أتستباح نحلة الصدّيقة وارثها من أشرف الخليقة كيف يردّ قولها بالزور اذ هو ردّ آية التطهير أيؤخذ الدين من الأعرابى وينبذ المنصوص فى الكتاب فاستلبوا ما ملكت يداها وارتكبوا الخزية منتهاها يا ويلهم قد سألوها البيّنة على خلاف السنّة المبيّنة وردّهم شهادة الشهود أكبر شاهد على المقصود ولم يكن سدّ الثغور غرضا بل سدّ بابها وباب المرتضى صدّوا عن الحقّ وسدّوا بابه كأنّهم قد آمنوا عذابه أبضعة الطهر العظيم قدرها تدفن ليلاً ـ ويعفى قبرها ما دفنت ليلاً ـ بستر وخفا إلا لوجدها على أهل الجفا ما سمع السامع فيما سمعا مجهولة بالقدر والقبر معا يا ويلهم من غضب الجبّار بظلمهم ريحانة المختار إذن بعد معرفة بعض مقامات الزهراء عليها السلام وظلاماتها، يأتى بيان قضية أصل يوم العذاب، فالذى يرد على ذهن القارى قبل كل شىء كيف كان هذا التعبير من الإمام الصادق عليه السلام بأن ظلاماتهم عليهم السلام هى ألاصل ليوم الغذاب فى الآخرة؟ ولقد قلنا سابقاً ان الإمام عليه السلام باعتباره يمثل الإمتداد الطبيعى لخلافة الرسول الأكرم فهو إذن لا يتكلم [صفحه ۱۲۹] دون وجود مقدمات أولية يقينية عنده بحيث على ضوء هذه المقدمات يحكم بهذا الحكم العقائدى المهم. أما ما ورد من القرآن الكريم وبيان كيف أن ظلمهم صار الأصل ليوم العذاب فهو على ما جاء فى قوله تعالى (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والاخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً) [۱۴۷] حيث أثبتت هذه الآية المباركة ان كل من تسول نفسه فى أذية رسول اله صلى الله عليه وآله وسلم أو أذية أولياء الله تعالى (حيث قالت الآية يؤذون الله أى أن الله تعالى لا تصل إليه الأذية وإنما تكون الأذية لأولياءه

فيتأذى لهم) سوف تكون له اللعنة فى الدنيا وهى الطرد من رحمة الله تعالى وفى الآخرة إعداد العذاب الإلهى له وأذية رسو الله لها عدة صور فتارة تكون عبر سبه أجارنا الله تعالى وتارة أخرى عن طريق أذية ذريته وخاصة الصديقة الشهيدة فاطمة عليها السلام، حيث ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: من آذى فاطمة فقد آذاني ومن ظلمها فقد ظلمنى... الخ الأحاديث الواردة فى أذى الزهراء وغضبها، فلا شك عندئذ يكون كل من ظلمها وآذاها فقد آذى الله تعالى وآذى رسوله تكون النتيجة فى ذلك اللعنة على ذلك الظلم والعذاب الأليم والمهين يوم القيامة، وهذا معناه أنه كل من ظلمهم فهو فى النار وتكون عندئذ ظلاماتهم الأصل ليوم العذاب فى الآخرة. وأما ما ورد من السنة الشريفة فلقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا فاطمة ان الله ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك». وهذا يعنى أن غضب الله تعالى له عدة صور فمرة يكون غضبة تعالى على انسان معين فى الدنيا فيظهر نقمته عليه، ومرة أخرى فى الآخرة وهو ما يعبر عنه بيوم العذاب فى جهنم، وعليه كل من غضبت عليه الزهراء عليها السلام فهو خالد فى النار لا محالة بدليل الحديث فعليه تكون ظلامة الزهراء عليها السلام وأذيتها هو نوع من الأعمال التى تؤدى إلى غضبها وبالنتيجة سوف يكون الظالمين لها فى النار فتكون عندئذ ظلامتها الأصل ليوم العذاب، أما لماذا أن رضاها هو رضا الله تعالى وغضبها هو غضب الله تعالى [صفحه ۱۳۰] وكيف أصبحت بهذا المقام ما نجده عزيزى القارىء فى البحث الذى يثبت كيفية أن الزهراء مر تبطة بأصول الدين وخاصة بالعدل فراجع بحثنا فيه. ومن هنا انقدح فى المقام السؤال المهم الذى يقول: ماذا تقولون فى الأمم السابقة الذين كانوا قبل فترة رسول الله فانه لا شك أن لهم إما الجنة أو النار فكيف صارت ظلامات الزهراء عليها السلام وأهل بيتها هم الأصل ليوم العذاب ونحن نعلم أن الأمم السابقة لم تكن موجودة فى زمن الرسول وما بعده؟ الجواب: وبيان ذلك يمكن أن يستفاد من الذى استنبطه بعض محققى علمائنا من حديث المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام ولننقل ملاحظة كلامه مع الحديث المذكور قال رحمه الله [۱۴۸] : إن أحكام الله تعالى إنما تجرى على الحقائق الكلية والمقامات النوعية فحيث ما خوطب قوم بخطاب ونسب اليهم فعل دخل فى ذلك الخطاب وذلك الفعل عند العلماء واولى الألباب كل من كان من سنخ اولئك القوم وطينتهم، فصفوة الله حيث ما خوطبوا بمكرمة أو نسبوا إليأنفسهم مكرمة يشمل ذلك كل من كان من سنخهم وطينتهم من الأنبياء والاولياء وكل من كان من المقربين إلا بمكرمة خصوا بها دون غيرهم وكذلك إذا خوطبت شيعتهم ومحبوهم بخير أو نسب اليهم خير أو خوطب أعداؤهم ومخالفوهم بسوء أو نسب اليهم سوء يدخل فى الأول كل من كان من سنخ شيعتهم وطينة محبيهم وفى الثانى كل من كان من سنخ أعدائهم وطينة مبغضيهم من الأولين والآخرين وذلك لأن كل من أحبه الله ورسوله أحبه كل مؤمن من ابتداء الخلق إلى انتهائه وكل من أبغضه الله ورسوله أبغضه كل مؤمن كذلك وهو يبغض كل من أحبه الله ورسوله فكل مؤمن فى العالم قديماً أو حديثاً إلى يوم القيامة فهو من شيعتهم ومحبيهم وكل جاحد فى العالم قديماً أو حديثاً إلى يوم القيامة فهو من مخالفيهم ومبغضيهم، قال رحمة الله وقد وردت الإشارة إلى ذلك فى كلام الإمام الصادق عليه السلام فى حديث المفضل بن عمرو وهو الذى رواه الصدوق فى كتاب العلل بإسناده عن المفضل، قال: قلت لأبى عبدالله عليه السلام: بما صار على بن أبى طالب صلوات الله عليه [صفحه ۱۳۱] قسيم الجنة والنار؟ قال: لأن حبّه إيمان وبغضه كفر وإنما خلقت الجنة لأهل الإيمان وخلقت النار لأهل الكفر الكفر فهو عليه السلام قسيم الجنة والنار لهذه العلة، فالجنة لا يدخلها إلا أهل محبته والنار لا يدخلها إلا أهل بغضه. قال المفضل: قلت يا بن رسول الله فالأنبياء والأوصياء هل كانوا يحبونه وأعدائهم يبغضونه؟ فقال: نعم. قلت: فكيف ذلك؟ قال: أما علمت أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم خيبر لأعطين الراية غداً رجلًا يحبه الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح الله على يده؟ قلت: بلى قال: اما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أتى بالطائر المشوى قال: اللهم ائتنى بأحب خلقك اليك يأكل معى هذ الطير وعنى به علياً؟ قلت: بلى قال: أيجوز أن لا يحب أنبياء الله ورسله وأوصيائهم من يحبه الله ورسوله ويحب الله وحبيب الله وحبيب رسوله وأنبيائه؟ قلت: لا ـ قل: فقد ثبت أن جميع أنبياء الله ورسله وجميع المؤمنين كانوا لعلى بن أبى طالب محبين وثبت أن المخالفين لهم كانوا له ولجميع أه لامحبته مبغضين قلت: نعم، قال: فلا يدخل الجنة إلا ما أحبه من الأولين والآخرين فهو إذن قسيم الجنة والنار، قال المفضل: فقلت له: يا بن رسول الله فعلى بن أبى

طالب يـدخل محبه الجنة ومبغضه النار أو رضوان ومالك؟ فقال: يا مفضل أما علمت أن الله تبارك وتعالى بعث رسوله وهو روح إلى الأنبياء عليهم السـلام وهم أرواح قبل خلاق الخلق بالفى عام؟ قلت: بلى قال: أما علمت أنه دعاهم إلى توحيـد الله وطاعته واتباع أمره ووعـدهم الجنـة على ذلـك وأوعـد من خـالف مـا أجاب إليه وأنكره النار؟ قال: بلى. قال: فليس رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم ضامنـاً لمـا وعـد وأوعـد عن ربه عز وجل؟ قلت: بلى قال: أوليس على بن أبى طالب خليفته وإمام منه؟ قلت: بلى قال: أوليس رضوان ومالك من جملة الملائكة والمسـتغفرين لشيعته الناجين بمحبته؟ قلت: بلى. قال: فعلى بن أبى طالب إذن قسيم الجنة والنار عن رسول الله ورضوان ومالك [صفحه ۱۳۵] صادران عن أمره بأمر الله تعالى. يا مفضل خـذها فإنه من مخزون العلم ومكنونه لا تخرجه إلا إلى أهله. فعليه كل الـذى يجرى فى حق أمير المؤمنين يجرى فى الزهراء عليها السـلام لأنهما كل واحـد كفو للآخر وأضف إلى ذلك أن هناك الكثير من الروايات تفيـد هذا المضـمون، وأيضاً موجود فى الآثار الشـريفة أنه لو اجتمع الناس على ولاية على عليه السـلام ـ أو حبه ـ لم خلق الله النار، فيكون مضـمون هـذا الحـديث إضافة إلى أحاديث أخرى بهذا المضـمون أن أصل يوم العذاب مثلما هو ثابت فى ظلامات فاطمـة عليها السـلام كـذلك هو ثابت فى حق غصب الخلافـة من أمير المؤمنين، والـذى نريـد القول به من خلال هكـذا مبحث أنه الناس منقسـمون فى قضية الصديقة الشهيدة إلى قسمين إما اشتراكهم فى نصرتها وإما اشتراكهم فى ظلمها، فمن نصرها فهو من الفائزن برضا الله تعالى لأن نصرتها هو رضاً لها ورضاها رضا الله تبارك وتعالى، وإما من لم ينصرها فهو مع الظالمين ومشترك فى ظلمهم للصديقـة الشـهيدة ويكون بالنتيجة خالد فى النار. فكانت ظلاماتها (سـلام الله عليها) هى الأصل والأساس الذى جعله الله تعالى فى يوم القيامـة لورود الظالمين إلى نار جهنم، وكما بينا ذلك من خلال الحديث المتقدم، وكذلك غصب خلافة أمير المؤمنين أيضاً هى الأصـل ليوم العـذاب لأنه كما ورد أنه لو اجتمع النس على ولايـة أمير المؤمنين على بن أبى طالب لما خلق الله النار، ولكن لما انه لم يجتمع الناس على ولاية أمير المؤمنين فالنار موجودة ولها وقود من الناس والحجارة اعدت للظالمين ومن ولاهم ونصرهم.

فاطمة وعلاقتها بأصول الدين

اشاره

محمد حسن سـميسم [۱۴۹] . مـن مـبلغ عـنى الزمـان عـتابا ومــقرّع مــنى له أعـــتابا دهـر تـعامى عـن هـداه كـأنـما أصـحاب أحـمد أشـركوا مـذ غـابا نكـصوا على الأعـقاب بـعد مـماتهِ سـيرون فـى هـذا النكـوص عـقابا سـل عـنهم القرآن يشـهد فـيهم إن كـنت لم تـفقه لـذاك جـوابـا فكأنــهم لـم يشــهدوا خـمّاً ولا بـدراً ولا أحـداً ولا الأحـزابـا وبـخيبرٍ مـن راح يـرقل بـاللوا مـن قـدّ مـرحب مـن أزال البـابا ومـن اشـترى إلاه نــفس مـحمدٍ فـى نـفسه لمـا دعـى فأجـابا من فى الصلاة يرى الصـلاة فـريضةً مــن نـال خـاتمه الشـريف جـوابا مـن بـاب حطـة غـير حيدرةٍ ومـن لمـدينة المـختار كـان البـابا أعـجبت مـمن أخـرّوا مـقدامهم بـعد النـبى وقـدموا الأذنـابا قـد أضـمروها للـوصى ضـغائناً مـذ دحـرجـوها للـنبّى دبـابا لينفرّوا العضباء عـن قطب الهـدى حتى بـعود الـديـن بـعـد يـبابا نسـتـبوا له هـجراً لحـذف كـتابه فكأنــهم لا يســمهون كـتابا ما كـان يـنطق عـن هـواه وإنـما وحـى تـلقاه النـبّى خـطابا يـاباب فـاطم لاطـرقت بـخيفةٍ ويـد الهـدى سـدلت عـليك حـجابا أو هـى عـليك أما عـلمت بـفاطم وقــفت وراك تـناشـد الأصــحابا لهفى عـليك أما اسـعطت تـصدّهم لمـا أتـاك بـنو الضـلال غـضابا أو مـارقت لضــلعها لمـا انـحنى كسـراً ومـنه تـزجر الخــطابا أفـهل درى المسـمار حين اصـابها مـن قـبلها قـلب النـبّى أصـابا عتبى على الأعـقاب أسـقط مـحسن فـيها ومـا انـهالت لـذاك تـرابـا [صـفحه ۱۳۷] تمر الكثير من الأفكار والنظريات على ذهن الإنسان ومنها ما يجد طريقاً واضحاً الى فكر الإنسان وعقله فتكون عندئذ عقائد ثابتة وراسخة وعلى ضوء ما تمليه عليه الاستدلالات العقلية والبراهين المنطقية، ومن هنا كانت العقيدة لها معنى فى حياة الإنسان فهى مشتقة من المصدر عقد الذى يعنى الاحكام والشد والربط لفكرة معينة فى ذهن الإنسان وفكره

بعد عرضها عليه والاستدلال عليها الاستدلال الصحيح المطابق للبراهين السليمة، فالعقيدة اذن عبارة عن ذلك الشى الذى يتصل بذهن الإنسان وروحه وفكره، فهو يعنى التقبل أى تقبل، أى نظرية للأنسان وربطها بذهنه واحكام صلتها بروحه وفكره وعليه يكون عندئذ معنى العقيدة. وعليه لابد لكل انسان مؤمن من عقائد على المستوى النظرى ومن ثم يأتى المستوى التطبيقى لهذه العقائد وهو ما يتم بالتصديقات على المستوى الخارجى لهذه العقائد، فالعقائد تحدد شكل الإنسان وساكلته «قل كل يعمل على شاكلته» وتشكل هيئته الباطنية وحقيقته الواقعية وهذه العقائد هى التى تحفزه على العمل الصالح وتحدد إتجاهه فى الحياة وعلى ضوء ذلك يأتى العمل الصالح الذى يبرهن على الإيمان الذى يعتقده الفرد المؤمن. وعلى هذا الاساس إذا كانت العقيدة صائبة ومطابقة للواقع كانت عندئذ طريقة الإنسان المؤمن فى الحياة طريقة صحيحة وصائبة وعلى ضوء تلك العقيدة التى يؤمن بها والتى كانت صائبة ومطابقة للواقع، اما اذا كانت عقيدته فاسدة باطلة فان ذلك سوف ينعكس على طبيعة سيرته وطريقة حياته فى الواقع الخارجى سوف يؤدى ذلك الى الضياع والابتعاد عن الطريق الصحيح الذى خطه الشرع المبين، ومن هذا المنطلق كان اهتمام الاسلام بتصحيح العقيدة قبل أى شيء آخر، أى تصحيح عقيدة كل انسان مسلم، مؤمن بالله تعالى. والسؤال الذى ينقدح فى المقام اذا [صفحه ۱۳۸] كان الاسلام يهتم اهتماماً كبيراً تصحيح العقيدة فهذا يعنى ان هناك موانع تمنع تصحيح العقيدة وتقف حاجز فى طريق استقرارها فى النفس الانسانية فعلية فلابد لنا قبل ذكر الامور التى تصحح العقيدة من ذكر موانع تصحيح هذه العقيدة فما هى هذه الموانع؟

موانع تصحيح العقيدة

ان فى عقيدة كل انسان مؤمن يريد الاجابة على سؤال ما يخطر بذهنه ان يرجع الى القرآن الكريم أولاً ـ بأعتبارة المصدر الأول للمسلمين، ومن بعد ذلك يرجع الى السنة الشريفة للرسول وأهل بيته الطيبين الطاهرين، ولذا لنستنطق القرآن ونستخبره عن الآيات التى أثبتت موانع تصحيح العقيدة الاسلامية فنجد منه أولا هذه الآية المباركة التى أخبرت عن الموانع التى تقف فى طريق تثبيت هذه العقيدة حيث قالت الآية المباركة (ان يتبعون إلا الظن وما تهوى الانفس) [۱۵۰] أى هناك عاملين ينشأ عنهما خطأ الإنسان فى آرائه وعقائده: أحدهما: اتباع الظن. والآخر: اتباع الهوى. كما ان هناك أموراً أخرى وردت فى الروايات الشريفة بأعتبار مواضع زلل الفكر، كالتعصب والتقليد والاستبداد واللجاجة إلا ان هذه الامرو تعود كلها الى الاهواء النفسية أى: أنّ كل ماجاء فى الروايات الشريفة بهذا الشأن هو فى الحقيقة تفسير وبيان للآية الكريمة الانفة الذكر. فنظراً الى هذه المقدمة، نستعرض موانع تصحيح العقيدة على ضوء القرآن الكريم والروايات الشريفة، وهذه الموانع كما سبقت الاشارة اليها هى: ۱ ـ الظن. ۲ ـ الاهواء النفسية. ۳ ـ التعصب. ۴ ـ التقليد. ۵ ـ الاستبداد. ۶ ـ اللجاجة. [صفحه ۱۳۹] اما الظن فهو من أخطر العوامل التى تؤدى بأفكار الغالبية فى العالم الى مهاوى العقائد الباطلة الفاسدة، وأول ما يوصى به القرآن الكريم لتصحيح العقيدة هو تجنب الاعتماد على هذا المنزلق، ويؤكد على اتباعه بعدم بناء عقائدهم وآرائهم على دعائم الظن والشك والتسليم بشى دونما التأكد من صحته وثبوته فيقول سبحانه عزوجل فى صريح كلامه: (ولا تقف ماليس لك به علم) [۱۵۱] ففى نظر القرآن الكريم أنه لا يحق لمسلم أن يقضى شيئاً أو يجعله مداراً لعلمه مالم يثبت له انه قطعى وثابت. فلو أمعنا النظر فى العقائد والآراء المتناقضة بين الناس فى المجتمعات المختلفة وطرحناها على سياق البحث والتحليل الجذرى لانتهينا بلا عناء الى أن أغلب هذه العقائد فاقدة للاسس العلمية جذرياً وإنها لا تستند إلّا الى الظن أو الى الشك وأن أهل الدنيا كانوا ومازالوا يقتفون أثر الظن فى المسائل العقائدية وخاصة فى أصولها ولهذا نرى القرآن يعلن بصراحة بان من اتبع الاكثرية فقد ضل ومن ذلك قوله تعالى: (وان تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون إلا الظن وانهم إلا يخرصون) [۱۵۲]. وهكذا فى بقية الموانع الاخرى لتصحيح العقيدة الاسلامية وفى قبال ذلك ينقدح لنا كيفية الوصول الى شرائط تصحيح العقيدة الاسلامية كالتأنى والتجربة والتمركز وتبادل النظر وكل الامور التى لها دخل فى الحصول على الاستدلالات الصحيحة للحصول على العقيدة الاسلامية الصحيحة وعلى ضوء القرآن الكريم والنسة الشريفة، فمن هنا كان لابد لنا ان ندخل فى معرفة عقيدتنا فى فاطمة

الزهراء ومدى ارتباط حياتها بكل ما تملكه الكلمة من معنى فى أصول ديننا وعقائدنا والسؤال الذى يطرح فى المقام وعلى ضوء الاستدلالات هل ان فاطمة عليها السلام وظلاماتها وحياتها الشخصية والغيبية له ارتباط بأصول الدين، وبحيث هذا الارتباط يكون ناشىء من وعى وفهم للعقائد التى أمرنا الله تعالى بالاعيان بها ام لا؟ وعلى هذا الاساس كان لابد لنا من الوقوف مع الزهراء عليها السلام ونرى مدى ارتباطها بأصول الدين، وهل هناك ارتباط لها بالتوحيد والنبوة والإمامة والعدل والمعاد، أم [صفحه ١٤٠] يتجاوز الأمر الى أبعد من ذلك؟ أم لا يوجد ارتباط؟ وما الثمرة فى ذلك والفائدة من هذا البحث؟ كل هذه الامثلة سوف نحاول الاجابة عليها خلال هذا البحث الذى له من الاهمية العظمى فى حياة الفرد المؤمن الموالى لأهل بيت العصمة عليهم السلام.

فاطمة وعلاقتها بالتوحيد

توجد عدة أدلة وشواهد تدل بالدلالة المطابقية أو الالتزامية على أن فاطمة الزهراء عليها السلام لها ارتباط وثيق بتوحيد الله، وعلى ضوء هذه الادلة والشواهد التى سنقدمها بين يدى القارىء العزيز يتبين لنا أن لمعرفة فاطمة عليها السلام دور كبير فى عقيدة الفرد المؤمن، وأما أثبات هذا الارتباط وكيفية ثبوته تصميم التوحيد فهذا ما يتوقف معرفته وثبوته على مقدمات نرى من الضرورة فيما نحن فيه التذكير بها والتمعن فى مدلولاتها لكى نصل وعلى ضوءها ـ أى المقدمات ـ الى اثبات هذا الأمر. أما نوعية هذا الادلة والشواهد فتارة تكون عبارة عن نص ورد فى حديث أو ورد فى زيارة لأئمة أهل البيت أو من خلال فقرة معينة من الاحاديث التى تروى لنا، ادعيتهم عليهم السلام، وعلى هذا الحال تكون هذه الادلة مبثوثة وموزعة على كتب الادعية والزيارات والأحاديث الشريفة لأهل البيت العصمة عليهم السلام. وعلى هذا الأساس نجد أول الادلة التى نستطيع اثبات ارتباط فاطمة عليها السلام بصميم التوحيد ما ورد فى زيارة ائمة أهل البيت عليهم السلام بالزيارة المعروفة بالجامعة الكبيرة والمروى سند معتبر عن الإمام على الهادى عليه السلام حيث تطالعنا هذه الزيارة بالفقرة التالية «من أراد الله بدأ بكم، ومن وحدّه قبل عنكم حيث ورد فى تفسير هذه الفقرة أنه من لم يوحد الله لم يقبل عنكم أو بالعكس من لم يقبل عنكم لم يوحد الله تعالى فهو على ذلك يكون من المشركنى لأن معرفة الله تعالى حق المعرفة مشروط و على ما ورد [صفحه ١٤١] فى الروايات الشريفة على معرفة شروط هذه المعرفة ومن شروط هذه المعرفة هو القبول عن أهل البيت عليهم السلام فى كل ما يقولونه من المعارف الربانية الحقة وفى كل ما يقولونه من الحق فهم حجج الله على الخلق، فالراد عليهم كالراد على الرسول وعلى الله تعالى، هذا البيان يظهر لنا ان معرفة مراتب التوحيد متوقف على المعارف الرانية التى جاء بها أهل البيت فى بيان معنى التوحيد والقبول عنهم فى كل شىء يقولون به، فانه من عرفهم فقد عرف الله تعالى لانهم هم الادلاء عليه وعلى مرضاته وكل ما ثبت للائمة عليهم السلام فهو ثابت للزهراء عليها السلام فهى مشتركة معهم فى كونها نورانية وكونها الصراط المستقيم وكذلك كونها الكلمات التى تلقاها آدم عليه السلام لتوبته واشتراكها فى المباهلة معهم عليها السلام وأيضاً اشتراكها فى كونهم الشجرة الطيبة ونزول الملاكة عليهم فى ليلة القدر واشتراكها معهم فى بدء خلقها معهم قبل خلق آدم وعرض ولايتهم على الاشياء... الخ. والاهم من هذا كله هو كونها عليها السلام الحجة على الأئمة وعلى معرفتها دارت القرون الاولى وما تكاملت نبوة نبى من الأنبياء حتى أقر بفضلها ومحبتها وعلى هذا الاساس تكون كل من يقبل عنها الحق فهو من الموحدين وكل ما صدر منها لابد من الإيمان به وإلّا الراد عليها كالراد على الله ورسوله. وعليه تكون فاطمة عليها السلام مر تبطة بتوحيد الله تعالى ونعنى بذلك أنه لابد من الإيمان بها والتصديق بكل ما صدر منها انه الحق وان توحيد أى مسلم أو مؤمن لا يكتمل حتى يقر بفضلها ومحبتها وولايتها، فيكون على هذا الأساس كل من رد عليها ولم يقبل منها الحق فهو مشرك أو منافق فهى اذن لها ارتباط بالاصل الأول من اصول الدين وهو التوحيد وهذا ثابت لها وللائمة من ولدها عليهم السلام وهذا ما وجدناه فى قول الإمام الحسين عليه السلام عندما خرج فى واقعة كربلاء حاملًا الطفل الرضيع وهو ينادى: هل من ذاب يذب عن حرم رسول الله؟ هل من موحد يخاف الله فينا؟ هل من مغيث يرجو الله فى إغاثتنا؟ ومحل الشاهد هو هل من موحد يخاف الله فينا، فالذى يكون موحداً لابد ان يخاف الله فى كل شىء ويقف عند حدوده التى أمرنا

بالوقوف عندها، فانه من ملازمات التوحيد مخافة الله تعالى فى عدم أذية الناس وخلق الله تعالى والذى [صفحه ۱۴۲] لا يخاف الله تعالى فهو ليس موحد فالذين ظلموا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يكونوا موحدين لانهم لم يخافوا الله تعالى فى خلقه الذين خلقهم قبل كل شيء فما بالك، فيهم عليه السلام حيث كانوا من الذى استخلصهم واصطفاهم الله تبارك وتعالى على الخلق فيكون من باب الاولوية انه كل من ظلمهم كان من المشركين وكل من رد عليهم فقد أشرك بالله تعالى من حيث لا يعلم لأنّ الله تعالى أمر الخلق بالاخذ عنهم والتسليم لهم وان الراد علهيم راد على الله والراد على الله مشرك وقد أخبر الله تعالى عن حكم من أشرك فيهم حيث يقول الله تعالى فى كتابه (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم إلّا ان قالوا والله ربنا ماكنّا مشركين). يعنى ما وضعوا أصناماً ظاهرة يعبدونهم م دون الله ويصلون لهم ولكنهم أتخذوا رجالا م دون ولى الله و حجة الله فأمرهم بخلاف ما أمر الله فأطاعوهم فى خلاف أمر الله فعبدوهم من حديث لا يعلمون فرد عليه سبحانه فقال أنظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون، وقال الإمام الصادق عليه السلام حكاية عنهم هيهات فات قوم وماتوا قبل ان يهتدوا وظنوا انهم آمنوا واشركوا من حيث لا- يعلمون. إذن لا يعرف الله احد من الخلق حق معرفته حتى يأتى بالشروط التى تتوقف عليها المعرفة وهذه الشروط كلها معرفتهم عليهم السلام بما فيهم فاطمة الزهراء التى هى قطب الرحى التى تدور عليها معرفة أهل البيت وكما وصفت لك وفسرت فاذا كان كذلك فكيف لا يقبل عنهم أى فرد، وقد قبل عنهم لانه قبل العلم والمعرفة والتوحيد عنهم ولو لم يقبل لم يعلم ولم يعرف اذ لا يكون ذلك منه غيرهم علهم السلام، وعلى هذا كانت فاطمة عليها السلام من هذه الجهة ومن خلال فقرة الزيارة الجامعة الكبيرة مرتبط بصميم التوحيد وهذا لا يظهر إلّا لمن تمعن وتفحص ودقق فى مأثورات أهل البيت عليهم السلام فأفهم تغنم أنشاء الله. اما ثانى الادلة التى نستطيع من خلالها الورود فى مسألة ارتباط فاطمة بصميم التوحيد فهو ماجاءت وتظافرت به الروايات الشريفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه الروايات تنقسم فيما نحن فيه الى أربعة طوائف: [صفحه ۱۴۳] ۱ ـ الطائفة الاولى: اذاها عليها السلام هو أذى الله تبارك وتعالى. ۲ ـ الطائفة الثانية: رضاها عليها السلام هو رضى الله تبارك وتعالى. ۳ ـ الطائفة الثالثة: حبها عليها السلام هو حب الله تبارك وتعالى. ۴ ـ الطائفة الرابعة: غضبها عليها السلام هو غضب الله تبارك وتعالى. ونستفيد من خلال التأمل والتمعن فى مدلولات هذه الروايات أنه لا معنى لارتباط أذية ورضى فاطمة وغضبها بالله تعالى اذا لم تكن معصومة بالعصمة المطلقة، فالله تبارك وتعالى جعلها معبرة عن غضبه ورضاه لكونها معصومة بالعصمة المطلقة الذاتية وإلّا فان هكذا قول يكون فى غاية الوهن والعبث وعدم الحكمة. فالله تبارك وتعالى جعل فاطمة عليها السلام المعبره عن غضبه ورضاه وعلى لسان نبيه الاكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهذا يدل على انها عليها السلام معصومة ولا تفعل إلّا برضا الله تبارك وتعالى. وعلى كل حال فان جميع الروايات المروية عن لسان النبى صلى الله عليه وآله وسلم جاءت لتؤكد هذه الحقيقة وهى كون فاطمة لها ارتباط بالله تعالى وتوحيده سواء كان هذا الارتباط تارة يأتى على هيئة غضب الله أو رضاه أو على هيئة حب الله تبارك وتعالى أو أذاه. وإليك بعض النصوص التى بينت هذه الطوائف الأربعة من الروايات: جاء فى تفسير قوله تعالى (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والاخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً) أنها نزلت فى غصب حق أمير المؤمنين عليه السلام، وأخذ حق فاطمة «أذاها»، قد قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: من آذاها فى حياتى كمن آذاها بعد موتى، ومن آذاها بعد موتى كمن آذاها فى حياتى، ومن آذاها فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله وهو قول الله عزوجل: (ان الذين يؤذون الله ورسوله) [۱۵۳] . أقول: يظهر من هذا الآية ان الله تبارك وتعالى يتأذى من فعل بعض القوم ومن المعلوم ان الله لا تصل إليه اذية أى بشر بالمعنى وانما جعل بعض المؤمنين [صفحه ۱۴۴] والذين هم أهل بيت النبوة مظهر من مظاهر أذيته اذا تؤذوا هم عليهم السلام، وهذا نص صريح فى كونهم مر تبطين بالله، فالغضب الإلهى يتجلّى فى غضبهم كما أنّ غضبهم مرآة غضب الله، وكذلك الحال فى الرضا. وجاء عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: «ان فاطمة بضعة منى... وان الله تبارك وتعالى ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها» [۱۵۴] . وورد عن تفسير الثعلبى باسناده عن مجاهد قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى الله عليه وآل وسلم وقد أخذ بيد فاطمة عليها

السلام وقال: «من عرف فاطمة فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهى فاطمة بنت محمد وهى بضعة منى وهى قلبى الذى بين جنبى، فمن آذاها فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله» [۱۵۵] . وروى عن الإمام الصادق عليه السلام عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: «يا فاطمة، ان الله ليغضب لغضبک، ويرضى لرضاک» [۱۵۶] وهذا الحديث يعتبر من أهم الاحاديث التى رواها العامة الخاصة ولقد وجدنا لهذا الحديث عدة أسانيد مختلفة سواء عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة أو عن ائمة الهدى عليهم السلام فتارة يكون الحديث عن الإمام الحسين عليه السلام واخرى عن الصادق والباقر أو عن الإمام زين العابدين وهكذا نجده بأسانيد مختلفه ولكن المحتوى واحد والمضمون لا يختلف وهو ان الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها [۱۵۷] . وروى عن الإمام الصادق عليه السلام هذا الحديث حيث قال جده النبى صلى الله عليه وآله وسلم «يا فاطمة، ان الله تبارک وتعالى ليغضب لغضبک ويرضى لرضاک»، وقد أثار هذا [صفحه ۱۴۵] الحديث بعض الشباب الذين كانوا فى زمن الإمام عليه السلام ومنهم صندل الذى جاء إليه وقال له: يا ابا عبدالله ان هؤلاء الشباب يجيئونا بأحاديث منكره. فقال: له جعفر عليه السلام: وما ذاک يا صندل؟ قال: جاء عنک، انک حدثتهم ان الله ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها! قال: فقال جعفر عليه السلام: يا صندل، ألستم رويتم فيما تروون: أن الله تبارک وتعالى يغضب لغضب عبده المؤمن ويرضى لرضاه؟! قال: بلى قال: فما تنكرون ان تكون فاطمة عليها السلام مؤمنة يغضب لغضبها، ويرضى لرضها؟!. قال: فقال: «الله أعلم حيث يجعل رسالته» [۱۵۸] . ويظهر من هذا الحديث ان مسألة انكار أحاديث أهل البيت فى قضية فاطمة الزهراء وان رضاها رضا الله ورسوله كانت موجودة من زمن الأئمة عليهم السلام، وكذلک توجد نقطة مهمة ونكتة خافية وهى ان الرسول انما تحدث بهذه الاحاديث فى فاطمة عليها السلام ليؤكد على مسألة مهمة وهو ان فاطمة عليها السلام سوف تظلم وتؤذى من بعده، لذا سوف ترضى عن بعض المسلمين وتغضب على البعض الاخر فلذلک أعطى الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ضابطة كلية فى مسألة تقييم بعض الشخصيات فى زمن فاطمة عليها السلام ألا وهى ضابطة الرضا والغضب بالنسبة لفاطمة، فكأنما يشير غلى ما سيجرى عليها من الظلم من بعده. اذن تبين لنا من خلال تفسير الآية المباركة (ان الذين يؤذون الله...) وبيان بعض الاحاديث الشريفة حول رضا فاطمة وغضبها وانها مقرون برضا الله وغضبه، انها عليها السلام مرتبطة بصميم التوحيد وهنا يرد هذا السؤال المهم فى ما نحن فيه ألا ـ وهو ما الثمرة من هذا الارتباط؟ أن بعبارة أخرى ما الفائدة فى ارتباط غضب فاطمة ورضاها بالله تعالى؟ والجواب يظهر من خلال متابعة القرآن الكريم والاحاديث التى [صفحه ۱۴۶] رويناها لک من خلال الكتب المعتبرة والذى نراه وحسب فهمنا القاصر ان بعض الثمرات هى: ۱ ـ أن كل من آذى فاطمة فقد آذى الله ورسوله لذا سوف يستحق اللغنة بنص القرآن الكريم (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله...) هذا فى الدنيا. ۲ ـ اعداد العذاب الالهى للذين يؤذون الله تعالى فى ذرية رسوله (واعد لهم عذاباً مهينا). ۳ ـ ونستفيد من بعض الروايات ان الله تعالى ليغضب لغضب المؤمن فكيف بإبنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ ۴ ـ اعطاء ضابطة مهمة من الناحية التأريخية وهى كل من ثبتت أذيته لفاطمة فى حياتها لابد من لعنه والبراءة منه وكل من سار على منوال الظالمين للزهراء فى حقها ورضايتهم على فعل الظالمين فهم مع الظالمين يجب لعنهم فى الدنيا والبراءة منهم وكثيرة هى الثمرات فى هذا الارتباط وفى الذى سردناه لک كفاية لمن يرجوا الوصول الى حقيقة الامور.

فاطمة وعلاقتها بالنبوة

من القضايا المهمة التى يهمنا البحث عنها هو ارتباط فاطمة الزهراء عليها السلام بمقام النبوة الخاتمية ومن يمثل هذه الخاتمية أعنى بذلک شخص رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولا بد لنا ونحن نر توى من الماء العذب لفاطمة عليها السلام واللآلىء المتناثرة فى حياتها ان نقف مع مقامها والارتباط الوثيق لهذا المقام بالنسبة للنبوة، والذى ينقدح فى الذهن القاصر لصحاب هذا القلم ان هناک عدة أدلة وشواهد تثبت ان لفاطمة ارتباط وثيق بالنبوة، وهذا الارتباط تارة يتمثل على نحو الابوة لهذه الصديقة الطاهرة وتارة آخرى على شكل حب لهذه النسمة الطيبة ومرة اخرى على الارتباط العقائدى لها عليها السلام، وسوف نعطى عدة شواهد وادلة

على ذلك، ومن خلال استقراء واستنطاق بعض الكتب الروائية والتاريخية التى تروى لنا قضية الزهراء وارتباطها بشخص النبى صلى الله عليه وآله وسلم من [صفحه ۱۴۷] جهة وبمقام النبوة من جهة أخرى، أما كيف يكون هذا الارتباط بالنبوة ومقامها، فنقول: وردت عدة شواهد على هذه المسألة من القرآن الكريم ولكن نكتفى على شاهد قرآنى واحد وهو الآية ۵۷ من سورة الاحزاب (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا...) فهذه الآية الشريفة وكما تبيّن لنا لها ارتباط بمسألة أذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نعلم انه ورد فى الحديث الشريف عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه ما أوذى نبى بمثل ما أوذيت، وكذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم من آذى مؤمنا فقد أذانى، فهذه الأحاديث تثبت مسألة أذى رسول الله ولقد حدثنا التاريخ كيف ان القوم عندما بعث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بمكة كيف آذوه وطردوه من دياره والأكثر من ذلك نجد ان الكثير من النصوص عند العامة والخاصة قد بينت ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد آذوه القوم بعد مماته فى إبنته فاطمة عليها السلام تبين وتؤكد على حقيقة ثابتة ولا ينكرها إلا معاند أو منافق وهى أنهم قد أذوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى ذريته، فكانت الاحاديث المروية عنه تمثل الدعامة العظمى لارتباط أقرب الناس إليه وهى فاطمة الزهراء عليها السلام، ولا نقصد من ارتباط الصديقة الطاهرة عليها السلام به مجرد لانه والدها كلا بل هناك أمور غيبية قد ذكرت بعض الروايات اسرارها وكما بينا فى بعض أحاديثنا كحديث الاقرار بفضل فاطمة جميع الأنبياء وانه ما تكاملت نبوة نبى حتّى أقرّ بفضلها ومحبتها... ممّا يدل على ارتباطها بالنبوّة العامّة كارتباطها بالنبّوة الخاصّة... وغير ذلك من الأحاديث فى هذا المضمار، وان كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إكراماً عظيماً أكثر مما كان الناس يظنونه وأكثر من أكرام الرجال لبناتهم حتى خرج بها عن حد الآباء للأولاد، فقال بعض الخاص والعام مراراً لا مرة واحدة وفى مقامات مختلفة لا فى مقام واحد: إنها سيدة نساء العالمين... وإنها إذا مرت فى الموقف نادى منادٍ من جهة العرش: يا أهل الموقف: غضوا أبصاركم لتعبر فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم. وهذا من الاحاديث الصحيحة [۱۵۹] وعليه لابد من ذكر بعض [صفحه ۱۴۸] النصوص التى تبين لنا مقام فاطمة من الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. لفقد جاء فى حديث طويل عن سعد بن أبى وقاص انه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: فاطمة بضعة منى، من سرها فقد سرنى ومن ساءها فقد ساءنى، فاطمة أعز الناس علّى [۱۶۰] . وروى النسائى باسناده عن السور بن محزمة، قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو على المنبر يقول «فاطمة هى بضعة منى يريبنى ما أرابها ويؤذينى ما آذاها، ومن آذى رسول الله فقد حبط عمله» [۱۶۱] . وروى أحمد بأسناده عن المسور، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «فاطمة شجنة منى يبسطنى ما يبسطها ويقبضنى ما قبضها وأنه تنقطع يوم القيامة الانساب والاسباب إلا نسبى وسببى» [۱۶۲] . وروى عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ان فاطمة شعرة منى، فمن آذى شعرة منى فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله، ومن آذى الله لعنه الله ملء السماوات والأرض [۱۶۳] . عن عبدالله بن زبير عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى حديث: انها ـ فاطمة ـ بضعة منىء يؤذينى ما آذاها وينصبنى ما أنصبها [۱۶۴] وكثيرة هى الاحاديث التى تروى لنا ارتباط الزهراء وظلمها وأذيتها برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولئلا يطول المقام بنا ولا نخرج عن هذا الكتاب نكتفى بهذه الاحاديث ونقول: إنّ كلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى هذا يدل على انه ليس غضبه بأعتبار انه والدها، لا وانما غضب النبوة ومقامها السامى الذى تمثل السماء ونحن نعلم أيضاً انه أذى فاطمة ايضاً الله تبارك وتعالى، وإلا [صفحه ۱۴۹] لامعنى ان يغضب الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لانه أباها الشخصى فقط لانه فى مثل هذه الحالة سوف تكون العصبية لها بأعتبار القرابة وانما يؤكد الرسول من خلال هذه الاحاديث على حقيقة مهمة جداً وهى مسألة عصمة فاطمة عليها السلام لانها لو كانت ممن تقارف الذنوب لم يكن مؤذيها مؤذياً له صلى الله عليه وآل وسلم على كل حال لذا ثبتت لها العصمة من خلال أقوال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى حقها عليه السلام. ويظهر ايضاً من خلال الحديث المروى فى حق فاطمة عليها السلام عن أبى جعفر عليه السلام يقول: «ولقد كانت عليها السلام مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجن والانس، والطير والوحوش والأنبياء حتى أقرّ بفضل فاطمة عليها السلام وحجيتها» حيث نستفيد من هذين

الحـديثين ان فاطمـة عليهـا السـلام كانت مرتبطـة بنبوة الأنبياء السابقين قبل نبينا محمـد صل الله عليه وآله وسـلم، فهى ـ أى النبوة ـ لم تكتمل فى أى نبى من الأنبياء حتى أقر بفضل فاطمـة وحجيتها، وهـذا يـدل انها كانت مفروضة الطاعة على جميع الأنبياء وكما تبين لنا من خلال البحوث المتقدمة فى هذا الأمر.

فاطمة والعدل الإلهى

يعتبر العدل من الأصول الإعتقادية التى يمتاز بها الشيعة الامامية عن غيرهم من المذاهب الاخرى، فمسألة العدل عندهم قد دخلت كل الأصـعدة الحياتية المهمة وهذا يعود الى وجود العدل فى كل أفعال الله تعالى فهو ـ أى الله تعالى ـ قد جعله من أسماءه الحسنى فعندما يأخـذ الشيـعة الاماميـة العـدل ويعتبرونه من اصول الـدين لم يكن هـذا جزافـاً وانمـا كان على اساس وأصل متين اسـتمدوه من القرآن الكريم هذا الكتاب العظيم الذى بذر فكرة العدل فى قلوب وأرواح الناس ثم سـقاها ونماها فكرياً وفلسفياً وعملياً واجتماعياً انه القرآن الكريـم الـذى طرح مسألـة العـدل مـن حيـث مظاهرهـا المختلفـة العـدل التكـوينى، والعـدل التشـريعى، والعـدل الاخلاقى، والعـدل الاجتماعى... الخ. [صـفحه ۱۵۰] والقرآن الكريم يصـرح بـان نظام الوجود مبنى على أساس العـدل والتوازن على أساس الاسـتحقاق والقابليـة، وعلى هذا الاساس توجد عدة آيات قرآنية تؤكد على مسالة العدل سواء كان ذلك عن طريق ذكر المقابل للعدل أى الظلم وتـأتى الآيـة القرآنيـة تنفى الظلم أى تقر العـدل بالنتيجـة أو عن طريق ذكر القرآن ان هنـاك يوم حسـاب يحاسـبون فيه الناس ليكون العدل هو الاساس الذى سوف تكون عليه المحاسبة، وهكذا يذكر القرآن الكريم آيات العدل فى كل مظاهرها الوجودية، وسنورد هنا بعض الآيات القرآنيـة التى تعتبر الفاعليـة الالهيـة والتـدبير الالهى قائماً على أساس العدل حيث يقول البارى عزوجل فى هذا المضـمار (شـهد الله أنه لا إله إلاّ هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط) [۱۶۵] أو أن العدل هو المعيار لله سبحانه فى موضوع الخلقة (والسماء رفعها ووضع الميزان) [۱۶۶] . وعلق على هذه الآية الرسول الكريم صـلى الله عليه وآل وسلم بقوله: «بالعدل قامت السماوات والأرض» واهتم القرآن الكريم اهتماماً اسـتثنائياً بالعدل التشـريعى أى مراعاة أصل العدل دائماً فى النظام الاعتبارى والتشريع القانونى، وقد صرح ذلـك فى الكتـاب المعجز بـان الهـدف من ارسال الأنبياء وبعثـة الرسل انما هو قيام النظام البشـرى وارساء الحياة الانسانيـة على أساس العدل والقسط: (لقد أرسـلنا رسـلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) [۱۶۷] . واضافة إلى ذلك فان الاصـل الكلى الـذى نسبه القرآن الى كـل الأنبيـاء بخصوص النظام التشريعى ولا سـيما فى الشـريعة الاسـلامية هو «قل أمر ربى بالقسط» وفى مكـان آخر يقول «ذلكم أقسـط عنـد الله». ويعتبر القرآن الكريم الإمامـة والقيـادة عهـداً الهياً ينبعث عنه النضال عنه النضال ضـد الظلم والتلاؤم مع العـدل، ويقـول القرآن الكريم فى موضـوع لياقـة إبراهيم عليه السـلام للامامـة والقيـادة: (وإذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمـات فـأتمهن قال إنى [صـفحه ۱۵۱] جاعلـك للنـاس اماماً قال ومن ذريتى قال لا ينال عهـدى الظالمين) [۱۶۸] .فعنـدما أختار الله ابراهيم إماماً، إسـتفهم ابراهيم هل تشـمل هذه الموهبة الالهية نسله؟ فأجيب بأن الإمامة عهد إلهى والظالمون لا نصيب لهم فيه، يعنى مقتضى العدالـة الربانية هكذا تكون مع الظالمين. وإذا دققنا النظر فى القرآن الكريم وجدناه يدور حول محور واحد هو العدل فى كل الافكار القرآنيـة من التوحيـد الى المعاد ومن النبوة الى الإمامـة والزعامة ومن الآمال الفردية الى الاهداف الاجتماعية، فالعدل فى القرآن قرين التوحيد وركن المعاد وهدف لتشريع النبوة وفلسـفة الزعامة والإمامة ومعيار كمال الفرد ومقياس سـلامة المجتمع [۱۶۹] اذن بعد هذه المقدمـة فى العـدل يـأتى السؤال فى هـذا المقـام الـذى نحن فيه وهو هـل ان الله جـل جلالـه أعطى الى اوليـاؤه الكـثير من المناصـب والمقامات الروحانية وعلى كل المسـتويات بالعدل أو جزافاً اعطاهم اياها؟ فمثلاً مقام فاطمة الزهراء عليها السـلام وحجيتها على الأئمة وعلى جميع الأنبياء والجن والانس، ومقام شـفاعتها يوم القيامـة وانها تشـفع بالجنـة هل أعطى تعالى هـذه المقامات بالعدل لها فتكون عندئـذ مرتبط بالعـدل الالهى أم لا؟ وهـذا السؤال يحتاج الى ذكر مسألـة مهمـة وهى تعهريف العدجل سواء لغوياً أم اصـطلاحياً وبعد ذلـك نرى مـدى انطبـاق هـذا الموضوع وعلى ضوء التعريف فى حياة الصديقـة الطاهرة فاطمـة عليها السـلام ومـدى ارتباطها بالعـدل

الالهی. العدل فی اللغة: العدل من أسماء الله سبحانه، العدل هو الذی لا یمیل به الهوی فیجور فی الحکم، وهو فی الاصل مصدر سمی به فوضع موضع العادل وهوأبلغ منه لانه جعل المسمی نفسه عدلاً وفلان من أهل المعدلة أی من أهل العدل. والعدل: الحکم بالحق، فیقال هو یقضی بالحق ویعدل وهو حکم عادل: ذو معدلة فی حکمه [۱۷۰] اما تعریف العدل فی الاصطلاح فلقد وردت فیه عدة تعاریف ولکن الذی یهمنا فیما نحن فیه التحریف الذی یقول: «هو رعایة الاستحقاق فی افاضة الوجود [صفحه ۱۵۲] وعدم الامتناع عن الافاضة والرحمة حیث یتوفر امکان الوجود أو امکان الکمال». وعلی أساس هذا التعریف یتبین لنا ان الموجودات تتفاوت مع بعضها فی النظام الکونی من حیث قابلیتها لاکتساب الفیض الالهی من مبدأ الوجود، فکل موجود وفی أی رتبة من الوجود یملک استحقاقاً خاصاً من حیث قابلیته لاکتساب الفیض، ولما کانت الذات الالهیة المقدسة کمالاً مطلقاً وخیراً مطلقاً وفیاضة علی الاطلاق فهی تعطی ولاتمسک ولکنها تعطی لکل موجود ما هو ممکن له من وجودأو کمال وجود، فالعدل الالهی ـ حسب هذه النظریة ـ یعنی ان أی موجود یأخذ من الوجود ومن کماله المقدار الذی یستحقه وبأمکانه ان یستوفیه [۱۷۱] وعلی هذا الاساس تکون الزهراء علیها السلام مستحقة للعدل الالهی فی افاضة الکمال لها وفی کل المقامات المعنویة والروحیة، فکونها علیها السلام حجة علی الأنبیاء وعلی جمیع البشر وانه ما تکاملت نبوة نبی حتی أقر بفضلها وکذلک کونها صاحبة الشفاعة الکبری یوم القیامة وغیرها من المقامات التی أعطاها الله تعالی ایاها کل ذلک لانها کانت مستحقة لکل هذا الکمال، أما کیف کانت مستحقة لذلک فهذا مانفهمه من خلال الزیارة الواردة فی حقها «السلام علیک یا ممتحنة امتحنک الذی خلقک قبل أن یخلقک فوجدک صارة لما امتحنک» فعلی أساس هذا الامتحان وکونها صابرة نجد ان الله تعالی وجدها مستحقة للعدل الالهی وللکمال الذی یلیق بحالها، وعلیه تکون الحکمة الالهیة للعدل الالهی وللکمال الذی یلیق بحالها، حیث تکون الحکمة الالهیة فی وضع الزهراء فی مقامها السامی انما هو بالامکان اللأئق لها وبالعدل الالهی استحقت ذلک فتکون علیها السلام حینئذ مرتبطة بالعدل الالهی من حیث کونها مستحقة للافاضات الربانیة وکما تبین لک من خلال الاحادیث الواردة فی شأنها علیها السلام. هذا من جهة ومن جهة أخری ان مولاتنا لفاطمة علیها السلام هل هی من العدل الالهی أم لا؟ لاشک ولا ریب عندما یطلب الله تعالی منا ان نکو مع الزهراء علیها السلام فی التولیة والتبرئة من اعدائها هو عین العدل الالهی لأنّ الله تعالی وعلی لسانه فی القرآن [صفحه ۱۵۳] الکریم اعتبر أذی رسوله صلی الله علیه وآله وسلم من الأسباب المؤدیة الی اللعنة والعذاب الألیم وبأعتبار کونها علیها السلام من لحم رسول الله بل هی نساء رسول الله المعبر عنهم «بنسائنا» فی آیة المباهلة وأیضاً رضاها رضی رسول الله وغضبها غضب الله ورسوله وإضافة الی ذلک انها مستحقة حسب وجودها واللفیوضات الربانیة کل ذلک یعتبر من العدل الإلهی فتکون عندئذ علیها السلام مرتبطة بصمیم العدل الإلهی وإن مولاتنا لها عین العدل الذی أمرنا الله تعالی ونکون له ملازمین له فی کل الحالات.

فاطمة وعلاقتها بالإمامة

تشکل الإمامة أصلاً مهماً من الأصول الخمسة الدینیة عند الشیعة الإمامیة بعد التوحید والنبوة والعدل، ولقد تظافرت الروایات الشریفة علی التأکید علی هذه المسألة المهمة فی الدین الاسلامی فضلاً عن القرآن الکریم الذی أکد أیضاً علی مسألة إثبات الإمامة من خلال القرآن الکریم والأحادیث الشریفة بل نقول ان من أراد الإطلاع علی هذه القضیة فعلیه مراجعة الکتب الکلامیة التی أثبت هذه المسألة المهمة، ولقد تطرقنا الی هذه المسألة ـ أی الإمامة ـ فی هذه الکتاب بأعتبارها لها إرتباط عمیق بالصدیقة الطاهرة فاطمة الزهراء علیها السلام، وربما سائل یسأل کیف یمکننا أن نعرف أن الزهراء لها ارتباط بصمیم الإمامة؟ وهذا سؤال مهم علی ما أتصوره ولابد من خلال استقراء الکتب الروائیة وحیاة الصدیقة الطاهرة وقراءة بعض النصوص واستنطاقها نجد انه هناک عدة أمور یمکن من خلالها إثبات هذا الارتباط الوثیق للزهراء بالإمامة التی جعلها الله تبارک وتعالی أما ماهیة هذه القضیة من خلال إثباتها عن طریق الروایات أو الزیارات الواردة فهذا ما یتوقف بیانه علی إبراز بعض الأدلة والشواهد التی تؤید هذه القضیة تارة وتدعمها تارة أخری. أولاً: أما الأدلة

التی نستطیع من خلال اثبات ارتباط فاطمة بصمیم الدین فهذا ما یتبین لنا من کونها علیها السلام الحجة علی الأنبیاء فضلًا عن الأئمة علیهم السلام. إما کونها الحجة علی الأنبیاء فهذا ما أثبته الحدیث المروی الذی یقول فیه الإمامة: «ما تکاملت نبوة نبی حتی أقر بفضلها ومحبتها وهی الصدیقة الکبری وعلی معرفتها دارت القرون الأولی» ولا نرید الوقوف مع مفهوم هذا الحیث علی أی شیء یدل فلقد تبین لک کیف انها لابد من الإقرار بفضلها ومحبتها من قبل الخلق أجمعین فضلاص عن الأنبیاء، وإما کونها الحجة علی الأسمة فهذا ما تبین لنا من خلال شرح الحدیث الوارد عن الإمام الحسن العسکری الذی یقول فیه «نحن حجج الله علی خلقه وجدبنا فاطمة علیها السلام حجة الله علینا» فراجع شرح هذا الحدیث فی کتابنا هذا وسوف یتبین لک الحال فی هذا الأمر وهذا یکون أفضل شاهد علی کونها مرتبطة بصمیم الإمامة ولهذا یحتاج الی تمعن فی هذا الأمر وتدقیق عمیق حتی نصل الی مدارکه ومدلولاته. ثانیا: إن الزهراء علیها السلام کانت الرحم الطاهر لحمل الإمامة فهی أم الأئمة الأطهار وهی والدة الحسن والحسین سیدی شباب أهل الجنة واللذان کانا إمامان قاما أو قعدا، فقد حملت بهما من خلال الارتباط السماوی بأمیر المؤمنین حیث زوجها الله تبارک وتعالی من أمیر المؤمنین وکما ورد فی الحدیث الذی یقول «زوج النور من النور» وهذا یشهد به الموالی والمخالف فی قضیة زواج الزهراء علیها السلام، أما کونها رحم طاهرة، فهذا ما أثبتته الآیة الکریمة (إنما یرید الله لیذهب عنکم الرجس أهل البیت ویطهرکم تطهیرا) فضلًا عن الزیارة الشریفة الواردة فی حق الإمام الحسین علیه السلام والتی یقول فیها الإمام علیه السلام «أشهد إنک کنت نوراً فی الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة الی آیة التطهیر تثبت کونها علیها السلام الرحم الطاهر للأئمة علیهم السلام ومن جهة شاهد علی کونها مرتبطة بصمیم الإمامة بالنکتة التی بیناها لک من حیث هی أم الأئمة علیهم السلام. ثالثاً: نجد من خلال استقراء القرآن الکریم ومتابعة آیاته الشریفة أن الزهراء علیها السلام تکون مشترکة ومرتبطة بالإمامة من خلال عدة آیات قرآنیة اثبت اشتراکها مع الأئمة علیهم السلام منها کونها الصراط المستقیم ومشترکة معهم علیهم السلام فلقد ورد عن جابر بن عبدالله الأنصاری أنه قال: [صفحه ۱۵۵] «قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: أن الله جعل علیاً وزوجته وأبناؤه حجج الله علی خلقه، وهم أبواب العلم فی أمتی، من أهتدی بهم هدی الی صراط مستقیم [۱۷۲] وأیضاً عن رسول الله أنه قال: «اهتدوا بالشمس فإذا غاب الشمس فاهتدوا بالقمر، فاذا غاب القمر فاهتدوا بالزهرة، فاذا غابت الزهرة فاهتدوا بالفرقدین، فقیل یا رسول الله ماالشمس وما القمر وما الزهرة وما الفرقدان؟ قال صلی الله علیه وآله وسلم: الشمس أنا، والقمر علیّ، والزهرة فاطمة، والفرقدان الحسن والحسین علیهما السلام» [۱۷۳] . قوله تعالی: (فتلقّی آدم من ربّه کلمات فتاب علیه إنّه هو التوّاب الرحیم) [۱۷۴] . أخرج ابن النجار عن ابن عبّاس قال: سألت رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم عن الکلمات الّتی تلقّاها آدم من ربّه فتاب علیه، سأل بحقّ محمّد وعلّی وفاطمة والحسن والحسین إلا تبت علّی، فتاب علیه [۱۷۵] . قوله تعالی: (فقل تعالوا ندع ابناءنا وأبناءکم...) [۱۷۶] . قال محّب الدّین الطبریّ: لما نزل قوله تعالی: «فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءکم» الآیة، دعا رسول الله صلی الله علیه وآله وسلّم هؤلاء الأربعة [۱۷۷] . عن أبی سعید رضی الله عنه: لمّا نزلت هذه الآیة، دعا رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم علیّاً وفاطمة وحسناً وحسیناً وقال: «اللّهمّ هؤلاء أهلی». أخرجه مسلم والترمذی [۱۷۸] . قوله تعالی: (ألم تر کیف ضرب الله مثلًا کلمةً طیّبة کشجرةٍ طیّبة...) [۱۷۹] . عن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم یقول: أنا شجرة، وفاطمة فرعها، وعلی لقاحها، وحسن وحسین ثمرها، ومحبیّهم [۱۸۰] .من أمّتی أوراقها. ثمّ قال: هم فی جنّة عدن والّذی بعثنی [صفحه ۱۵۶] بالحقّ [۱۸۱] . وعنه صلی الله علیه وآله وسلم یقول: أنا شجرة، وعلّی القلب، وفاطمة اللقاح، والحسن والحسین الثمر، وشیعتنا الورق، وحیث ینبت الشجر تساقط ورقها، ثم قال: فی جنّة عدن والّذی بعثنی بالحقّ [۱۸۲] . وقوله تعالی: (أولئک الّذین یدعون یبتغون إلی ربهّم الوسیلة...) [۱۸۳] . عن عکرمة: هم النّبی وعلّی وفاطمة والحسن والحسین علیهم السّلام [۱۸۴] . قوله تعالی: (إنّی جزیتهم الیوم بما صبروا أنّهم هم الفائزون) [۱۸۵] . عن عبدالله بن مسعود: یعنی جزیتهم بالجنّة الیوم بصبر علّی بن أبی طالب وفاطمة والحسن والحسین فی الدنیا علی الطاعات وعلی الجوع والفقر، وبما صبروا علی المعاصی وصبروا علی البلاء لله فی الدنیا، أنّهم هم الفائزون والناجون من الحساب [۱۸۶] . قوله تعالی: (کمشکاة فیها مصباح المصباح فی زجاجة...) [۱۸۷] . عن موسی بن القاسم، عن علّی بن جعفر قال:

سألت أبا الحسن عليه السلام عن قوله الله عزّوجلّ «كمشكاة فيها مصباح» قال: المشكاة فاطمة، والمصباح الحسن، والحسين الزجاجة «كأنّها كوكب درّى» قال: كانت فاطمة كوكباً درّياً من نساء العالمين «يوقد من شجرة مباركة» الشجرة المباركة إبراهيم «لا شرقيّة ولا غربيّة» لا يهوديّة ولا نصرانيّة «يكاد زيتها يضيء» قال: يكاد العلم أن ينطق منها «ولو لم ـ تمسسه نار، نور على نور» قال: فيها إمام بعد إمام «يهدى الله لنوره من يشاء» قال: يهدى الله عزّوجلّ لولا يتنا من يشاء [۱۸۸] . [صفحه ۱۵۷] قوله تعالى: (وأمر أهلك بالصلواة اصطبر عليها...) [۱۸۹] . عن عبدالله بن الحسن، عن أبيه، عن جدّه قال: أبو الحمراء خادم النّبى صلى الله عليه وآله وسلم: لمّا نزلت هذه الآية كان النّبى صلّى الله عليه وآله يأتى باب علّى وفاطمة عند كل صلوة فيقول: الصلاة ـ رحمكم الله ـ إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً [۱۹۰] . قوله تعالى: (وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً...) [۱۹۱] . عن السدّى: نزلت فى النّبى صلى الله عليه وآله وسلم وعلّى، زوّج فاطة علّياً، وهو ابنعمّه وزوج ابنته،كان نسباً وكان صهراً [۱۹۲] . قول تعالى: (واجعلنا للمتّقين إماماً) [۱۹۳] . قال النّبى صلى الله عليه وآل وسلم قلت: يا جبرئيل من أزواجنا؟ قال: خديجة. قال: ومن ذرياتنا؟ قال: فاطمة. وقرّة أعين؟ قال: الحسن والحسين. قال: واجعلنا للمتّقين إماماً؟ قال: علىّ بن أبى طالب [۱۹۴] . قوله تعالى (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) [۱۹۵] . عن أبى سعيد الخدرىّ رضى الله عنه قال: نزلت فى خمسة: فى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلّى وفاطمة والحسن والحسين، أخرجه أحمد فى المناقب وأخرجه الطبرانّى [۱۹۶] . قوله تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة فى القربى ـ) [۱۹۷] . قال الزّمخشرىّ: إنّها لمّا نزلت «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة فى القربى» قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الّذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: علّى وفاطمة [صفحه ۱۵۸] وابناهما... وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً. ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له. ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له. ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات تائباً. ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مؤمناً مستكمل الإيمان. ألا ومن مات على حبّ آل محمّد بشرّه ملك الموت بالجنّة ثمّ منكر ونكير. ألا ومن مات على حبّ آل محمّد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها. ألا ومن مات على حبّ آل محمّد فتح له فى قبره بابان إلى الجنّة. ألا ومن مات على حبّ آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة. ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة. ألا ومن مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله. ألا ـ ومن مات على بغض آل محمّد مات كافراً. ألا ومن مات على بغض آل محمّد لم يشمّ رائحة الجنّة [۱۹۸] . قوله تعالى: (ذلك بأنّ الله مولى الّذين آمنوا وأنّ الكافرين لامولى لهم) [۱۹۹] . عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس: يعنى ولىّ على وحمزة وجعفر وفاطمة والحسن والحسين وولّى محمّد صلى الله عليه وآل وسلم، ينصرهم بالغلبة على عدوّهم [۲۰۰] . قوله تعالى: (كانوا قليلاً ـ من اللّيل ما يهجعون) [۲۰۱] . عن عبدالله بن عبّاس قال: نزلت فى علّى بن أبى طالب والحسن والحسين وفاطمة عليه السلام [۲۰۲] . قوله تعالى: (والّذين آمنوا واتّبعتهم ذرّيّتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرّيّتهم) [۲۰۳] . عن ابن عبّاس قال: نزلت فى النّبى وعلّى وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام [۲۰۴] . [صفحه ۱۵۹] قوله تعالى: (مرج البحرين يلتقيان، بينهما برزخ لا ـ يبغيان، فبأىّ آلاء ربّكما تكذّبان، يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) [۲۰۵] . أخرج ابن مردويه عن ابن عباس فى قوله: «مرج البحرين يلتقيان» قال: علّى وفاطمة، «بينهما برزخ لا يبغيان» قال: النّبى صلى الله عليه وآله وسلم، «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان» قال: الحسن الحسين [۲۰۶] . قوله تعالى: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) [۲۰۷] . إنّ رجلاً جاء إلى النّبى صلى الله عليه وآله وسلم فشكا إليه الجوع، فبعث إلى بيوت آزواجه فقلن: ماعندنا إلّا الماء. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: من لهذه الليلة؟ فقال علىّ عليه السلام: أنا يا رسول الله. فأتى فاطمة فأعلمها، فقالت: ما عندنا إلّا قوت الصبية ولكنّا نؤثر به ضيفنا. فقال علىّ عليه السلام: نوّمى الصبية وأنا أطفىء للضيف السراج. ففعلت وعشّى الضيف. فلمّا أصبح أنزل الله عليهم هذه الآية: «ويؤثرون عن أنفسهم» [۲۰۸] . عن ابن عباس فى قول الله «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» قال: نزلت فى علّى وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام [۲۰۹] . قوله تعالى: (ويطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً) [۲۱۰] . قال أبو الفضل شهاب الدين السيّد محمود الآلوسىّ:

وماذا عسی یقول امرؤ فیهما یعنی علیّا وفاطمهٔ علیهما السلام سوی أنّ علیّا مولی المؤمنین ووصّی النّبی، وفاطمهٔ البضعهٔ الأحمدیّهٔ والجزء المحمّدیّ، وأمّا الحسنان فالّروح والریحان وسیّدا شباب أهل الجنان. ولیس هذا من الرفض، بل ما سواه عندی هو الغیّ. ومن اللطائف علی القول بنزولها فیهم أنّه سبحانه لم یذکر فیها الحور العین، وأنّما صرّح عزّوجلّ بولدان مخلّدین رعایهٔ [صفحه ۱۶۰] لحرمهٔ البتول وقرّهٔ عین الرسول [۲۱۱] . قوله تعالی: (لیلهٔ القدر خیر من ألف شهر تنزّل الملائکهٔ والروح فیها) [۲۱۲] . عن عبدالله نب عجلان السکونی قال: سمعت أبا جعفر علیه السلام یقول: بیت علّی وفاطمهٔ من حجرهٔ رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، وسقف بیتهمعرض ربّ العالمین، وفی قعر بیوتهم فرجهٔ مکشوطهٔ إلی العرش معراج الوحی، والملائکهٔ تنزل علیهم بالوحی صباحاً ومساءً وفی کلّ ساعهٔ وطرفهٔ عین، والملائکهٔ لا ینقطع فوجهم، فوج ینزل وفوج یصعد [۲۱۳] . رابعاً: من خلال الروایات الشریفهٔ نجد ان الزهراء علیها السلام مرتبطهٔ ومشترکهٔ مع الأئمهٔ الذین یمثلون الدعامهٔ الکبری الإمامهٔ فی کثیر من الامور وهذا ما نجده من خلال الروایات الشریفهٔ التی اثبت هذه المسألهٔ ومنها:

فی خلقتها النورانیهٔ

عن النّبی صلی الله علیه وآل وسلم إنّه قال: لمّا خلق الله تعالی آدم أبو البشر [۲۱۴] ونفخ فیه من روحه، التفت آدم یمنهٔ العرض فإذا فی النور خمسهٔ أشباح سجّداً ورکّعاً، قال آدم: یا ربّ هل خلقت أحداً من طین قبلی؟ قال: لا، یا آدم، قال: فمن هؤلاء الخمسهٔ الأشباح الّذین أراهم فی هیئتی وصورتی؟ قال: هؤلاء خمسهٔ من ولدک، لولاهم ما خلقتک، هؤلاء خمسهٔ شققت لهم خمسهٔ أسماء من أسمائی، لولاهم ما خلقت الجنّهٔ ولا النار، ولا العرش، ولا الکرسی، ولا السماء، ولا الأرض، ولا الملائکهٔ، ولا الانس، ولا الجنّ. فأنا المحمود وهذا محّمد، وأنا العالی وهذا علّی، وأنا الفاطر وهذه فاطمهٔ، وأنا الإحسان وهذا الحسن، وأنا المحسن وهذا الحسین، آلیت بعزّتی أنّه لا یأتینی أحد [صفحه ۱۶۱] بمثقال ذرّهٔ من خردل من بغض أحدهم إلاّ أدخلته ناری ولا أبالی. یا آدم، هؤلاء صفوتی من خلقی، بهم أنجیهم وبهم أهلکهم، فإذا کان لک إلیّ حاجهٔ فبهؤلاء توسّل. فقال النّبی صلی الله علیه و آله وسلم: نحن سفینهٔ النجاهٔ، من تعلّق بها نجا، ومن حا عنها هلک، فمن کان له إلی الله حاجهٔ فلیسأل بنا أهل البیت [۲۱۵] .

فی بدء خلقتها

عن النّبی صلی الله علیه وآله وسلم قال: إنّ الله خلقنی وخلق علیّا وفاطمهٔ والحسن والحسین قبل أن یخلق آدم علیه السلام، حین لاسماء مبنّیهٔ، ولا أرض مدحیّهٔ، ولا ظلمهٔ ولانور، ولا شمس ولا قمر، ولا جنّهٔ ولانار، فقال العبّاس: فکیف بدء خلقکم یا رسول الله؟ فقال: یا عمّ: لمّا أراد الله أن یخلقنا تکلّم بکلمهٔ خلق منها نوراً، ثمّ تکلّم بکلمهٔ أخری فخلق منها روحاً، ثمّ مزج النور بالروح فخلقنی وخلق علیّا وفاطمهٔ والحسن والحسین، فکنّا نسبّحه حین لا تسبیح، ونقدّیه حین لا تقدیس، فلما أراد الله تعالی أن نشیء خلقه فتق نوری فخلق منه العرش فالعرش من نوری، ونوری من نور الله، ونوری أفضل من العرش، ثمّ فتق نور أخی علّی فخلق منه الملائکهٔ، فالملائکهٔ من نور علّی، ونور علیّ من نور الله، وعلی أفضل من الملائکهٔ، ثم فتق نور ابنتی فخلق منه السماوات والأرض، فالسموات والأرض من نور ابنتی فاطمهٔ، ونور ابنتی فاطمهٔ من نور الله، وابنتی فاطمهٔ أفضل من السماوات والأرض. ثمّ فتق نور ولدی الحسن، ونور الحسن من نور الله، والحسن أفضل من الشمس والقمر. ثمّ فتق نور ولدی الحسین فخلق منه الجنّهٔ والحور العین، فالجنّهٔ والحور العین من نور ولدی الحسین، ونور ولدی الحسین من نور الله، وولدی الحسین أفضل من الجنّهٔ والحور العین [۲۱۶] . [صفحه ۱۶۲]

فی عرض ولایتها علی الأشیاء

فی حدیث الإسراء: یا محمّد! إنّی خلقتک وخلقت علیّا وفاطمهٔ والحسن والحسین والأئمهٔ من ولد الحسین من نوری، وعرضت

ولا-یتکم علی أهل السماوات والأرض، فمن قبلها کان عندی من المؤمنین، ومن جحدها کان عندی من الظالّین «الظالمین خ ل». یا محمّد! لو أنّ عبداً من عبیدی عبدنی حتیّ ینقطع، أو یصیر کالشنّ البالی، ثمّ أتانی جاحداً لولا یتکم ما غفرت له حتی یقرّ بولایتکم. یا محمّد: أتحبّ أن تراهم؟ قلت: نعم، یا ربّ! قال: التفت، فالتفتّ عن یمین العرش، فإذا أنا باسمی وباسم علّی وفاطمهٔ والحسن والحسین وعلیّ ومحمّد وجعفر وموسی وعلّی والحسن، والمهدیّ فی وسطهم کأنّه کوکب درّیّ، فقال: یا محمّد! هؤلاء حی علی خلقی، وهذا القائم من ولدک بالسیف من أعدائک [۲۱۷] .

فی سبق دخولها الجنهٔ

عن علی علیه السلام عن النّبی صلی الله علیه وآله وسلم إنّ أوّل من یدخل الجنّهٔ أنا وأنت وفاطمهٔ والحسن والحسین. قال علیّ: فمحبّونا؟ قال: من ورائکم [۲۱۸] .

فی کونها فی خطیرهٔ القدس

وعنه صلّی الله علیه وآله: إنّ فاطمهٔ وعلیّا والحسن والحسین فی خطیرهٔ القدس فی قبّهٔ بیضاء، سقفها عرش الرحمن [۲۱۹] . [صفحه ۱۶۳]

فی جواز دخولها مسجد النبی

وعنه صلّی الله علیه وآله: ألا لا یحلّ المسجد لجنب ولا حائض إلّا لرسول الله وعلّی وفاطمهٔ والحسن والحسین علیهم السلام [۲۲۰] .

فی سکونتها معهم فی الجنهٔ

عن النّبی صلّی الله علیهم وآله قال: فی الجنّهٔ درجهٔ تدعی الوسیلهٔ، فإذا سألتم الله فاسألوا لی الوسیلهٔ. قالوا: یا رسول الله! من یسکن معک فیها؟ قال: علّی وفاطمهٔ والحسن والحسین علیهم السلام [۲۲۱] .

فی کونها رکنا لعلی

علی النّبی صلی الله علیه وآله وسلم إنه قال لعلّی بن أبی طالب علیه السلام: سلام علیک یا أبا الریحانتین، فعن قلیل یذهب رکناک، والله خلیفتی علیک. فلّما قبض رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم قال علی علیه السلام: هذا أحد الرکنین، فلمّا ماتت فاطمهٔ علیها السلام قال: هذا الرکن الآخر [۲۲۲] . أقول: ینبغی إمعان النظر فی معنی الرکنیّهٔ، فأیّ معنی تصوّر لرکنیّهٔ صلی الله علیه وآله وسلم لعلّی علیه السلام فهوثابت لفاطمهٔ الزهراء علیها السلام، ولعمری هذا مقام شامخ لم ینله أحد إلّا هی، وهو من مختصّاتها علیها السلام. [صفحه ۱۶۴]

فی إصابهٔ نور الله لها

عن النّبی صلی الله علیه وآله وسلم قال: لمّا خلق الله الجنّهٔ خلقها من نور وجهه، ثمّ أخذ ذلک النور فقذفه فأصابنی ثلث النور، وأصاب فاطمهٔ ثلث النور، وأصاب علیّاً وأهل بیته ثلث النور. فمن أصابه من ذلک النور اهتدی إلی ولایهٔ آل محمّد صلی الله علیه وآله وسلم [۲۲۳] ، ومن لم یصبه من ذلک النور ضلّ عن ولایهٔ آل محمد صلی الله علیه وآله وسلم أقول: التدبّر فی هذا الحدیث یعطی جلالهٔ

شأنها وعلوّ درجاتها علیها السلام، إذ جعلها الله ـ تعالی شأنه ـ فی النور قسیم أبیها وبعلها وبنیها علیهم السلام، بل هی أکبر حظّاً منهم. وهذا لعمری شأوٌ لاتنالها أیدی المتناولین، وبحر لا یدرک قعرها غوص المتعمّقین.

فی کونها خیر خلق الله تعالی

عن النبی صلی الله علیه وآله وسلم فی حدیث طویل: علی ساق العرش مکتوب: لا ـ إله إلاّ ـ الله، محمّد رسول الله، وعلی وفاطمة والحسن والحسین خیر خلق الله [۲۲۴] .

فی اختیار الله تعالی ایاها علی النساء

قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم لعلّی علیه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ أشرف علی الدنیا فاختارنی منها علی رجال العالمین، ثمّ اطّلع الثانیة فاختارک علی رجال العالمین، ثمّ اطلع الثالثة فاختار الأئمّة من ولدک علی رجال العالمین، ثمّ اطّلع الرابعة فاختار فاطمة علی نساء العالمین [۲۲۵] . قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: لیلة عرج بی إلی السماء رأیت علی باب الجنّة مکتوباً: لا [صفحه ۱۶۵] إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، علیّ حبیب الله، والحسن والحسین صفوة الله، فاطمة خیرة الله، علی باغضهم لعنة الله [۲۲۶] .

فی وجوب إطاعتها علی الکائنات

عن أبی جعفر علیه السلام فی حدیث طویل: ولقد کانت علیها السلام مفروضة الطاعة علی جمیع من خلق الله من الجنّ والإنس والطیر والوحش والأنبیاء والملائکة ـ الحدیث [۲۲۷] . عن محمّد بن سنان قال: کنت عند أبی جعفر الثانی علیه السلام فأجریت اختلاف الشیعة، فقال: یا محمّد إنّ الله تبارک وتعالی لم یزل متفرداً بوحدانّیته، ثمّ خلق محمّداً وعلیّاً وفاطمة، فمکثوا ألف دهر، ثمّ خلق جمیع الأشیاء فأشهدهم خلقها، وأجری طاعتهم علیها، وفوّض أمورها إلیهم، فهم یحلّون ما یشاؤون، ویحرّمون ما یشاؤون، ولن یشاؤوا إلاّ أن یشاء الله تبارک وتعالی. ثمّ قال: یا محمّد، هذه الدیانة التی من تقدّمها مرق [۲۲۸] ، ومن تخلّف عنها محق، زن لزمها لحق، خذها إلیک یا محمّد [۲۲۹] . قال العلامة المجلسیّ فی شرح هذا الحدیث: «فأشهدهم خلقها»، أی خلقها بحضرتهم وهم یطّلعون علی أطوار الخلق وأسراره. «وأجری طاعتهم علیها» أی أوجب علی جمیع الأشیاء طاعتهم حتّی الجمادات والسماویّات والأرضیات. «وفوّض أمورها إلیهم» من التحلیل والتحریم والعطاء والمنع، وإن کان ظاهره تفویض تدبیرها إلیهم من الحرکات والسکنات والأرزاق والأعمار وأشباهها [۲۳۰] . عن أبی سعید الخدریّ قال: کنّا جلوساً عند رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم إذا قبل إلیه رجل فقال: یا رسول الله أخبرنی عن قول الله عزّ وجلّ لإبلیس: «أستکبرت أم کنت من [صفحه ۱۶۶] العالمین» [۲۳۱] ، من هم یا رسول الله الّذین هم أعلی من الملائکة المقرّبین؟ فقال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: أنا وعلیّ وفاطمة والحسن والحسین، کنّا فی سرادق العرش نسبّح الله فسبّحت الملائکة بتسبحنا قبل أن یخلق الله عزّ وجلّ آدم بألفی عام، فلمّا خلق الله عزّ وجلّ آدم أمر الملائکة أن یسجدوا له، ولم یؤمروا بالسّجود إلاّ لأجلنا، فسجدت الملائکة کلّهم أجمعون إلاّ إبلیس أبی أن یسجد، فقال الله تبارک وتعالی: «یا إبلیس ما منعک أن تسجد لما خلقت بیدیّ أستکبرت أم کنت من العالمین» أی من هؤلاء الخمسة المکتوبة أسماؤهم فی سرادق العرش. فنحن باب الله الّذی یؤتی منه، وبنا یهتدی المهتدون، فمن أحبّنا أحبّه الله وأسکنه جنّته، ومن أبغضنا أبغضه الله وأسکنه ناره، ولا یحبّنا إلاّ من طاب مولده [۲۳۲] .

فی رکوبها یوم القیامة

عن النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم: یبعث الله الأنبیاء یوم القیامة علی الدوابّ، ویبعث صالحاً علی ناقته کیما یوافی بالمؤمنین من

أصحابه المحشر، وتبعث فاطمة، والحسن والحسين عليهم السلام على ناقتين من نوق الجنّة، وعلىّ بن أبى طالب على ناقتى، وأنا على البراق، ويبعث بلالاً على ناقته فينادى بالأذان ـ الحديث [۲۳۳] .

فى تكلمها فى بطن أمها

عن بعض الرواة الكرام: إنّ خديجة الكبرى رضى الله عنها ـ تمنّت يوماً من الأيّام على سيّد الأنام أن تنظر إلى بعض فاكهة دار السّلام، فأتى جبرئيل إلى المفضّل على الكونين من الجنّة بتفّاحتين وقال: يا محمّد، يقول لك من جعل لكلّ شىء قدراً: [صفحه ۱۶۷] كل واحدة وأطعم الاخرى لخديجة الكبرى، فاغشها، فإنّى خالق منكما فاطمة الزهراء. ففعل المختار ما أشار به الأمين وأمر. فلّما سأله الكفّار أن يريهم انشقاق القمر ـ وقد بان لخديجة حملها بفاطمة وظهر ـ قالت خديجة: واخيبة من كذّب محمّدا وهو خير رسول ونبّى! فنادت فاطمة من بطنها: يا أمّاه لا تحزنى ولا ترهبى فإنّ الله مع أبى ـ الخبر [۲۳۴] .

فى كونها تحت قبة العرش

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنا وعلىّ وفاطمة والحسن والحسين يوم القيامة فى قبّة تحت العرش. قلت «الحافظ الكنجىّ» ما كتبناه إلّا من هذا الوجه «السند المذكور فيه» وهو حديث حسن عال [۲۳۵] .

فى ثواب

عن يزيد بن عبدالملك النوفلّى، عن أبيه، عن جدّه قال: دخلت على الفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: فبدأتنى بالسّلام، قال: وقالت: قال أبى ـ وهو ذا حىّ ـ من سلّم علىّ وعليك ثلاثة أيّام فله الجنّة. قلت لها: ذا فى حياته وحياتك أو بعد موته وموتك؟ قالت: فى حياتنا وبعد وفاتنا [۲۳۶] . عن ابن عبّاس قال: لمّا ولدت فاطمة بنت النبّى صلى الله عليه وآله وسلم سمّاها المنصورة، فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: الله يقرئك السّلام ويقرئ مولودك السّلام [۲۳۷] . [صفحه ۱۶۸]

فى نزول حنوطها من الجنة

عن ابن سنان رفعه قال: السّنة فى الحنوط ثلاثة عشر درهماً وثلث. قال محمّد بن أحمد: ورووا أنّ جبرئيل عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحنوط، وكان وزنه أربعين درهماً، فقسمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة أجزاء: جزءاً له، وجزءاً لعلىّ، وجزءاً لفاطمة صلوات الله عليهم أجمعين [۲۳۸] .

اشتراكها معهم فى الحرب والسلم

عن أبى حازم، عن أبى هرية قال: نزر النبّى صلى الله عليه وآله سلم إلى الحسن والحسين وفاطمة فقال: أنا حرب لمن حاربكم، وسلم لمن سالمكم [۲۳۹] . أقول: ولمّا جرّ البحث بنا إلى هنا ينبغى لنا أن نورد شيئاً من الأخبار ثم من الكلام حول المسالة إتماماً للفائدة وإيفاءً لبعض حقّها عليها السلام فنقول: عن مجاهد: خرج النبّى صلى الله عليه وآله وسلم وهو آخذ بيد فاطمة، فقال: «من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهى فاطمة بنت محمّد، وهى بضعة منّى، وهى قلبى، وهى روحى الّتى بين جنبّى، من آذاها فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله» [۲۴۰] . وعنه صلى الله عليه وآله وسلم إنّما فاطمة حذية [۲۴۱] منّى، يقبضنى ما يقبضها. وعن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنّ فاطمة شعرة منّى، فمن آذى شعرة منّى فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله، ومن آذى الله لعنه الله مل السماوات والأرض [۲۴۲] . وعن ابن عباس قال: قال صلى الله عليه وآله وسلم: يا على إنّ فاطمة بضعة منّى،

هی نور عینی وثمرة فؤادی، یسوءنی ماساءها ویسرّنی ما سرّها، وإنها أوّل من یلحقنی من [صفحه ۱۶۹] أهل بیتی، فأحسن إلیها من بعدی، والحسن والحسین فهما ابنای وریحانتای، وهما سیدا شباب أهل الجنّة، فلیکونا علیک کسمعک وبصرک. ثمّ رفع صلی الله علیه وآله وسلم یدیه إلی فقال: اللّهمّ إنّی أشهدک أنّی محبّ لمن أحبهّم، مبغض لمن أبغضهم، سلم لمن سالمهم، حزب لم حاربهم، عدوّ لمن عاداهم، ولّی لمن والاهم [۲۴۳] وقال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: إنّما فاطمة بضعة منّی، یسوءنی ماساءها [۲۴۴] وعن علّی علیه السلام إنّ الله عزّ وجلّ لیغضب لغضب فاطمة، ویرضی لرضاها [۲۴۵] . وعنه علیه السلام: یا فاطمة إنّ الله لیغضب لغضبک، ویرضی لرضاک [۲۴۶] وإنّ رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم قال: فاطمة بضعة منّی ن فمن أغضبها أغضبنی [۲۴۷] وقال علیه السلام: إنّما فاطمة بضعة منّی، یؤذینی ما آذاها [۲۴۸] وعنه علیه السلام: فإنّما ابنتی بضعة منّی، یریبنی مارابها، ویؤذینی ما آذاها [۲۴۹] وعنه علیه السلام: إنّ فاطمة بنت محمّد مضغة منّی [۲۵۰] وعنه علیه السلام: «إنّما فاطمة بضعة منّی، یؤذینی ما آذاها، وینصبنی ما أنصبها». هذا حدیث صحیح علی شرط الشیخین ولم ـ یخرجاه [۲۵۱] وعنه علیه السلام: إنّما فاطمة مضغة منّی، فمن آذاها فقد آذانی [۲۵۲] وعنه علیه السلام: فاطمة بضعة منّی، یسعفنی ما أسعفها [۲۵۳] وعنه علیه السلام: فاطمة شجنة منّی، یبسطنی ما یبسطها، ویقبضنی ما یقبضها [۲۵۴] . [صفحه ۱۷۰]

اشتراکها معهم فی تکون المیزان

قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: أنا میزان العلم، وعلیّ کفّتاه والحسن والحسین خیوطه، وفاطمة علاقته، والأئمّة من أمّتی عموده، یوزن فیها أعمال المحبّین لنا والمبغضین لنا [۲۵۵] .

اشتراکها معهم فی قصة سفینة نوح

عن النبّی صلی الله علیه وآله وسلم أنه قال: لمّا أراد الله عزّوجلّ أن یهلک قوم نوح علیه السلام أوحی الله إلیه أن شقّ ألواح الساج. فلّما شقّها لم یدر ما صنع، فحبط جبرئیل علیه السلام فأراه هیئة السفینة ومعه تابوت فیه مائة ألف مسمار وتسعة وعشرون ألف مسمار. فسمر المسامیر کلّها فی السفینة إلی أن بقیت خمسة مسامیر، فضرب بیده إلی مسمارٍ منها، فأشرق فی یده وأضاء کما یضیء الکوکب الدرّی فی أفق السماء فتحّیر من ذلک نوح، فأنطق الله ذلک المسمار بلسان طلقٍ ذلق فقال: أنا علی اسم خیر الأنبیاء محمّد بن عبدالله صلی الله علیه وآله وسلم. فهبط جبرئیل علیه السلام فقال له: یا جبرئیل، ما هذا المسمار الّذی ما رأیت مثله؟ قال: هذا باسم خیر الأولین والآخرین محمّد بن عبدالله علیه السلام، أسمره فی أوّلها علی جانب السفینة الأیمن. ثمّ ضرب بیده علی مسمار ثانٍ، فاشرق وأنار، فقال نوح علیه السلام: وما هذا المسمار؟ قال: مسمار أخیه وابن عمه علّی بن أبی طالب، فأسمره علی جانب السفینة الیسار فی أولها. ثمّ ضرب بیده علی مسمار ثالث، فزهر وأشرق وأنار، فقال له جبرئیل علیه السلام: هذا مسمار فاطمة علیها السلام، فأسمره إلی جانب مسمار أبیها صلی الله علیه وآله وسلم. ثمّ ضرب بیده إلی مسمار رابع فزهر وأنار، فقال له: هذا مسمار الحسن علیه السلام فأسمره إلی جانب مسمار ألیه صلی الله علیه وآله وسلم. ثمّ ضرب بیده إلی مسمار خامس، فأشرق وأنار وبکی وأظهر النداوة [۲۵۶] ، فقال: یا جبرئیل ما هذه النداوة؟ فقال: هذا مسمار الحسین بن علیّ سیّد [صفحه ۱۷۱] الشهداء، فأسمره إلی جانب مسمار أخیه. ثمّ قال النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم قال الله تعالی: (وحملناه علی ذات ألواح ودسرٍ) [۲۵۷] ، قال النبیّ علیه السلام: الألواح خشب السفینة، ونحن الدسر، ولولانا ماسارت السفینة بأهلها [۲۵۸] .

توسل زکریا بها

عن مولانا المهدیّ علیه السلام فی جواب سعد بن عبدالله فی حدیث طویل: إنّ زکریّا سأل ربّه أن یعلّمه أسماء الخمسة، فأهبط علیه

جبرئيل عليه السلام فعلّمه إيّاها. فكان زكرّيا إذا ذكر اسم الحسين خنقته العبرة ووقعت عليه البهرة [۲۵۹] فقال ذات يوم: إلهى ما بالى إذا ذكرت أربعاً منهم تسلّيت بأسمائهم من همومى، وإذا ذكرت الحسين تدمع عينى وتثور زفرتى؟ فأنبأه الله تبارك وتعالى عن قصّته وقال: «كهيعص» [۲۶۰] فالكاف اسم كربلاء، والهاء هلاك العترة، والياء يزيد وهو ظالم الحسين، والعين عطشه، والصاد صبره. فلّما سمع ذلك زكرّيا عليه السلام لم يفارق مسجده ثلاثة أيام، ومنع فيها الناس من الدخول عليه، وأقبل على البكاء والنحيب، وكانت ندبته: «إلهى، أتفجع خير خلقك بولده؟ أتنزل بلوى هذه الرزّية بفنائه؟ إلهى أتلبس عليّاً وفاطمة ثياب هذه المصيبة؟ أتحّل كربة هذه الفجيعة بساحتهما»؟ ثمّ كان يقول: «إلهى ارزقنى ولداص تقرّ به عينى على الكبر، اجعله وارثاً وصيّاً، واجعل محلّه الحسين، فإذا رزقتنيه فافتنّى بحبّه، ثمّ افجعنى به كما تفجع محمّداً حبيبك بولده»، فرزقه الله يحيى عليه السلام، وفجعه به. وكان حمل يحيى ستّة أشهر وحمل الحسين عليه السلام كذلك [۲۶۱]. [صفحه ۱۷۲]

تحية الله تعالى إياها معهم بتفاحة

عن ابن عبّاس قال: كنت جالساً بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم وبين يديه علىّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام إذ هبط جبرائيل ومعه تفّاحة فيحّى بها النبّى صلى الله عليه وآل وسلم فتحيّى بها، وحيّى بها علىّ بن أبى طالب عليه السلام فتحيّى بها وقبلّها وردها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتحيّى بها، وحيّى بها الحسين فتحيّى بها وقبلها وردّها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتحّيى بها، وحيىّ بها فاطمة عليها السلام فتحيّت بها وقبلتها وردّتها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتحيّى بها الرابعة وحيّى بها علىّ بن أبى طالب عليه السلام فتحيّى بها، ولمّا همّ أن يرّدها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سقطت التفّاحة من بين أنامله فانفلقت نصفين فسطع منها نور حتّى بلغ السماء الدنيا، فاذا عليها سطران مكتوبان: «بسم الله الرحمن الرحيم، تحيّة من الله تعالى إلى محمد المصطفى، وعلىّ المرتضى، وفاطمة الزهراء، والحسن والحسين سبطى رسول الله، وأمان لمحبّيهم يوم القيامة من النار» [۲۶۲].

عرض حبها على البرية

قال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ الله له الحمد عرض حبّ علىّ وفاطمة وذرّيتها على البرّية، فمن بادر منهم بالإجابة جعل منهم الرسول، ومن أجاب بعد ذلك جعل منهم الشيعة، وإن الله جمعهم فى الجنّة [۲۶۳].

اشتراكها معهم فى الصلوات

عن كعب بن عجرة قال: لمّا نزلت هذه الآية (إنّ الله وملائكته يصلّون على النبىّ يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلمّوا تسليماً) [۲۶۴] قلنا: يا رسول الله قد علمنا كيف نسلّم عليك، كيف نصلّى عليك؟ فقال: قولوا: اللّهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد ـ إلى آخره. وفى رواية الحاكم: فقلنا: يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ قال: قولوا: اللّهم صل على محمد وعلى آل محمّد ـ إلى آخره. ويروى: لا تصلّوا علىّ الصلاة البتراء، فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال: تقولون: اللّهم صلّ على محمّد، وتسكتون، بل قولوا: اللّهم صلّ على محمّد وعلى آل محمّد [۲۶۵] ... فقيل له من أهلك يا رسول الله؟ قال: علىّ وفاطمة والحسن والحسين [۲۶۶] وقال العلاّمة المحقّق المولى أحمد الأردبيلىّ: واعلم أنّه قد ادّعى المصنّف «العلامة الحلّى ـ ره» فى «المنتهى»: إجماع علمائنا أيضاً على وجوب الصلاة على آله عليهم السلام، وأن المجزى من الصلاة على النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول: «اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد». ويدلّ عليه أيضاً ماروى عن طرقهم عن كعب الأحبار فى كيفية الصلاة عليه حيث قال: قد عرفنا السلام عليك، فكيف الصّلاة؟ قال: اللّهمّ صلّ على محمد وآل محمّد. والعجب أنّهم يحذفون الآل ويتركون هذا المنقول حتّى فى هذا الخبر. ويقولون: قال:

صلّى الله عليه. أفاده بعض السادة رحمهم الله وهو سيّد حسن السفطّى. ويدلّ على ذلك غيره أيضاً، والظاهر أنّ المراد بآله ـ صلوات الله عليه وآله ـ الأئمّة مطلقاً وفاطمة عليها السلام حقيقة لا تغليباً، يدلّ عليه وضع الآل لغة ثمّ عرفاً أيضاً، وبعض الأخبار أيضاً، ولا يدل على الاختصاص بأمير المؤمنين وفاطمة وولديهما ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ الروايات الواقعة فى سبب نزول آية التطهير، لأنّهم كانوا موجودين فى ذلك الزمان، والحصر كان إضافيّاً حيث يقول لبعض نسائه: إلى خير. ولهذا أثبت الأصحاب عصمتهم بالآية، فلا ينبغى قول المحقّق الثانى والشهيد الثانى [۲۶۷] . وقال العلامة الأمينىّ: أخرج الديلمىّ أنّه صلى الله عليه وآله وسلم قال: الدعاء محجوب حتّى يصلّى على محمد وأهل بيته: اللّهمّ صلّ على محمد وآله. ورواه عنه ابن حجر فى «الصواعق» [صفحه ۱۷۴] ص ۸۸. وأخرج الطبرانى فى «الأوسط» عن علىّ أمير المؤمنين عليه السلام: كلّ دعاء محجوب حتّى يصلّى على محمّد وآل محمّد. وذكره الحافظ الهيثمى فى «مجمع الزوائد» ج ۱، ص ۱۶۰. وقال: رجاله ثقات. وأخرج البيهقّى وابن عساكر وغيرهما عن علىّ عليه السلام مرفوعاً ما معناه: الدعاء والصلاة معلّق بين السماء والأرض لا يصعد إلى الله منه شىء حتّى يصلّى عليه ـ صلّى الله عليه ـ وعلى آل محمّد. ـ «شرح الشفا» للخفاجى، ج ۳، ص ۵۰۶ [۲۶۸] . وقال الرازى فى تفسيره الكبير: وأنا أقول: آل محمّد صلى الله عليه وآله هم الّذين يؤول أمرهم إليه، فكلّ من كان أمرهم إليه أشد وأكمل كانوا هم الآل. ولا شك أنّ فاطمة وعلّياً والحسن والحسين كان التعّلق بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشدّ التعلّقات، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هو الآل [۲۶۹] . وقال أيضاً: أنّ أهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم يساوونه فى خمسة أشياء: فى السلام، قال: السلام عليك أيّها النبىّ؛ وقال: «سلام على آل ياسين» «الصافّات، ۱۲۰»، وفى الصلاة عليه وعليهم فى التشهد، وفى الطهارة، قال تعالى: «أى يا طاهر. وقال: «ويطهّركم تطهيراً» «الأحزاب، ۳۳» وفى تحريم الصدقة وفى المحبّة، قال تعالى: «فاتّبعونى يحببكم الله» «آل عمران، ۳۱». وقال: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة فى القربى» «الشورى، ۲۲». وقال ابن حجر: صحّ عن كعب بن عجرة قال: لمّا نزلت هذه الآية «يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً» قلنا: يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلّى عليك؟ فقال: قولوا: اللّهمّ صلّ على محمد وآل محمّد ـ إلى آخره. فسؤالهم بعد نزول الآية وإجابتهم باللّهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمد ـ إلى آخره دليل ظاهر على أنّ الأمر بالصلاة على أهل بيته وآله عقب نزولها ولم يجابوا بما ذكر؛ فلّما أجيبوا به دلّ على أنّ الصلاة عليهم من جملة المأمور به، وأنّه صلى الله عليه وآله وسلم أقامهم فى ذلك مقام نفسه، لأنّ القصد من الصلاة عليه مزيد تعظيمه، ومنه تعظيمهم. ومن ثمّ لمّا [صفحه ۱۷۵] أدخل من مرّ فى الكساء قال: اللّهم إنّهم منّى وأنا منهم، فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك علىّ وعليهم. وقضّية استجابة هذا الدعاء أنّ الله صلّى عليهم معه، فحينئذٍ طلب من المؤمنين صلواتهم عليهم معه. ويروى: لا تصلّوا علّى الصلاة البتراء، فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال تقولون: اللّهم صلّ على محمّد، وتمسكون، بل قولوا: اللّهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد [۲۷۰] . خامساً: صدر من الإمام المهدى عجل الله تعالى فجره الشؤيف فى التوقيع المعروف الذى يقول فيه. «ولولا ما عندنا من محبة صلاحكمم ورحمتكم والشفاق عليكم لكنا عن مخاطبتكم فى شغل، مما قد امتحنا من منازعة الظالم الضال الضال المتابع فى غيّه، المضاد فى لربّه، المدعى ماليس له، الجاحد حق من إفترض الله طاعته، الظالم الغاصب، وفى أبنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لى أسوة حسنة وسيروى الجاهل رداءة علمه، وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار» [۲۷۱] . انظر من خلال فهم مدلول كلمة أسوة حسنة كيف جعل الإمام المهدى «عج» جدته الزهراء عليها السلام اسوة حسنة فى كل اموره وبحيث يجيب أحد شيعته من خلال بعض المسائل ويذكر له فى التوقيع الشريف الصادر منه انه يقتدى بجدته الزهراء عليها السلام وجعلها قدوة له فى حياته وله فيها اسوة حسنة كما لنا اسوة حسنة برسول الله وأهل بيته الطيبين الطاهرين.

فاطمة والمعاد

من الأمور الهمة والقضايا الحساسة فى حياة الفرد المؤمن هو مسألة يوم القيامة ـ المعاد ـ حيث نرى الكثير من الناس عندما يسمعون

المعاد ويوم القيامة واليوم الآخر يأنون من ذكره حيث هناك تلاقى البشر مع خالقهم والوقوف بين يديه للحساب. [صفحه ١٧٦] ولا شك ولاريب انّ الكثير من الناس يخافون عدل الله تعالى ويطلبون منه ان يحاسبهم برحمته لا بعدله لأنه لو يحاسبهم الله تعالى. بعدله لما ترك عليها من دابة، لذا نجد من خلال القرآن الكريم والروايات الشريفة إنّه من ظاهر رحمته الله تعالى يوم القيامة هو إعطاءه الشفاعة لبعض أولياؤه حيث تعتبر الشفاعة مظهر من ظاهر رحمة الله لكى يبين الله تعالى قدرة ومنزلة ومقام العبد المؤمن ذلك اليوم ـ أى يوم الحساب ـ ومن هنا نجد إن من الذين تشملهم العناية الربانية فى الشفاعة يوم القيامة هم آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهذا ما أثبتته الكثير من الآيات والروايات ولا نريد الوقوف الطويل مع هذه الآيات والروايات بل نقف مع أحد دعائم أهل بيت النبوة والمتمثلة فى الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام تلك هى بضعة الرسول وريحانته وزوجة الوصى المرتضى وأم الحسنين، وهذه الشفاعة التى نتكلم عنها هى نموذج من يوم المعاد الذى سوف تجتمع به الخلائف، وبذلك تكون الشفاعة جزءاً مهماً بل هو الامل الوحيد للخلائق يوم القيامة. اذن الشفاعة مظهر من مظاهر رحمة الله تعالى ومظهر من مظاهر المعاد، ونحن نجد من خلال إستقراء الروايات الشريفة الواردة فى مقام الشفاعة يوم القيامة هو الشفاعة التى تعطى للزهراء عليها السلام، وعليه تكون الزهراء مرتبطة إرتباط وثيق بيوم القيامة والمعاد الذى نؤوب إليه، أما كيف نثبت أن لها هذا الإرتباط من خلال الروايات الشريفة فهذا ما تبينه بعض النصوص الشريفه التى تثبت إرتباط الصديقة الشهيدة بيوم المعاد: عن أبو القاسم العلوى الحسنى ـ معنعناً ت عن ابن عباس: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: يا معشر الخلائق، غضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم... فيجوزون بها الصراط حتى ينتون بها إلى الفردوس فيتباشر فيها أهل الجنان...فتجلس على كرسى من نور ويجلس حولها، ويبعث إليها ملك لم يبعث إلى أحد قبلها ولا يبعث الى أحد بعدها فيقول: إن ربك يقرئك السلام ويقول: سلينى أعطيك؛ فتقول قد أتم علىّ نعمته، وهنأنى كرامته وأباحنى جنته، أسأله ولدى وذريتى ومن ودهم بعدى، وحفظهم من بعدى، فيوحى الله إلى الملك من غير أن نزول من [صفحه ١٧٧] مكانه: أن سرّها وبشرّها أنّى قد شفعتها فى ولدها ومن ودهم بعدها وحفظهم فيها. فتقول: الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن وأقر عينى. قال جعفر: كان أبى يقول: كان إبن عباس إذا ذكر هذا الحديث تلا هذه الآية (والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بأيمانهم الحقنابهم ذريتهم) [٢٧٢] . عن الحسن بن سعيد ـ معنعنا ـ عن جعفر، عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش: يامعشر الخلائق. غضوا أبصاركم حتى تمر بنت حبيب الله إلى قصرها «إبنتى فاطمة وعليها» ويطتان خضروان حواليها سبعون الف حوراء، فإذا بلغت غلى باب قصرها وجدت الحسن قائماً ن والحسين نائماً مقطوع الرأس، فتقول للحسن: من هذا؟ فيقول: هذا أخى إنّ أمة نبيك قتلوه وقطعوا رأسه. فيأتيها النداء من عندالله: يا بنت حبيب الله إنى إنما «» ما فعلت به أمة أبيك لأنى أدخرت لك عندى تعزية بمصيبتك فيه، إنى جعلت نعزيتك اليوم أنى لا أنظر فى محاسبة العباد حتى تدخل الجنّة أنت وذريتك وشيعتك قبل أم أنظر بمحاسبة العباد، فتدخل فاطمة أبنتى الجنة وذريتها وشيعتها ومن أولاها معروفاً ممن ليس من شيعتها، فهو قول الله عزّ وجلّ: «لا يحزنهم الفزع الاكبر» قال: قول يوم القيامة «وهم فى ما اشتهت أنفسهم خالدون» هى والله ـ فاطمة وذريتها وشيعتها ومن أولاهم معروفاً ممن ليس هو من شيعتها [٢٧٣] . روى عن سلمان قال: أتيت ذات يوم منزل فاطمة عليها السلام ـ فى حديث إلى أن قال ـ قال صلى الله عليه وآله وسلم: والذى بعثنى بالرسالة وإصطفانى بالنبوه قد حرم الله تعالى النار على لحم فاطمة، ودمها، وشعرها، وعصبها وعظمها وذريتها وشيعتها. أن من نسل فاطمة من تطيعه النار، والشمس والقمر والنجوم والجبال وقد ضرب الجن بين يديه بالسيف ويوافى إليه الانبياء بعهودهم وتسلم إليه الأرض كنوزها وينزل عليه من السماء بركات ما فيها، الويل لمن شك فى فضل فاطمة لعن الله من يبغضها، [صفحه ١٧٨] ويبغض بعلها ولم يرضى بأمامة ولدها، إن لفاطمة يوم القيامة موقفاً وإن فاطمة تدعى وتكسى وتشفع، فتشفع على رغم كل راغم [٢٧٤] . عن على عليه السلام: دخلت يوماً منزلى فإذا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جالس والحسن عن يمينه، والحسين عن يساره، وفاطمة بين يديه، وهو يقول: يا حسن ويا حسين، أنتما كفتا الميزان وفاطمة لسانه، ولا تعدل الكفتان إلا باللسان ولا يقوم اللسان إلا على الكفتين... إنتما الإمامان ولأمكما الشفاعة [٢٧٥] . وقد ورد فى

الخبر أنها لما سمعت بأن أباها زوجها وجعل الدراهم مهراً لها، قالت يا رسول الله، إن بنات الناس يتزوجن بالدراهم فما الفرق بينى وبينهن، أسألك أن تردها وتدعوا الله أن يجعل مهرى الشفاعة فى عصاة أمتك؛ فنزل جبريل عليه السلام ومعه بطاقة من حرير مكتوب فيها: جعل الله مهر فاطمة الزهراء عليها السلام شفاعة المذنبين من أمة أبيها؛ فلما إحتضرت أوصت بأن توضع تلك البطاقة على صدرها تحت الكفن فوضعت، وقالت: إذا حشرت يوم القيامة رفعت تلك البطاقة بيدى، وشفعت فى عصاة أمّة أبى [۲۷۶] . وكثيرة هى الروايات التى ثبتت شفعة فاطمة عليها السلام للشيعة والمحبين والمذنبين من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، هذه تدل دلالة واضحة على ارتباط الزهراء عليها بيوم المعاد وان لها منزلة وكرامة على الله تعالى فى ذلك اليوم. لابد أن ترد القيامة فاطم وقميصها بدم الحسين ملطخ ويل لمن شفعاؤه وخصمائه والصور فى يوم القيامة ينفخ [صفحه ۱۸۱]

فاطمة و حديث الكساء الشريف

للسيد محمد مهدى القزوينى الحلى روت لنا فاطمة خير النسا حديث أهل الفضل أصحاب الكسا تقول: أن سيد الانام قد جاءنى يوما من الايام فقال لى: انى أرى فى بدنى ضعفا اراه اليوم قد أنحلنى قومى علىّ بالكسا اليمانى وفيه غطينى بلا تواني قالت فجئته وقد لبيته مشروعة وبالكساء غطيته وكنت أرنو وجهه كالبدر فى أربع بعد ليال عشر فما مضى إلّا يسير من زمن حتى أتى أبو محمد الحسن فقال: ياأماه انى اجد رائحة طيبة أعتقد بأنها رائحة النبى أخى الوصى المرتضى على قلت: نعم هاهو ذا تحت الكسا مدثر به، مغطى واكتسى فجاء نحوه ابنه مسلما مستأذنا قال له: ادخل مكرما فما مضى إلّا القليل الا جاء الحسين السبط مستقلا فقال يا أم أشم عندك رائحة كأنها المسك الذكى وحق من اولاك منه شرفا أظنها ريح النبى المصطفى قلت: نعم تحت الكسا هذا بجنبه أخوك فيه لاذا فأقبل السبط له مستأذنا مسلما قال له: ادخل معنا وما مضى من ساعة إلّا وقد جاء أبوهما الغضنفر الاسد أبو الأئمة الهداة النجبا المرتضى رابع اصحاب الكسا فقال ياسيدة النساء ومن بها زوجت فى السماء انى اشم فى حماك رائحة كأنها الورد الندى فايحة يحكى شذاها عرف سيد البشر وخير من لبى وطاف واعتمر [صفحه ۱۸۲] قلت نعم: تحت الكساء والتحفا وضم شبليك وفيه اكتنفا فجاء يستأذن منه سائلا منه الدخول قال: فادخل عاجلا قالت: فجئت نحوهم مسلمة قال: ادخلى محبوة مكرمة فعندما بهم أضاء الموضع وكلهم تحت الكساء اجتمعوا قال الامين: قلت: يا رب ومن تحت الكسا؟ بحقهم لنا أبن فقال لى: هم فاطمة وبعلها والمصطفى والحسنان نسلها فقال على: قلت يا حبيبى ما لجلوسنا من النصيب؟ قال النبى والذى اصطفانى وخصنى بالوحى واجتبانى ما أن جرى ذكر لهذا الخبر فى محفل الاشياع خير معشر إلّا وأنزل الاله الرحمة وفيهم حفت جنود جمة من الملائك الذين صدقوا تحرسهم فى الدهر ماتفرقوا كلا وليس فيهم مغموم إلّا وعنه كشفت هموم كلا ولا طالب حاجة يرى قضاؤها عليه قد تعسرا إلّا قضى الله الكريم حاجته وانزل الرضوان فضلا ساحته قال على نحن والاحباب أشياعنا الذين قدما طابوا فزنا بما نلنا ورب الكعبة فليشكرن كل فردٍ ربه ياعجبا يستأذن الامين عليهم ويهجم الخؤون قال سليم قلت: يا سلمان هل دخلوا ولم يك استئذان فقال: أى وعزة الجبار ليس على الزهراء من خمار لكنها لاذت وراء الباب رعاية للستر والحجاب فمذ رأوها عصروها عصرة كادت بروحى ان تموت حسرة تصيح: يافضة اسندينى فقد وربى قتلوا جنينى فأسقطت بنت الهدى واحزنا جنينها ذاك المسمى محسنا [صفحه ۱۸۳]

حديث الكساء الشريف

اشاره

عن جابر بن عبدالله الانصار قال سمعت فاطمهٔ علیها السلام أنّها قالت: (دخل علیّ أبی رسول الله فی بعضٍ الإیّام فقال السّلام علیک یا فاطمهٔ فقلت علیک السـلام قال إنی أجد فی بدنی ضعفاً فقلت له أعیذک بالله یا أبتاه من الضعف فقال یا فاطمهٔ اتینی بالکساء الیمانی فغطینی به فأتیته بالکساء الیمانی فغطیته به وصرت أنظر إلیه وإذا وجهه یتلالؤ کأنّه البدر فی لیلهٔ تمامه وکماله فما کانت إلاّ ساعهً وإذا بولدی الحسن قد أقبل وقال السـلام علیک یا أمّاه فقلت وعلیک السـلام ویاقرّهٔ عینی وثمرهٔ فؤادی فقال یا أمّاه إنّی أشم عندک رائحهً طیّبهً کأنّها رائحهٔ جدّی رسول الله صلّی الله علیه وآله وسلّم فقلت نعم إنّ جدک تحت الکساء فأقبل الحسن نحو الکساء وقال السّلام علیک یا جدّاه یا رسول الله أتأذن لی أن أدخل معک تحت الکساء فما کانت إلاّ ساعهٔ واذا بولدی الحسین علیه السـلام قد اقبل وقال السـلام علیک یا اماه فقلت وعلیک السـلام یا ولدی ویاقرهٔ عینی وثمرهٔ فؤادی فقال لی یا اماه انی اشم عندک رائحهٔ طیبه کأنها رائحهٔ جـدی رسول الله فقلت نعم ان جدک وأخاک تحت الکساء فدنی الحسین نحو الکساء وقال السـلام علیک یا جداه السـلام علیک یا من إختاره الله أتأذن لی أن اکون معکما تحت الکساء فقال وعلیک السـلام یا ولـدی ویا شافع أمتی قد أذنت لک فدخل معهما تحت الکسـاء فأقبل عنـد ذلک أبو الحسن علی بن أبی طالب علیه السـلام وقال السـلام علیک یا بنت رسول الله فقلت وعلیک السـلام یا أبا الحسن ویـا أمیر المـؤمنین فقـال یـا فاطمـهٔ إنی أشمّ عنـدک رائحـهٔ طیبـهٔ کأنّهـا رائحـهٔ أخی وابن عمّی رسول الله فقلت نعم هـاهو مع ولـدیک تحت الکسـاء فأقبـل علیّ نحو الکسـاء وقـال السـلام علیک یا رسول الله أتاذن لی أن أکون معکم تحت الکساء قال وعلیک السلام یا أخی ویاوصیّی وخلیفتی وصاحب لوائی قد إذنت لک فدخل علّی تحت الکساء ثمّ أتیت نحو الکساء وقلت السلام علیک یا أبتاه یا رسول الله أتأذنی لی أن أکون معکم تحت الکساء قال وعلیک السـلام یابنتی ویا بضـعتی قـد أذنت لک فدخلت تحت الکساء فلما إکتملنا جمیعاً تحت الکساء أخذ أبی رسول الله بطرفی الکساء وأومیٍ بیده الیمنی الی السـماء وقال [صفحه ۱۸۴] اللهم إنّ هؤلاء أهـل بیـتی وخـاصتی وحـامّتی لحمهم لحمی ودمهم دمی یؤلمنی مـا یؤلمهم ویحزننی مـا یحزنهم أنـا حرب لمن حـاربهم وسـلم لمن سالمهم وعدّو لمن عاداهم ومحب لمن أحبهم إنهم منی وأنا منهم فاجعل صـلواتک وبرکاتک ورحمتک وغفرانک ورضوانک علی وعلیهم وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهیراً فقال الله عز وجل یا ملائکتی ویا سـکان سـماواتی إنی ما خلقت سـماءً مبنیـهٔ ولا أرضـاً مدحیهٔ ولا قمراً منیراً ولا شـمساً مضیئهٔ لا فلکاً یدور ولا بحراً یجری ولا فلکاً یسری إلا فی محبهٔ هؤلاء الخمسهٔ الذین هم تحت الکساء فقـال الأمین جبرائیل یا ربّ ومن تحت الکساء فقال عزّوجلّ هم أهل بیت النبوهٔ ومعـدن الرسالـهٔ هم فاطمـهٔ وأبوها وبعلها وبنوها فقال جبرائیل یارب أتأذن لی أن أهبط الی الأرض لأکون معهم سادساً فقال الله نعم قد أذنت لک فهبط الأمین جبرائیل وقال السلام علیک یا رسول الله العلی الأعلی یقرئک السـلام ویخصک بالتحیهٔ والإکرام ویقول لک وعزتی وجلالی إنی ما خلقت سـماءً مبنیهٔ ولا أرضـاً مدحیـهٔ ولاـ قمراً منیراً ولاـ شـمساً مضـیئهً ولا فلکاً یـدور ولا بحراً یجری ولا فلکاً یسـری إلاّ لأجلکم ومحبتکم وقـد أذن لی أن أدخل معکم فهـل تـأذن لی یـا رسول الله فقـال رسول الله وعلیک السـلام یا أمین وحی الله انه نعم قـد أذنت لک فـدخل جبرائیل معنا تحت الکسـاء فقـال لأـبی ان الله قـد أوحی الیکم یقول إنمـا یریـد الله لیـذهب عنکم الرجس أهـل البیت ویطهرکم تطهیراً فقال علی لأبی یا رسول الله أخـبرنی مالجلوسـنا هـذا تحت الکسـاء من الفضـل عنـد الله فقـال النـبی صـلی الله علیه وآله وسـلم والـذی بعثنی بـالحق نبیا وإصـطفانی بالرسالـهٔ نجیّا مـاذکر خبرنا هـذا فی محفل من محافل أهل الأرض وفیه جمع من شـیعتنا ومحبینا الاّ ونزلت علیهم الرحمهٔ وحفت بهم الملائکـهٔ واسـتغفرت لهم الی أن یتفرقوا فقال علی علیه السـلام إذاً والله فزنا وفاز شـیعتنا ورب الکعبـهٔ فقال أبی رسول الله صلّی الله علیه وآله وسـلّم یا علی والذی بعثنی بالحق نبیاً وإصطفانی بالرسالهٔ نجیا ما ذکر خبرنا هذا فی محفل من محافل أهل الأرض وفیه جمع من شیعتنا ومحبینا وفیهم مهموم إلاّ وفرج الله همه ولا مغموم إلاّ وکشف الله غمه ولا طالب حاجهٔ إلاّ وقضی الله حاجته فقال علی علیه السلام إذاً والله فزنا وسعدنا وکذلک شیعتنا فازوا وسعدوا فی الدنیا والاخرهٔ ورب الکعبهٔ. [صفحه ۱۸۵]

فاطمهٔ و حدیث الکساء الشریف

یعتبر حـدیث الکساء من الأحادیث النورانیـهٔ الولائیـهٔ والـذی عبّر عن مدی ارتباط أهل البیت علیهم السـلام بالسـماء وذلک من خلال المضامین العالیـهٔ التی وردت فی طیاته، فما أدراک ما حدیث الکساء وهل أتاک نبأه! أنه الحدیث المتصل بین الأرض والسـماء، فقد وعته کواکب الکون ونجوم السماوات السبع ومازال الإنسان فی ریب من أمره ذلک إن الإنسان کان جهولا. لقد وعته قلوب المؤمنین وإفتـدتهم قبل أن تعیه أسـماعهم لـذا سوف نعیش فی رحابه ونقف مع حلقاته ونستضـیء من نوره ونسـتجلی حقائقه ونحیا مع برکاته کی نصل الی شاطی نور العلم والمعرفهٔ تلکم هی معرفهٔ نورانیهٔ أهل البیت علیهم السـلام، فحدیث الکساء الشریف یعتبر مرسوم ربانی قـد قلـده الله تبـارک وتعـالی لنبیه الشـریف محمـد صـلی الله علیه وآله وسـلم ولآلـه الطیبین الطـاهرین حیث جاء موضـحاً لإرادهٔ رب العـالمین التی وسـمت قوله تعـالی (إنما یریـد الله لیـذهب عنکم الرجس أهل البیت ویطهرکم تطهیراً) کل ذلک حرصاً ومحبتاً من الله تعالی للرسول ولأهل بیته علیهم السـلام ولکی لا یشـرق الناس أو یغربوا ولا تأخذهم الاهواء والمیول والرغبات یمیناً وشـمالاً وحتی لا یحرف المغرضون هـذه الآیـهٔ المبارکهٔ العظیمهٔ عن أهلها وأصـحابها الحقیقین الذی أرادهم رب العالمین أطهاراً مطهرین یتولون قیادهٔ الأمـهٔ ویوضـحون معالم طریقها بعـد رسوله الکریم محمد صـلی الله علیه وآله وسـلم. إن هذا الحدیث یستحق منا أن نقف عنده وقفهٔ متأمله لکی ننفـذ إلی الأبعاد الانسانیهٔ والحقائق العلمیـهٔ والمسائل العقائدیـهٔ التی یرمی الیها والنتائـج الرائعهٔ التی تترتب علیه فهو لیس مجرد حدیث یروی لأجل أن نأخذ معلومهٔ جامدهٔ تتوقف عند حدود الحدیث وظاهر الالفاظ بل یجب أن نستشف المرامی الحضاریهٔ الکامنهٔ خلف ألفاظه وکلماته، لا سیما أن الله سبحانه وتعالی [صفحه ۱۸۶] قـد میزنا عن سائر المخلوقات الاخری بأن وهب لنا عقلاً والهمنـا کیف نستخدمه ونوظفه لخدمـهٔ المجتمع والانسانیـهٔ جمعـاء لا أن نکون مجرد مخلوقات تأکل وتنام وتضاجع دون أن نعی ما کان ویکون حولها. وسیکون حـدیثنا حول هـذا الحدیث المبارک فی ثلاث وقفات: الوقفهٔ الأولی: ارتباط هذا الحدیث بآیهٔ التطهیر. الوقفهٔالثانیهٔ: سند هذا الحدیث الشریف. الوقفهٔ الثالثهٔ: مضامین هذا الحدیث المختلفهٔ.

حدیث الکساء و آیهٔ التطهیر

اشاره

ارتبط حـدیث الکساء الشـریف بنزول آیـهٔ التطهیر ارتباطاً وثیقاً حیث جاءت هـذه الآیـهٔ المبارکهٔ «إنّما یرید الله لیذهب عنکم الرجس أهل البیت ویطهرکم تطهیرا» لتؤکـد علی مسألـهٔ عصـمهٔ أهل البیت علیهم السـلام جمیعاً بما فیهم فاطمـهٔ الزهراء علیها السـلام، والذی یهمنا فی المقام هو عصـمهٔ فاطمـهٔ الزهراء علیها السـلام، أمّا مسألـهٔ البحث حول هـذه الآیـهٔ المبارکـهٔ ودلالتها علی عصـمهٔ أهل البیت علیهم السـلام فهـذا موکول إلی الکتب الکلامیـهٔ الخاصـهٔ بهذا الموضوع، أمّا دلالهٔ هذه الآیهٔ علی عصـمهٔ فاطمهٔ الزهراء علیها السـلام فهـذا ما تجـده من خلال الروایات التی بینت من هم أهل البیت الـذین عنتهم الآیهٔ المبارکهٔ وکیفیهٔ اشتراک الزهراء مع أهل البیت فی طهارتهم وعصـمتهم، أمّا الروایات فسـنذکر بعضها بعدما أن نقف مع مفهوم أهل البیت، ومن المراد بهم فلربما یقول قائل إنّنا لا نؤمن بالروایـات أو لاـ نقبـل هـذه الروایات فنقول له تعال معنا لنقف سویـهٔ علی مفهوم أهل البیت ومن المراد بهم؟. إن التعرف علی مفهوم أهل البیت لغهٔ والمقصود منه فی هذه الآیهٔ المبارکهٔ یعد من الأبحاث الضروریهٔ فی فهم مفاد هذه الآیهٔ فلقد ضلّ [صفحه ۱۸۷] الکثیر فی تفسـیر هـذه الآیـهٔ والمراد فیها من أهل البیت ولأجل ذلک نبحث اولا وقبل کل شـیء هـذا المفهوم لغهٔ علی وجه یرفع السـتار عن وجه الحقیقهٔ.

مفهوم أهل البیت عند أهل اللغهٔ

قـد ورد لفظ أهل البيت فى القرآن الكريم مرتين أحـداهما فى هـذه الآيـة المرتبطـة بحديث الكساء الشـريف والأخرى فى قوله تعالى (قولوا أتعجبين من أمر الله رحمـة الله وبركـاته عليكم أهل البيت) [۲۷۷] . ويمكن تحديـد مفهوم الأهل من موارد اسـتعماله فيقال: ۱ ـ أهل الأمر والنهى. ۲ ـ أهل الأنجيل. ۳ ـ أهل الكتاب. ۴ ـ أهل الأسلام. ۵ ـ أهل الرجل. ۶ ـ أهل الماء. وهـذه الموارد توقفنا على أن كلمـة أهل تسـتعمل مضافاً فيمن كان له علاقـة قويـة بمن أضـيف إليه، فأهل الأمر والنهى هم الذين يمارسون الحكم والبعث والزجر، وأهل الأنجيل هم الـذين لهم اعتقاد به كأهل الكتاب وأهل الإسـلام. وقـد اتفقت كلمـة أهل اللغة على أن الأهل والآل كلمتان بمعنى واحـد قـال ابن منظور: آل الرجـل: أهله وآل الله وآل رسوله: أوليـاؤه، أصـلها أهـل ثم بـدلت الهاء همزة فصارت فى التقـدير أأل فلما توالت الهمزمـان أبـدلوا الثانيـة ألفـاً. كما قالوا: آدم وآخر، وفى الفعل آمن وآزر. وقـد انشأ عبـد المطلب عنـد هجوم ابرهـة على مكة المكرمة وقد أخذ حلقة باب الكعبة وقال: وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك وعلى ما ذكرنا فهذا اللفظ إذا أضيف الى شيء يقصد منه المضاف الذى له علاقة [صـفحه ۱۸۸] خاصة بالمضاف إليه، فأهل الرجل مثلاً أخص الناس به، وأهل المسـجد المترددون كثيراً إليه، وأهل الغابـة القاطنون فيها... فإذا لاحظنا موارد اسـتعمال هـذه الكلمـة لانترود فى شـمولها للزوجة والأولاد وبل غيرهم ممن تربطهم رابطـة خاصة بالبيت من غير فرق بين الأولاد والأزواج ولأجل ذلك ترى أنّه سـبحانه يطلقه على زوجة إبراهيم كما عرفت فى الآيـة هـذه هو حق الكلام فى تحديـد مفهوم هـذه الكلمـة ولنأتى ببعض نصوص أئمـة اللغـة. قال ابن منظور: أهل البيت سـكانه وأهل الرجل أخص الناس به وأهل البيت أزواجه وبناته وصهره أعنى علياً عليه السلام، وقيل نساء النبى والرجال الذين هم أهله [۲۷۸] . فلقد أحسن الرجل فى تحديد المفهوم، أولاً، وتوضيح معناه فى القرآن الكريم كما أشار بقوله: قيل: الى ضـعف القول الآخر لأنه نسبه الى القيل. وقال ابن فارس ناقلاً عن الخليل ابن أحمـد: أهل الرجل زوجه والتأهل التزوج وأهل الرجل أخص الناس به وأهل البيت سـكانه وأهل الأسلام من يدين به [۲۷۹] . وعلى ماذكرنا فهذا اللفظ إذا أضيف الى شيء يقصد منه المضاف الذى له علاقة خاصة بالمضاف إليه فأهل الرجل مثلاً أخص الناس به فاذا لا حظنا موارد اسـتعمال هـذه الكلمـة لا نتردد فى شـمولها للزوجة والأولاد بل وغيرهم ممن تربطهم رابطـة خاصـة البيت من غير فرق بين الأولاد والأزواج. اذن هـذه الكلمات ونظائرها بين أعلام اللغـة كلها تعرب عن أن مفهوم أهل البيت فى اللغة هم الذين لهم صـلة وطيدة بالبيت وأهل الرجل من له صلة به بنسب أو سبب أو غيرهما، وهناك إشكال من بعض المفسـرين الـذين قالوا ان لفظ أهل البيت يطلق فقط على الزوجة ويسـتعمل فى الأولاد والأقارب تجوزاً أى يكون اسـتعماله حقيقة فى الزوجة ومجازاً فى الأولاد والأقارب وقد اسـتدل هذا الذى أثار هذا الإشـكال على ذلك عن طريق اثباته ذلك من القرآن الكريم كما وردت هـذه اللفظـة ـ أهـل البيت ـ فى قصـة أبراهيم بالبشـرى حيث قـال الله تعـالى (وامراته قائمـة فضـحكت فبشـرناها [صـفحه ۱۸۹] بأسحاق من وراء إسحاق يعقوب قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخاً إنّ هذا لشيء عجيب، قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) [۲۸۰] وفى قصة موسـى عليه السلام أيضاً: (فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نـاراً قـال لأهله إمكثوا انى آنست ناراً) [۲۸۱] فالمستشـكل قال: إن الله اسـتعمل هـذه اللفظـة على لسان ملائكته فى زوجة إبراهيم عليه السـلام لا غير كما فى الآية الأولى الخاصة بالبشـرى واسـتعمل الأهل فى زوجة موسـى عليه السـلام وهى بنت شعيب ما فى الآية، إذن فالمستشـكل قال إن الأهل تطلق على الزوجـة حقيقة، وهذا مردود من عدة جهات: أولاً: تقدم على لسان أهل اللغة أن لفظة أهل تطلق على أخص الناس بالزوج وهم الأولاد. ثانياً: ان كلامه غير صـحيح من كون الأهل تطلق حقيقـة على الزوجة ومجازاً على الأولاد فنحن نقول له من أين إسـتظهرت هـذا، فاذا قلت من آية البشـرى وآية موسـى فإنه مردود لأنه الأطلاق هنا على كلمة الأهل ليس دليلاً على الأنحصـار ـ أى إنحصـار اللفظـة على الزوجـة فقـط.. ثالثاً: إنّ الآيـة فى قصـة إبراهيم قالت عليكم أهل البيت ولم تقول الآيـة المباركة عليك تكون ظاهرة فى زوجته فقط كلمـة أهل. أمّا السؤال المهم فى هـذا المقام هو هل أنّ مفهوم ولفظ أهل البيت يطلق على الزوجة أو على الزوجـة والأولاد؟ وفيما نحن فيه هل هناك قرائن فى آيـة التطهير أو قبلها أو بعـدها تصـرف هـذا اللفظ خاصة الى أهل البيت الـذين يقصـد بهم على وفاطمة والحسن والحسـين عليهم السـلام، أم لا توجد قرائن؟ والجواب على ذلك: إن بعض من وقف مع هذه

الآیـة المبارکـة ومـدلولاتها قال ان المراد من أهل البیت هم أزواجه ونسائه صـلی الله علیه وآله وسـلم والبعض الآخر قال إنّ لفظ أهل البیت خاصة یطلق علی بنت النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم و صـهره وولداهما الحسن والحسـین علیهم السلام. [صفحه ۱۹۰] والحق مع من ذهب الی القول الثانی ـ علی وفاطمـة والحسن والحسـین ـ بدلالـة عـدة شواهـد وقرائن حفت بالآیـة المبارکة سواء کانت قرائن حالیة أو مقامیة وإلیک هذه القرائن. ۱ ـ القرینـة الأولی اللام فی أهل البیت للعهد وبیان ذلک: إنّ اللام قد یراد منها الجنس المدخول علیه مثل قوله تعالی «إن الإنسان لفی خسر»، وقد یراد من اللام الإستغراق مثل قوله تعالی «یا أیها النبی جاهد الکفار والمنافقین وأغلظ علیهم» وقـد یراد منها بأعتبار معهودیـة مدخولها بین المتکلم والمخاطب، أمّا الأول والثانی من الأقوال لا یمکن أن نحمل اللام علیهما أمـا القول الثـالث فهو الحق لأـنّ الله تعالی إنما یریـد إذهاب الرجس عن أهل بیت معهودین بین المتکلم والمخاطب، وفمن هم هؤلاء أهل البیت؟!! ۲ ـ القرینـة الثانیـة علی أن المراد من أهل البیت هم علی وفاطمة والحسن والحسـین هو تذکیر الضـمائر فی الآیة خلاف الضـمائر الاخری التی وردة فی الآیـة المبارکـة حیث جاءت مؤنثـة مثل وقلن، اتقیتن. فلا تخضـعن... الـخ. ۳ ـ القرینـة الثالثـة: ـ هی ان الإرادة وکمـا أثبتتها الکتب الکلامیـة هی الارادة التکوینیـة.. إنما یریـد الله ـ لا التشـریعیة فلا یصـح حمل مفهوم أهل البیت علی نساء النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم إذ لم یـدع أحـد من المسـلمین کونهن معصومات من الذنب مطهرات من الزلل فلا مناص من تطبیقه علی جماعـة خاصه من المنتمین إلی البیت النبوی الذین تحقق فیهم تعلقهم بالاسـباب والمقتضـیات التی تنتهی بصاحبها إلی العصـمة ولا ـ ینطبق هـذا إلا ـ علی الإمـام علی وفاطمـة والحسن والحسـین علیهم السـلام. وأضف الی ذلک الی أن المراد من أهل البیت علیهم السـلام هم أصـحاب الکساء الخمسة هو وقوف النبی صلی الله علیه وآله وسلم ستة أشهر علی باب فاطمة وینادیهم بقوله تعالی ـ «إنما یرید الله...» لیوقضـهم للصـلاة ولیؤکد علی حرمة أهل هذا البیت علیهم السلام، وکذلک نزول آیة التطهیر فی بیت فاطمة علیها السلام حیث قـالت دخل علی أبی وفیه دلالـة علی أن حـدیث الکساء کان فی بیت فاطمـة علیها السـلام خلاف ما یـدعیه البعض أن حـدیث الکساء کان فی بیت أم سـلمة وکما سیأتینا هذا البحث. [صفحه ۱۹۱] إذن کان للنبی العنایـة الوافرة بتعریف أهل البیت لم یرّ مثلها إلا فی أقل الموارد حیث قام بتعریفهم بطرق مختلفة کما کان المحدثین والمفسرین وأهل السیّر والتأریخ لهم العنایة الکاملة بتعریف أهل البیت علیهم السـلام فی مواضع مختلفـة وحسب المناسـبات التی تقتضـی طرح هـذه المسألة وکذلک الشـعراء المخلصـین الاسـلامیین الـذین کـان لهم العنایـة البارزة ببیان فضائل أهل البیت وتعریفهم للناس والتصـریح بأسـمائهم علی وجه یظهر من الجمیع اتفاقهم علی نزول الآیـة فی حق العترة الطاهرة. أما الروایات الواردة فی بیان من هم أهل البیت علیهم السـلام فنروی لک شاهدین الشاهد الأول: ما روی عن أم سـلمة انها قالت: ان النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم کان فی بیتی فاسـتدعی علیاً وفاطمة والحسن والحسین علیهم السلام؛ وجللهم بعبـاءٍ خیبریـة ثم قـال: اللهم هؤلاـء أهل بیتی فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهیراً فقالت أم سـلمة: قلت یا رسول الله أنا من أهـل بیتـک؟ قال لا: ولکنک إلی خیر [۲۸۲] . أمـا الشاهـد الثـانی: ما روی عن أمیر المؤمنین علی علیه السـلام فی إحتجاجه علی أبی بکر حیث قـال له أخبرنی عن وقول الله عزّ وجلّ «إنما یریـد الله لیـذهب عنکم الرجس أهل البیت ویطهرکم تطهیرا» أفینا نزلت أو فی غیرنا نزلت؟ قال: فیکم: فأخبرنی لو أنّ شاهدین من المسـلمین شـهداً علی فاطمة علیها السـلام بفاحشة ما کنت صانعاً؟ قال: کنت أقیم علیها الحد کما أقیم علی نساء المسلمین!! قال الإمام علیه السلام کنت إذن عند الله من الکافرین قال: ولم؟ قال: لأنک رددت شهادتها وقبلت شهادة غیرها کنت عند الله من الکافرین قال: فبکی الناس وتفرقوا ودمدموا [۲۸۳] . وعلی هذا یکون الشاهدین فیهما دلالة علی أن فاطمـة کانت من أهل بیت العصـمة فهی معصومة من الزلل والخطأ والعصـمة هنا لها هی العصـمة الذاتیة ولیس الفعلیة، ومما یؤکد العصـمة فیهـا کـذلک الأقوال والأحادیث الواردة من خلال اسـتقراء کتب الحـدیث حیث روت لنا هـذه الکتب إن الرسول کان دائماً یقول: فاطمـة بضـعة منی [صـفحه ۱۹۲] یغضـبنی من أغضـبها ویسـرنی من أسـرها وإن الله لیغضب لغضـبها ویرض لرضاهـا. فان هـذا کاشف عن إناطة رضاها بما فیه مرضاة الرب جلّ شأنه وغضـبه بغضـبها حتی إنها لو غضبت أو رضیت علی أمر مباح لابد أن تکون له جهـة شـرعیة تدخله فی الراجحات لم تکن حالة الرضا والغضب فیها منبعثة عن جهة نفسانیة وهذا مثل العصـمة الثابتة لها علیها السـلام

[۲۸۴] وقد قال الشيخ المفيد طاب ثراه [۲۸۵] فی إثبات الحکم بکون فاطمة معصومة من الزلل والخطأ ما نصه: قد ثبت عصمة فاطمة علیها السلام بإجماع الأمة علی ذلک فتیاً مطلقة، وإجماعهم علی إنّه لو شهد شهود بما یوجب إقامة الحد من الفعل المنافی للعصمة، لکان الشهود مبطلین فی شهادتهم، ووجب علی الأمة تکذیبهم وعلی السلطان عقوبتهم، فإنّ الله تعالی قد دل علی ذلک بقوله: «إنما یرید الله لیذهب عنکم الرجس أهل البیت ویطهرکم تطهیراً». ولا خلاف بین نقلة الآثار إن فاطمة علیها السلام کانت من أهل هذه الآیة، وقد بیّنا فیما سلف إنّ ذهاب الرجس عن أهل البیت الذین عنوا بالخطاب یوجب عصمتهم ولأجماع الأمة ایضاً علی قول النبی صلی الله علیه وآله وسلم: «من آذی فاطمة فقد آذانی ومن آذانی فقد آذی الله عزوجل». فلولا أنّ فاطمة علیها السلام کانت معصومة من الخطأ، مبرأة من الزلل، لجاز منها وقوع ما یجب آذاها بالأدب والعقوبة ولو وجب ذلک لوجب آذاها ولو جاز وجوب آذاها لجاز آذی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، والأذی لله عزوجل فلمّا بطل ذلک دلّ علی أنها علیها السلام کانت معصومة حسب ما ذکرناه، وإذا ثبت عصمة فاطمة علیها السلام وجب القطع بقولها، واستغنت عن الشهود فی دعواها ـ فی قضیة فدک ـ لأن المدعی إنمّا افتقر للشهود لارتفاع العصمة عنه وجواز ادعائه الباطل فیستظهر بالشهود وعلی قوله لئلا یطمع کثیر من الناس فی أموال غیرهم، وجحد الحقوق الواجبة علیهم وإذا کانت العصمة مغنیة عن الشهادة وجب القطع علی قول فاطمة علیها السلام وعلی ظلم ما نعها فدکاً ومطالبتها بالبینة علیها. ویکشف عن صحة ما ذکرناه أن الشاهدین إنما یقبل قولهما علی الظاهر مع جواز أن یکونا مبطلین کاذبین فیما شهدا به، ولیس یصح الإستظهار علی قول من قد أمن من الکذب بقول من لا یؤمن علیه، ذلک کیما لا یصح الاستظهار علی قول المؤمن بقول الکافر، وعلی قول العدل البر بقول الفاسق الفاجر. ویدل أیضاً علی ذلک: إنّ النبی صلی الله علیه وآله وسلم استشهد علی قوله فشهد خزیمة بن ثابت فی ناقة نازعه فیها منازع؛ فقال له النبی صلی الله علیه وآله وسلم: من أین علمت یا خزیمة، أنّ هذه الناقة لی؟ أشهدت شرائی لها؟ فقال: لا ـ ولکنی علمت أنّها لک من حیث إنّک رسول الله، فأجاز النبی صلی الله علیه وآله وسلم شهادته کشهادة رجلین وحکم بقوله فلو لا أن العصمة دلیل الصدق وتغنی عن الاستشهاد، لما حکم النبی صلی الله علیه وآله وسلم بقول خزیمة من ثابت وحده وصوّبه فی الشهادة له علی ما لم یره ولم یحضره، بأستدلاله علیه بدلیل نبوته وصدقه علی الله سبحانه فیما أراده الی بریته، وإذا وجب قبول قول فاطمة علیها السلام بدلائل صدقها، واستغنت عن الشهود لها ثبت ان من قطع حقها وأوجب الشهود علی صحة قولها، قد جار فی حکمه وظلم فی فعله، وآذی الله تعالی ورسوله صلی الله علیه وآله وسلم بأیذائه لفاطمة علیها السلام وقد قال الله عزّوجلّ: (إنّ الذین یؤذون الله ورسوله لعنهم الله فی الدنیا والآخرة وأعدّ لهم عذاباً مهینا) [۲۸۶] اذن لاشک فی عصمة فاطمة علیها السلام، أمّا عندنا فللإجماع القطعی المتواتر والأخبار المتواترة فی فضائلها ومناقبها. وأمّا الحجة علی المخالفین: ۱ ـ فبآیة التطهیر الدالة علی عصمتها، وکما بیّنا فی إثبات نزول هذه الآیة فی جماعة کانت داخلة فیهم بل هی قطب الرحی الذی یدور فیه أهل البیت علیهم السلام. ۲ ـ وبالأخبار المتواترة الدّالة علی أنّ إیذائها إیذاء الرسول صلی الله علیه وآله وسلم وإنّ الله تعالی یغضب لغضبها ویرضی لرضاها: ووجه الإستدلال بالروایات علی عصمتها صلوات الله علیها: أنّه کانت فاطمة علیها السلام ممن تقارق الذنوب وترکتبها، لجاز إیذاؤها، بل إقامة الحد علیها، لو فعلت معصیة، وارتکبت ما یوجب حداً، لم یکن رضاها رضی الله [صفحه ۱۹۴] سبحانه إذا رضیت بالمعصیة، ولا من سرها فی معصیة ساراً لله سبحانه، ومن أغضبها بمنعها عن ارتکابها مغضباً له جل شأنه، فإن قیل: لعل المراد، من آذاها ظلماً فقد آذانی، ومن سرّها فی طاعة الله فقد سرّنی، وأمثال ذلک، لشیوع التخصیص فی العمومات قلنا: أولاً: التخصیص خلاف الأصل، ولایصار إلیه إلا بدلیل فمن أراد التخصیص فعلیه إقامة الدلیل. ثانیاً: إن فاطمة صلوات الله علیها تکون حینئذ کسائر المسلمین، لم تثبت لها خصوصیة ومزیة فی تلک الأخبار، ولا کان لها فیها تشریف وحدمة؛ وذلک باطل بوجوه: ۱ ـ إنّه لا معنی حینئذ لتفریع کون إیذائها إیذاء الرسول صلی الله علیه وآله وسلم علی کونها بضعة منه کما یصرح بذلک صحیح البخاری ومسلم فی روایاته. ۲ ـ إنّ کثیراً من الأخبار السالفة المتضمنة لأنکاره صلی الله علیه وآله وسلم علی بنی هاشم، فی أن ینکحوا إبنتهم علی بن ابی طالب علیه السلام، أو النکاح بنت أبی جهل، لیس من المشترکات بین المسلمین فإنّ ذلک النکاح کان مما أباحه الله

سبحانه، بل ممّا رغّب فيه وحث عليه لولا كان كونه إيذاء لسيدة النساء، وقد علل رسول صلى الله عليه وآله وسلم عدم الإذن بكونها بضعة منه يؤذيها ما آذاها ويريبه ما يريبها تظهر بطلان القول بعموم الحكم لكافة المسلمين، على إنه لو ثبت هذا القول بأن على صلى الله عليه وآله وسلم ربما أو أراد أن يتزوج من المتقدمى الذكر. ۳ ـ إنّ القول بذلك يوجب إلقاء كلامه صلى الله عليه وآله وسلم وخلّوه من الفائدة، إذ مدلوله حينئذ أنّ بضعته كسائر المسلمين ولا يقول ذلك من أوتى حظاً من الفهم والفطانة، أو أتصف بشيء من الانصاف والأمانة، وقد أطبق محدثوهم على إيراد تلك الروايات في باب مناقبها صلوات الله عليها. فإن قيل: أقصى ما يدل عليه الأخبار، هو أنّ إيذاؤها إيذاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومن جوّز صدور الذنب عنه صلى الله عليه وآله وسلم، لا يأبى عن إيذائه إذا فعل ما يستحق به الإيذاء. قلنا: بعد مامر من الدلائل على عصمة الأنبياء عليهم السلام، قال الله تعالى (والذين [صفحه ۱۹۵] يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) [۲۸۷] . وقال سبحانه: (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) [۲۸۸] وقال تعالى: (إنّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذاباً معيناً) [۲۸۹] فالقول بجواز ايذائه صلى الله عليه وآله وسلم ردّ لصريح القرآن، ولا يرضى به أحد من أهل الإيمان، فإن قيل: إنّما دلّت الأخبار على عدم عدم جواز إيذائها، وهو إنما ينافي صدور الذنب منها يمكن للناس الاطلاع عليه، حتى يؤذيها نهياً عن المنكر، ولا ينافي صدور معصية عنها خفيّة فلا يدل على عصمتها مطلقاً. قلنا: نتمسك في دفع هذا الاحتمال بالإجماع المركب أن ماجرى في قصة فدك وصدر عنها من الانكار على أبي بكر ومجاهرتها بالحكم بكفره وكفر طائفة من الصحابة وفسقهم تصريحاً وتلويحاً، وتظلمها وغضبها على أبي بكر، وهجرتها وترك كلامها حتى ماتت، لو كانت معصية لكانت من المعاصي الظاهرة التي قد أعلنت بها على رؤوس الاشهاد، وأي ذنب أظهر وأفحش من مثل هذا الردّ والانكار على الخليفة المفترض الطاعة على العالمين؟ بزعمهم فلا- محيص لهم عن القول ببطلان خلافة خليفتهم العظمى تحرزاً عن إسناد هذه المعصية الكبرى إلى سيدة النساء. ۳ ـ ونحتج أيضاً في عصمتها عليها السلام بالاخبار الدالة على وجوب التمسك بأهل البيت عليهم السلام وعدم جواز التخلف عنهم، وما يقرّب هذا المعنى، ولا ريب في ذلك لا يكون ثابتاً لأحد، إلّا إذا كان معصوماً إذ لو كان ممّن يصدر عنه الذنوب لما جاز إتباعه عند إرتكابها، بل يجب ردعه ومنعه وايذاؤه واقامة الحد عليه وإنكاره بالقلب واللسان وكل ذلك ينافي ماحث عليه الرسول صلى الله عليه و آله وسلم وأوصى به الأمة في شأنهم، ويكفي في ذلك ماروه المخالفون لنا عن الترمذي عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا، أحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي لن يفترتا حتّى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فلا يهولنّك ما يقرع سمعك من الطنين آخذاً [صفحه ۱۹۶] من الميول والأهواء المردية بأن العصمة الثابتة لمن شاركها في الكساء لأجل تحملهم الحجية من رسالة أو إمامة، وقد تخلت الزهراء عليها السلام عنها ـ النبوة والإمامة ـ فلا تجب عصمتها، الجواب إنّا لم نقل بتحقق العصمة فيهم عليهم السلام لاجل تبليغ الاحكام حتى يقال بعدم عصمة الصديقة لعدم توقف التبليغ عليها، وإنما تمسّكنا بعصمتهم بعد نص الكتاب العزيز بإقتضاء الطبيعة المتكونة من النور الالهي المستحيل فيمن اشتقت منه مقارفة إثم أو تلوث بما لا يلائم ذلك النور الأرفع حتى في ترك الاولى [۲۹۰] . وإلى ذلك يشير المرحوم الشيخ الاصفهاني في إجوزته: تبتلت عن دنس الطبيعة فيالها من رتبة رفيعة مرفوعة الهمة والعزيمة عن نشأة الزخارف الذميمة في افق المجد هي الزهراء للشمس من زهرتها الضياء بل هي نور عالم الأنوار ومطلع الشموس والاقمار رضيعة الوحي من الجليل حليفة لمحكم التنزيل مفطومة من زلل الأهواء معصومة من وصمة الخطاء إذن في النتيجة النهائية نصل إلى أن حديث الكساء إرتباط إرتباط وثيق بنزول آية التطهير والتي تمثل الأساس المتين لإثبات عصمة أهل البيت عليهم السلام وبما فيهم فاطمة الزهراء عليها السلام ولذلك جاءت الآية المباركة للتطهير لتكون نور من أنوار حديث الكساء حيث كلما ذكرت ذكر حديث الكساء ليكون من الأهمية البارزة في حياتنا العقائدية والروحانية والدعائية، ونختم الكلام في عصمة فاطمة عليها السلام فيما قاله الأستاذ العلامة حسن زاده آملي حيث يقول: ـ كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ ذات عصمة بلا- دغدغة ووسوسة، وقد نص كبار العلماء كالمفيد

والمرتضى وغيرهما بعصمتها عليها السلام بالآيات والروايات والحق معهم والمكابر محجوج مفلوج، وكانت عليها السلام جوهره قدسية فى تعين إنسىّ، فهى إنسية حوراء وعصمة الله الكبرى وحقيقة العصمة أنها قوة نوريّة ملكوتية تعصم صاحبها عن كل ما يشينه من رجس الذنوب [صفحه ۱۹۷] والأدناس والسهو والنسيان ونحوها من الرذائل النفسانية... فاعلم أن العترة وفاطمة منهم معصومة كما نص به الوصى الإمام على عليه السلام فى النهج: «وكيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم وهم أزمة الحق وأعلام الدين والسنة الصدق فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطشان». ونطق ابن أبى الحديد المعتزلى فى شرحه بالصواب حيث قال: «فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن تحته سرّ عظيم وذلك أنه أمر المكلفين بأن يجرو العترة فى إجلالها وإعظامها والإنقياد لها والطاعة لإوامرها مجرى القرآن». ثم قال: «فإن قلت: فهذا القول منه يشعر بأن العترة معصومة فما قول أصحابكم ـ يعنى القائلين بمذهب الإعتزال ـ فى ذلك؟ قلت: نصّ أبو محمّد بن متويه فى كتاب الكفاية على ان علياً عليه السلام معصوم وأدلّة النصوص قد دلّت على عصمته والقطع على باطنه ومغيبه وأن ذلك أمر إختص هو به دون غيره من الصحابة» فتدّبر. وإذا دريت أن بقية النبوة وعقيلة الرسالة ووديعة المصطفى وزوجة ولى الله وكلمة الله والتامة فاطمة عليها السلام ذات عصمة فلا بأس بأن تشهد فى فصول الآذان والإقامة بعصمتها وتقول مثلًا: «أشهد أن فاطمة بنت رسول الله عصمة الله الكبرى أو نحوها [۲۹۱] .

سند هذا الحديث

أما سند حديث الكساء الشريف فهو فى غاية المتانة والصحة بل يعتبر من الأحاديث المتواترة وليس المشهورة بل هو المتواتر القطعى، ويكفى فى ذلك إنّ روايات جمة تزيد على سبعين رواية من طرق أهل السنة تروى هذا الحديث المبارك، [صفحه ۱۹۸] هذا فضلًا عن الطرق الخاصة لاهل المذهب الحق الشيعة الامامية، هذا من جهة ومن جهة أخرى فيكفى فى رواية هذا الحديث من ناحية السند جابر بن عبدالله الأنصارى الذى روى الحديث بسند معتبر عن لسان فاطمة الزهراء عليها السلام، حيث يعتبر هذا الصحابى الجليل ـ جابر الانصارى ـ من الذين حملوا سلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى حفيده الإمام محمد الباقر عليه السلام، حيث تروى لنا كتب الرجال أن هذا الصحابى يكفى فى وثاقته أنه عاصر الرسول والإمام على والحسن والحسين وعلى بن الحسين عليهم السلام حتى أدرك الإمام الباقر عليه السلام. فلقد روى لنا التأريخ كيف دخل جابر الانصارى على الإمام الباقر عليه السلام قائلًا له:إن جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرك السلام والتحية والاكرام وقال لى يا جابر ستدرك واحد من أبنائى: إسمه اسمى يبقر العلم بقرا فأبلغه عنى السلام. فتعتبر هذه من الكرامات والمعجزات التى تثبت مدى صدق دعوة النبى وإنه ما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحى يوحى وأن له شأن مع الله تعالى. اذن حديث الكساء من الاحاديث المؤكده وسنده صحيح معتبر وانه من الأحاديث المستفيضة عند العامة والخاصة.

مضامين هذا الحديث المختلفة

قبل كل شىء لابد من التأكيد على مسالة مهمة ألا وهى مسألة عرض أى موضوع يطرح فى عالم الإمكان على القرآن والسنة النبوية الشريفة الصحيحة فما كان موافقاً للقرآن الكريم فإنّا نأخذ به وما كان مخالف للقرآن الكريم نضرب به عرض الحائط وهذا ما أكدته الكثير من الروايات فى هذا المقام، وعلى ضوء هذا الأساس سيكون استقراءنا لهذا الحديث المبارك واستجلاء حقائقه على ضوء القرآن الكريم والسنة الشريفة وهذا لا يعنى أنّنا لابد من ذكر كل الأمور القرآنية التى توافق هذا [صفحه ۱۹۹] الحديث فان هذا سوف يكون بحاجة الى كتاب مستقل فى هذا الموضوع وأنما يكون الأمر على ضوء التمعن والتأمل على ضوء المرتكزات القرآنية لدى الإنسان المؤمن. فالحديث على كل حال قد رواه المسلمون كافة وبصورة مختلفة وهيئات متعددة ولكن جوهر الحديث واحد: هو أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم جمع أهل بيته وألقى عليهم رداء وقال: «اللهم إن هؤلاء أهل بيتى وخاصّتى وحامتى لحمهم

لحمى ودمهم دمى يؤلمنى مايؤلمهم...». إنّ حديث الكساء ذو مصداقية كبيرة من خلال توافقه الكبير مع القرآن الكريم وهذا مانجده أثناء تطبيق حقائقه التى يدعو إليها سواء العقائدية أو العلمية أو الروحانية أو المادية مع القرآن الكريم ومضمونه وحقائقه وعليه بعد إثبات ذلك ـ وكما هو مثبوت فى محله ـ فإنّنا لابدّ من الأخذ به والوقوف معه الوقفة الجلية لنستظهر حقائقه المعصومية. هناك مسألة قد أثيرت حول هذا الحديث الشريف وهى هل أنذ هذا الحديث وقضيته والتى كان من مضمونها ان الرسول تغطى بكساء ـ كانت فى بيت أم سلمة كما روى ذلك مجموعة من العامة أم فى بيت فاطمة عليها السلام؟ والجواب على ذلك: إن قضية حديث الكساء وماله من الأهمية الكبرى كان فى بيت فاطمة عليها السلام وبدلالة الحديث نفسه حيث اننا سلمنا بصحة سند الحديث واستفاضته أيضا فعليه نقول: إنّ هناك قرينة واضحة ومتصلة لا منفصلة فى نفس الحديث تؤكد على كون الحديث كان فى بيت فاطمة والقرينة هى إنّ الحديث يبدأ بقوله على لسان فاطمة عليها السلام «عن فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت دخل علّى أبى رسول الله فى بعض الأيام...». فقولها عليها السلام دخل علّى أبى رسول الله فيه دلالة واضحة على كون دخوله صلى الله عليه وآله وسلم فى بيتها لا فى بيت ام سلمة أضف الى ذلك دخول الحسن والحسين وأبيهما الأمام على عليه السلام فى بيت أم سلمة لا معنى له، ثم ماهى الثمرة العملية على هذه المسألة فلربّما يقول قائل سواء كان الحديث فى بيت أم سلمة أم فى بيت فاطمة عليها السلام مالفائدة فى ذلك؟ فنقول إنّ الفائدة تظهر إنه لو كان فى بيت أم سلمة لكان البعض ممن يقول بهذا [صفحه ٢٠٠] القول إنّ العصمة والطهارة والإرادة التكوينية تخص نساء النبى بدلالة بيت أم سلمة، وان كان عندنا إنّه لا ملازمة فيه فتأمل. وفى معرض الكلام حول أم سلمة هناك إشارة لطيفة لمن تمعّن فيها وتأمل حيث تظهر من خلال حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعدم قبوله أم سلمة بالدخول تحت الكساء وعدم إعطائها الإذن فى ذلك حيث الإشارة تدل على الرسول قال لها إنّك على خير ولم يطردها ولم يأذن لها بالدخول تحت الكساء، وهذا فيه دلالة واضحة من خلال استظهار كلمة ـ إنّك على خير ـ إنّها سوف تكون عاقبة أمرها إلى خير وإنّك الآن فعلاً على خير وإنه سوف يكون مآل حياتك الى العاقبة الحسنة وهذا بخلاف ما نجده فى بعض نساء النبى اللواتى خرجن على إمام زمانهّن. «دخل علىّ أبى فى بعض الأيام فقال...» فى الحديث أنّ فاطمة هى الملجأ لأبيها فاذا شعر بضعف أو ألم أسرع إلى فاطمة حيث يجد عندها الراحة والطمأنينة والهدوء لأن النظر الى فاطمة يمسح الهموم والأحزان من قلب النبى كما كان الإمام على عليه السلام يقول: إذا نظرت الى فاطمة إنجلت عنى الهموم والأحزان... وإلّا لماذا لم يذهب النبى الى إحدى زوجاته علما بأن الرجل يشعر بالسكن لدى زوجته حيث يقول القرآن الكريم (خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة)، ويقول الله تعالى: (هن لباس لكم وأنتم لباس لهنّ)، فلماذا لم يذهب النبى الى واحدة من زوجاته وإنّما ذهب الى الزهراء؟ والجواب أنّ فاطمة كانت أم أبيها... وكان يشعر بالدفء والراحة عندما يزور الزهراء، بل يتزود بالطاقة والحنين حيث يرى فاطمة عليها السلام ولذلك نجد أن التأريخ الإسلامى يروى لنا أنّ آخر من يودع النبى فى غزواته وسفره هى فاطمة وأول من يمّر عليه بعد رجوعه من سفره خارج المدينة هو بيت فاطمة عليها السلام. «إنى أجد فى بدنى ضعفاً فقلت له أعيذك بالله يا أبتاه من الضعف»، قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم هذا القول ولم يقل أنى أجد فى روحى ضعفاً أو فكرى وهذا خلاف ما إتهمه بعض المشركين بأنّه شاعر مجنون... إنّما هو ضعف بدنى أصابه نتيجة الاجهاد والمثابرة على العمل فهو يقول لها: أنى لأجد فى بدنى ضعفاً وهى تقول له: أعيذك بالله [صفحه ٢٠١] يا أبتاه من الضعف أى انها أعاذت أباها بالله العلى العظيم من الضعف وإن لا يصيبه الضعف لأن العالم كله بحاجة الى هذه الطاقة الجبارة الخلاقة التى تنضح رحمة وتتفجر خيراً وعطاءً. «يال فاطمة إيتينى بالكساء فغطينى به فأتيته بالكساء اليمانى فغطيته به وصرت أنظر إليه وإذا وجهه يتلألأ كأنّه البدر فى ليلة تمامه وكماله». والسؤال المطروح حول هذا المضمون من هذه الفقرة: هو لماذا طلب النبى صلى الله عليه وآله وسلم كساء يتغطى به... لماذا لم يطلب شيئاً آخر كالطعام أو الشراب؟ لماذا طلب ذلك الكساء؟ وماهى المناسبة التى جعلت وجهة يتلألأ نوراً كأنه البدر فى ليلة تمامة وكماله؟ إن المناسبة هى تلقى الوحى فهناك عدة شواهد تأريخية تنقل لنا كيفية تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وآل وسلم أثناء تلقيه الوحى، أمّا لماذا طلب الكساء اليمانى فذلك

ليجمع أهل بيته ويركز عليهم دون غيرهم، وأنّهم المحور الأساس الذى تدور عليه ولاية الله تعالى، وأنهم المرتبطين بشأن نزول الوصى أثناء تغطيتهم بالكساء لتكون آية التطهير النازلة وإرادة السماء فيهم عليهم السلام، اذن فالكساء إنّما جاء للعصر... وليس لشىء آخر كما حديث يوم المباهلة حيث ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يخرج معه إلاّ هؤلاء الذين هم تحت الكساء بالإضافة إلى أنه أراد تأكيد الوصية وصية الغدير. «إنى أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة جدى رسول...». وحديث الكساء فيه تصوير رائع لجمال أهل البيت وطيبة رائحتهم فإنها رائحة طيبة تعبق الشذى.. وأكثر من ذلك فقد كانت صبات عرق الرسول تتفوح بالعطر كما كان عطر الزهراء ورائحتها عطر الجنّه.. والرسول كان يشم فاطمة ويقول كلما اشتقت إلى رائحة الجنّة شممت رائحة إبنتى فاطمة، «ريحانة أشمها وتشمنى». ويظهر الحديث أدب الكلام والمحادثة مع النبى وأدب المعاملة مع أهل البيت بعضهم من بعض فى وقوف كل واحد أمام الكساء وطلب الإذن من النبى صلى الله عليه وآله وسلم ثم جواب النبى له وهكذا تجرى فصول هذا الحديث المقدس وفاطمة ترقبه وتسجله ثم تجيئ به فى النهاية لإكمال المشوار. [صفحه ۲۰۲] وتقول الزهراء لما إكتملنا جميعاً تحت الكساء أخذ أبى رسول الله بطرفى الكساء ـ وهذا يعنى أنهم خمسة أصحاب الكساء لاينقصون ولا يزيدون.. بل هم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها.. خمسه لا غير أبى قبل دخول فاطمة لم يكتمل النصاب بعد ولم يكتمل العدد بعد والقول «إكتملنا جميعاً» يشير إلى أنهم خمسة أصحاب الكساء ودعاء الرسول لهم هو تسديد من السماء لأنّ الرسول لا ـ ينطق عن الهوى إنه إلا ـ وحىّ يوحى. قولها عليها السلام: أوحى الله إلى ملائكته وسكان سماواته... وهذا الحدث بحد ذاته يجعل فاطمة فى أعلى قمة فى الوجود الامكانى وبالاضافة إلى أنه يكشف لنا عن حقيقة أهل البيت وانه لولاهم لما خلق الله الأكوان والأفلاك. وحديث الكساء حينما نعرضه على الميزان الفكرى للإسلام وأساسياته فإنه نجد ان الحديث يسير تماماً مع القرآن الكريم وليس فيه خرق ولا تجاوز عن أساسيات القرآن الكريم، فهم عليهم السلام عدل القرآن وعلى أساس ذلك يكون عدل القرآن معصوم ومحفوظ كما أنّ القرآن معصوم ومحفوظ، اذن يكون كل شىء فى حديث الكساء هو معصوم من الخطأ والزلل وذلك لكون راوى الحديث ومثبته هو معصوم عن الخطأ والزلل، وهى فاطمة عليها السلام. وهناك مسألة مهمة تعرض لها حديث الكساء وهى أنّ جبرئيل يسأل من الله تعالى ويقول يا رب ومن تحت الكساء؟ وربما أراد بذلك ـ جبرئيل ـ وعبر أنتقال هذا الحديث المبارك عبر الأجيال إلينا أن يؤكد على شرافة أصحاب الكساء وأنهم من الله تعالى يستمدون عصمتهم وقداستهم وتربيتهم. والملفت للنظر عندما يجيب الله تعالى عن أسماء أصحاب الكساء يقول هم فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها، ولم يقل مثلاً هم رسول الله وعلى وفاطمة... كل ذلك للتأكيد على محورية فاطمة الزهراء عليها السلام بالنسبة لأهل بيت النبوة وأنّها القطب المركزى لدائرة أهل البيت عليهم السلام. ويشير حديث الكساء الى نزول جبرئيل الى الأرض بعد معرفة اصحاب الكساء والتشرف فى خدمتهم وطلب الأذن من الله تعالى فى الدخول تحت الكساء [صفحه ۲۰۳] وكذلك يظهر من الحديث أن الله ورسوله قد أعطوا الأذن لجبرئيل وذلك لكونه معصوم من الخطأ والزلل بالعصمة الربانية الذاتية فلذلك لا ضير أن يكون معهم تحت الكساء لأنه لا يختلف عنهم من جهة العصمة وهذا بخلاف أم سلمة رضوان الله عليها. وهناك إشارة لطيفة فى الحديث حيث قال الله تعالى هم فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها ولم يقل وأبنيها ونحن نعلم ان الذى كان تحت الكساء الحسن والحسين وربما أراد بذلك الصلب والذرية الطاهرة للأئمة عليهم السلام وأنهم سوف يكونون أيضاً معصومون وامتداد لأصحاب الكساء ويأتى سؤال الإمام على عليه السلام عن الفضل والأجر لهذا الجلوس تحت الكساء؟ وفضل ذكر هذا الحديث وماله من الأهمية؟ حيث بين هذا الجواب الذى يظهر من الحديث أنه ـ أى الحديث ـ غذاءاً للروح والعقل والقلب والبدن معاً، إذ أن حاجات الإنسان محدودة كالطعام والشراب واللباس فكمية منها معينة تصل بالإنسان إلى حد الاكتفاء والارتواء والشبع. أما حاجات الروح والعقل فهى بلا حدود كالصلاة والعلم والتفقه، فغن الروح تبقى فى حالة فهم إلها كلما نهلت منها شعرت باتها بحاجة إلى المزيد منها. لذلك سأل الإمام على ولذلك كان جواب النبى صلى الله عليه وآله وسلم ففى المرة الاولى كان جواب الرسول الأعظم تحديد لحاجات العقل والروح والنفس «نزلت عليهم الرحمة وحفت بهم الملائكة وإستغفرت لهم». أما فى المرة الثانية فقد كان فى جواب النبى صلى الله عليه وآله وسلم تحديداً لحاجات الجسد

«وفيهم مهموم إلّا وفرج الله همه ولا مغموم إلّا وكشف الله غمه ولا طالب حاجة إلّا وقضى الله حاجته». فتفريج الهموم وكشف الغموم وقضاء الحاجات إنما هى حاجات جسدية بينما الرحمة وإحاطة الملائكة والإستغفار إنما هى هموم عقلية وروحية ونفسية. ويكشف الحديث عن السعادة والفوز والنصر والظفر فى الحياة.. لأنّ الذى يمشى فى خط أهل البيت لابد أن ينتصر ويظفر لا محالة ولو بعد حين. ويقول الحديث أنه ما ذكر فى حفل فيه جمع ولم يقل على فرد واحد. وهى إشارة رائعة إلى أهمية تنظيم المجتمع وتكثير المجالس التى يذكر فيها أهل البيت عليهم السلام. [صفحه ۲۰۴] لأن الإمام الصادق عليه السلم يقول تجلسون وتتحدثون... أحيوا أمرنا فإنى أحب تلك المجالس... والمجلس الذى يذكر فيه هذا الحديث هو قطعاً مجلس فى الخير والصلاح ورضوان الله.. لأنك تذكر قوماً ما عصوا الله طرفة عين أبداً، وقد ورد فى دعاء أبى حمزة الثمالى: «... أو لعلك رأيتنى مجالس البطالين فخذلتنى» يقول من ترك الاستعماع من ذوى العقول مات عقله لأن الإبتعاد عن مجالس العلم والعلماء يؤدى الى الخذلان، «أو لعلك فقدتنى من مجالس العلماء فخذلتنى». وحديث الكساء يشير الى الأمور والمسائل العلمية التى وافقت القرآن الكريم كالأرض المدحية والسماء المبنية والقمر المنير والشمس المضيئة وهى من الحقائق المطابقة للواقع واللقرآن الكريم. هكذا يقرأ الحديث وهكذا يفهم جواب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن الأسئلة التى وردت فى الحديث عن لسان الإمام على عليه فلعل الإمام على عليه السلام أراد من خلال طرحه وكذلك ربط حديث الكساء بهموم الناس وحوائجهم حتى لا يبقى مجرد حديث فحسب نقرأه من أجل معلومة نعلمه أو من أجل حديث نتعرف إليه واذا كان الأمر كذلك فما أجدرنا ونحن نقف مع هذا الحديث ان نستغل هذه المضامين ونعيشها بعقولنا وأرواحنا ونفوسنا لكى نجعل من هذا الحديث المبارك حسنة لنا فنصلح به أحوالنا ونقوّم أخلاقنا ونثبت عقائدنا الصحيحة ونربى أبناءنا تربية صالحة لا سيما أن أهل البيت ليسوا بعيدين عنا وطقوسنا ليست جامدة أو فارغة بل هى طقوس هادفة الى تربيتنا تربية إسلامية حقة. [صفحه ۲۰۷]

فاطمة سيدة نساء العالمين

إن قيل حوّا قلت فاطم فخرها أو قيل مريم قلت فاطم أفضل أفهل لحوّا والد كمحمّدٍ أم هل لمريم مثل فاطم أشبل كلّ لها عند الولادة حالة منها عقول ذوى البصائر تذهل هذى لنخلتها التجت فتساقطت رطبا جنيّاً فهى منه تأكلّ وضعت بعيسى وهى غير مروعةٍ أنّى وحارسها السّرىّ [۲۹۲] الأبسل وإلى الجدار وصفحة الباب التجت بنت النّبىّ فأسقطت ما تحمل سقطت وأسقطت الجنين وحولها من كلّ ذى حسبٍ لئيم جحفل هذا يعنّفها وذاك يدعّها ويردها هذا وهذا يركل وأمامها أسد الأسود يقوده بالحبل قنفذ هل كهذا معضل ولسوف تأتى فى القيامة فاطم تشكو الى رب السماء وتعول ولتعرفنّ جنينها وحنينها بشكايةٍ منها السّما تتزلزل ربّاه ميراثى وبعلى حقّه غصبوا وأبناثى جميعاً قتّلوا [۲۹۳] . [صفحه ۲۰۹] فاطمة سيدة نساء العالمين عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: «ان هذا ملك مقرب لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة، استأذن ربّه أن يسلّم علىّ ويبشرنى بأنّ فاطمة سيدة نساء أهل الجنّة» [۲۹۴] . ورد هذا الحديث بسند معتبر فى عدة كتب روائية سواء من العامة أو الخاصة والظاهر من خلال مراجعة هذا الحديث أنّه ممن أتفقت عليه العامة والخاصة حيث [صفحه ۲۱۰] نقلته كتب الفريقين المعتدة خصوصاً عند السنة وفى الصحاح الستة وعليه فلا مجال للطعن أو النقاش فى سند هذا الحديث المبارك الذى يظهر كرامة فاطمة الزهراء عليها السلام على الله وعلى الرسول الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، والحديث يروى لنا قصة ملكاً لم ينزل إلى أرض سابقاً أستأذن الله تعالى أن يمسلم على رسوله الكريم وإنّ يبشره بأن فاطمة الزهراء عليها السلام هى سيدة نساء هل الجنّة، وعليه نقف مع هذا الحديث لنرى مدى شموليته وسعته فى دلالته على كون فاطمة الزهراء أفضل من مريم عليها السلام أم لا؟ باعتبار وجود آية قرآنية ذكرت مريم عليها السلام فى كونها سيدة نساء العالمين فى قوله تعالى: (وإذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله إصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) فلنقف مع هذه الآية ومع الحديث

المبارک: ۱ ـ لنعرف ایهما أفضل فاطمة علیها السلام ام مریم علیها السلام؟ ۲ ـ ومن هی سیدة نساء العالمین؟ ۳ ـ وماهی الثمرة العقائدیة فی ذلک؟ کل هذه الأسئلة تطرح فی المقام الذی نحن فیه وعلیه لابد لنا أن نجیب علیها لکی تکون لنا قدرة خاصة علی الفهم العقائدی لحیاة الصدیقة الطاهرة فاطمة الزهراء علیها السلام. فنقول ومن باب مقدمة للبحث فی هذا الموضوع المهم إنّه: ـ لا شک ولا ریب إنّه ورد فی کتب الفریقین عدة أحادیث تبین أفضل النساء فی الدنیا والآخرة وإنّه لم یکمل من النساء إلاّ الجنّة إشتاقت إلی أربع من النساء وکذلک ورد أیضاً إنّ الله أختار من النساء أربع وکثیرة هی الأحادیث التی تظهر هذه المسألة وقد تظاهرت الروایات من العامة والخاصة فی ذلک. ونحن نذکر فی هذه المقدمة، بعض هذه الأحادیث وعلی أثر ذلک ندخل فی صلب الموضوع الذی أخترنا البحث عنه والوقوف معه والاستفاده من دلالته، أما هذه الاحادیث التی نقلت فی طیاتها النساء اللواتی إختار هن الله تعالی فمنها: ماورد عن أبی الحسن الأوّل علیه السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم إن الله تعالی اختار [صفحه ۲۱۱] من النساء أربعاً: مریم وآسیة وخدیجه وفاطمة [۲۹۵] . روی عن مسلم والترمذی، عن النبی صلی الله علیه وآله وسلم أنه قال: کمل من الرجال کثیر ولم یکمل من النساء إلاّ مریم بنت عمران وآسیة بنت مزاحم امرأة فرعون وخدیجة بنت خویلد وفاطمة بنت محمد [۲۹۶] . وجاء عن النبی صلی الله علیه و آله وسلم انه قال: اشتاقت الجنة الی أربع من النساء: مریم بنت عمران، وآسیة بنت مزاحم زوجة فرعون، وخدیجة بنت خویلد وفاطمة [۲۹۷] . وعن ابن عباس قال: خط رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فی الأرض أربعة خطوط قال: تدرون ما هذا؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم: فقال رسول صلی الله علیه وآله وسلم: أفضل نساء أهل الجنّة بنت خویلد وفاطمة بنت محمد، وآسیة بنت مزاحم إمرأة فرعون، ومریم بنت عمران [۲۹۸] . إذن یظهر من هذا الأحادیث أن الإیمان کمل فیهن وإن الله تعالی اختارهن [صفحه ۲۱۲] وفضلهن علی کثیر من نساء الدنیا والآخرة فهلمّ معی لنقف معهن لنری خصوصیة کل واحدة منهن ـ وهن آسیة ومریم وخدیجة وفاطمة ـ بحیث ورد الحدیث بأنهّن خیر النساء، ونقول: لو نظرنا إلی حیاة هؤلاء النسوة صارفین النظر عن نصوص الکتاب والسنة لالفینا ان کل واحدة منهّن تختص بفضیلة دون غیرها من الصالحات الباقیات. فآسیة إمرأة فرعون آمنت بالله مخلصة له لائذة به وحده وهی فی بیت شر العباد، ورأس الکفر والالحاد، وقد جاهرت بأیمانها منکرة علی فرعون کفره وفساده، متحدیة ظلمه وطغیانه، فأوتد لها الاوتاد، حتی قضت شهیدة الحق والإیمان ولم تکن هذه الکرامة لواحدة من الثلاثة. أما السیدة مریم فقد کرمها بولادة السید المسیح من غیر أب وما عرفت هذه الکرامة لأمرأة علی وجه الأرض. أما السیدة خدیجة فأنها أول من آمن وصدّق الرسول محمّد صلی الله علیه وآله وسلم وصلّت هی وعلی بن أبی طالب علیهم السلام أول صلاة أقیمت فی الإسلام، وهی أول من بذل الأموال لنصرة هذا الدین... ولولا أموالها، وحمایة أبی طالب لمحمد صلی الله علیه وآله وسلم لقضی علی الإسلام فی مهده، ولم یکن له عین ولا أثر.. ولم تکن هذه الکرامة لغیرها من نساء العالمین. أما فاطمة الزهراء علیها السلام فإنها بضعة من رسول الله، بل هی نفسه خلقاً وخلقاً ومنطقاً وصلاحاً وتقی یرضیه ما یرضیها، ویؤذیها ما یؤذیه، وهی أم الحسنین سیدی شباب أهل الجنّة، وعقیلة سید الکونین، بعد رسول الله ولم تکن هذه الکرامة لأمها خدیجة ولا لأسیة ولا لمریم [۲۹۹] أما التفاضل بینهنّ فأننا نترکه لئلا یطول المقام بنا ونقف هنا مع حیاة الصدیقة الطاهرة فاطمة الزهراء علیها السلام، ومریم بنت عمران لأثبات المراد من هذا البحث. فمن القضایا العقائدیة المهمة لدی الشیعة الإمامیة والتی تأخذ حیزاً کبیراً علی الصعید الفکری والعقائدی هی مسألة تفضیل سیدة نساء العالمین علی مریم وبقیة النساء المؤمنات الاخریات، فنحن بأعتبارنا شیعة ونعتقد بأهل البیت علیهم السلام وبما ورد من مقامهم ومنزلتهم وقداستهم إنّ هذه مسألة مسلمة لدینا ولکن هناک من یدعی خلاف ذلک وإن مریم علیها السلام هی سیدة العالمین وهی المفضلة علی بقیة النساء الأخریات والسبب إلی ذهاب بعض من یدعی هذه المقولة هو بما ورد من القرآن الکریم حیث جاء قوله تعالی (وإذ قالت الملائکة یا مریم إن الله اصطفاک وطهرک واصطفاک علی نساء العالمین) [۳۰۰] لیثبت کون مریم علیها السلام رمزاً قرآنیاً قد طرحه القرآن فی الفکر العقائدی لدی المسیحیة، فکیف اذن تحل هذه القضیة وخصوصاً نحن الشیعة یجب علینا أن نحمل عقائدنا عن وعی وإستدلال وبرهان صحیح معتمد علی الإستدلالات العقلیة المثبوت فی محلها، أما أن نأخذ عقائدنا فی هذه

القضية أو فى قضايا أخرى اعتماداً على العواطف والمديح والمبالغات فهذا مما لا يقبله أهل البيت عليهم السلام وخصوصاً نحن أبناء الدليل حيث ما مال نميل، وكذلك فإن أهل البيت عليهم السلام ليسوا محتاجين مديحنا وقد مدحهم من هو أفضل واحسن وهو القرآن الكريم بأعظم ما يكون ويكون من المدح والثناء العلى حيث وصفهم بأنهم مطهرون «ويطهركم تطهيراً» وكذلك قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنهم عدل القرآن، فما يكون كلامنا ومديحنا بعد ذلك، اذن فالقضية ليست قضية مديح وإطراء مواقف بل هى قضية عقائدية نعم،إذا أردنا أن نمدحهم ونقدم لهم الذكر والثناء فذلك من باب التقرب إلى الله تعالى وليس من باب رفع مقامهم بل مقامهم رفيع وإذا وتينا علم وفهم إنما لكى نتعرف على علو مقامهم وشانهم عند الله تعالى فعليه إذا طرحت هذه الفكرة، أو القضية بكون فاطمة عليها السلام أفضل من مريم يجب أن تكون مدعومة بالدليل العلمى الشرعى والإستدلال المنطقى وخاصة من القرآن الكريم والسنة لكى تكون عقيدتنا فى هذه القضية مبنية على المتانة والصحة، اذن فالسؤال المطروح هو كيفية كون فاطمة أفضل من مريم والحال إن مريم يخاطبها القرآن الكريم (يا مريم إن الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين) والظاهر أنّ نساء العالمين نص قرآنى [صفحه ۲۱۴] بالصراحة يقول مريم اصطفيت على نساء العالمين فكيف تكون فاطمة أفضل منها؟ هذه سؤال مطروح فيما نحن فيه وكيف نحمله مع الحديث الذى قدمناه فى أول البحث من أن فاطمة سيدة نساء الجنّة. ومن جهة أخرى ينقدح سؤال مهم أيضاً وهو أنّ مريم عليها السلام ولدت نبياً وهو عيسى، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام وكانت طريقة ولادتها بمجزة ربانية حيث حملت به من غير أب، فهى إذن ليست ولدت شخصاً عادياً بل نبى من الأنبياء العظماء وهذا الحال لم يحدث لفاطمة عليها السلام لم تولد نبياً من غير زوج فما هو باب التفضيل والحال ان مريم محاطة ومحفوفة بالمعاجز فهذه الأمور تطرح ولابد أن تعالج واحدة، ويجب على ذلك ألاّ نحمل العقائد على السذاجة وعلى العواطف والتقليد لأن التقليد يفيد فى الأحكام الشرعية أما فى العقائد فيجب على الإنسان أن يحملها عن وعى وإدراك واستدلال وفهم. لذا أصول الدين لا يجب أن يقلد فيها الآخرين بل التقليد فى الفروع بأعتبار إنها تحتاج إلى تفحص وإفناء عمر فى دراستها والبحث فيها وهذا لا يتسنى ولا يتيسر لكافة الناس فيكون الوجوب الكفائى فيها أما الأصول فيجب على الجميع ان يفهموها بوعى عميق وإستدلال ولا يكون الإنسان المتدين فيها ساذج وتبعى للآخرين بل لابد من أن يصل إليها بالتفكر والإستدلال، وعليه تكون هذه الأسئلة مهمة من الناحية العقائدية ولا بدون فهمها بالدليل القرآنى والسنتى فكيف نصل إلى غاية المطلوب وكيف نحصل على الجواب الصحيح فيها؟ فنقول: قبل ان نجيب على هذه الأسئلة وكيفية بنائها البناء الصحيح العقائدى وعلى ضوء القرآن والسنة نقدم مقدمة بسيطة وهى أن هذه الأسئلة والإشكالات التى تطرح حول فاطمة الزهراء عليها السلام ليست شبهات ولا إشكالات جديدة بل هى كانت مطروحة من زمن نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم واللطيفة إن هذه الإشكالات والإثارات والشبهات هى فى الحقيقة تخدمنا جداً، لأنها تكون مربية ومعمقة لعقائدنا فنحن نجد الكثير من العقائد فى حياتنا نمر عليها مرور الكرام إما عندما تثار الشبهات حول عقيدة معينة فكما تؤدى إلى زعزعة بعض النفوس الضعيفة كذلك تؤدى إلى أن يكون [صفحه ۲۱۵] أهل الأقلام والفكر والتحقيق يغوصون فى فهم العقائد ودعمها قرآنياً أو روائياً وعلى ضوء الاستدلالات الصحيحة وبالنتيجة تكون العقيدة معمقة ودقيقة وتقف بوجه الشبهات والإشكالات التى تطرح عليها، والأمثله على ذلك كثير جداً مثلما طرحت بعض الإشكالات المغرضة حول وجود صاحب الزمان «عج» وقضية الزهراء بصورة عامة كل هذه الإشكالات بالنتيجة وكما قلنا كانت مفيدة بقدر ماهى مضرة ببعض ضعاف النفوس وعلى كل فالذى نريد القول به هو أن الردود العلمية الدقيقة للأشكالات والشبهات التى تطرح قد أنضجت القضايا العقائدية بشكل أو آخر. أما الجواب على مسألة تفضيل الزهراء عليها السلام على مريم عليها السلام فيكون على شكل نقاط نذكرها لكى يتبين لنا الحق فى ذلك: ١ ـ إن الحديث الذى بدأنا به البحث قال بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنّة وهذا القول يحمل نفس معنى أن فاطمة سيدة نساء العالمين لأن الجنّة فيها المؤمنات فقط والقديسات الطاهرات فتكون فاطمة سيدتهّن فمن باب الأولوية تكون فاطمة سيدتهنّ فى الدنيا كما هى سيدتهّن فى الآخرة فالمعنى واحد سواء فى الدنيا أو فى الجنّة. ٢ ـ أن ما طرحه القرآن الكريم من كون مريم عليها السلام قد إصطفاها الله تعالى على نساء

العالمين كان على لسان النبى الاكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم فهو الذى أخبرنا بالقرآن وهو الذى أوحى إليه من الله تعالى، ونقول كذلك بإعتبار الرسول ما ينطق عن الهوى إن هو إلا ـ وحى يوحى أخبرنا وبلغنا ان فاطمة سيدة نساء العالمين من الاولين والاخرين ومريم سيدة عالمها فكما بلغنا الرسول القرآن فى الآيات الأولى من اصطفاء مريم كذلك بلغنا بقوله حول ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام والشاهد على قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى هذه القصة هو ما ورد عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال: «ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان جالساً ذات يوم، وعنده على وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام» فقال: اللهم إنك تعلم ان هؤلاء أهل بيتى وأكرم الناس على فأحب من أحبهم وأبغض من ابغضهم وأوالى من والاهم وأعادى من عاداهم... إلى أن يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى حق فاطمة... وإنها لسيدة نساء العالمين. فقيل يا رسول الله، أهى سيدة نساء عالمها؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ذاك لمريم بنت عمران؛ فأما إبنتى فاطمة فهى سيدة نساء العالمين من [صفحه ۲۱۶] الأولين والآخرين: وإنها لتقوم فى محرابها فيسلم عليها سبعون ألف ملك بن الملائكة المقربين، وينادونها بما نادت به الملائكة مريم فيقولون: يا فاطمة! (إن الله إصطفاك وطهرك وإصطفاك على نساء العالمين) ۴۲ آل عمران [۳۰۱] . الى آخر الحديث. فيكون الحديث الحديث بمثابة تحديد لاطلاق كلمة العالمين التى وردت فى الآية القرآنية فتكون النتيجة أن مريم سيدة نساء عالمها وفاطمة سيدة نساء الاولين والآخرين. ۳) أما القرآن الكريم فلقد وردت كلمة تفضيل على العالمين ليست لمريم فقط بل جاءت لبنى إسرئيل ولانبياء بنى إسرائيل فمثلاً قوله تعالى (واسماعيل واليسع ويونس ولوط وكلا فضلنا على العالمين) [۳۰۲] فالآية الشريفة بينت أن الله تعالى فضلهم على العالمين هذا هو الظاهر منها ولكن من منا يقول إن هؤلاء الأنبياء أفضل من نبينا محمد صلى الله عليه وآل وسلم، ولا يوجد أحد يقول ذلك فنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الأنبياء، بل هناك فرقاً شاسعاً بينه وبينهم وخاصة نحن نرى أن القرآن الكريم يقول (وتلك رسلنا فضلنا بعضهم على بعض)... إذن بلسان القرآن الكريم ان هناك فرقاً بين الأنبياء وهناك تفضيل بينهم، وهذا دليل واضح على أنهم ـ أى هؤلاء الأنبياء ـ أفضل أنبياء زمانهم، إذ من القرآن الكريم نستفيد أن هذا الاطلاق يحمل تقييده معه أى يحمل قيده. وهناك شواهد أخرى تدل على هذه المسألة المطروحة فى المقام، فهذا القرآن الكريم يقول (يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين). فالمعروف أن بنى إسرائيل هم اليهود والقرآن يقول فضلتكم على العالمين فهل هناك إنسان مسلم أو مسيحى يقول أن اليهود أفضل من عليها أو أفضل من المسلمين؟ لا شك ولا ريب لا أحد يقول بهذه المقالة إلا من كان منهم إذن ما معنى أنى فضلتكم على العالمين؟ هل لانه فى زمانهم كثرة الأنبياء؟ وهذا فى الحقيقة لا يدل على [صفحه ۲۱۷] الافضلية وإذا كانت ثمة أفضلية فى المقام فهى للانبياء لكثرتهم لا لذلك الشعب المتحجرف فبالعكس أن كثرة الأنبياء تدل على كثرة الفساد وشدة الانحراف عن طريق الأنبياء والطغيان الذى ملأهم، فالانبياء إنما يبعثون لحاجة البشر اليهم، وهذا ما أخبرنا به القرآن الكريم حيث كان اليهود بقتلون الأنبياء بغير حق فكلما كان يقتل نبى يبعث نبى آخر وهكذا وفى ذلك يقول القرآن الكريم: (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق) [۳۰۳] (فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق) [۳۰۴] . إذن كثرة الأنبياء تدل على سقوط ذلك الشعب وكفره وإنتشار الفساد فيه وليس تدل على أفضلية ذلك الشعب، وبنى إسرائيل تلك الأمة المنحرفه والتى لازال شرها الى الآن على العالم الاسلامى بل على كل العالم كانت فى الحقيقة أمة غير ناجحة وفاشله جداً والسبب فى ذلك هو تمردها على انبياءها وعلمائها وقدّيسيها وقادتها وهذا هو السبب فى فشلهم، وعلى هذا الاساس تكون كلمة الاصطفاء على العالمين مثل كلمة التفضيل إذن من نفس مفردات القرآن الكريم نستفيد من كلمة عالمين أى عالم زمانها سواء كانت كلمة عالمين فى قضية تفضيل اليهود أو تفضيل الأنبياء أو تفضيل مريم عليها السلام، فتكون كلمة عالمين يعنى عالم زمانها ليس إلاّ. ۴) روى أن زكريا كلما دخل على مريم عليها السلام وهى فى محرابها (وكان آنذاك رئيس الهيكل اليهودى فإهتم بها وتفقد شؤونها) وجد عندها طعاماً وعهده بها أن لا يدخل عليها أحد، فسألها متعجباً: أنى لك هذا!... قالت هو من عند الله ـ أى لا ـ بواسطة أحد من الناس ـ أن الله يرزق من يشاء بغير حساب. ولا شك ولاريب أن هذه كرامة لمريم عليها

السلام فهل فى فاطمة الزهراء عليها السلام موجودة هذه الكرامة أن انها إختصت بمريم فقط فتكون مفضلة على الصديقة عليها السلام؟ قلنا: نعم حدثت مثل هذه الكرامة لسيدة النساء فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد جاء فى تفسير روح البيان للشيخ اسماعيل حقى عند تفسير قوله تعالى حكاية عن مريم: (هو من عند الله) جاء فى هذا التفسير ما نصه [صفحه ۲۱۸] بالحرف: «جاع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى زمن قحط، فأهدت له فاطمة رغيفين ولحماً.. فأتاها وإذا بطبق عندها مملوء خبزاً ولحماً، فقال لها: انى لك هذا؟ قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب، فقال: الحمد لله الذى جعلك شبيهه بسيدة بنى اسرائيل، ثم جمع رسول الله علياً والحسنين، وجمع أهل بيته عليه فاكلوا وشبعوا، وبقى الطعام كما هو فأوزعت فاطمة على جيرانها» [۳۰۵] وفى كتاب ذخائر العقبى لحب الدين الطبرى «إن علياً عليه السلام استقرض ديناراً ليشترى به طعاماً لاهله، فالتقى بالمقداد بن الاسود فى حال ازعاج ولما سأله الإمام قال: تركت أهلى يبكون جوعاً، فآثره بالدينار على نفسه وأهله وانطلق الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وصلى خلفه وبعد الصلاة قال النبى لعلى: هل عند شىء تعيشنا به؟ وكأن الله قد أوحى إليه ان يتعشى عند على، فأطرق على لا يحير جواباً، فأخذ النبى بيده، وانطلقا الى بيت فاطمة، وإذا بجفنه من الطعام فقال لها على عليه السلام أنّى لك هذا؟ قال له النبى: هذا ثواب الدينار، هذا من عند الله يرزق من يشاء بغير حساب، الحمد لله الذى أجراك يا على مجرى زكريا واجراك يا فاطمة مجرى مريم، كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً...» [۳۰۶] . وعليه قد ثبتت هذه الفضيلة للزهراء عليها السلام ملما ثبتت لمريم سواء من طرق العامة أو الخاصة. ۵) واستدل الكثير من العامة والخاصة بأفضلية فاطمة عليها السلام على مريم وخصوصا ما تواتر عن أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم م الخاصة والعامة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم «فاطمة بضعة منى، فمن أغضبها أغضبنى» فهذا الحديث من المواترات وفيه دلاله على كونها من نور الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكونها لحمه ودمه فهو خاتم الرسل فانه تكون ابنته أفضل من ابنت عمران. أوما قال خاتم الرسل فيها فاطم بضعتى ولاى ولاها فاطم روحى التى بين جنبى وريحانتى التى أهواها [صفحه ۲۱۹] أيها الناس باب فاطم بابى مثلما قد غدا حماى حماها أيّها الناس فأحفظونى فيها تاه فى الغىّ من بسوء أتاها ۶) إن فاطمة الزهراء عليها السلام أفضل من مريم بل هى سيدة نساء العالمين من الاولين والاخرين وهذا ما أثبته الحديث المروى عن أبى جعفر عليه السلام فى حديث طويل: «ولقد كانت عليها السلام مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله، من الجن والانس والطير والوحش والأنبياء والملائكة» [۳۰۷] وكذلك ماورد فى الحديث الشريف عن أهل بيت العصمة أنه «ما تكاملت نبوة نبى من الأنبياء حتى أقر بفضلها ومحبتها وهى الصديقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الاولى» [۳۰۸] فالذى يظهر من هذين الحديثين ان فاطمة مفروضة الطاعة على جميع الاولين والاخرين بما فيهم النساء والأنبياء والخلق كلهم وكذلك لا تتكامل نبوة نبى إلّا أن يقر بفضلها ومحبتها، فاذا كان حال الصديقة الكبرى هكذا مع الأنبياء فكيف مع مريم عليها السلام ولم تكن نبية؟ ۷) ويمكن أن نستفيد من الحديث المروى عن شفاعة فاطمة الزهراء عليها السلام يوم القيامة وان لها الشفاعة الكبرى كما لأبيها رسول الله انها الافضل وانها سيدة نساء العالمين من الاولين والآخرين بينما لا يوجد عندنا نص فى شفاعة مريم عليها السلام فلذلك يكون هذا الحديث المروى عن شفاعة فاطمة دليل على كونها سيدة نساء العالمين من الاولين والآخرين وإلا كيف يكون لها مقام الشفاعة؟ واليك الحديث المروى فى شفاعتها لمحبيها وشيعتها يوم القيامة. عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لفاطمة وقفة على باب جهنم فاذا كان يوم القيامة كتب بين عينى كلّ رجل: مؤمن أو كافر، فيؤمر بمجب قد كثرة ذنوبه الى النار، فتقرأ بين عينيه محباً، فتقول: إلهى وسيدى سميتنى فاطمة، وفطمت بى من تولانى وتولى ذريتى من النار، ووعدك الحقّ وأنت لا ـ تخلف الميعاد. فيقول الله عزوجل: صدقت يا فاطمة إنى سميتك فاطمة وفطمت بك من أحبك وتولاك وأحب ذريتك وتولاهم من النار، ووعدى الحق وأنا لا أخلف الميعاد وإنما [صفحه ۲۲۰] أمرت بعبدى هذا إلى النار لتشفعى فيه فأشفعك، ليتبين لملائكتى وأنبيائى ورسلى وأهل الموقف موقفك منى ومكانتك عندى فمن قرأت بين عينيه مؤمناً فجذبت بيده وأدخلته الجنّة [۳۰۹] إذن لا يبقى أى أشكال فى كون فاطمة سيدة نساء الجنّة وسيدة نساء العالمين والأولين والآخرين ولا تنافى فى كون مريم قد دعمها القرآن الكريم

وإن الله قد اصطفاها فإن ذلك كان في زمانها ولايمتد إلى زمان الصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام، هذا من جهة اصطفاء مريم وكيفية التوفيق بين ذلك، امّا بالنسبة للمعجزة الربانّية التي خصت بها مريم عليها السلام والكرامة التي أعطاها الله تبارك وتعالى إياها وهي إنها ولدت عيسى من غير أب عيسى عليه السلام، وإنه نبي من الأنبياء، وهذا غير موجود في الصديقة فاطمة عليها السلام ولم يقع لها بل ولدت الحسن والحسين وزينب عليها السلام بالطريقة الطبيعية فتكون مريم مفضلة على فاطمة فيكون الجواب على ذلك: إننّا لا نتصور ولا نصدق على أن يكون هذا دليلًا على أفضلية مريم عليها السلام لماذا؟ لأنّه بالنسبة لولادتها لعيسى عليه السلام وحملها به من غير أب يكون وحسب رأينا القاصر لسببين: ۱ ـ إن مريم عليها السلام حملت بعيسى بهذه الطريقة لأنّه لم يكن في بني إسرائيل كفوء لها فمن من بني إسرائيل يستحق أن يكون زوجاً للقديسة الطاهرة وأباً لعيسى عليه السلام هذا من جهة، ومن جهة أخرى إنّها نذرت نفسها لخدمة بيت الله آنذاك ولذلك كان اصطفاءها من قبل الله تعالى والدليل على عدم وجود كفوء لها إنها عندما حملت بعيسى وولدته فقدوها بني إسرائيل في المحراب فخرجوا في طلبها وخرج زكريا فأقبلت مريم وعيسى في صدرها وأقبلت مؤمنات بني إسرائيل يبزقن في وجهها فلم تكلمهن حتى دخلت في محرابها فجاء إليها بنو إسرائيل وزكريا فقالوا لها «يا مريم لقد جئت شيئاً فرّيا» أي شيئاً عظيماً في المناهي «يا أخت هارون ما كان أبوك إمرأ سوءٍ وما كانت أمّك بغيّا» ومعنى قولهم يا أخت هارون إن هارون هل كان رجلا فاسقاً زانياً فشبهوها به يعني أين هذا البلاء الذي جئت به والعار الذي ألزمته بني [صفحه ۲۲۱] إسرائيل؟! فأشارت الى عيسى في المهد فقالوا لها «كيف نكلم في المهد من كان صبيّا» فأنطق الله عيسى عليه السلام فقال «إنّي عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حياً وبراً بوالدتي ولم يجعلني جبّاراً شقياً، والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيّاً. إذن عندما جاءت إلى بني إسرائيل تحمل الطفل الكل شمتوا بها وانقلبوا عليها كما قال القرآن الكريم في ذلك «يا أخت هارون» يعني شماته... والقرآن الكريم حكى جانب من شماتتهم فمريم عرفت انه ليس في بني إسرائيل لها ناصر ولا يذكر القرآن الكريم إنّ هناك من وقف مع مريم وانبرى للدفاع عنها مثلاً ـ حتى يقول إنها كانت إمرأة طاهرة تاريخها نظيف، هذه كانت صاحبة معجزات في أحضان نبي فلا بد أن نرى القضية قبل أن نحكم عليها بهذه السرعة، فمن هذا القبيل لم يوجد رجل دافع عنها فاذاً كان هكذا موقفهم معها فأين يوجد الكفوء لها حتى تتزوج به وتكون ولادتها طبيعية فأذن لا يوجد كفوء لها يشاركها المعجزة والكرامة ويتحمل إلى جانبها مسؤولية السماء فالأكثرية بل الكل كانوا أناس غير ملتزمين والدليل على ذلك إننّا نجد أيضاً، بعض أنصار الأنبياء جرحوا الأنبياء، أصحاب موسى عليه السلام مثلا وهكذا فما كان هناك كفوء. بينما توفر الكفوء لفاطمة عليها السلام ألا وهو سيد الأوصياء وأمير الموحدين على أبن أبي طالب أي نفس الرسول الاكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكما أخبر بذلك القرآن، فتوفر الكفوء اذن دلالة على عدم الحاجة الى المعجزه، هذا مانتصوره في الجواب الأوّل. بنت النبي الذي لولا هدايته ما كان للحق لا عين ولا أثر هي التي ورثت حقاً مفاخره والعطر فيه الذي في الورد مدّخر تزوجت في السما بالمرتضى شرفاً والشمس يقرنها في الرتبة القمر ۲ ـ أما بالنسبة لمريم وانها ولدت نبياً ولم تلد فاطمة نبياً فهذا يرد عليه بأن ولادة النبياء في بني اسرائيل حتى وان كانت ولادتهم طبيعية أو غير طبيعية لا يدل ذلك أن الأنبياء من بني اسرائيل أفضل من أهل البيت عليهم السلم فلقد ثبت بالادلة القاطعه ان أهل البيت لا يدانيهم آل من الآل سواء آل عمران أو آل لوط... وغيرهم ممن ذكرهم القرآن [صفحه ۲۲۲] الكريم فهؤلاء لايصلون ولا يرتقون الى منزلة أهل البيت عليهم السلام وهذا مسلم به وحتى أن حديث الكساء يشير الى ذلك الأمر، هذا الحديث الذي اعترف به أحقد من عليها ـ أي على الشيعة ـ ألا وهو ابن تيميه في كتابه منهاج السنة الذي ثنّى ركبتيه وشد الأحزم لنقض كل فضائل أهل البيت عليهم السلام وحتى الرواية التي يجدها تحمل فضيلة فإنه ينكرها من الأساس فيكون بذلك مخالف لإسلوب العلماء والذين يريدون التخلص مثلاً من رواية بإسقاط سندها وضعفه عن القيام بالحجية. إذن فحديث الكساء الشريف أثبت أفضلية أهل البيت عليهم السلام من بقية الآل وهذا بالحقيقة يجعل هذا الحديث يتألق في سماء العقيدة والمعرفة فإنه فاطمة ولدت حسناً وحسيناً ولا يقاس بهم لانبي من أنبياء بني إسرائيل ولا وصي وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم «علماء أمتي

أفضل من أنبياء بنى إسرائيل» فيه دلالـة واضـحة على ذلك لأنه لو أخـذنا وفسـرنا أن علماء أمتى هم الأئمة عليهم السـلام بالخصوص فيكون الأفضلية لفاطمة عليها السلام من هذه الجهة وأضف إلى ذلك أنّ عيسى بن مريم عليه السلام وكما وردت الروايات فى ذلك إنّه سوف يصلى خلف الإمام المهدى «عج» عند ظهوره الشريف وأضف الى ذلك أنّه أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام كان يقينهم ثابت ووصل مرحلـة لا يصل إليها أحـد من أنبياء بنى أسـرائيل أليس القرآن الكريم يقول فى حق نبى من الأنبياء «أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى» يعنى لم يصل الى مرحلـة الأطمئنان القلبى الراسخ الذى هو عبارة عن اليقين الحقيقى، أمّا على وأولاد على عليهم السـلام «لو كشف لى الغطاء ما إزددت يقيناً». إذن ولادة مريم لعيسـى بالمعجزة الربانيّـة وإنّه كان نبياً لا يـدل أفضـليتهما من الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السـلام وعليه كل الأدلة المطروحة حول ذلك مردودة، وهذا لا يعنى إنّنا نطعن بشخصـية مريم أو نريد أن نقلل من شأنها بل أتخـذناها عظيمـة من العظيمات وقسـنا عليها عظماء الأمـة. والثمرة فى هـذا البحث من الناحيـة العقائديـة وحسب ما نتصوره أنّه عندما ثبت أنّها سيدة نساء العالمين وأنها أفضل النساء من الأولين والآخرين فإنّه سوف يكون ظلمها وعدم رعاية حقها من قبل الـذين ظلموها والـذين رضوا بذلـك ذا وبال عليهم [صـفحه ۲۲۳] فى الـدنيا بلعنهم والبرائة من ظلمهم وأفعالهم بحقّ سـيدة نساء العالمين وفى الآخرة الخزى والعـذاب الأليم «إنّ الـذين يؤذون الله ورسوله لعنوا فى الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذاباً أليماً». وأيضا الثمرة فى ذلك هو أننا بقـدر مفرفتنا بمقامات أولياء الله تعالى ـ ومنهم فاطمة عليها السـلام ـ والتى ورد البحث عليها وعلى طلب المزيد منها، نزداد عنـد ذلـك معرفـة الله تعالى لأنّه من عرفكم فقـد عرف الله تعالى لأنهّم هم الـدالّين عليه وعلى عظمته، وهـذا ثابت للزهراء عليها السـلام كما ثبت للأئمة عليهم السـلام. وكذلك أنّه متى ما عرفنا أنّه فاطمة سـيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين عرفنا عند ذلك انّ لها مقاماً سامياً وكرامـة ربانيّـة، وخاصّـة نحن نؤمن بأنّها كانت مفروضـة الطاعة على جميع الخلق بما فيهم الملائكة والجنّ والأنبياء وإنّه مـا تكـاملت نبوة نبى حتى أقر بفضـلها ومحبتها وعلى معرفتها دارت القرون الأولى، كلّ ذلك له الأثر الكبير فى أنّ يعمق ارتباطنا بفاطمـة عليها السـلام ويدخل حبها فى قلوبنا وفى صـميم عقائدنا ونزداد تقاعلاً مع ظلاماتها وماجرى عليها من الظلم والعدوان وعظيم المحن الـتى مرت عليهـا. وأخيراً نختم هـذا البحث بمـا ورد من كلمـات الأعلاـم حول ثبوت كونهـا سـيدة نسـاء العـالمين من الأـولين والآخرين والأمر لا يخلو من فائدة فيما نحن فيه، وإليك أقوال المحدثين: قال ابن أبى الحديد: إنّ رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم مال إليها وأحبّها، فازاد ماعند فاطمة بحسب زيادة ميله، وأكرم رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم إكراماً عظيماً أكثر ممّا كان الناس يظنّونه، وأكثر من إكرام الرجـال لبناتهم، حتّى خرج بها عن حـدّ الآباء للأولاد؛ فقال بمحضـر الخاصّ والعامّ مراراً لا مرّة واحـدة، وفى مقامات مختلفة لا فى مقام واحدٍ «إنها سيّدة نساء العالمين، وإنّها عديلة مريم بنت عمران، وإنّها إذا مرّت فى المواقف ناد منادٍ من جهة العرش: «يا أهل الموقف غضوا أبصاركم لتعبر فاطمـة بنت محمّـد صـلى الله عليه وآله»، وهذا من الأحاديث الصـحيحة [۳۱۰] ... وقال شهاب الدين الآلوسـىّ: عن ابن عبّاس، عن النبىّ صـلى الله عليه وآله وسـلم أنّه قال: «أربع [صـفحه ۲۲۴] نسوة سادات عالمهّن: مريم بنت عمران، وآسـية بنت مزاحم، وخديجـة بنت خويلـد، وفاطمـة بنت محمّـد، وأفضـلّهن عالماً فاطمـة».. ووالـذىّ أميل إليه أنّ فاطمة البتول أفضـل النساء المتقـدّمات والمتأخرات من حيث إنّها بضـعة رسول صـلى الله عليه وآله وسـلم، بل ومن حيثّيات أخرى أيضاً، ولا يعكر على ذلك الأخبار السابقة لجواز أن يراد بها أفضلّية غيرها عليها من بعض الجهات، وبحيثّية من الحيثيات... إذ البضـعيّة من روح الوجود وسيّد كلّ موجود، لا أراها تقابل بشـىء، وأين الثرّيا من يد المتناول؟ ومن هنا يعلم أفضـليّتها على عائشة رضى الله تعالى عنها الـذاهب إلى خلافهـا الـكثير محتّجيـن بقـوله صـلى الله عليـه وآله وسـلم: «خـذوا ثلثى دينكم عن الحميراء»... وأنت تعلم مـا فى هـذا الإستدلال، وأنّه ليس بنصّ على أفضليّة الحميراء على الزهراء، أمّا أوّلاً، فلأنّ قصارى ما فى الحديث الأوّل على تقدير ثبوته إثبات أنّها عالمة إلى حيث يؤخذ منها ثلثا الدين، وهذا لا يدلّ على نفى العلم المماثل لعلمها عن بضـعته علهى الصـلاة والسلام، ولعلمه صلى الله عليه وآله وسلم أنّها لاتبقى بعده زمناً معتدّاً به يمكن أخذ الدين منها فيه لم ـ يقل فيها ذلك، ولو علم لربمّا قال: خذوا كلّ دينكم عن الزهراء... على أنّ قوله صلى الله عليه وآله وسلم «إنّى تركت فيكم الثقلين كتاب الله تعالى وعترتى أهل بيتى، لا يفترقان حتّى يردا علىّ

الحوض» يقوم مقام ذلك الخبر وزيادة كما لا يخفى. كيف لا، وفاطمة رضى الله تعالى منها سيّدة تلك العترة [۳۱۱] . وقال العلّامة المجاهد السيّد شرف الدين رحمة الله: تفضيلها على مريم عليها السلام أمر مفروغ عنه عند أئمة العترة الطاهرة وأوليائهم من الإماميّة وغيرهم، وصرّح بأفضليّتها على سائر النساء حتّى السيّدة مريم كثير من محققى أهل السنّة والجماعة كالتقىّ السبكىّ، والجلال السيوطىّ، والبدر، والزركشىّ، والتقّى المقريزىّ، وابن أبى داود، والمناوى فيما نقله عنهم العلّامة النبهانى فى «فضائل الزهراء» ص ۵۹ من كتابه «الشرف المؤبّد»، وهذا هو الّذى صرّح به السيّد أحمد زينى دحلان مفتى الشافعيّة ونقله عن عدّة من أعلامهم، وذلك حيث أورد تزويج فاطمة بعلّى فى سيرته [صفحه ۲۲۵] النبوّية [۳۱۲] حتّى مريم رضى الله عنها، كما اختاره المقريزىّ والزركشىّ والحافظ السيوطىّ فى كتابه «شرح النقابة» و«شرح جمع الجوامع» بالأدلّة الواضحة التّى منها أنّ هذه الأمّة أفضل من غيرها، والصحيح أنّ مريم ليست بنبيّة بل حكى الإجماع على أنّه لم يتنبأ امرأة قطّ. وقال صلى الله عليه وآله وسلم «مريم خير نساء عالمها، وفاطمة خير نساء عالمها» [۳۱۳] رواه الترمذّى. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يابنّية، ألا ترضين أنّك سيدّة نساء العالمين؟ قالت: يا أبت فأين مريم؟ قال: تلك سيدّة نساء عالمها» رواه ابن عبدالبرّ. وقد أخرج الطبرانى بإسناد على شرط الشيخين، قالت عائشة: «مارأيت أحداً قطّ أفضل من فاطمة غير أبيها» [۳۱۴] ... وروى المجلسىّ «ره» قال: قال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم: قالت فاطمة سيّدة نساء العالمين من الأولىّن والآخرين، وإنها لتقوم فى محرابها فيسلّم عليها سبعون ألف ملك من المقرّبين، وينادونها بما نادت به الملائكة مريم، فيقولون: يا فاطمة «إنّ الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين» [۳۱۵] . وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون». وفى رواية مقاتل والضحّاك وعكرمة عن ابن عباس: «وأفضلهنّ» [۳۱۶] وعن محمد بن سنان، عن المفضّل قال: قلت لأبى عبد الله عليها السلام: أخبرنى عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى فاطمة: «إنّها سيّدة نساء العالمين» أهى سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين [۳۱۷] وعن الحسن بن زياد العطّار قال: قلت لأبى عبدالله عليه السلام: قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة، أسيّدة نساء عالمها؟ قال: ذاك مريم، وفاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة من الأوّلين والآخرين [۳۱۸] . [صفحه ۲۲۶] وقال النّبى صلى الله عليه وآله وسلم: الحسن والحسين خير أهل الأرض بعدى وبعد أبيهما، وأمّهما أفضل نساء أهل الأرض [۳۱۹] . وفى الحديث: إنّ أسية بنت مزاحم، ومريم بنت عمران، وخديجه يمشين أمام فاطمة كالحجاب لها إلى الجّنة [۳۲۰] . وروى السّيد الشبّر رحمه الله عن النّبى صلى الله عليه وآله وسلم: «فاطمة خير نساء أمتى إلاّ ما ولدته مريم». ثمّ قال: وأحسن توجيهاته على تقدير صحّته أن تكون فيه «إلاّ» بمعنى الواو كما ذكره أهل العربيّة، وحمّلوا عليه قوله تعالى «لئلاّ يكون الناس عليكم حجّة إلاّ الّذين ظلموا» [۳۲۱] ، ويكون المعنى أنّها خير نساء أمتّى وخير نساء أمّة ماولدته مريم وهو عيسى؛ وخصّص تلك الامّة بالذكر لكثرة النساء الصالحات العابدات فيها دون أمم سائر الأنبياء [۳۲۲] . [صفحه ۲۳۱]

فاطمة الزهراء علة غائية

اشاره

الشيخ عبدالمنعم الفرطوسى شجون تستهل لها الدموع وتحرق من لواعجها الضلوع وقفت على البقيع فسأل طرفى وقلبى فالدموع هىّ النجيع كأنّ مصيبة الزهراء بيت بقلبى للأسى وهوّ البقيع أمثل البضعة الزهراء تجفى ويعفى قبرها وهوّ الرفيع ويغصب حقّها جهراً وتؤذى بحيث وصيّة الهادى تضيع تصد عن البكاء على أبيها فتحبس فى محاجرها الدموع وتقتطع الأراكة حين تأوى لظلّ غصونها كف قطيع ويحرق بيتها بالنار حقداً ويهتك سترها وهو المنيع ويكسر ضلعها بالباب عصراً فيسقط حملها وهو الشفيع ويدمى صدرها المسمار كسراً فينبع بين ثدييها النجيع وينثر

قـرطها لطـما ویـلوی علیها السوط والسـیف الصـنیع [۳۲۳] . وحـمرة عـینها للـحشر تـبقی بـها من کفّ لاطمها تشـیع تـنوح فتسمع الشکوی وتـدعو وما فی المسلمین لها سـمیع مـصائب بـالفظاعة قد تـناهت وکـلّ مـصیبةٍ خطب فـظیع قـضت المأ مـن الزهـراء حشـاشة قـلبها وهـو المـروع فاطمة الزهراء العلة الغائیة (یا أحمد لولاک لما خلقت الأفلاک، ولولا علیّ لما خلقتک؛ ولولا فاطمة لما خلقتکما) [۳۲۴] . هـذا الحـدیث من الأحادیث المأثورة التی رواها جابر بن عبدالله الانصاری عن رسول الله صـلی الله علیه وآله وسلم عن الله تبارک وتعالی ومن المعلوم أن کلام الله تعالی جاء علی قسمین أحـدهما ماورد فی القرآن الکریم والأخر ما جاء علی لسان رسول الله صـلی الله علیه وآله وسلم من دون ان یکون له وجود فی القرآن الکریم وهو ما یعبر عنه بالاحادیث القدسیة التی خاطب بها الله تعالی رسوله صـلی الله علیه وآله وسلم ولقـد جمعت کثیر من الکتب هذه الاحادیث القدسیة مثل کتاب کلمة الله وکتاب الاحادیث القدسیة عنـد الفریقین وغیرهما من الکتب والذی یهمنا فی المقام هذا الحدیث القدسی الذی جاء لیثبت للصدیقة فاطمة علیها السلام کرامة أخری، ومنقبة عظمی وذلک من خلال التمعن فی مدلولات هذا الحدیث المبارک.

یا أحمد لولاک لما خلقت الأفلاک

والخطاب هنا من الباری عزوجل لرسوله محمـد صـلی الله علیه وآله وسلم ومن المعلوم لدینا أن الرسول صـلی الله علیه وآله وسلم له عدة اسـماء وردت علی لسان القرآن الکریم مثل «مسجد» صلی الله علیه وآله وسلم (ما کان محمداً أبا أحدٍ من رجالکم) ومثل أحمد (ومبشـراً برسولٍ یأتی من بعـدی اسـمه أحمد)، وکذلک یاسین، وغیرها من الأسـماء التی جاءت بتعابیر مختلفة، [صـفحه ۲۳۲] وفیما نحن فیه جـاء الخطاب للرسول باسم أحمـد، حیث توجه إلیه الخطاب الالهی لیقول له لولاک یا رسول الله لما خلقت الموجودات التی هی متیسـرة فی الافلاـک، والافلاک هنا معناها کل الموجودت التی تـدور حیاتها ووجودها فی الکون سواء نعلم بوجودها أم لا نعلم، فعلـة خلق الموجودات هو لأجـل رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم وأهـل بیته علیهم السـلام وهـذا مـا أکـدته کـثیر من الاحـادیث المأثورة فی هذا المقام منها عن النبی «لما خلق الله آدم أبو البشـر نفخ فیه من روحه التفت آدم یمنة العرش فأذا فی النور خمسة أشباح سجداً ورکعاً. قال آدم: یا رب! هل خلقت أحداً من طین قبلی؟ قال: لا، یا آدم؛ قال: من هؤلاء الخمسة الاشباح الذین أراهم فی هیئتی وصورتی؟ قال: هؤلاء خمسـة من ولـدک لولاهم ما خلقتک، هؤلاء خمسـة شـققت لهم خمسـة أسـماء من اسمائی لولاهم ما خلقت الجنـة ولاـ النار، ولا العرش ولا الکرسـی، ولا السـماء ولا الأرض، ولا الملائکـة ولا الأنس ولا الجن، فان المحمود وهـذا محمـد، وأنا العالی وهـذا علی وانا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا الاحسان وهذا الحسن، وانا الحسن وهذا الحسـین آلیت بعزتی أنه لا یأتینی أحد بمثقال ذرة من خردل من بغض أحدهم الا أدخلته ناری ولا أبالی یا آدم، هؤلاء صـفوتی من خلقی بهم أنجیهم، وبهم أهلکهم فاذا کان لک الی حاجة فبهؤلاء توسل فقال النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم نحن سـفینة النجاة. من تعلق بها نجا، ومن حاد عنها هلک، فمن کان له إلی الله حاجـة فلیسأل بنا أهل البیت [۳۲۵] . أقول: یظهر من هـذا الحـدیث عدة أمور مهمة تتطابق فی مدلولاتها مع الحدیث القدسـی الذی نحن بشأن توضـیحه، فأنوار رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم وأهل بیته علیهم السلام مخلوقة قبل وجود آدم، وأکد الحدیث علی أن علـة خلق آدم هو من أجل هـذه الانوار ـ حیث قال الله تعالی لادم: لولاهم ما خلقتک بل تجاوز الأمر إلی أن کل الموجودات هی مخلوقة بسببهم فالعرش والجنة والنار والکرسی والسماء والأرض والملائکة والإنس والجن کلهم لن یوجدوا لولا وجود انوار أهل البیت بما فیهم جـدهم رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم لذلک نجد فی حدیث الکساء المتقدم الذکر فی کتابنا هذا انه یصف علة ایجاد الأفلاک هو لأجل أهل البیت علیهم السـلام حیث یقول الله تعالی «ملائکتی ویا سـکان سـماواتی إنی ما خلقت سـماءً مبنیـة ولا أرضاً مدحیة ولا قمراً منیراً ولا شـمساً مضیئة ولا فلکاً یدور ولا بحراً یجری ولا فلکاً یسری إلا فی محبة هؤلاء علیهم السلام [۳۲۶] أی إنی لأجل حبهم وأنوارهم خلقت هـذه الأفلاک. اذن یظهر من هـذه الامور ومن خلال عدة احادیث مأثورة ان الأفلاک والموجودات مـا خلقت لولاـ رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم: «یـا احمـد لولاک لما خلقت الافلاک» وهـذه العبارة مطابقـة لمضـمون کثیر من

الاحاديث الولائية سواء كانت من كتب الخاصة أو العامة. وبعبارة أخرى لتوضيح المطلب: أولاً: حينما نسأل، لماذا خلق الله الكون «الافلاك»؟ فإن الجواب يأتى من القرآن الكريم وهو أن الله خلق الكون والحياة من أجل الإنسان، لأنه قال: (ليبلوكم أيكم أحسن عملاً...)، وقال: (وسخر لكم الشمس والقمر... وسخر الليل والنهار) وسخر كل شىء فى السموات، وكل شىء فى الأرض، وسخرها فى خدمة الإنسان، لأنه حينما يقول: سخرها، فإن ذلك يعنى أنه جعلها، فى خدمة الإنسان مسخرة له، يتصرف بها كيف يشاء... مثل تسخير القمر، والبحر للانسان، فمن القمر، ننتفع بالضوء، ومن البحر ننتفع بالماء... وكما ان القمر يحمل السفن الفضائية على ظهره، كذلك البحر يحمل السفن الشراعية على ظهره أيضاً. إذاً: فالجواب على السؤال المتقدم: لماذا خلق الله الافلاك والكون، والحياة؟ أقول: الجواب، خلقها من أجل الإنسان، كما صرح بذلك القرآن الكريم، فى أكثر من مائة آية كلها تؤكد المعنى، وتصب اهتماما فى هذا الجانب، بكلمة: سخر... وجعل.. الخ. وثانياً: نسأل، لماذا خلق الله الإنسان؟ ويأتى الجواب من القرآن أيضاً: إنه للعبادة، (وما خلقت الجن، والانس إلاّ ليعبدون) [۳۲۷] . [صفحه ۲۳۴] والعبادة لاتتحقق إلاّ بشروط، ومن أهم تلك الشروط: (أ) معرفة الطريق. وكشف الوسيلة.. ووجود القائد، لأنه من دون القائد، لا يمكن الإنطلاق فى اتجاه صحيح، ولذلك صار القائد، الإمام المعصوم.. ومعنى ذلك: أن فقدان القائد، يعنى فقدان العبادة، وإذا فقدت العبادة، انتفت الحكمة من وجود الإنسان، واذا انتفت الحكمة من وجود الإنسان، ولم يعد لوجود الافلاك معنىً، لأن الافلاك انما وجدت بوجود الإنسان الذى يعبد الله، ولذلك عندما تقوم الساعة، وينتهى دور الإنسان فى الحياة، فإن الكواكب، والنجوم، والافلاك كلها تتمزق شذر مذر، وينتهى دورها: وحملت الأرض والجبال، فدكتا، دكة واحدة، ويقول: (ويسألونك عن الجبال، فقل ينسفها ربى نسفاً) [۳۲۸] ويقول القرآن الكريم: (إذا السماء انشقت). (وإذا النجوم..). وعليه فمن كل ما تقدم، نخرج بالنتيجة التالية: وهى أن الله سبحانه ـ لولا الحبيب المصطفى ـ لم يخلق الكون، ولا الافلاك.. ولأنّ هذه الحكمة، لا تسقط بموت النبى صلى الله عليه وآله وسلم وإنما تستمر الحكمة، من خلال الأئمة الطاهرين عليهم السلام أجمعين. وعلى هذا الأساس كان خلق السماوات والأرض وما بينهما لاجل الإنسان وليعبد الله تعالى بعد معرفة الإنسان بان الله تعالى خلقه بقدرته لذلك وانه سيبعثه يوم القيامة لتجزى كل نفس بما كسبت ومن الضرورى الذى ثبت فى محله ان الذين الذى رضى به الله تعالى واتمه واكمله لعباده هو الذى قال فيه تعالى ـ (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا). هذا هوالدين القيم الذى ارسل به رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم (بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله)، فظهر مما ذكرنا اجمالا معنى قوله «لولاك ما خلقت الأفلاك» وذلك لكونه سيد المرسلين وخاتم النبيين، ورسولا إلى الناس جميعا بهذا [صفحه ۲۳۵] الدين المبين، وفى ذلك يقول سيدنا الأستاذ آية الله السيد عادل العلوى ما نصه: «فغاية الخلق هو الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما هو الصادر الأوّل ـ لقاعدة الأشرق كما فى الفلسفة ـ وقد ورد فى الخبر الشريف ـ كما تقدم ذلك ـ أول ما خلق الله نور محمد فهو العلة التامة بعد علة العلل وهوالله سبحانه [۳۲۹] .

ولولا على لما خلقتك

أى يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لولا أمير المؤمنين على بن ابى طالب لما خلقتك، وربما يظهر من هذا الكلام بعض التشويه لمن ليس له الباع الطويل لفهم ودراية احاديث أهل البيت عليهم السلام، ولكن بأبسط تأمل وتدقيق فى معانى هذا الكلام ينحل لنا هذا اللغز الحير، فالرواية التقدمة فى علة خلق الموجودات تبين ان لولاهم ما خلقتك يا آدم، أى ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والإمام على عليه السلام مشتركين فى نفس الأمر لكون الإمام على هو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكما عبرت عنه آية المباهلة «انفسنا» فلا يتوهم المتوهمين فى عدم تأويل وبيان هذا الأمر وتوجد نكته مهمة فى هذا المقام متعلقة بأسرار البسملة ليست بقابلة للتقرير والتحرير، حيث قيل فى هذا المقام ان الوجود ظهر من باء بسم الله الرحمن الرحيم وكما ورد ذلك فى الاحاديث المأثورة عن أهل بيت العصمة وقيل «بالباء ظهر الوجود وبالنقطة تميز العابد عن المعبود». وقال أمير المؤمنين ومولى الموحدين على

علیه السلام «والله! لو شئت لأوقرت سبعین بعیراً من «شرح» باء بسم الله الرحمن الرحیم». وقال ایضاً «انا النقطة تحت الباء» لانه کنقطة بالنسبة إلی التعین الأوّل الذی هو النور الحقیقی المحمدی لقوله ـ أی رسول الله محمد صلی الله علیه وآله وسلم ـ «أول ما خلق الله نوری المسمی بالرحیم» ولقوله «أنا وعلی من نور واحد» لأنّ النبی صلی الله علیه وآله وسلم کالباء وعلی علیه السلام کالنقطة تحتها، لأنّ الباء لا ـ تعین إلا ـ بالنقطة، کما أن النبی لا یتکمل إلا بالولایة، ومن هنا کان لولا علی لما خلقتک یا رسول الله فأفهم تعغنم والله الهادی إلی [صفحه ۲۳۶] الحق، وعلی هذا الاساس فانه لا بد للرسالة السماویة من حجج وائمة بعد النبی صلی الله علیه وآله وسلم وما أثبت هذا فی محله من علم الکلام. لأنّ الأرض لا تخلو من حجة وامام فی کل زمان، وأنه «من لم یعرف إمام زمانه مات میتة جاهلیة» وهذا علی علیه السلام امام واب الأئمة المعصومین علیهم السلام کلهم خلقوا من أجل هذا الدین الحنیف الذی روحه العبودیة لله رب العالمین برسالة رسوله وخلافة هؤلاء الأئمة الامناء علی الدین، وصفوة الله وخزان علمه... علیه السلام. اذن العلة التامة کما قلنا فی کمالاتها وصفاتها التی هی مظهر لاسماء الله وصفاته هو رسول الله محمد صلی الله علیه وآله وسلم وهذا الإنسان الکامل والمخلوق الاتم ـ محمد صلی الله علیه وآله وسلم ـ لابد لمثل هذه العلة النورانیة والکلمة الالهیة التامة من معلول یشابهه ویناسخه لقانون العلة والمعلول کما هو ثابت فی الفلسفة والحکمة المتعالیة ویکون عندئذ هو نفسه وهو أمیر المؤمنین اسد الله الغالب علی بن ابی طالب علیه السلام ومما یدل علی ذلک هو آیة المباهلة، فیظهر من هذا کله معنی ولولا علی لما خلقتک.

ولولا فاطمة لما خلقتکما

وذلک لکو فاطمة علیها السلام أم ابیها فهی جمعت الکمالات المحمدیة وکانت مظهراً للصفات الربوبیة وهی بقیة النبوة ولولاها لما قام بعد النبی صلی الله علیه وآله وسلم للدین عمود ولا أخضر له عود بنورها زهرت السماوات العلی. وکذلک کونها ام الأئمة. وهی الوعاء الطاهر لذریة النبی صلی الله علیه و آله وسلم، وهی الکوثر الذی لا ینقطع عطاؤه... ومنها الامتداد العلوی لأئمة أهل البیت علیهم السلام، فاذا عرفنا ذلک أدرکنا عظمة الزهراء وحکمة وجودها لأنّ صلاح العالم کله انما یکون وینطلق من ابناءها ویکفی دلیلا علی ذلک، ان یکون صلاح العالم، واصلاح الدنیا الیوم، بواحد من ابناء فاطمة علیها السلام وهو الإمام المهدی علیه السلام یقول الرسول الاعظم محمد صلی الله علیه و آله وسلم «المهدی من ولد فاطمة». اذا فإن فاطمة الزهراء، هی الصدیقة الکبری، وهی الکوثر المتدفق بالعطاء، وهی [صفحه ۲۳۷] أم الأئمة الطاهرین، ولولاها، لانعدمت الحکمة، من وجود الإسلام، وتکوین الحضارة، لأن الحضارة إنما قامت بأبناء فاطمة أخذاً من الإمام الحسن والحسین، وعلی بن الحسین والباقر والصادق... ومروراً بالإمام الکاظم، والرضا والجواد، وانتهاءً بالإمام الهادی، والعسکری والإمام الحجة المنتظر علیهم افضل الصلاة وأزکی السلام. ومن هنا جاء فی تعریف فاطمة، أنها لیلة القدر.. وأن الذی یعرف حقها، وقدرها یدرک لیلة القدر، ویستوعب مفهوم هذه اللیلة العظمیة التی نزل فیها القرآن هدی للناس، وبینات من الهدی والفرقان، ولا یتحقق هذا المعنی من وجود الهدایة، والبینات إلّا بوجود الأئمة المعصومین، من أبناء فاطمة... [۳۳۰] . والنتیجة هی: أنه لولا فاطمة، لما کان هناک حکمة من وجود الاسلام، وعلی هذا الاساس، دون هذا المنطلق، تنتفی حکمة البعثة، وإذا لم یبعث النبی، لم یوجد الوصی، وهکذا نجد أن هذه المسألة علی عمقها، فإنها واضحة وضوح الشمس فی رائعة النهار، ولذلک جاء هذا الحدیث القدسی، جامعا، معبراً، قال: «یا أحمد ـ لولاک، لما خلقت الافلاک، ولولا علی لما خلقتک ولولا فاطمة، لما خلقتکما...». [صفحه ۲۴۳]

فاطمة والولایة التکوینیة

اشاره

الشیخ علی مدیحلی العاملی أدمت خشاشة فاطم الامها مذ ضم والدها العظیم رغامها ودت غداة بفقده قد اثکلت لو زادها من قبل ذاک حمامها تبکی وما بکت الفوائد مثلها مولی تضن بمثله ایامها کم کابدت محنا تنوء بحملها همم الرجال ویشتکی ضرغامها ام الأئمة بنت من بلغ الذری مجدا أظلما تخفی أعلامها بالله کیف تضام زجراً بعدما مدح الاله لها وبان مقامها شلت ید مدت إلی حرم الهدی کانت تعنفها وخاب مرامها شاءوا مذلتها بظعن محمدٍ فعدا علی بیت النبی لئامها تباً لمن قاد الهجوم لبیتها بعد النبی وماثناه کلامها تباً لمن أمر اللعین بضربها فازداد من الم السیاط سقامها تباً لغاصبها وکاسر ضلعها حتی یتم له بذاک نظامها وجنینها لا تذکرن جنینها فبذکره عینی یزول منامها ولعینیها بکت الملائک فی السما وکذا امیر المؤمنین امامها لهفی علیها مذ قضت وبجنبها أسد الاله وقد ابیح ذمامها قد قید الصبر الجمیل حسامه وبحده کل الامور (حسامها) [صفحه ۲۴۳] فاطمة علیها السلام والولایة التکوینیة من المواضیع المهمة التی اخذت حیزاً کبیراً فی العقائد الشیعیة هی مسألة الولایة التکوینیة حیث کانت بین النفی والاثبات عند بعض علماء الکلام، وسوف نتطرق إلی اثباتها علی ضوء الکتاب الکریم والسنة الشریفة، وینبغی أولا وقبل کل شیء بسط الکلام فی معرفتها وبیان معناها وحدودها الشرعیة التی أثبتها الباری عزوجل للانبیاء والأوصیاء بما فیهم خاتم الرسل محمد صلی الله علیه وآله وسلم وأهل بیته الطیبین الطاهرین فالولایة المطلقة التی کانت للرسول صلی الله علیه وآله وسلم وأهل بیته انما کانت علی جمیع اصناف المخلوقین من الجهاد والنبات والحیوان والإنسان والملائکة، وبتعبیر ادق الولایة هی باطن النبوة المطلقة، وصاحبها هو الموسوم بالخلیفة الاعظم وقطب الاقطاب والإنسان الکبیر، وآدم الحقیقی المعبر عنه بالقلم الاعلی والعقل الأوّل والروح الاعظم وإلیه اشیر فی الحدیث الشریف الوارد عن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: «أول ما خلق الله نوری وکنت نبیاً وآدم بین الماء والطین» وإلیه استند کل العلوم والاعمال، وإلیه ینتهی جمیع المراتب والمقامات نبیاً کا أو ولیاً، ورسولاً کان او وصیاً وقد قال بعض الأعلام فی هذه الولایة [۳۳۱] : فحقیقة الولایة الرتق والفتق فی المولی علیه ما بإمساکه عما علیه وجربه فیما له. وبعبارة أخری: استحقاق تربیة المملوک: لکونه أولی به من نفسه، فهو اسم له تعالی باعتبار أولویته بخلقه من أنفسهم، ثم إن هذه الولایة منشأها هو احتواء الولی للمولی علیه قادراً علی الاستبداد به، الذی هو حقیقة الملک فهو الولایة الحقیقیة، وإما منشأها الخلافة من المولی الحقیقی؛ لکونه متعالیاً عن مجانسة مخلوقاته وجلیلًا عن ملائمة کیفیاتهم، فینصب الخلیفة لتربیة المملوکین ماهو یتسحقه منهم علیه؛ لحفظ [صفحه ۲۴۴] علو شأنه وصون ضیاع ممالیکه عماله علیهم. مثلاً- من لوازم ولایته تعالی علی العباد بذل مالهم، ووقف أنفسهم علیه تعالی، وتفدیتهم انفسهم واولادهم فلما کان غنیاً عن ذلک، ومنزها عما هو من صفات المخلوقین، وکان عباده لا یظهر صدقهم وحقیقة عبودیتهم إلا بأمثال ذلک من لوازم العبودیة، فنصب الخلیفة لمثل هذه اللوازم؛ لأن ترتبها علیه والعباد ملتزمون بها فقال: (انما ولیکم الله ورسوله والذین آمنوا الذین یقیمون الصلوة ویؤتون الزکوة وهم راکعون) فالرسول والمؤمنون إنما هم خلفاؤه تعالی فی الولایة لا شرکاؤه تعالی أن یکون له ولی من الذل عواً کبیراً. اقول: لقد بین من خلال قوله هذا حقیقة الولایة التکوینیة بالوجه العقلی، مع اختصاص الولایة الحقیقیة لله تعالی بنحو لا ینقدح فی ذهن أحد فیه غلو والشرک. وقال بعض العارفین [۳۳۲] : اعلم أنه لما اقتضت الکلمة الالهیة الجامعة لجمیع الکلمات، المشتملة علی الاسماء الحسنی والصفات العلیا بسط مملکة الایجاد والرحمة، ونشر لواء القدرة والحکمة باظهار المملکات، وایجاد المکونات، وخلق الخلائق، وتسخیر الامور وتدبیرها، وکانت مباشرة هذا الامر من الذات القدیمة الأحدیة بغیر واسطة بعیدة جداً. والاحسن ان یقال: واقتضت الحکمة الازلیة عدم مباشرة الامور بذاته المقدسة، بل اقتضت الوساطة؛ کما أشیر إلیه فی بعض الاخبار، وذلک لأنّ التعبیر المذکور ربما یعطی عدم امکان المباشرة بلا واسطة، مع انه لا ریب فی امکان ذلک له تعالی بقدرته، نعم لا بالمباشرة الحسیة بل بالقدر والخلق لکل شیء حین لزومه بلا واساطة فتدبر تفهم، لبعد المناسبة بین عزة القدم وذلة الحدوث [۳۳۳] . فقضی سبحانه بتخلیف نائب عنه فی التصرف والولایة والحفظ والرعایة، فلا محالة له وجه له القدم یخلف عنه فی التصرف، وخلع علیه خلع جمیع أسمائه وصفاته، ومکنه فی مسند الخلافة بالقاء مقادیر الامور إلیه واحالة الجمهور علیه.

فالمقصود من وجود العالم أن يوجد الإنسان، الذى هو خليفة الله فى العالم، فالغرض من الاركان [صفحه ۲۴۵] حصول النباتات، ومن النباتات حصول الحيوانات، ومن الحيوان حصول الإنسان، ومن الإنسان حصول الارواح، ومن الارواح الناطقة حصول خليفة الله فى الأرض كما قال الله تعالى: (إنى جاعل فى الأرض خليفة). فالنبى لابد من أن يكون آخذاً من الله، متعلما من لدنه، معطيا لعباده، هاديا لهم، فهو واسطة بين العالمين سمعا من جانب ولسانا إلى جانب، وهكذا حال سفراء الله إلى عباده وشفعاء يوم تناده، فلقلب النبى بابان مفتوحان: باب مفتوح إلى عالم الملكوت، وهو عالم اللوح المحفوظ، ومنشأ الملائكة العليمة والعملية، وباب مفتوح إلى القوى المدركة؛ ليطلع على سوانح مهمات الخلق، فهذا النبى يجب ان يلزم الخلائق فى شرعه الطاعات والعبادات؛ ليسوقهم بالتعويد عن مقام الحيوانية إلى مقام الملكية، فان الأنبياء رؤوس القوافل. وقال فى الفرق بين النبوة والولاية: اعلم أن النبوة وضع الآداب الناموسية والولاية كشف الحقائق الالهية، فان ظهر من النبى تبين الحقائق فهو بما هو ولى، فان كل نبى ولى ولا عكس، لان النبى كمرآ لها وجهان: وجه إلى الخلق، ووجه إلى الخلق، فولايته من وجهه إلى الحق، ونبوته من وجهه إلى الخلق. وقيل: النبوة وضع الحجاب، والولاية رفع الحجاب؛ لأنّ دفع الفساد أهم فى نظر النبى، وهو لايتأتى إلّا بوضع الحجاب. وفى شرح الصحيفة السجادية على منشيها آلاف الثناء والتحية ماملخصه: الولى فعيل: بمعنى المفعول، وهو من يتولى الله أمره كما قال تعالى: (وهو يتولى الصالحين) [۳۳۴] وقيل: بمعنى الفاعل أى الذى يتولى عبادة الله، ويوالى طاعته من غير تخلل معصية، وكلا الوصفين شرط فى الولاية. وقال المتكلمون: الولى من كان آتيا بالاعتقاد الصحيح المبنى على الدليل، وبالأعمال الشرعية، والتركيب يدل على القرب، فكأنه قريب منه تعالى لاستغراقه فى أنوار معرفته وجمال جلاله. وقيل فى بيانه: الولى من يتولى الله تعالى بذاته أمره، فلا تصرف له اصلا اذ [صفحه ۲۴۶] لا وجود له ولا ذات ولا فعل، ولا وصف، فهو الفانى بيد المفنى يفعل ما يشاء حتى يمحو رسمه واسمه ويمحق عينه وأثره، ويحييه بحياته ويبقيه ببقائه، هذا عام يشمل غير الأئمة عليهم السلام. وقيل: الولى هو المطلع على الحقائق الالهية، ومعرفة ذاته تعالى وصفاته وأفعاله كشفاً وشهوداً من الله خاصة من غير واسطة ملك أو بشر. وقيل: هو من تثبت له الولاية، التى توجب لصاحبها التصرف فى العالم العنصرى، وتدبيره باصلاح فساده واظهار الكمالات فيه، لاختصاص صاحبها بعناية الهية توجب له قوة فى نفسه، لا يمنعها الاشتغال بالبدن عن الاتصال بالعالم العلوى، واكتساب العلم الغيبى منه فى حال الصحة واليقظة، بل تجمع بين الأمرين لما فيها من القوة التى تسع الجانبين، والولاية بهذا المعنى مرادفة للامامة عند الامامية. وفى الكلمات المكنونة للمولى العارف الكامل الفيض الكاشانى (رضوان الله تعالى عليه) كلمة فيها اشارة إلى النبوة والولاية: الإنسان الكامل اما نبى او ولى ولكل من النبوة والولاية اعتباران: اعتبار الإطلاق، واعتبار التقييد، أى العالم والخاص. فالنبوة المطلقة وهى النبوة الحقيقية الحاصلة فى الأزل، الباقية إلى الابد، وهو اطلاع النبى المخصوص لها على استعداده من حيث انه الانباء الذاتى والتعليم الحقيقى الازلى المسمى بالربوبية العظمى والسلطنة الكبرى. وصاحب هذا المقام هو الموسوم بالخليفة الأعظم، وقطب الأقطاب، والإنسان الكبير، وآدم الحقيقى المعبر عنه بالقلم الاعلى، والعقل الأوّل، والروح الاعظم، وإليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: أول ما خلق الله نورى، وكنت نبياً وآدم بين الماء والطين ونحو كان او وليا، رسولا كان او وصيا. وباطن هذه النبوة هى الولاية المطلقة، وهى عبارة عن حصول هذه الكمالات بحسب الباطن فى الأزل وبقائها إلى الأبد، ويرجع إلى فناء العبد فى الحق وبقائه به، وإله الاشارة بقوله: أنا وعلى من نور واحد، وخلق روحى وروح على ابن ابى طالب قبل أن يخلق الخلق بألفى عام، وبعث علياً مع كل نبى سراً ومعى جهرا، وبقول امير المؤمنين عليه السلام: كنت وليا وآدم بين الماء والطين إلى غير ذلك. والنبوة المقيدة هى الأخبار عن الحقائق الالهية أى معرفة ذات الحق وأسمائه وصفاته وأحكامه، فان ضم مع تبليغ الاحكام والتأديب بالاخلاق [صفحه ۲۴۷] والتعليم، وبالحكمة والقيام بالسياسة، فهى النبوة التشريعية وتختص بالرسالة، وقس عليها الولاية المقيدة. فكل من النبوة والولاية من حيث هى صفة الهية مطلقة، ومن حيث استنادها إلى الأنبياء والأولياء مقيدة، والمقيد متقوم بالمطلق، والمطلق ظاهر فى المقيد فنبوة الأنبياء كلهم جزئيات النبوة المطلقة، وكذلك ولاية الأولياء جزئيات الولاية المطلقة، ولكل من الاقسام الاربعة ختم، أى مرتبة ليست فوقها مرتبة اخرى، ومقام لانبى على ذلك المقام ولاولى سوى

الشخص المخصوص به، بل الكل يكون راجعا إليه وان تأخر وجود طينة صاحبه فانه بحقيقته موجودة قبله. وخاتم النبوة المطلقة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وخاتم الولاية المطلقة امير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام والنبوة المقيدة انما كملت وبلغت غايتها بالتدريج، فأصلها تمهد بآدم عليه السلام ولم تزل تنمو وتكمل حتى بلغ كمالها نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ولهذا كان خاتم النبيين، وإليه الاشارة بما روى عنه صلى الله عليه وآله وسلم: مثل النبوة مثل دار معمورة لن يبق فيها إلاّ موضع لبنة، وكنت انا تلك اللبنة، او لفظ هذا معناه. وكذلك الولاية المقيدة انما تدرجت إلى الكمال حتى بلغت غايتها إلى المهدى الموعود ظهورة، الذى هو صاحب الأمر فى هذا العصر، وبقية الله اليوم فى بلاده وعباده (صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه المعصومين). وقال بعضهم [۳۳۵] : الولاية هى قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه، وعند ذلك يتولى الحق إيّاه حتى يبلغه مقام القرب التكمين، وشرحه بعضهم بقوله: الولاية مأخوذة من الولى وهو القرب ولذا يسمى الحبيب وليا، لكونه قريبا من محبه، وفى الاصطلاح: هو القرب من الحق وهى عامة وخاصة، والعامة حاصلة لكل نبى آمن بالله وعمل صالحا، والخاصة هى الفناء فى الله ذاتا وصفة وفعلا، فالولى هو الفانى فى الله القائمن به الظاهر بأسمائه وصفاته. وعن السيد نعمة الله الجزائرى رحمة الله قال: الولاية بقاء العبد بالحق فى حال الفناء. وقيل: هى التخلق بأخلاق الله تعالى بأخلاق الله تعالى والفناء بعد الفناء وصحو بعد المحو. وقال السبزوارى فى شرحه على الاسماء الحسنى ص ۹: الولى له معان كثير منها: المتولى لأمور العالم التصرف فيه، إلى ان قال: وهو بما هو ولى أتم [صفحه ۲۴۸] وأكمل منه بما هو نبى، لأن ولايته جنبته الحقانية واشتغاله بالحق ونبوته وجهه الخلقى وتوجيه اليهم. ولا شك فى أن الاولى اشرف لكونها أبدية، بخلاف الثانية فانها منقطعة. فاذا سمعتم يقولون: الولاية أفضل من النبوة، فيعنون ذلك فى شخص واحد وهو: ان النبى من حيث هو ولى افضل من حيث هو نبى لا الولى التابع، هذه بعض التعارف فى معنى النبوة والولاية فى كلمات القوم وهناك تعاريف متقاربة اللفظ والمعنى حاصلها يرجع إلى الولاية الحقيقية التى بيناها، فما ذكرنا من التعاريف يشير إلى تعريفها الحقيقى الوجدانى الجامع ولكن معلوم لدينا ان احاديثهم عليهم السلام من الصعب المستصعب، وان بعص الاحاديث المأثورة تشير إلى حقيقة ولايتهم التى منحها الله تعالى اياهم وهى من غوامض اسرارهم ومعارفه، فأصل حقيقتها لم يحتملها احد بل هى امر مخصوص بهم، وربما منحوا بعض شؤونها للاولياء الخلص، اذن فأصل الولاية لم تظهر حقيقتها لأحد،وأما ما سمعت من التعاريف لها فهى التى عرضها كل منهم عليحسب دركه وإلاّ فحقيقتها بعد مبهمة علينا والوجه فى ذلك عدم قابليتنا لدركها كما أشير إليه فى بعض الاحاديث، ففى البصائر عن جابر قال عليه السلام «يا جابر ماسترنا عنكم أكثر مما أظهرنا لكم». وفى حديث مفضل فى البصائر قوله عليه السلام: «فأحسن الحديث حديثنا، ال يحتمل احد من الخلائق أمره بكماله حتى يجده، لأنه من حد شيئا فهو اكبر منه». ولذا ترى الأئمة عليهم السلام انما بينوا ولايتهم المطلقة التكوينية ببيان آثارها اما علماً أو عملاـ اما الأول: فكا الاحاديث الواردة فى بيان شؤون ولايتهم بالسنة وهى مختلفة التى منها الزيارة الكبيرة. وأما الثانى: فكالمعجزات التى صدرت عنهم فانها تحكى حقيقة ولايتهم التكوينية وهى أكثر من أن تحصى وقد ذكر كثيراً منها السيد السند السيد هاشم البحرانى رضى الله عنه فى كتاب مدينة المعاجز، فراجع. وهكذا القران الكريم ايضاً فانه سبحانه وتعالى بين فيه غالباً ولاية أولياته بأفعالهم الغريبة التى أقدرهم الله عليها، وكما سيأتى بيان ذلك. الولاية التكوينية يمكن أن تعرف بأنها: القدرة والقابلية على التصرف فى التكوينات مطلقا من قبل النبى والأوصياء عليهم السلام وبأذن الله تعالى وليست بالاستقلال [صفحه ۲۴۹] ويمكن اعطاء معنى آخر لهذه الولاية بان نقول: ان الولاية تكوينية الثانية بالوجدان للنبى والأئمة عليهم السلام ومن الأحاديث الشريفة ومن القرآن نفسه هو انه تعالى لما كانت ذاته المقدسة علم وقدرة كله ونور كله كما فى توحيد الصدوق [۳۳۶] ، بإسناده عن أبى بصير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: لم يزل الله جل وعز ربنا، والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته والامبصر، والقدرة ذاته ولا مقدرة فلما أحدث الاشياء وكان المعلوم وقع العلم على المعلوم، والسمع على المسموع، والبصر على البصر والقدرة على المقدور. وأراد أن يخلق لكى يعرف، فخلق كلهم مظاهر لعلمه وقدرته و نوره، أى وجوده، فجميع مافى الوجود مظاهر لصفاته وأفعاله، فالموجودات لها مراتب مختلفة فى اتصافها بالمظهرية حسب اختلافها فى القرب إليه تعالى والبعد عنه تعالى، فكل موجود

كان أقرب إليه تعالى كان أكثر مظهراً لصفاته وأفعاله تعالى. ومن المعلوم أن المستفاد من الآيات والاحاديث هو: أن أول الموجودات قرباً حدوثاً وبقاءً بالنسبهٔ إليه تعالى هو أرواح محمد وآله الطاهرين الأئمهٔ المعصومين عليهم السلام. فلذا هم المظاهر الاتم لصفاته وافعاله تعالى، فكل موجود كان أتم وأكمل فى المظهريهٔ فهو أكبر من آيهٔ وعلامهٔ ودليلًا عليه تعالى، وحيث لا أقرب إليه تعالى ولا أتم فى المظهريهٔ منهم عليهم السلام فهم الآيهٔ الكبرى. ولذا قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم والوصى عليه السلام: «مالله آيهٔ أكبر منى» وجههٔ كونهم أتم المظاهر؛ لكونهم أقرب الموجودات إليه تعالى، ولأنّ علمه تعالى وقدرته ونوره أكثر ظهوراً فيهم عليهم السلام وذلك لانهم الاسماء الحسنى. ففى كتاب التوحيد من الكافى، فى باب النوادر باسناده عن معاويهٔ بن عمار، عن أبى عبدالله عليه السلام فى قول الله عزوجل: (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) [۳۳۷] قال: نحن والله الاسماء الحسنى التى لا يقبل الله من العباد عملًا إلّا بمعرفتنا [۳۳۸] . [صفحه ۲۵۰] وشرحه الاجمالى ما قاله الصادق عليه السلام ففيه فى ذلك الباب باسناده عن مروان ابن صباح قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: ان الله خلقنا فأحسن خلقنا، وصورنا فأحسن صورنا، وجعلنا عينه فى عباده، و لسانه الناطق فى خلقه، ويده المبسوطهٔ على عباده بالرأفهٔ والرحمهٔ، ووجهه الذى يؤتى منه، وبابه الذى يدل عليه، وخزانه فى سمائه وأرضه، بنا أثمرت الاشجار، وأينعت الثمار، وجرت الانهار، وبنا ينزل غيث السماء، وينبت عشب الأرض، وبعبادتنا عبدالله، ولولا نحن ما عبدالله، هكذا غيره من الاحاديث الأخر. ولازم ذلك هو أن آثار القدرهٔ وآثار العلم فيهم عليهم السلام أكثر ظهوراً مما ظهر من غيرهم، ومن المعلوم أن قدرته تعالى هى النافذهٔ فى الاشياء والمتصرفهٔ فيها، بل لا وجود لغيره تعالى مطلقا إلّا بالقدرهٔ، فحينئذ لازمه أن قدرتهم هى قدرهٔ الله الظاهرهٔ فيهم عليهم السلام النافذهٔ فى الاشياء بإذنه تعالى، فهم بهذا المعنى أولياؤه تعالى أى المتصرفون بإذنه فى الوجود، وهذا معنى الولايهٔ التكوينيهٔ [۳۳۹] . وعلى أساس هذا البيان الذى قدمناه فى معنى الولايهٔ وتعريف الولايهٔ التكوينيهٔ، وكلام القوم فيها، سوف يكون بحثنا فى مقامين: المقام الأوّل: امكان وقوع الولايهٔ التكوينيهٔ. المقام الثانى: الولايهٔ التكوينيهٔ لفاطمهٔ عليها السلام.

امكان وقوع الولايهٔ التكوينيهٔ

اختلف العلماء الاعلام فى امكان الولايهٔ التكوينيهٔ ووقوعها فى ثلاث أقوال: ۱ ـ فمنهم من قال لا وجود للولايهٔ التكوينيهٔ فى القرآن ولا يوجد دليل واحد يدل عليها، واستدل على ذلك بان القرآن الكريم نفسه يؤكد على ان النبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا يملك من أمره شيئاً إلّا ماملّكه الله بشكل طارىء... وايضاً الأنبياء لا يملكون ان [صفحه ۲۵۱] يقدموا أى شىء فيما يقترحه الناس، ولو كانوا يملكون لاستجابوا لاقتراحات الناس. ۲ ـ القول الثانى يقول بامكان هذه الولايهٔ التكوينيهٔ للانبياء والأوصياء ولكن اختلف فى وقوعها أو عدم وقوعها. ۳ ـ والقول الاخير يقول بامكان هذه الولايهٔ وانها وقعت فى المحيط الخارجى واستدل هذا الاخير بعدهٔ أدلهٔ قدمها لكى تكون له برهان على مصداقيهٔ هذه المسألهٔ. وقبل أن مختار أى الاقوال هو الصحيح؟ لابد لنا من الوقوف مع المصدر الأوّل الذى أمرنا الله تعالى بالرجوع إليه والذى هو (تبياناً لكل شىء) والذى نعتبره اهم مصادرنا التى نستدل به على كثير من القضايا بل كل الوقائع وهو القران الكريم. اقول: لابد لنا من استنطاق القرآن الكريم ليخبرنا عن امكان هذه المسألهٔ وامكان وقوعها فى الخارج، وعليه لابد من ان نوضح مسألهٔ مهمهٔ قبل الدخول فى بحث القرآن الكريم لاثبات هذه القضيهٔ، وهى ان كل مانقوله فى شأن هذه الولايهٔ التكوينيهٔ ولمن ثبتت له نقول انما تكون بالتبع لا بالذات ولا بالاستقلال فانه لا يوجد من يقول من العلماء بأنه هذه الولايهٔ انما تكون بالذات كلا والف كلا فان كل من قال بها انما يقول هى بالذات وبالاصل لله تعالى وبالتبع وبالتفرع للانبياء والأوصياء عليهم السلام فلابد لنا ونحن نقف مع هذا البحث المهم أن نتذكر فى كل استدلالاتنا هذا الاصل أى انها بالتبع لابالذات. السؤال المطروح الآن هو: هل توجد آيات قرآنيهٔ تدل على امكان هذه الولايهٔ او بتعبير ادق على وقوع هذه الولايهٔ التكوينيهٔ؟ والجواب: جاء فى لسان القرآن الكريم عدهٔ آيات مباركهٔ تدل على امكان وقوعها بل انها وقعت لكثير من الأنبياء، وليس هذا مجرد قول من دون دليل او برهان علمى يصدق هذه المسألهٔ بل لتوضيح الأمر لابد لنا ان نقف مع هذه الايات لكى نعرف مدى دلالاته على هذه المسألهٔ ومنها: قوله تعالى:

(... أنّى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً [صفحه ٢٥٢] بـأذن الله وأبرئ الأكمـة والابرص وأحى الموتى بأذن الله) [٣٤٠] . فالمستفاد من هذه الآية هو نسبة الخلق إلى غير الله تعالى كما يشعر به قوله تعالى (فتبارك الله أحسن الخالقين) حيث الله هو الخلق الحقيقى، وفى هذه الآية نسب الله تبارك وتعالى الخلق إلى عيسى عليه السلام وعليه هذه التصرفات التى صدرت من عيسى عليـه السـلام واثبتهـا القرآن الكريم انمـا هى كـانت منصـبة على التكوينـات مثـل خلـق الطير أى جمـع اجزاءه وكـذلك ابراء الاـكمة والابرص الـذين هم فى خلقتهم خلل تكوينى، والاعظم من هـذا كله هو احياء الموتى، وهل هذا إلّا فى دلالة كبيرة على عظمه الأنبياء وعلى الولايـة العظيمـة التى اعطاها الله تبارك وتعالى لهم والتى نعبر عنها بالولايـة التكوينية أى الولاية العظيمة التى اعطاها الله تبارك وتعالى لهم والتى نعبر عنها بالولاية التكوينية أى التصـرف فى التكوينيات، على ان قوله تعالى «بأذن الله» الذى تكرر فى الآية المباركة مرتين سـيق للدلالة على ان صدور هذا التصـرف التكوينى عبر الآيات الباهرات للعقول من عيسـى عليه السلام انما كان مستنداً إلى الله تعـالى من غير ان يستقل عيسـى عليه السـلام بشىـء من ذلك وانما كرره تكراراً يشـعر بالاصـرار منه تعالى بالوهيته اسـتدلالا بالايات المعجزة الصـادرة عنه، ولـذا كـان يقيـد كـل آيـة يخبر بها عن نفسه مما يمكن ان يضـلوا به الخلق والاحياء بأذن الله. وفى ذلك يقول العلامـة السـيد الطباطبائى فى تفسـيره الميزان وظاهر قوله: أنى أخلق لكم «الـخ» ان هذه الايات كانت تصدر عنه صدوراً خارجيا لا ان الكلام مسوق لمجرد الاحتجاج والتحدى، ولو كان مجرد قول لقطع العذر واتمام الحجة لكان من حق الكلام ان يقيد بقيد يفيد ذلك كقولنا: ان سألتم او اردتم او نحو ذلك. على ان ما يحكيه الله سـبحانه من مشافهته لعيسـى يوم القيامـة يـدل على ان وقوع هذه الايات أتم الدلالة، قال: (اذ قال الله يا عيسـى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك ـ إلى ان قال ـ واذ تخلق من الطين كهيئة الطير بأذنى فتنفخ فيها فتكون طيراً بأذنى وتبرىء الاكمة والابرص بأذنى واذ تخرج الموتى) [٣٤١] ومن هنا يظهر فسد ماذكره بعضهم: أن قصارى ما تدل عليه الآية ان الله سـبحانه جعل فى عيسـى بن مريم هذا السر، وان احتج على الناس بذل وأتم الحجة عليهم بحيث لو سألوه شيئاً من ذلك لأتى به، أما ان كلها او بعضها فلا دلالة فيها على ذلك [٣٤٢] وعلى اساس هذا البيان يظهر لنا من خلال التمعن والتدقيق فى مـدلولات هـذه الآيـة اضافـة إلى آيات اخرى الولايـة التكوينيـة لنبى الله عيسـى وعلى ضوء الاساس والاصل الذى اعتمدناه فى مقدمة حـديثنا الـذى نقول فيه ان الولاية التكوينية انما هى بالتبع لا بالاسـتقلال لذلك نجد ان الآية المباركة تقول بأذن الله أى جعلت الولاية والتصـرف فى التكوينات باذن الله تعالى لا بالاسـتقلال، وعليه ثبوت هـذا القول بهـذا البيان، تكون هـذه الولايـة ايضا ثابتة لاهل البيت عليهم السـلام وذلك لأنهم عليهم السلام افضل من جميع الأنبياء وكيف وقد ثبت لنا بالادلة النقلية ان عيسى عليه السلام يصلى خلف الإمام المهدى عند ظهورة الشـريف هذا ملخص البيان فى الآية الاولى التى أثبت الولاية التكوينية وعلى لسان القرآن الكريم. أما الآية الثانية فهى فى قصة سـليمان وملكة سـبأ: (قال يا ايها الملؤ أيكم يأتينى بعرشـها قبل أن يأتونى مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبـل ان تقوم من مقامـك وانى عليه لقوى أمين قـال الـذى عنـده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتـد اليك طرفك فلما رآه مسـتقراً عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أشكر ام أكفر...) [٣٤٣] والـذى يهمنا فى هذه الايات قوله تعالى «قال الذى عنده علم من الكتاب» الـذى يسـتفاد منه ان الذى عنده علم من الكتاب انما قال قوله هذا قبال من كان من الجن وهذا يدل على انه كان من الانس، وقد وردت الروايات عن ائمة أهل البيت عليهم السـلام انه كان آصف بن برخيا وزير سليمان وانه كان كما قيل عنده اسم الله الأعظم، وقـد تصـرف آصف بن برخيـا فى التكوينات عن طريق ولايته، فى ذلك حيث نقل عرش بلقيس بأقل من طرفـة عين، وهـذا فيه دلالة واضـحة على ولايته التكوينيـة على انه لم تقل الآيـة المباركة التى جاءت لسـياق بيان هذه الولاية انها كانت بأذن الله تعالى وانما بينت القضـية عن طريق العلم الـذى بحوزته من الكتاب، والمراد من هـذا الكتاب الذى هو مبدأ هذا العلم العجيب الذى جعله يتصـرف هذا التصرف اما جنس [صفحه ٢٥٤] الكتب السـماوية او اللوح المحفوظ والعلم الذى أخذه هذا العالم منه كان علما يسـهل الوصول إلى هـذه البغيـة، وهـذه كله ليس فيه تنـافى من ان تكون ولاـيته بأذن الله تعالى لأنه هو الـذى اعطاها له، وعليه تكون هـذه الولايـة مطابقة للاصل الذى يقول بالتبع لا بالإستقلال وقد ذكر المفسرون انه كان يعلم اسم الله الاعظم اذا سئل به اجاب ذكر بعضهم ان ذلك الاسم

هو الحى القيوم، وقيل: ذو الجلال والاكرام وقيل: الله الرحمن وقيل: هو العبرانية آهيا شراهيا، وقيل: انه دعا بقوله: يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله إلّا انت اتينى بعرشها إلى غير ذلك مما قيل. على انه من الحال ـ على ما ذكره المفسرون ـ ان يكون الاسم الاعظم الذى له التصرف فى كل شيء من قبيل الالفاظ ولا المفاهيم التى تدل عليها وتكشف عنها الالفاظ بل ان كان هناك اسم له هذا الشأن او بعض هذا الشأن فهو حقيقة الاسم الخارجية التى ينطبق عليها مفهوم اللفظ نوعاً من الانطباق وهى الاسم حقيقة واللفظ الدال عليها اسم الاسم، ولم يرد فى لفظ الآية نبأ من هذا الاسم الذى ذكروه بل الذى تتضمنه الآية انه كان عنده علم من الكتاب وانه قال: انا آتيك به، ومن المعلوم مع ذلك ان الفعل فعل الله حقيقة، وبذلك كله يتحصل انه كان له من العلم بالله والارتباط به ماذا سأل ربه شيئا بالتوجه إليه لم يتخلف عن الاستجابة وان وتبين مما تقدم ايضا ان هذا العلم لم يكن من سنخ العلوم الفكرية التى تقبل الاكتساب والتعلم [۳۴۴] وعلى كل حال فان الآية المباركة اثبتت الولاية التكوينية فى التصرف فى الاشياء من خلال اسم الله الاعظم، فتكون هذه الآية الثانية فى اثبات حقيقة الولاية لوصى نبى من الأنبياء وهو اصف بن برخيا. (واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم أجعل على كل جبل منهن جزءً ثم أدعهن يأتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم) [۳۴۵] . وهذا الآية من الايات التى استدل بها على الولاية التكوينية وامكان وقوعها فى الواقع الخارجى وعلى ضوء المصدر الأوّل للمسلمين القرآن الكريم وبيان الحال فيها [صفحه ۲۵۵] يكون على ضوء التقرير المستفاد من هذه الآية المباركة وهو كالاتى: ان ابراهيم عليه السلام طلب من الله تعالى الرؤية فى قضية احياء الموتى وانه كيف يحى الله الموتى، وليس المراد من الله تعالى البيان الاستدلالى لابراهيم فى هذه القضية فان الأنبياء، وليس المراد من الله تعالى البيان الاستدلالى لابراهيم فى هذه القضية فان الأنبياء مثل ابراهيم الخليل ارفع قدرا وشأنا من ان يعتقد البعث ولا حجة له عليه، والاعتقاد النظرى من غير حجة عليه ما اعتقاد تقليدى أو ناشيء عن اختلال فكرى وشيء من هذا القبيل لا ينطبق على ابراهيم عليه السلام، على أنه سأل بلفظ كيف وانما يستفهم بكيف عن خصوصية وجود الشيء لا عن اصل وجوده فانك اذا قلت: ارأيت زيداً كان معناه السؤال عن تحقق اصل الرؤية، واذا قلت كيف رأيت زيدا كان اصل الرؤية مفروغاً عنه وانما السؤال عن خصوصيات الرؤية، فنظر انه انظر سأل البيان بالإرائة والإشهاد لا بالإحتجاج والإستدلال. على ان إبراهيم إنما سأل عن يشاهد كيفية الاحياء لا أصل الاحياء كما ان ظاهر قوله: كيف تحى الموتى، والسؤال بأجزائها الذى به تلبس الحياة، ويرجع محصلة اى السؤال عن السبب وكيفية تأثيره، وهذا بوجه هو الذى يسميه الله سبحانه بملكوت الاشياء فى قوله تعالى عز من قائل: (انما امره اذا اراد ان يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون) ولقد اعطى الله تبارك وتعالى القدرة على التصرف عن طريق ولاية او عن طريق قوة او شيء آخر فى احياء الطيور الاربعة، وقضية احيائها انما عن طريق التصرف فى التكوينيات بواسطة قوة مؤثرة فاعلة حقيقية جعلها البارىء على يد ابراهيم عليه السلام وليس مثل ماتوهم بعضهم من دعوة ابراهيم للطيور فى احيائها وقول عيسى عليه السلام لميت عند احيائه: قم بأذن الله وجريان الله تعالى فى الفاظهم المؤلفة من حروف الهجاء، او فى ادراكهم التخيلى الذى تدل عليه الفاظهم نظير النسبة التى بين الفاظنا العادية ومعانيها وقد خفى عليهم ان ذلك انما هو عن اتصال باطنى بقوة الهية غير مغلوبة وقدرة غير متناهية هى المؤثرة الفاعلة بالحقيقة، وعلى أى حال انما امر الله تعالى نبيه ابراهيم الخليل بأخذ اربعة من الطير ليعرفها فلا شك فيها عند اعادة الحياة اليها، ولا ينكرها، وليرى ما هى عليه من [صفحه ۲۵۶] الإختلاف والتغير اولا وزوالها ثانيا، وقوله تعالى فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اى اذبحهن وبدد اجزائهن واخلطها ثم فرقها على الجبال، الموجودة هناك لتتباعد الاجزاء وهى غير متميزة، وقوله ثم ادعهن أى ادع الطيور يأتينك سعيا، أى يتجسدن واتصفن بالاتيان والاسراع اليك. والذى نريد القول به من كل هذا البيان ان الله تعالى اجرى الولاية التكوينية على يد ابراهيم الخليل وبأذنه تعالى حيث يقول البارى عزوجل: فخذ، فصرهن، ثم اجعل بصيغة الأمر ويقول ثم ادعهن يأتينك فان الله تعالى جعل إتياهن سعيا وهو الحياة مرتبطا متفرعا على دعوة ابراهيم نفسه فهذه الدعوة هى السبب الذى يفيض عنه حياة ماارید احيائه، ولا الاحياء إلّا بامر الله تعالى، قد كانت متصلة نحو اتصال بأمر الله الذى منه تترشح حياة الاحياء، وعند ذلك شاهده ابراهيم ورأى

کیفیة فیضان الأمر بالحیاة، ولو کانت دعوة ابراهیم ایاهن غیر متصلة بأمر الله الذی هو ان یقول لشیء اراده: کن فلا یکون فلا تأثیر جزافی فی الوجود فیظهر من هذا کله ان ابراهیم کان تصرفه تکوینیا أی اعطاه الله الولایة التی نسمیها ولایة تکوینیة وبأذن الله تعالی. وکذلک قوله تعالی: (فسخرنا له الریح تجری بأمره رخاء حیث أصاب) [۳۴۶] فی قضیة سلیمان حیث اعطاه لله تبارک وتعالی ولایة وتصرف فی الریح وهل هذا إلّا ولایة وتصرف فی التکوینات؟ ومنها قوله تعالی: (ولو ان قرآنا سیرت به الجبال او قطعت به الأرض او کلم به الموتی بل الله الأمر جمیعا...) [۳۴۷] عن تفسیر علی بن إبراهیم قوله: ولو ان قرآناً الخ الآیة قال: لو کان شیء من القرآن کذلک لکان هذا أقول: یعنی لو کان شیء مما أقدره الله لعباده فیما انزل علیهم من الوحی مما فیه هذه القدرة، التی بها تسیر الجبال وتقطع الأرض ویحی الموتی لکان هو هذا القرآن المنزل علیه صلی الله علیه وآله وسلم. ولاریب ان هذه الاثار الثلاثة تنبیء عن ان المنزل علیهم هذا القرآن قد امکنهم الله من هذه الامور، فم أعطاهم من القدرة، التی بها یتصرفون فی الموجودات، وهذه حقیقة الولایة التکوینیة الثابتة، لهم [صفحه ۲۵۷] بنص القرآن، وإلیه یشیر ما عن اصول الکافی باسناده عن ابراهیم، عن ابیه، عن ابی الحسن الأوّل علیه السلام «قال: قلت له: جعلت فداک، اخبرنی عن النبی ورث النبیین کلهم قال: نعم، قلت: من لدن آدم حتی انتهی إلی نفسه؟ قال: ما بعث الله نبیا إلّا ومحمد صلی الله علیه وآله وسلم اعلم منه، قال: قلت ان عیسی بن مریم کان یحیی الموتی باذن الله، قال: صدقت، وسلیمان بن داود کان یفهم منطق الطیر، وکان رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم یقدر علی هذه المنازل؟ قال فقال: ان سلیمان بن داود قال للهدهد حین فقده وغضب علیه (لأعذبنه عذابا شدیدا او لا ذبحنه او لیأتینی بسلطان مبین)، وانما غضب لانه کان یدله علی الماء فهذا وهو طائر قد اعطی مالم یکن یعرف الماء تحت الهواء وکان الطیر یعرفه، وان الله یقول فی کتابه: (ولو قرآنا سیرت به الجبال او قطعت به الأرض او کلم به الموتی). وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذی فیه ما تسیر به الجبال، وتقطع به البلدان ویحیی به الموتی، ونحن نعرف الماء تحت الهواء، وان فی کتاب الله لایات مایراد بها امر إلّا باذن الله به مع ماقد یأذن الله بما کتبه الماضون جعله الله لنا فی أم الکتاب، ان الله یقول: (وما من غائبة فی السماء والأرض إلّا فی کتاب مبین) ثم قال (ثم اورثنا الکتاب الذین اصطفیناه من عبادنا) فنحن الذین اصطفانا الله عزوجل واورثنا هذا الکتاب فیه تبیان کل شی». حیث دل هذا الحدیث علی انه تعالی اعطی انبیاءه الأئمة علیهم السلام قدرة یتصرفون بها فی الامور الغیبیة، التی یعجز عنها غیرهم من احیاء الموتی کما لعیسی ومن تسییر الجبال وتقطیعها وتکلیم الموتی وغیرها مما ستأتی الاشارة إلیه، ثم بین علیه السلام جامعا کلیا فی هذا الأمر مما جعله الله لهم فی ام الکتاب، واستدل علیه بان قوله تعالی: (وما من غائبة فی السماء والأرض إلّا فی کتاب مبین) یدل علی ان أی امر غائب عن الناس مما هو ثابت فی السماء او الأرض یکون فی کتاب مبین. ثم بین قوله تعالی: ثم اورثنا الکتاب، دل علی ان الکتاب الذی مامن غائبة سماویة او ارضیة إلّا وهی فیه، هو هذا الکتاب الذی اورثه الله تعالی ایاهم فقوله علیه السلام: فنحن اصطفانا الله عزوجل، اورثنا هذا الکتاب فیه تبیان کل شیء، بیان لأن المراد من العباد فی الآیة المبارکة هو النبی والأئمة علیهم السلام. ثم ان [صفحه ۲۵۸] المراد من قوله فیه تبیان کل شیء، اقتباسا من الآیة الشریفة لایراد التبیان العلمی، بل المراد الاعم منه، ومن التبیان الشهودی والعلمی بأعمال القدرة وما أقدرهم الله علیه کما لا یخفی علی الناقد البصیر، والله العالم وأولیاؤه بکلامه، وقوله تعالی: (وإذ استسقی موسی لقومه فقلنا اضرب بعصاک الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عینا قد علم کل اناس مشربهم) [۳۴۸] ففی تفسیر البرهان عن الإمام العسکری... إلی ان «قال علیه السلام: ثم قال الله عزوجل: (واذ استسقی موسی لقومه) قال: واذکروا یابنی اسرائیل اذ استسقی موسی لقومه، طلب لهم السقایا لما لحقهم العطش فی التیه، وضجوا بالبکاء، وقالوا: أهلکنا العطش یا موسی. فقال موسی: الهی بحق محمد سید الأولیاء، وبحق علی سید الأوصیاء، وبحق فاطمة سیدة النساء، وبحق الحسن سید الأولیاء، وبحق الحسین افضل الشهداء، وبحق عترتهم وخلفاؤهم سادة الازکیاء لما سقیت عبادک هؤلاء، فأوحی الله تعالی إلیه، یا موسی اضرب بعصاک الحجر، فضرب بها، فانفجرت منه اثنتا عشرة عینا قد علم کل اناس مشربهم، کل قبیلة من اولاد یعقوب مشربهم، فلایز احمهم الاخرون فی مشربهم» الحدیث. فظاهر هذا الحدیث ونحوه اعطاءه تعالی هذا القدر لموسی علیه السلام بظهور هذا المعجز منه بواسطة ضرب العصا، وحقیقته ترجع إلی انه تعالی مکنه من

هـذا الأمر المعجز بما منحه من الولايـة التكوينيـة، التي اثرها التصـرف فى الموجودات وسـيجىء قريبا توضـيحه. ولعصا موسـى معاجز اخرى، منها ما فى تفسـير نور الثقلين، عن تفسـير العياشـى، عاصم بن المصـرى فى قضـية بعثة موسـى إلى فرعون، إلى ان قال: فمكث بذلك ماشاء الله يسأله ان يسـتأذن له قال: فلما أكثر عليه (أى على الاذن) قال له: اما وجد رب العالمين من يرسله غيرك؟ قال: فغضب موسـى عليه السلام فضرب الباب بعصاه، فلم يبق بينه وبين فرعون باب إلاّ انفتح حتى انظر إليه فرعون وهو فى مجلسه، الخبر، وفيه عن اصول الكافى باسـناده إلى محمد ابن الفيض عن ابى جعفر عليه السـلام قال: كانت عصا موسـى لادم عليه السـلام فصارت إلى شعيب عليه السـلام ثم صارت إلى موسـى عليه السـلام وانها لعندنا، وان عهدى بها آنفا وهى خضـر [صفحه ۲۵۹] كهيئتهـا حين انتزعت من شجرتها، وانها لتنطق اذا استنطقت، اعدت لقائمنا يصنع بها ما كان يصنع موسى، وانها لتروع ولتلقف ما يأفكون وتصنع ما تؤمر به، انها حيث اقبلت، تلقف مـا يـأفكون تفتـح لهـا، شـفتان احـدهما فى الأـرض والاـخرى فى السـقف وبينهمـا اربعون ذراعا تلقف ما يأفكون بلسانها، وفى تفسير البرهان عنـد قوله تعالى: (وقطعناهم اثنتى عشـرة اسباط) أى وأوحينا إلى موسـى اذا استسـقاه ان اضـرب بعصاك الحجر، حيث جـاء محمـد بن يعقوب باسـناده إلى أبى سـعد الخراسـانى، قـال: أبو جعفر عليه السـلام: ان القائم اذا قام بمكـة واراد ان يتوجه إلى الكوفـة نادى مناديه: ألا لا يحمل احـد منكم طعاما ولا شـرابا، ويحمل حجر موسـى بن عمران وهو وقر بعير، فلا ينزل منزلاً إلاّـ انبعثت عين منه، فمن كان جائعا شـبع، ومن كان ظامئا روى، فهو زادهم تى ينزلوا النجف من ظهر الكوفـة. وفيه وعنه باسـناده عن ابى حمزة الثمالى عن ابى عبدالله عليه السلام قال: سمتعه يقول: الواح موسى عندنا وعصا موسى عندنا ونحن ورثة النبيين. فهذه الايات تثبت هـذا النحو من التصـرف للانبياء وهـذه الاحاديث دلت على انها للائمـة ايضا. اذن هـذه الادلة القرآنية يظهر منها ان الله تعالى قد اعطى الولاية التكوينية لكثير من الأنبياء وبأذنه يسـتعملونها وبأمره يعملون (وعباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون) وعليه لاـ مـانع من ان يتصـرفوا فى الكون بالقـدرة التى اودعهـا الله تعـالى فيهم لكن، لاـ على نحو الاسـتقلال بـل بـارادة الله تعالى فالله تعالى منحهم هذه القدرة فيقولون للشـىء كن فيكون لكن بارادة الله ومع وجود هذه القدرة فيهم فهم لا يتمكنون من اعمالها إلاّ بامر من الله تعـالى وارادته، اما الـذى يقول ان الله تعالى لابـد ان يباشـر نفسه ادارة نظام الكون فان قوله هـذا مخالف لصـريح القران الكريم الـذى يقول (والمـدبرات أمرا) حيث جعـل الله تعـالى نظـام العليـة والمعلوليـة وسـيلة لصـدور كثير من الاشـياء فى الكون وكما بيّنا من خلال توضـيح الايـات المباركـة المتقدمـة وعلى هـذا الاسـاس فان الولايـة التكوينيـة ثابتـة للانبياء ولا وصـيائهم وامكانها متحقق فى القرآن الكريم. [صفحه ۲۶۰]

الولاية التكوينية لفاطمة

اشاره

بعـد ان ثبت لـدينا امكان وقوع الولايـة التكوينيـة لكثير من الأنبياء عليهم السـلام من خلال القران الكريم، نجد ايضا وقوع هذه الولاية من خلاـل استقرائنا لكثير من الروايـات والحوادث التاريخيه التى قـدمت لنا الكثير من النماذج الخارقـة للعادة والتى صـدرت من ائمة أهل البيت عليهم السـلام ويكفى فى الدلالـة على ذلك بعـد ثبوت هذه الولاية من خلال القرآن الكريم. أقول: يكفى ما ورد فى متن الزيارة الجامعـة الكبيرة التى أثبتت الولايـة التكوينيـة لأهل البيت عليهم السـلام، وذلك من خلال التـدقيق فى مدلولاتها «بكم فتح الله وبكم يختم وبكم ينزل الغيث وبكم ينفس الهم ويكشف الضـر وعنـدكم مـانزلت به رسـله وهبطت به ملاـئكته» على ان هـذه الولاـية التكوينيـة كانت ثابتـة لأئمـة أهل البيت عليهم السـلام من خلال اسم الله الاعظم الـذى كان عندهم وفى بيان ذلك نقول: قد تقدم فى بدايـة البحث كيف ان آصف بن برخيا الـذى كان وزيرا لسـليمان عنـده علما من الكتاب وكان عنده ايضا اسم الله الاعظم على ما قيل واسـتطاع من خلاـل ذلـك التصـرف فى التكوينـات حتى بعرش ملكـة سـبأ فى أقل من طرفت عين، فاذا كان هـذا ثابت لوزير نبى الله

سليمان فما ظنك بأهل البيت عليهم السلام الذين هم أفضل من جميع الأنبياء ما خلا نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فانهم افضل واعظم فى هذه الولاية وتوجد عدة أدلة على ذلک، فان اصف برخيا، استخدم ولايته بما عنده من اسم الله الاعظم بينما عندنا احاديث مأثورة وشواهد تدل على ان أهل البيت عليهم السلام كان عندهم اسم الله الاعظم وخصوصا ان الاحرف التى عندهم من اسم الله الاعظم اكثر من الاحرف التى كانت عند آصف بن برخيا، فلقد ورد فى الحديث الشريف عن ابى جعفر عليه السلام قال: «ان اسم الله الاعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، وانما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده، ثم عادت الأرض كما كانت، اسرع من طرفة عين، ونحن عندنا من الاسم الاعظم اثنان [صفحه ۲۶۱] وسبعون حرفا، وحرف واحد عندالله استأثر به فى علم الغيب عنده ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلى العظيم [۳۴۹] [۳۵۰] وايضا عن ابى عبدالله عليه السلام قال: «ان الله عزوجل جعل اسمه الاعظم على ثلاثة وسبعين حرفا فاعطى آدم منها خمسة وعشرين حرفاً واعطى نوحاً منها خمسة عشر حرفاً واعطى منها ابراهيم ثمانية احرف واعطى موسى منها اربعة احرف واعطى عيسى منها حرفين وكان يحى بهما الموتى ويبرىء بهما الاكمة والابرص واعطى محمد صلى الله عليه وآله وسلم اثنين وسبعين حرفا و احتجب حرفا لئلا يعلم مافى نفسه ويعلم ما نفس العباد» [۳۵۱] . أقول: يظهر من الحديثين ان اسم الله الاعظم انه قد استفاد منه الأنبياء عليهم السلام فى استخدام ولايتهم التكوينية لاعمال المعجزات والكرامات وقضاء حاجات الناس وحسب ما ترتضيه المشيئة الالهية وعلى هذا الاساس نفهم ان محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار مما استأثرهم به الله تعالى هو اعطاءهم اسمه الاعظم وبقابلية أكبر واكثر من الأنبياء السابقين وأوصيائهم. اذن الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته كانت لديهم هذه الولاية التكوينية ويستخدمونها بما عندهم من اسم الله الاعظم وبما فيهم الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام باعتبارها ام الأئمة ووعاء الإمامة وأم ابيها وكونها حجة الله الكبرى على الانبياء والأوصياء من ابناءها عليهم السلام وسيأتينا كيفية اعمال فاطمة لهذه الولاية والشواهد علهيا من خلال الاحاديث الشريفة.

الولاية التكوينية إنما يكون باذن الله تعالى

هذه بعض الأحاديث المأثورة تبين إنّ إعمال الولاية التكوينية إنما يكون باذن الله تعالى، وانها وقعت لأهل بيت النبوة هذه الولاية واستخدموها كما يظهر ذلک من [صفحه ۲۶۲] الاحاديث الاتية: ۱ ـ عن ابى بصير قال دخلت على ابى عبدالله عليه السلام وابى جعفر عليه السلام وقلت لها: انتما ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قال نعم. قلت: فرسول الله وارث الأنبياء علم كلما علموا؟ فقال لى: نعم. فقلت: انتم تقدرون على ان تحيوا الموتى وتبرؤه الاكمة والابرص فقال لى: نعم باذن الله ثم قال: اذن منى يا ابا محمد فمسح يده على عينى ووجهى وابصرت الشمس والسماء والأرض والبيوت وكل شىء فى الدار. قال: اتحب ان تكون هكذا ولک ماللناس وعليک ماعليهم يوم القيامة أو تعود كما كنت ولک الجنة خالصا. قلت: اعود كما كنت قال فمسح عينى فعدت كما كنت. قال على: فحدثت به ابن ابى عمير. فقال: اشهد ان هذا حق كما ان النهار حق. ۲ ـ عن محمد بن الفضل عن ابى حمزة الثمالى عن على بن الحسين عليه السلام قال: قلت له أسالک فداک عن ثلاث خصال أنفى عنى فيه التقية قال: فقال ذلک لک، قلت: أسالک عن فلان بن فلان قال: فعليها لعنة الله بلعناته كلها ماتا والله وهما كافران مشركان بالله العظيم قلت الأئمة يحيون الموتى ويبرؤن الاكمة والابرص ويمشون على الماء قال: ما اعطى الله نبيا شيئا قط إلّا وقد اعطاه محمدا صلى الله عليه وآله وسلم واعطاه ما لم يكن عندهم. قلت: وكل ما كان عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد اعطاه امير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: نعم ثم الحسن والحسين عليهم السلام ثم بعد كل امام اماما إلى يوم القيامة مع الزيادة التى تحدث فى كل سنة وفى كل شهر ثم قال: أى والله فى كل ساعة. ۳ ـ عن على بن معيد يرفعه قال: دخلت حبابة الوالبية على ابى جعفر عليه السلام محمد بن على عليهم السلام قال: يا حبابة مالذى ابطاک، قالت: قلت: بياض عرض لى فى مفرق راسى كثرت له همومى، فقال: ياحبابة ادنينى به قال: فدنوت منه فوضع يده فى مفرق رأسى،

ثم قال: ائتوا لها بالمرأة فأتيت فنظرت فاذا شعر مفرق راسي قد اسود فسررت بذلك وسر أبو جعفر عليه السلام بسروری. ۴ ـ وعن على ابن ابى حمزة عن ابى بصير قال حججت مع ابى عبدالله عليه السلام فلما كنا فى الطواف قلت له: جعلت فداك يابن رسول الله يغفر الله الخلق؟ فقال: يا ابا بصير ان اكثر من ترى قردة وخنازير، قال: قلت له ارنيهم قال: فتكلم بكلمات ثم أمّر [صفحه ۲۶۳] يده إلى بصرى فرايتهم قردة وخنازير فهالنى ذلك ثم أمّر يده على بصرى فرايتهم كما كانوا فى المرة الاولى ثم قال: يا ابا محمد انتم فى الجنة تحبرون وبين اطباق النار تطلبون فلا توجدون والله لا يجتمع فى النار منكم ثلاثة لا والله ولا اثنان لا والله ولا واحد. ۵ ـ وعن أبى بصير قال: قال لى أبو عبدالله عليه السلام تريد ان تنظر بعينك إلى السماء. قلت نعم فمسح يده على عينى فنظرت إلى السماء. ۶ ـ وعن ابى عوف عن ابى عبدالله عليه السلام قال: دخلت عليه فالطفنى وقال ان رجلا مكفوف البصر أتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ادع الله ان يرد على بصرى فدعا الله له فرد عليه بصره ثم أتاه آخر فقال يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ادع الله لى ان يرد على بصرى قال فقال الجنة احب اليك ام ان يرد عليك بصرك قال يا رسول الله وان ثوابها الجنة فقال ان الله اكرم من ان يبتلى عبده المؤمن بذهاب بصره لا يثيبه الجنة. ۷ ـ وعن جميل بن دراج قال: كنت عند ابى عبدالله عليه السلام فدخلت عليه امرأة فذكرت انها تركت ابنها بالملحفة على وجهه ميتا قال لها: لعله لم يمت فقومى فاذهبى إلى بيتك واغتسلى وصلى ركعتين وادعى وقولى يامن وهبه لى ولم يك شيئا جدد لى هبته ثم حركيه ولا تخبرى بذلك احدا قال ففعلت فجائت فحركته فاذا هو قد بكى.حدثنا احمد بن محمد عن على بن الحكم عن على بن المغيرة قال مر العبد الصالح عليه السلام بامرأة بمنى وهى تبكى وصبيانها حولها يبكون وقد ماتت بقرة لها فدنا منها ثم قال لها ما يبكيك ياامه الله قالت ياعبد الله ان لى صبيانا ايتاما فكانت لى بقرة معيشتى ومعيشة صبيانى كان منها فقد ماتت وبقيت منقطعة بى وبولدى ولا حيلة لنا فقال لها يا امة الله هل لك ان احييها لك قالت فالهمت ان قالت نعم يا عبدالله قال فتنحى ياحية فصلى ركعتين ثم رفع يديه يمينه وحرك شفتيه ثم قام فمر بالبقرة فنخسها نخسا او ضربها برجله فاستوت على الأرض قائمة فلما نظرت المرأة إلى البقرة قد قامت صاحب عيسى بن مريم ورب الكعبة قال فخالط الناس وصار بينهم ومضى عليه السلام وعلى آبائه الطاهرين [۳۵۲] . [صفحه ۲۶۴] أقول: يظهر من هذه الأحاديث المأثورة ان أهل البيت عليهم السلام كانوا يعملون الولاية التكوينية بما اعطاهم من علمه وبأذنه تعالى، وذلك لكونهم ورثوا علوم جميع الأنبياء، بل ان الذى عندهم افضل واعلى رتبة ودرجة فى العلم الربانى، وعلى هذا الاساس فان الولاية التكوينية لهم ثابتة ولاينكرها إلاّ معاند او ليس له حظ من العلم إلاّ قليلا، فهم عليهم السلام تارة يستخدمون هذه الولاية عن طريق اسم الله الاعظم فيتصرفون فى التكوينات وتارة من خلال ماعندهم من العلوم الربانية التى ورثوها من الأنبياء والأوصياء السابقين بل من الذى ورثوه من جدهم رسول الله عليه السلام لذا نرى فى الزيارات الواردة فى حقهم هذه العبارات الواضحة البيان بل هى مطلقة فى كل شى يرثونه من الأنبياء حيث تقول هذه الزيارات «السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله تعالى، السلام عليك ياروات نوح نبى الله السلام عليك ياوارث موسى كليم الله السلام عليك يا وارث عيسى روح الله...» الخ. فدلالة قوله عليه السلام يا وارث أى مطلق الوراثة سواء المادية او المعنوية، اذن فهم ورثة الأنبياء فى كل ما أعطاهم الله تبارك وتعالى. وأيضاً استخدم أهل البيت عليهم السلام الولاية التكوينية من خلال كرامات ومعجزات بل ازدادوا عليهم بأنهم ورثوا كل ماعند نبى عن الاخر زيادة، وهكذا الحال فى كل أهل البيت الذى عصمهم وامنهم الله من الزلل، ومن هنا كانت فاطمة الزهراء عليها السلام عندها الولاية التكوينية حيث ثبتت لها من خلال عدة امور منها: انها حليلة سيد الأوصياء امير المؤمنين على عليه السلام فهى كفوله وهو كفو لها وهذا يقتضى كونها عندها من المقامات مالامير المؤمنين على عليه السلام إلاّ ماخصه الله تعالى من الولاية التى يتصدى بها لخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن المعلوم ان امير المؤمنين عنده هذه الولاية أعنى الولاية التكوينية وقد أعطت الكثير من الكتب الشواهد العديدة على هذه القضية ويكفى شاهد على ذلك فى قضية رده الشمس، وهل هذا الاتصرف تكوينى من خلال اسم الله الاعظم، وعليه المقام ثابت للصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام. انها حجة الله الكبرى على الخلق بما فيهم الأنبياء والأوصياء ويدل على ذلك الحديث المروى نصه: «ما تكاملت نبوة نبى حتى أقر

بفضلها ومحبتها وعلى معرفتها [صفحه ۲۶۵] دارت القرون الاولى»، فاذا كانت النبوة لا ـ تكتمل لنبى من الأنبياء حتى يقر بفضلها ومحبتها، فمن باب الاولوية ان كل مقام من المقامات المعنوية والمادية التى كانت ثابتة للأنبياء كانت ثابته ايضا للصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام إلّا ما خرج بالدليل مثل النبوة الخاصة بكل نبى، وايضا بينا فى حديث «نحن حجج الله على الخلق وجدتنا فاطمة عليها السلام حجة الله علينا» قضية انها حجة الله الكبرى فما كان ثابت للائمة من الولاية التكوينية فهو ثابت لها عليها السلام، هذه بعض الادلة بصورة اجمالية ولو كان لنا تقصى المسألة لا حتجنا إلى كتاب خاص فى هذه المسألة، واعطى لك شاهدين على ثبوت الولاية التكوينية لفاطمة عليها السلام واترك لك مراجعة المطولات فى هذه القضية.... «عن أبى عبدالله عليه السلام عن سلمان الفارسى: انه استخرج أمير المؤمنين من منزله، خرجت فاطمة حتى انتهت إلى القبر، فقالت: خلوا عن ابن عمى، فوالذى بعث محمداً بالحق لئن تخلوا عنه لا نشرن شعرى ولا ضعن قميص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على رأسى ولا صرخن إلى الله، فما ناقة صالح بأكرم على الله من والدى. قال سليمان: فرأيت والله اساس حيطان المسجد تقلعت من اسفلها، حتى لو أراد وتعالى بعث اباك رحمة فلا تكونى نقمة، فرجعت الحيطان حتى سطعت الغبرة من اسفلها، فدخلت فى خياشيمنا» [۳۵۳] . وفى مشارق انوار اليقين ص ۸۶ مثل هذا الحديث ولكن باختلاف وهو: «ثم رفعت جنب قناعها إلى السماء، وهمت ان تدعو فارتفعت جدران المسجد عن الأرض وتدل العذاب... وأخيرا اختم هذا الموضوع بقول الإمام الخمينى قدس سره الذى يرى ثبوت الولاية التكوينية للصديقة الطاهرة فاطمة حيث يقول ما نصه: «وثبوت الولاية والحاكمية للامام عليه السلام لا تعنى تجرده عن منزلته التى هى له عند الله، ولا تجعله مثل من عداه من الحاكم فان للامام مقاماً محموداً ودرجة سامية [صفحه ۲۶۶] وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون، وان من ضروريات مذهبنا ان لائمتنا مقاما لا ـ يبلغه ملك مقرب، ولا نبى مرسل، وبموجب مالدينا من الروايات والاحاديث فان الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام كانوا قبل هذا العالم انواراً فجعلهم الله بعرشه محدقين، وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلّا الله وقد قال جبرئيل، كما ورد فى روايات المعراج لو دنوت انملة لا حترقت، وقد ورد عنهم عليهم السلام: ان لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبى مرسل، ومثل هذه المنزلة موجودة لفاطمة الزهراء عليها السلام لا بمعنى انها خليفة أو حاكمة أو قاضية، فهذه المنزلة شى آخر وراء الولاية والخلافة والأمرة، وحين نقول: ان فاطمة عليها السلام لم تكن قاضية أو حاكمة أو خليفة فليس يعنى تجردها عن تلك المنزلة المقربة كما لا يعنى ذلك انها امرأة عادية من المثال ما عندنا» [۳۵۴] . [صفحه ۲۷۱]

فاطمة ام ابيها

ألقاب بنت المصطفى كثيرة نظّمت منها نبذة يسيرة سيدة إنسيّة حوراء نوريّة حانية عذراء كريمة رحيمة شهيدة عفيفة قانعة رشيدة صفيّة عالمة علمية صابرة سليمة مكرمة صفيّة عالمة عليمة معصومة مغصوبة مظلومة ميمونة منصورة محتشمة جميلة جليلة معظمة حاملة البلوى بغير شكوى حليفة العبادة والتقوى حبيبة الله وبنت الصفوة ركن الهدى وآية النبوّة شفيعة العصاة أمّ الخيرة تفّاحة الجنّة والمطهّرة سيّدة النساء بنت المصطفى صفوة ربّها وموطن الهدى قرّة عين المصطفى وبضعته مهجة قلبه كذا بقيّته حكيمة فهيمة عقيلة محزومة مكروبة علية عابدة زاهدة قوّامة باكية صابرة صوّامة عطوفة رؤوفه حنّانة البرّة الشفيقة الأنّانة والدة السبطين دوحة النبيّ نور سماويّ و زوجة الوصىّ بدر تمام غرّة غرّاء روح أبيها درّة بيضاء واسطة قلادة والجود درّة بحر الشرف الوجود وليّة الله وسرّ الله أمينة الوحى وعين الله مكينة فى عالم السماء جمال الآباء شرف الأبناء درّة بحر العلم والكمال جوهر العزّة والجلال قطب رحى المفاخر السنيّة مجموعة المآثر والجلال مشكاة نور الله والزجاجة كعبة الآمال لأهل الحاجة ليلة قدر ليلة مباركة ابنة من صلّت به الملائكة قرار

قلب أمّها المعظّمة عالية المحلّ سرّ العظمة مكسورة الضلع رضيض الصدر مغصوبة الحقّ خفيّ القبر [۳۵۵] . عن الإمام الباقر عليه السّلام أنه قال إن فاطمة عليها السلام كانت تكنى: أم أبيها [۳۵۶] . نقف مع هذه الحديث لكى نستلهم منه المعانى الرائعة والجميلة التى تضمنها بين طياته، فكلمة أم أبيها كلمة عذبة أفضل ما تفوهت به حنجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما قال مرحباً بأم أبيها، فهذه الكلمة رغم أنها صغيرة ولكنها فى نفس الوقت كبيرة مملوءة بالحب والأمل والعطف وكل ما فى القلب البشرى من الرقة والعذوبة، لذا نرى لا بد من تسليط الأضواء على هذه الكلمة لكى نستخلص روائع الفكر من هذا الحديث الشريف الذى قلده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا بنته فاطمة فجعل جيدها يشع نوراً لمن أراد أن يستضى من نور معرفته. ولقد ورد فى صحاح اللغة العربية أن معنى كلمة أم هو الأصل كما هو معروف فى لسان القرآن الكريم حيث عبر عن مكة المكرمة بـ (أم القرى) أى أصل القرى فى الجزيرة العربية، ومنها انطلقت روح الحياة لكى تغذى القرى ومن حولها وتقوم برعاياتها، وذلك لما لها من مكان وموقع جغرافى فى قلب الجزيرة العربية مما جعلها قطب الرحى لبقية القرى... وعلى هذا الأساس نفهم معنى هذا الحديث «أم أبيها» حيث نستطيع تفسير بأن فاطمة عليها السلام كانت مصدر ذرية رسول الله ومنبع نسله وهذا ينطبق ويتماشى مع تفسير الكوثر الذى هو مصدر ذرية رسول الله صلى الله عليه ومنبع نسله وهذا ينطبق ويتماشى مع تفسير الكوثر الذى هو مصدر ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. أقول: إن فى التأمل فى حياة فاطمة عليها السلام واستقراء حياتها فى ظل رعاية أبيها رسول [صفحه ۲۷۲] الله صلى الله عليه وآله وسلم نجد عدة معانى وتفاسير تجعل هذا الحديث وهذه الكلمة أم أبيها كنظرية ولها تطبيقات عديدة فى حياة الصديقة الطاهرة عليها السلام وعلى هذا الاساس نرى الوقوف مع هذا الحديث مما يزيدنا معرفة فى فاطمة عليها السلام ويجعلنا نتقرب من الأسرار التى كانت تحيط بحياتها الشخصية وإليك بعض التفاسير والمعانى الرائعة لهذه الكلمة: ان التدقيق فى حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع ابنته فاطمة عليها السلام يجعلنا نفهم معنى أم أبيها حيث أن الزهراء عليها السلام كانت تقوم بمداراة أبيها رسول الله ورعايته أفضل ما تكون المراعاة بالنسبة لأم لولدها وفى قبال ذلك كان الرسول يحترمها كما يحترم الولد أمه، وهذا نجد جلياً وواضحاً فى سيرته الشريفة وعلاقته بالبضعة الطاهرة عليها السلام حيث كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ينادى بالزهراء عندما تقبل عليه: مرحباً بأم أبيها، ويقدم لها ضروب الإحترام وألوان التعظيم، حتى وصل الأمر إلى أن يقوم لها إجلالاً وتعظيماً ويأخذ يدها ويقبلها ثم يجلسها إلى جانبه ويقبل عليها بكليته، وكان إذا يقبلها يقول: أشم منها رائحة الجنة. إن رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا بد لها من امتداد يمثلها فى كافة جوانبها ويعطيها التفسير الصحيح، وهذا لم نجده إلا من خلال الإمتداد الطبيعى للرسول صلى الله عليه وآله وسلم المتمثل فى ذريته من فاطمة عليها السلام، لذا كان الرسول يقول: «حسين منى وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً» أى إن الحسين ابنى وامتدادى الطبيعى فهو قرة عينى وثمرة فؤادى وفى نفس الوقت أنا من حسين، وعليه فإن هذا الحديث يحدد المفهوم الذى أراده من هذا الحديث أى بدقة متكاملة وبتمعن نرى أن هذا الأمر يعنى استمرار الرسالة السماوية وإحياء معالم الدين والعقيدة انما هو بوجود الحسين وذرية فاطمة من الأئمة المعصومين، لذلك قيل ان الدين الإسلامى محمدى الوجود حسينى البقاء وهذا ما نراه فى التضحية التى قدمها الحسين يوم عاشوراء حيث أرخص الغالى والنفيس لإحياء شجرة الرسالة المحمدية فى كل جوانبها فغذاها بدمه ودم عيالاته من الأطفال والشباب والشيوخ والنساء حتى الطفل الرضيع، وعلى هذا الأساس يكون معنى أم أبيها ان استمرار الإسلام وبقاء رسالة السماء وحفظ القرآن الكريم وعقائده مناهجه إنما يكون بواسطة فاطمة الزهراء عليها السلام ومن خلال ذريتها، وهذا ما كان يراه الرسول فى فاطمة من خلال تطلعه إلى آفاق المستقبل الذى سيكون لولد فاطمة فكان يكرمها ويحترمها ويقول لها مرحباً بأم أبيها. ولعل وجه تكنيتها بأمّ أبيها هو أنه صلى الله عليه وآله وسلم يعاملها عليها السلام معاملة الولد أمه. وانها تعامله معاملة الأم ولدها كما ان التاريخ يؤيد ذلك والأخبار تعضده، ففى الأخبار الكثيرة أنه صلى الله عليه وآله وسلم يقبل يدها ويخصها بالزيارة عند كل عودة منه إلى المدينة المشرفة ويودعها منطلقاً عنها فى كل أسفاره ورحلاته، وكأنه يتزود من هذا المدينة المشرفة ويودعها منطلقاً عنها فى كل أسفاره ورحلاته. وكأنه يتزود من هذا النبع الصافى عاطفة لسفره كما يتزود الولد المؤدب من

أمه، ونلاحظ من جهةٍ أخرى ان فاطمة الزهراء عليها السلام تحتضنه وتضمد جروحه وتخفف من آلامه كالأم المشفقة لولدها، وبالجملة كل ما يجده الولد فى امه من العطف والرقة والشفقة والأنس فهو صلى الله عليه وآله وسلم يجده فى فاطمة وكأنها أمه [۳۵۷] . ونقل المولى الأنصارى (ره): إنّ النكتة فى هذه التكنية إنما هى محض إظهار المحبة، فإن الإنسان إذا أحبّ ولده أو غيره وأراد أن يظهر فى حقّه غاية المحبّة قال: «يا أمّاه» فى خطاب المؤنّث، ويا «أياه» فى خطاب المذكّر، تنزيلًا لهما بمنزلة الأمّ والأب فى المحبّة والحرمة على ما هو معروف فى العرف والعادة [۳۵۸] . أو أنّ الله عزّ وجلّ لمّا شرّف وكرّم أزواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم بتكنيتهنّ بأمّهات المؤمنين صرن فى معرض أن يخطر ببالهنّ أنّهن أفضل النساء حتى من بضعة المصطفى فاطمة الزهراء عليها السلام، ولأجل ذلك كنّاها أبوها بأمّ أبيها صوناً لهذه الخواطر والوساوس، يعنى يا نساء النبى إن كنتنّ أمّهات المؤمنين، ففاطمة عليها السلام أمّ النبىّ، أمّ المصطفى، أمّ الرسول، أمّ أبيها. ويمكن أن يراد بهذه التكنية معنىً أدق وأعمق من الأول والثانى وإن كان الأول هو الأظهر، وهو: أنّ أمّ كلّ شيء أصله ومجتمعه كما صرّح به أهل اللغة كأم القوم وأمّ الكتاب وأم النجوم وأم الطرق وأم القرى وهى مكّة شرّفها الله تعالى، وأم الرأس وأم الدماغ و... فعليه يمكن أن يقال: إنّه صلى الله عليه وآله وسلم أراد منها أنّ ابنتى فاطمة هى أصل شجرة [صفحه ۲۷۴] الرسالة وعنصر النبوّة، كما قال الباقر عليه السلام: الشجرة الطيّبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفرعها علىّ عليه السلام وعنصر الشجرة فاطمة عليها السلام وثمرتها أولادها، وأغصانها وأوراقها شيعتها [۳۵۹] وكما أنّه لولا العنصر يبست الشجرة وذهبت نضرتها، فكذلك لولا فاطمة لما اخضرّت شجرة الإسلام، فإنّ الشجرة تسمو وتنمو بتغذيتها من أصلها. وشجرة الشريعة الحنيفيّة قد سمعت ونمت بمجاهداتها ودفاعها من إمامها وبعلها الشريف المظلوم ومجاهدات أولادها وتضحيّاتهم، لا سيّما شبليها الكريمين، فإنّ الحسن عليه السلام بصلحه أبقى شجرة الإسلام ومنعها من الاصطدام والحسين عليه السلام بإبائه عن البيعة وبذل مهجته الشريفة سقاها وربّاها، ولولا صلح الحسن وقيام الحسين عليها السلام ليبست شجرة الإسلام وما قام لها عود ولا اخضرّ لها عمود. ولا يخفى أنّ أصل الحسن والحسين عليهما السلام أمّهما فاطمة الزهراء عليها السلام، ولولاها لم يكن أبوها وبعلها وبنوها عليهم السلام كما تقدم فى صدر الكتاب. ولتمام البحث فاستمع لم يتلى من بعض الأخبار فى هذا المعنى: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنا شجرة، وفاطمة أصلها، وعلىّ لقاحها، والحسن والحسين ثمرها [۳۶۰] . وعن المفضّل بن محمد الجعفىّ قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: (حبة أنبتت سبع سنابل) [۳۶۱] قال: الحبّة فاطمة عليها السلام، والسبع السنابل سبعة من ولدها، سابعها قائمهم... [۳۶۲] . وقال بعض أهل التحقيق: سرّ التعبير عنها عليها السلام بالحبّة يحتمل وجهين: الأول: إمّا كناية عن أنها هى المقصود أولاً وبالذات، وإما أن تكون مجرى هذه الأمانات الإلهيّة ومظاهر التوحيد الحقيقىّ صلوات الله عليها، ووجه التشبيه أنّ من لم يكن من الزرّاع عنده حبّه فهو آيس من تحصيل الزراعة، فأصل النظر عنه دائماً إلى الحبّة فقطّ وإلا فالنتيجة منها غير حاصلة، وكذلك وجود الزهراء صلوات الله عليها [صفحه ۲۷۵] هى المصدر والأصل لهذه الأنوار الإلهية، رزقنا الله حبّها وشفاعتها. الثانى: أنّ الزراعة أصلًا وحقيقة هى تلك الحبّة مع إضافات أخرى عملت فيها، فتصور بصورة أخرى، وإنما الفرق بينهما الإجمال والتفصيل، وإلا هى هى مادة وأصلًا. فعلى هذا تكون الأنوار المقدّسة هى المتشعبّة والمشتقّة من هذه الحبّة الإلهية [۳۶۳] ... إن النبى كان يكشف عن مكانة فاطمة فى الإسلام، فى كل كلمة يقولها لفاطمة، وكل صنيع يصنعه لها. وهنا أراد النبى الكريم، أن يبيّن عظمة فاطمة الزهراء، وأنها تختلف عن نسائه اختلافاً كبيراً، أى أن مكانة الزهراء تفوق مكانة نساء النبى لأنها تختلف عن نسائه اختلافاً كبيراً، أى أن مكانة الزهراء تفوق مكانة نساء النبى لأنها معصومة.. وهنّ لسنن بمعصومات.. ولأنها مطهرة من الرجس، وهن لسن مطهرات من الرجس.. ففاطمة زعيمة آية التطهير، بينما لم تدخل واحدة من نساء النبى فى آية التطهير، حتى أم سلمة على جلالة قدرها، لما اقتربت من الكساء والنبى يقرأ قوله تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) [۳۶۴] . وكان تحت الكساء يومها محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين ـ عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام ـ أقول: لما اقتربت أم سلمة من طرف الكساء، وقالت: وأنا منهم يا رسول الله ـ روحى فداك ـ؟ قال: لا.. لست منهم، ولنك على خير، أو إلى خير. وفى يوم المباهلة نجد النبى لم يخرج معه من النساء سوى فاطمة

فی حین أن آیـة المباهلـة واضـحة بقولهـا: (فمن حاجـک فیه من بعـد ما جاءک من العلم فقل تعالوا نـدعو أبناءنا وأبناءکم ونساءکم، وأنفسنا وأنفسکم، ثم نبتهل فنجعل لعنـة الله علی الکاذبین). أقول: ولما خرج النبی إلی مباهلـة النصاری، لم یخرج معه سوی الحسـن والحسـین وفاطمة وعلی علیهم السلام فالحسن والحسین یمثلان الأبناء، وفاطمة تمثل النساء، وعلی یمثل نفس النبی، وهذا إن دل علی شیء فإنما یدل علی أن فاطمة سیدة النساء، ولو کانت واحدة من نساء النبی فی مستوی فاطمة لأخرجها معه، ولکنه ـ أی الرسول ـ لم یجد [صـفحه ۲۷۶] فی نسـائه، ولاـ فی بنی هـاشم ولا فی نساء الخلافـة، واحـدة تقوم مقام الزهراء، فاطمـة بنت محمـد ـ صـلوات الله وسـلامه علیها. والـذین یحاولون إدخال زوجات النبی فی أهل البیت، علیهم أن یتفکروا فی أمر آیـة المباهلـة لتسـتبین لهم جادة الحق والصواب کالشـمس الصافیة المشـرقة. ولتأصیل هذا المعنی، وتأکیده اقرأوا معی إذا شئتم أول سورة التحریم، وهو قوله تعالی: (یا أیها النبی لم تحرم مـا أحل الله لک تبتغی مرضاة أزواجک) [۳۶۵] ، والتعبیر واضـح جداً. فحینما یقول: تبتغی مرضاة أزواجک، فإن معنی ذلـک أن رضـی زوجـات النبی لاـ قیمـة له أمام رضا الله سـبحانه وتعالی لأن رضا أزواج النبی خاضع للهوی، ولیس لموازین الإیمان، وهـذا لیس انتقاصـاً لنساء النبی وإنما هو الواقع، والحقیقـة فنساء النبی لسن معصومات وما فیهن واحـدة یمکن أنت تصل إلی مسـتوی فاطمـة، لـذلک یقول القرآن فی اسـتنکار شدید (یا أیها النبی لم تحرم ما الله لک، تبتغی مرضاة أزواجک). علماً بأن النبی لا یحرّم ما أحل الله له فی التشـریع الإسـلامی الحنیف، وإنما کانت القضـیة، مسألة خاصة تتعلق بشـیء من السـمن والعسل أهدی إلی زوجة النبی زینت بنت جحش، وحـدث أن کان النبی عندها، فقدمت له من ذلک الطعام شـیئاً یسـیراً فأکله النبی، غیر أن غیرة عائشة وبعض نسائه أدت إلی أن تقوم اثنتـان من نسـاء النبی ـ کمـا ورد فی سورة التحریم ـ وهما عائشـة وحفصـة، أن تقوما بمظاهرة ضـد الرسول الأعظم محمد صـلی الله علیه وآله وسـلم وبدأت المظاهرة بقول عائشة وحفصة للنبی إننا نشم من فمک رائحة کریهة، فتعجب النبی أن تکون رائحـة فمه کریهه وهو الـذی کـانت حبـات عرقه تتضوع عطراً، بـل کـان جسـمه یفوح بعطر الجنـة کما جاء ذلک فی سـیرته الذاتیـة، وأحواله الشخصـیة.. ولکن لا بأس، إذا کان هـذا الطعام الـذی أکلته ـ هکذا قال النبی ـ فیه رائحة غیر جیدة فقد حرمته علی نفسـی أی أن النبی حرّم ذلک الطعام الذی هو [صـفحه ۲۷۷] عنـد زوجته زینب بنت جحش ولم یحرم کل أنواع العسل... ولـذلک قلت لکم ـ آنفـاً ـ إن التحریم کـان خاصـاً به ولم یکن عامـاً وشاملاً، لأن النبی لا یحرم ما أحل الله: (وما ینطق عن الهوی إن هو إلا وحی یوحی). ومحل الشاهد هنا، هو قول الحق سـبحانه: (یا أیها النبی لم تحرّم ما أحل الله لک تبتغی مرضاة أزواجک). وهذا یدل بوضوح، علی أن رضا أزواج النبی لا وزن ولا قیمـة له أمام رضا الله سـبحانه وتعالی. هذا بالنسـبة لرضا أزواج النبی ونسائه.. أما بالنسـبة لفاطمة الزهراء ـ سلاـم الله علیهـا ـ فالأـمر یختلف اختلافـاً جـذریاً. یقول النبی: «إن الله لیرضـی لرضا فاطمـة ویغضب لغضـبها». ویقول: یا فاطمـة إن الله لیرضـی لرضاک ویغضب لغضـبک. ویقول فی حدیث ثالث: «رضا فاطمة من رضای وسـخطها من سخطی». والویل لمن غضبت علیه فغضـبها یعنی غضـب الله، وإذا غضب الله علی أحـد أحـل به نقمته، وجنّبه رحمته. یقـول: الله عزّ وجـلّ: (ومن یحلـل علیه غضـبی فقد هوی) [۳۶۶] . ونحن نعرف أن فاطمة ماتت وهی غاضبة وواجدة علی أبی بکر وعمر، کما جاء فی صحیح البخاری، فما أدری کیف تکون المعادلة.. إذا کان غضب فاطمة، هو غضب الله، وأن الله لیرضـی لرضا فاطمة، ویغضب لغضبها، ثم تموت الزهراء، وهی واجدة ـ غاضـبة ـ علی أبی بکر وعمر، فالقرآن یقول بصـراحة: إن الذی یحلل علیه غضب الله یکون من الهالکین: (ومن یحلل علیه غضبی فقد هوی). والعجیب أن هذه الأحادیث کلها موجودة فی صـحیح البخاری وفی کتب الصـحاح الأخری، وکلها تؤکد أن الله لیرضـی لرضا فاطمـة ویغضب لغضـبها.. وأن فاطمـة ماتت وهی واجـدة علی أبی بکر و عمر... ماتت ولم تکلمهما کلمـة واحـدة... ماتت ودفنت فی اللیل ولم یحضـر أبو بکر ولا عمر تجهیزها ولا الصـلاة علیها.. وهذه قضیة معروفة [صفحه ۲۷۸] لدی المسلمین کافة. أما لماذا یرضی الله لرضا فاطمـة ویغضب لغضـبها، فواضـح جداً وذلک أنها طاهرة نقیة، معصومة لا تتعامل مع الخطأ فی قول ولا فعل وهی التی کانت تقول: «أیها الناس إعلموا أنی فاطمـة، وأبی محمد صـلی الله علیه وآله وسـلم. أقول: حقاً عوداً وبدءاً، ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شـططاً..» فلا غلط فی قولها.. ولا شـطط فی فعلها علی الإطلاق. حادثتان تکشـفان حقیقـة حـدیث النبی: والـذی یهمنی هنا هو

ذكر حادثتين اثنتين فقط، لأنهما تسلطان الضوء على الحديث الذى نحن بصدده، إضافة إلى كون الحادثتين اللتين سأذكرهما، تعكسان صورة واضحة وجلية تكشف لنا عن حقيقة حديث مرحباً بأم أبيها. الحادثة الأولى هى المؤاخاة، فقد آخى النبى بين كل أصحابه لينزع الغل من بعض القلوب، ويجعلهم صفاً واحداً فى مواجهة العدو، كأنهم بنيان مرصوص.. فقال: هذا أخو هذا، وفلان أخو فلان، حتى لم يبق أحد سوى على ظل واقفاً إلى جواز النبى فأخذ النبى بعضده وقال له: أنت أخى أو قال: «وهذا أخى..».. وهنا تجدر الملاحظة بدقة متناهية، حيث أن النبى اختار علياً من دون أصحابه ليكون أخاً له دون غيره. إذن اجعلوا هذه الحادثة، عالقة فى أذهانكم ثم تعالوا معى إلى الحادثة الثانية: وهى لما نزلت آية الحجاب: (وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهم من رواء حجاب) [۳۶۷] . قال طلحة: أيريد محمد أن يمنعنا من النظر إلى بنات عمنا، أما والله لئن مات محمد لنتزوجن نساءه، ونجول بين خلاخيلهن...!!... حقاً إنه عجب يثير الهم يجلب الحزن، أن نسمع مثل هذا الكلام من طلحة وهو من العشرة المبشرين بالجنة (....) ولا أعتقد أن بوابة الجنة سوف تنخلع أمامه ليدخل الجنة من أعرض الأبواب. هذا الذى لا يتورع من إظهار الهوى والغرام لزوجات النبى وهن أمهات المؤمنين. ولم يحفظ حرمة رسول الله. ولكن ما علينا بطلحة، لنتركه يعيش مع غرامه الباطل فإن عذاب جهنم كان غراماً. ولنرجع إلى الحادثة الثانية، [صفحه ۲۷۹] وهى حين نزلت آيات الحجاب، وظهر من بعض المنافقين مثل الكلام الذى قد مرّ نزلت آية تقول: (ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً) [۳۶۸] . ثم جاء آية ثانية تتحدث عن مكانة زوجات النبى وأنهن بمثابة الأمهات لكم أيها المؤمنون قالت الآية: (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) [۳۶۹] . وهذا يعنى أن عائشة أم المؤمنين وأن زينب بنت جحش أم المؤمنين، ومارية القبطية أم المؤمنين، وحفصة أم المؤمنين، وخديجة الكبرى أم المؤمنين.. فأثارت هذه الآية سؤالاً عريضاً على الشفاه السؤال هو: إذا كانت كل واحدة من زوجات النبى أماً للمؤمنين.. فاطمة أم من؟ وهنا جاء الجواب على لسان الرسول الأمين الذى ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى حيث قال «فاطمة أم أبيها...» ومن ذلك الحين أصبحت فاطمة أم أبيها، وصار الرسول يناديها بأم أبيها، فيقول: مرحباً بأم أبيها. وأورد صاحب كتاب «رياحين الشريعة» جملة من الألقاب والكنى للسيّدة الكبيرة فاطمة الزهراء صلوات الله عليها وعلى بعلها وبنيها، وهى: ابنة الصفوة، إحدى الكبر، أرومة العناصر، أعزّ البريّة؛ أمّ الأئمّة المعصومين، أمّ الأبرار، أمّ الأبرار، أمّ الأخيار، أمّ الأزهار، أمّ الأطهار؛ أمّ الأنوار، أمّ البدريّين، أمّ البررة، أمّ البريّة، أمّ البلجة، أمّ التقى، أمّ الحسن: أمّ الحسين، أمّ الخيرة، أمّ الرأفة، أمّ الرواق الحسيبة، أمّ الريحانتين، أمّ السبطين؛ أمّ العطيّة، أمّ العلا، أمّ العلوم، أم الفضائل، أمّ الكتاب، أمّ المحسن، أمّ المؤمنين؛ أمّ الموانح، أم النجباء، أمّ النقى، أمّ النورين، أمة الله، آية الله، آية الله العظمى. باكية العين، البتول، برزخ النبوّة والولاية، بضعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، بقيّة النبوّة، بهجة الفؤاد، بهجة بيضاء بضّة، تفّاحة الفردوس، التقيّة؛ ثالثة الشمس والقمر، ثمرة النبوّة، جرثومة المفاخر، جمال الآباء، الجميلة الجلية، حاملة البلوى، الحانية، الحبّة النابتة حبّها خير العمل، حبيبة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، حجاب الله المرخى، حجّة الله الكبرى، [صفحه ۲۸۰] الحرّة، الحصان، حظيرة القدس، الحوراء خامسة أهل العبا، الخيرة من الخير، درّة التوحيد، الدرّة المنضدة، الدعوة المستجابة، الذروة الشامخة، ذريعة الشيعة، الراضية، ربيبة مكّة، الرشيدة، ركن الدين، روح بين جنبى المصطفى، ريحانة النبى صلى الله عليه وآله وسلم. زجاجة الوحى، الزكية زوجة ولىّ الله الأعظم، الزهراء، زين الفواطم، ستر الله الكبرى، سفينة النجاة، سلالة الرضوان، سلالة الفخر، سماء الكواكب الدريّة، السيّدة، سيّدة بنات آدم عليه السلام، سيّدة الأوّلين والآخرين، سيّدة نساء الجنّة، سيّدة نساء هذه الأمّة، سيدة النسوان، شرف الأبناء، شفيعة الأمّة، الشفيعة يوم القيامة، الشمس المضيئة، الشهيدة، الصائمة فى النهار، الصابرة فى المحن، صاحبة الأحزان الطويلة، صاحبة الجنّة السامية، صاحبة المصحف، الصادقة فى السرّ والعلن، الصدف الفخّار، الصدّيقة، الصدّيقة الكبرى، صفوة الشرف، صلوة الوسطى؛ امن الشفاعة، الطاهرة، الطاهرة فى الأفعال، الطاهرة الميلاد، ظلّ الله الممدود، العابدة التقيّة، العارفة بالأشياء، العالمة بما كان وما يكون، عالية الهمّة، عديلة مريم الكبرى، العذراء، عروة الوثقى، العفيفة، عقيلة الرسالة، عيبة العلم، عين الحجّة، عين الحياة الغرّة الغرّاء، الفاضلة الفضلى، فخر الأئمّة، فلذّة كبد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، القائمة فى الليل، القانتة، القانعة، والقدوة المسدّدة،

قرار القلب، قرّة عين الخلائق، قلادة الوجود، الكئيبة، الكريمة فى النفقة، كلمة الله التامّة، كلمة التقوى الكلمة الطيّبة، الكوثر، الكوكب الدرّى. ليـة القدر، المباركة، مبشّرة الأولياء، المتعوبة فى الدنيا، المتهجّدة، محترقة القلب، المحدّثة، المرضيّة، مريم الكبرى، المزوّجه فى الملأ الأعلى، مشكوة الأنوار، المضطهدة، المظلومة، معدن الحكمة، المعروفة فى السماء، معصّبة الرأس، المعصومة، المغصوبة حقّها، مقتولة الجنين، مكسورة الضلع، الممتحنة، الممنوعة إرثها، المنصورة، المنعوتة فى الإنجيل، المنهدّة الركن، الموصوفة بالبرّ والتبجيل، موطن الرحمة، مهجة العالم، مهجة قلب المصطفى، الميمونة، ناحلة الجسم، الناطقة بالشهادتين عند الولادة، النبيلة، نجمة إكليل النبوّة، نخبة أبيها، النعمة الجليلة، نور الأنوار، النوريّة، والدة الحجج، والدة الحسن والحسين عليه السلام، الوالهة الثكلى، الوحيدة الفريدة، وديعة الرسول، وعاء المعرفة، وليّة الله العظمى، الوليدة فى الإسلام، ينابيع الحكمة، ينبوع العلم. [صفحه ۲۸۵]

فلسفة تسبيح فاطمة الزهراء

اشاره

الشيخ صالح كواز الحلى الواثبين لظلم آل محمد ومحمد ملقى بلا تكفين والقائلين لفاطم آذيتنا فى طول نوح دائم وحنين والقاطعين اراكة كى ماتقيل بظل اوراق لها وغصون ومجمعى حطب على البيت الذى لم يجتمع لولاه شمل الدين والداخلين على البتولة بيتها والمسقطين لها أعز جنين والقائدين امامهم بنجاده والطهر تدعو خلفهم برنين خلو ابن عمى او لا كشف للدعا رأسى وأشكو للاله شجونى ما كان ناقة صالح وفصيلها بالفضل عند الله إلا دونى ورنت إلى القبر الشريف بمقلة عبرى وقلب مكمد محزون قالت واظفار المصاب بقلبها غوثاه قل على العداة معينى أبتاه هذا السامرى وعجله تبعا ومال الناس عن هارون أى الرزايا اتقى بتجلدى هو فى النوائب مذ حييت قرينى فقدى ابى ام غصب بعلى حقه ام كسر ضلعى ام سقوط جنينى ام اخذهم ارثى وفاضل نحلتى ام جهلهم حقى وقد عرفونى قهروا يتيميك الحسين وصنوه وسئلتهم حقى وقد نهرونى [۳۷۰] . فلسفة تسبيح فاطمة الزهراء من الشعائر الإسلامية التى أكد عليها القرآن الكريم هى شعيرة التسبيح، تلكم الشعيرة التى تزيد فى إيمان الإنسان وتضيف عليه هالة من النورانية عبر أداء هذه الركيزة الإسلامية التى أكد عليها القرآن الكريم فى كثير من آياته المباركة فقد جاء فى قوله تعالى (وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) ليؤكد على هذه الحقيقة الخالدة التى أثبتها الله تبارك وتعالى لجميع الأشياء، فالكون يسبح والنجوم تسبح فى مداراتها الغارقة فى أعماق الفضاء والشجر والنباتات والحيوانات بكل صنوفها تشترك فى هذا الموكب الرهيب الذى يثير الدهشة ويجتذب القلوب، وفى ذلك يقول القرآن الكريم: (والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه) [۳۷۱] . وأيضاً قوله تعالى: (فسبح باسم ربك العظيم).. أى نزّه الله سبحانه عن السوء، والشرك وعظمه بحسن الثناء عليه، ومعناه أيضاً نزه اسمه عما لا يليق به... فلا تضف إليه صفة نقص أو عملاً قبيحاً.. ومعناه أيضاً قولوا سبحان ربى العظيم.. والعظيم فى صفة الله تعالى معناه كل شىء سواه يقصر عنه فإنه القادر العالم الغنى الذى لا يساويه شىء ولا يخفى عليه شىء جلت آلاؤه وتقدست أسماؤه. وورد فى التفسير المروى فى هذه الآية المباركة: أى فبرئ الله تعالى مما يقولون فى وصفه، ونزهه عما لا يليق بصفاته، وقيل معناه قل سبحان (لله) ربى العظيم، فقد صح عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه لما نزلت هذه الآية قال «اجعلوها فى ركوعكم» وراجع فى ذلك تفسير مجمع البيان ليتضح لك الحال والبيان. ولقد ورد فى القرآن الكريم عدة ألفاظ للتسبيح فتارة يأتى على نحو صيغة الأمر تسبح وتارة أخرى بصيغة الماضى أو الحاضر.. يسبح.. تسبّح.. وسبحان الله.. وهذا [صفحه ۲۸۶] يعنى أن التسبيح له صفة الإستمرارية فى كل شىء وكما قلنا فالكون يسبح.. الخ. وإذا تفحصنا القرآن الكريم نجد زخماً كبير من الآيات المباركة تصل العشرات تؤكد على مسألة التسبيح ومنها: (سبّح لله ما فى السموات والأرض) [۳۷۲] (يسبح له ما فى السموات وما فى الأرض) [۳۷۳]

(وسبح بحمد ربک قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) [۳۷۴] (صبح اسم ربک الأعلی الذی خلق فسوی والذی قدر فهدی) [۳۷۵] . إذن رحلة التسبیح فی القرآن الکریم عظیمة وکبیرة جداً کل ذلک لیکون إیمان الإنسان عبر التسبیح فی القرآن الکریم عظیمة وکبیرة جداً کل ذلک لیکون إیمان الإنسان عبر التسبیح أعظم وأفضل ما یکون علیه الإیمان، وقد ذکرنا هذه المقدمة لتکون لنا عوناً علی استیعاب الموضوع الذی نحن فیه ـ تسبیح الزهراء علیها السلام ـ ومن الطبیعی جداً نرجع إلی المصدر الأول للمسلمین الذی هو القرآن الکریم لنری کیف أکد علی هذا التسبیح، وبعد ننطلق ونسبح فی فضاء تسبیح الصدیقة الطاهرة فاطمة علیها السلام. فالقرآن الکریم قال ان الکل یسبح ولکن لا نعرف نحن القاصرون عن إدراک الکثیر من الحقائق التی تخصنا نحن کبشر فی حیاتنا، وإلا فالکل یسبح ولکن نحن لا نعرف لغة هذا التسبیح الذی یخص الکائنات الأخری سواء النباتیة أو الحیوانیة وأو الجمادیة أو الأفلاک المتحرکة، فإن لهذه الوجودات لغات خارجة عن تصوراتنا وعن حدود معرفتنا، ولیس لنا القابلیة فی معرفة هویة هذا التسبیح الخاص بها، إلا من وفقه الله تعالی فی مجاهدة نفسه ووصل إلی مرحلة الکشف والشهود لکثیر من الحقائق الکونیة.. وهذا ما نجده متحقق فی کثیر من الأنبیاء علیهم السلام کما فی قصة سلیمان علیه السلام الذی أعطاه الله تبارک وتعالی معرفة لغة الحیوانات (وعلمنا منطق الطیر) ویقول الله تعالی فی ذلک: (قالت نملة یا أیها النمل ادخلوا مساکنکم لا یحطمنکم سلیمان وجنوده وهم لا یشعرون فتبسم ضاحکاً من قولها) [۳۷۶] . [صفحه ۲۸۷] فسلیمان یعرف لغة الغیر من الحیوانات کالنمل والطیر وإلا لو کان لا یعرف لغة النمل لما تبسم ضاحکاً من قولها، وعلی هذا الأساس فإن لکل شیء فی هذا الکون لغة ومنطق ولکننا لا نفقه لغته ولا نعرف منطقه ولا ندرک ذلک إلا لمن أعطاه الله تبارک وتعالی نور البصیرة فی کل شیء (ومن لم یجعل الله له نور فما له من نور). إذن فکل شیء له لغة وله منطق غیر أننا لاـ نفقه تلک اللغات اللهم إلا أن یکون الإنسان نبیاً أو وصی نبی أو أحد الأئمة الهداة الذین علمهم الله منطق کل شیء وکما ورد ذلک فی کتاب مدینة المعاجز الذی یعطیک عشرات الشواهد علی ذلک.. أما نحن فلاحظّ لنا من ذلک علی الإطلاق، وفی حدیث أن الحصی کانت تسبح فی کف النبی والصحیح هو أن النبی کا یسمع صوت الحصی حینما تسبح الله وتقدسه... وإلا فالحصی هی مسبحة لله تعالی فی ید النبی صلی الله علیه وآله وسلم وفی ید غیره من البشر غایة ما فی الأمر أن الأنبیاء لهم القدرة علی سماع هذا التسبیح بشکل واضح وملموس. وبعد أن وقفنا بعض الشیء مع معالم التسبیح فی القرآن الکریم نأتی الآن إلی نورانیة تسبیح فاطمة علیها السلام الذی یعتبر من الشعائر الدینیة لدی الشیعة والسنّة والذی یعتزون به کأفضل الأعمال عقیب الصلاة المفروضة. ولقد جاء الحث علیه من قبل الأئمة علیهم السلام فی کثیر من الأحادیث التی وصلت إلینا عبر الرواة والمحدثین ومنها ما جاء عن لسان أبی جعفر علیه السلام قال: «ما عبدالله بشیء من التمجید أفضل من تسبیح فاطمة علیها السلام، ولو کان شیء أفضل منه لنحله رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فاطمة علیها السلام» [۳۷۷] . وعنه علیه السلام قال: «من سبّح تسبیح الزهراء علیها السلام ثم استغفر غفر له وهی مائة باللسان، وألف فی المیزان، وتطرد الشیطان، وترضی الرحمان» [۳۷۸] . وجاء عن هارون المکفوف، عن أبی عبدالله علیه السلام قال: «یا أبا هارون! إنا نأمر صبیاننا بتسبیح فاطمة علیها السلام کما نأمرهم بالصلاة فالزمه، فإنه لم یلزمه عبد فشقی» [۳۷۹] . [صفحه ۲۸۸] وأیضاً عن الصادق علیه السلام قال: «من سبح تسبیح فاطمة علیها السلام قبل أن یثنی رجله بعد انصرافه من صلاة الغداة غفر له ویبدأ بالتکبیر» ثم قال أبو عبدالله علیه السلام لحمزة بن حمران: «حسبک بها یا حمزة» [۳۸۰] .

تشریع التسبیح

من منّا لا یعرف کفاح فاطمة علیها السلام وکیف کانت حیاتها تجری فی بیت زوجها علی أمیر المؤمنین ـ علیه أفضل الصلاة وأزکی السلام ـ فالتاریخ یحدثنا أنها کانت قلیلة الهجوع فی للیل، وکانت تستغفر الله فی الأسحار، فتقف فی محرابها للصلاة حتی تورمت قدماها من کثرة العبادة والدعاء... وکانت تذوب رقة وخشوعاً فی صلاتها وعند دعائها، ولدی قراءتها القرآن الکریم... فإذا مرت بآیة فیها وعد أو وعید رددتها فی بکاء وحزن ودموع... هذا کان بعض شأنها فی اللیل... أما فی النهار، فقد کانت فاطمة تطحن بالرحی

حتى أثّرت الرحى بيدها، واستقت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها، وكنست البيت حتى اغبرّت ثيابها، وأو قدت تحت القدر حتى طبع الدخان أثره على ملابسها وترك لونه على ثيابها وقت العمل بالطبع [۳۸۱] وبلغ بها الحال أن دخل عليها النبى صلى الله عليه وآله وسلم ذات صباح، وهى تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الإبل، وطفلها يبكى إلى جانبها، فبكى النبى، وقال «تجرعى يا فاطمة مرارة الدنيا لحلاوة الآخرة» [۳۸۲] . وذات مرة، وقفت فاطمة الزهراء عليها السلام بين يدى أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنظر اليها، وقد بدت آثار التعب على وجهها، من شدة الجوع والكفاح، فوضع يده الكريمة على صدرها، ورمق السماء بطرفه، وراح يدعو لها، والدموع تترقرق فى عينيه، وهو يقول: «يا فاطمة تجرعى مرارة الدنيا، لحلاوة الآخرة». وقد تكرر هذا الموقف من رسول الله [صفحه ۲۸۹] لفاطمة، وفى كل مرة يكرر عليها هذه العبارة: يا فاطمة تجرعى مرارة الدنيا لحلاوة الآخرة... وفى ذلك درس عظيم لكل فتاة تبحث عن النجاح فى الحياة.. فيه درس عظيم لكل امرأة تفتش عن السمو.. تفتش عن التكامل فى الإسلام. يقول جابر بن عبدالله الأنصارى رحمه الله: رأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ابنته فاطمة، وعليها كساء من أجلة الإبل، وهى تطحن بيدها، وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: يا بنتاه تجرعى مرارة الدنيا لحلاوة الآخرة، فقالت: الحمد لله على نعمائه، والشكر لله على آلائه [۳۸۳] . إن فاطمة الزهراء من خلال سيرتها الذاتية هذه تعطى الفتاة المسلمة أعظم درس فى الحياة، يؤدى بها إلى سلوك الصراط المستقيم لتعيش فى ظلال رحمة الله سبحانه. أجل.. إن فاطمة تعلم المرأة كيف تصبح فتاةً مسؤولية...، تتحمل مسؤولية الأسرة، والمجتمع فى ثقة وشجاعة. ونعلم من سيرة الزهراء أنها لما أرهق بدنها الكدح والنضال، وأتعبها الطحن بالرحى، جاءت أباها تمشى على استحياء، تطلب منه خادمةً تساعدها على تخفيف أعباء المنزل، وثقل الحياة العائلية التى كانت تكابدها ليلاً نهاراً، علّها تخفّف عنها بعض همومها. وقفت بين يدى أبيها رسول الله، مطرقةً برأسها حياءً بعد أن سلمت عليه، فرد عليها السلام، وكان من عادته أنه إذا أقبلت عليه فاطمة، كان يقوم إجلالاً لها ويقبل يدها ثم يجلسها فى مجلسه، فجلست وهى مطرقة برأسها إلى الأرض، وما كادت تجلس فى مكانها، حتى سألها الرسول الأعظم قائلاً: ما جاء بك... وما حاجتك أى بنية؟ فغلبها الحياء ولم تتمكن من سؤال النبى، فقالت: جئت لأسلم عليك.. وبعد لحظات قامت فودعها النبى، ورجعت إلى دارها دون أن تحقق هدفها الرامى إلى طلب فتاة لخدمة المنزل. وبعد هذا اللقاء بأيام وجدت فاطمة نفسها لا تستطيع مواصلة العمل دون وجود فتاة إلى جانبها فى البيت، فقررت أن تشكو حالها إلى أبيها الحبيب المصطفى لعله هذه [صفحه ۲۹۰] المرة يلبى نداءها، ويستجيب لدعوتها، خصوصاً وقد انتصر المسلمون فى معارك الجهاد، فاحرزوا غنائم كثيرة وأموالاً عظيمة.. فقامت فاطمة الزهراء عليها السلام من ساعتها، وأتت أباها النبى صلى الله عليه وآله وسلم وطلبت منه خادمة، فقال لها: يا فاطمة أعطيك ما هو خير لك من خادم وم الدنيا وما فيها. قالت: وما ذلك يا رسول الله؟ قال: «تكبّرين الله بعد كل صلاة أربعاً وثلاثين تكبيرة، وتحمدين الله ثلاثاً وثلاثين تحميدة، وتسبحين الله ثلاثاً وثلاثين تسبيحة، ثم تخنمين ذلك بلا إله إلاّ الله، وذلك خير لك من الذى أردت ومن الدنيا وما فيها» [۳۸۴] . وإليك قضيته كما نقله كتاب من لا ـ يحضره الفقيه: روى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال لرجل من بنى سعدٍ: ألا أحدّثك عنّى وعن فاطمة الزهراء (سلام الله عليها)؟ إنّها كانت عندى فاستقت بالقربة حتّى أثّر فى صدرها، وطحنت بالرحى حتّى مجلت يداها [۳۸۵] ، وكسحت البيت حتى اغبرّت ثيابها، وأو قدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها [۳۸۶] فأصابها من ذلك ضرّ شديد، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألته خادماً يكفيك حرّ ما أنت فيه من هذا العمل. فأتت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فوجدت عنده حداثاً، فاستحيت فانصرفت، فعلم صلى الله عليه وآله وسلم أنها قد جاءت لحاجة، فغدا علينا ونحن فى لحافنا، فقال: السلام عليكم، فسكتنا واستحيينا لمكاننا، ثم قال: السلام عليكم، فسكتنا، ثمّ قال: السلام عليكم، فخشينا إن لم نردّ عليه أن ينصرف ـ وقد كان يفعل ذلك فيسلّم ثلاثاً، فإن اذن له وإلا انصرف ـ فقلنا: وعليك السلام يا رسول الله ادخل، فدخل وجلس عند رؤوسنا، ثمّ قال: يا فاطمة ما كانت حاجتك أمس عند محمّد؟ فخشيت إن لم نجبه أن يقوم، فأخرجت رأسى فقلت: أنا والله اخبرك يا رسول الله، إنّها استقت بالقربة حتى أثّر فى صدرها، وجرّت [صفحه ۲۹۱] بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرّت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فقلت لها: لو

أتيت أباك فسألته خادماً يكفيك حرّما أنت فيه من هذا العمل. قال: أفلا اعلّمكما ما هو خير لكما من الخادم؟ إذا أخذتما منامكما فكبرا أربعاً وثلاثين تكبيرة، وسبّحا ثلاثاً وثلاثين تسبيحة، واحمدا ثلاثاً وثلاثين تحميدةً. فأخرجت فاطمة رأسها وقالت: رضيت عن الله وعن رسوله، رضيت عن الله وعن رسوله [۳۸۷] . وعادت فاطمة إلى دارها تحمل معها أعظم هدية ربّانية، وأكبر عطاء تربوى فكرى. تلكم كانت قصة حديث تسبيح فاطمة الذى أطلقوا عليه اسم تسبيح الزهراء، وشاع صيته فى الآفاق وأصبح المسلمون يرددونه فى أعماق كل صلاة فى خشوع ودموع. ولكن هل انتهت قصة هذا التسبيح العظيم ـ تسبيح الزهراء ـ؟ كلا.. بالطبع إن تسبيح الزهراء ـ سلام الله عليها يعتبر شعيرة عظيمة، من شعائر الله التى هى من تقوى القلوب. ونحن نعرف أن فاطمة لها أسلوب خاص، وسيرة ذاتية تتعامل بها مع شعائر الله.. إن مفهوم الشعائر عند فاطمة يختلف عن مفهوم الآخرين للشعائر.. ولكى تأتى الصورة ـ صورة البحث ـ أكثر وضوحاً، فإنه لا بد من الدخول فى الموضوع من أبوابه العريضة، ولكن باختصار شديد مع الوضوح الكاملى فى الفكرة والتعبير. إن الصفة الملازمة لفاطمة الزهراء ـ هى أنها تستطيع أن تصور الإسلام فى كل خطوة تخطوها، وفى كل شيء تلمسه بيدها الطاهرة وهى ـ أى هذه الصفة ـ وإن كانت موجودة فى كل أهل البيت ـ عليهم السلام ـ إلا أنها تتألق فى شخص الصديقة فاطمة الزهراء، بشكل يشد القلوب، ويبهر الألباب. إن فاطمة تصوّر الإسلام بكل أبعاده حيث تجلس إلى الرحى تطحن فيها القمح والشعير ـ لتسد أود أبنائها وبعلها ومن يلوذ بها فى ظل أهل البيت. وإن فاطمة تصور [صفحه ۲۹۲] الإسلام بكل أبعاده، حين تخرج مع أبيها رسول الله فى ساحات القتال والجهاد، تضمّد جراحه وجراح بعلها الوصى، وتمسح عنهما الآلام والأحزان، كانت تصور الإسلام، عندما تستقبل بطل الإسلام علياً أمير المؤمنين، وهو عائد من الحرب، فيدفع السيف لها قائلًا: أفاطم هاك السيف غير ذميم فلست برعديدٍ ولا بملميم أجل.. إنها تصور الإسلام عندما ما تخلع ثوبها ليلة الزفاف وتدفعه لفتاة فقيرة تبدو عليها رقة الحال، ويسألها أبوها عن ثوبها الجديد، فتجيبه بقولها: أبتاه يا رسول الله لقد طرقت علىّ الباب فتاة فقيرة تطلب ثوباً فأخذت ثوبى القديم القديم لأدفعه لها.. ولكننى تذكرت قوله تعالى: (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) [۳۸۸] . وأنا أحب الثوب الجديد فآثرتها به على نفسى فخلعت ثوبى الجديد وأعطيته لها! أية عظمة هذه، وأية نفس كبيرة تطالعنا بها حياة فاطمة، وسيرتها العذبة التى تتضوع عطر الجنة؟! إن فاطمة تخطوها.. وبكل كلمة تقولها.. إن ذلك يظهر بوضوح فى خطبتها المشهورة المليئة بالفكر، والعطاء، والمبادرة، ان شعائر الإسلام تتحول إلى سلوك عندها فإذا أنت أمام شعائر تفور بالحركة، والعطاء، وتتفجر بالصور الساخنة، والمعانى الحية وتتحول فى النهاية إلى واقع معيوش أساسه الإيمان وركائزه الفضائل وهيا كله التسامح والرحمة. ليس عند فاطمة شعائر جامدة، ولا عبادة راكدة، ولا طقوس فارغة من المحتوى، بل الشعيرة الدينية عند فاطمة متدفقة بالعطاء، مليئة بالمبادرة والانطلاق الصائب نحو الهدف والغاية إن الشعيرة الدينية ـ أية شعيرة ـ من دون فاطمة، تغدو شعيرة جامدة باهتة، تجرى فى رتابة مملّة، فإذا لمستها فاطمة الزهراء، لمسة واحدة، اهتزت، وربت وأعطت ثمارها، ان لمسة واحدة من فاطمة للشعائر، تكفى لتحويله إلى سلوك عملى يمشى فى الناس مشية لنور.. وذلك أن فاطمة لا تتامل مع الشعارات الفارغة، ولا تتعاطى مع الأوهام.. وإنما هى تؤمن بالحق ولا تتعامل إلّا مع الحق والحقيقة. إن فاطمة الزهراء ـ سلام الله عليها ـ لتضرب آباط الإبل بحثاً عن الحق ورواده.. علماً بأن الحق لا يتمثل إلّا بها ولكن مع هذه كله، ففاطمة البتول، تفتش أبداً عن أهل الحق، ولا تمشى إلا فى طريق الحق، كوان قلّ سالكوه، إنها لا تستوحش من طريق الحق لقلة سالكيه.. فإذا كان هناك واحد يمشى معها فى هذا الطريق، فإن ذلك يدخل السرور فى قلبها، ويجعلها تأنس برفيق الإيمان ولهذا كانت إذا نظرت إلى وجه الإمام على، تدفقت السعادة فى وجهها وإذا نظر على اليها أشرق وجهه بالبشرى، حتى كان يقول: إذا رأيت فاطمة انجلت عنى الهموم والأحزان، فهى حين علمها أبوها النبى، التسبيح المعروف بتسبيح الزهراء، أخذته بقوة لتحوله ـ رأساً ـ إلى منهج عملى، وسلوك يتحرك بنوره فى الناس.. فهى بدل أن تذهب إلى بيتها نراها ذهبت إلى قبر الحمزة بن عبد المطلب لتصنع من تراب القبر حبات لمسبحتها التى ستدير تسبيح الزهراء فيها! [۳۸۹] . ومن هذا القصة والقضية التى حصلت للصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام شرّع هذا التسبيح المنسوب إليها.

كيفية التسبيح

قد وقع الخلاف بين العلامة والخاصة في كيفية تسبيحها عليها السلام، ومنشأ هذا الإختلاف ناشئ من الأخبار المختلفة في الباب من كلا الفريقين على أن كلاهما يقول عند البدء به بالتكبير ووقوع الإختلاف إنما كان في تقديم التحميد على التسبيح أو العكس، واختلف أصحابنا والمخالفون في ذلك، مع اتفاقهم جميعاً على استحبابه. وإليك الأقوال المختلفة في الأخبار عند العامة ثم نقدم بعد ذلك أخبار وأقوال الخاصة من الشيعة الإمامية لكي يتضح لنا بعد ما هو الصحيح. عن مسند فاطمة للسيوطي: عن ابن شهاب [۳۹۰] . سمعت أبا هريرة يقول: سمعت [صفحه ۲۹۴] النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: كلّ أمّتي معافى إلا الجاهرين، فان من الإجهار أن يعمل العبد بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره ربّه فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربّه فيبيت يستره ويكشف ستر الله عنه... وكان يأمر عند الرقاد، وخلف الصلاة بأربع وثلاثين تكبيرة، وثلاث وثلاثين تسبيحة وثلاث وثلاثين تحميدة، فتلك مائة و.. ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ذلك لابنته فاطمة عليها السلام [۳۹۱] . وعن الذريّة الطاهرة المطهرة: (بإسناده) عن أبي هريرة، عن فاطمة ابنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إنها انطلقت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم تسأله خادماً، قال صلى الله عليه وآله وسلم: ألا أدلك على ما هو خير لك من ذلك؟ إذا أويت إلى فراشك فسبحي ثلاثاً وثلاثين، واحمدي ثلاثاً وثلاثين، وكبرى أربعاً وثلاثين، فهو خير لك من ذلك، أرضيت يا بنيّة! قالت: قدر رضيت [۳۹۲] . وعن شرح السنّة: (بإسناده) عن أبي هريرة قال: جاءت فاطمة عليها السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم تسأله خادماً، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ألا أدلّك ما هو خير من خادم؟ تسبّحين الله ثلاثاً وثلاثين، وتحمدين الله ثلاثاً وثلاثين، وتكبرين الله أربعاً وثلاثين عند كلّ صلاة، وعند منامك. (هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم بن اميّة بسطام، ولم يذكر الصلاة) [۳۹۳] . وعن مسند أحمد بن حنبل: (بإسناده) عن شهر، قال: سمعت أمّ سلمة تحدّث، زعمت أنّ فاطمة عليها السلام جاءت إلى نبيّ الله صلى الله عليه وآله وسلم تشتكي إليه الخدمة: فقالت: يا رسول الله! لقد مجلت يدي من الوحي، أطحن مرّة، وأعجن مرّة؛ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن يرزقك الله شيئاً يأتك، وسأدلّك على خير من ذلك. إذا الزمت مضجعك فسبحي الله ثلاثاً وثلاثين، وكبري ثلاثاً وثلاثين، واحمدي [صفحه ۲۹۵] أربعاً وثلاثين، فذلك مائة، فهو خير لك من الخادم... [۳۹۴] . أقول: يظهر من هذه الأخبار التي روتها العامة ان الإختلاف وقع بينهم في قضية تقديم التكبير على التسبيح وبالعكس فالخبر الأول يقدم التكبير والخبر الثاني يقدم التسبيح ومنه يظهر التعارض بين أخبارهم على أنه هناك الكثير من الأخبار التي تنقل لنا هذا الإختلاف فيما بينهم ولا يسعنا المقام لنقل أخبارهم كله فنكتفي بهذه. وأما ما ورد عن الخاصة: فعن جامع الأحاديث: عن القاسم مولى معاوية: أنّه سمع عليّ بن أبي طالب عليه السلام فذكر أنّه أمر فاطمة عليها السلام تستخدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقالت: يا رسول الله، انّه قد شقّ عليّ الرحى ـ وأرته أثراً في يديها من أثر الرحى ـ فسألته أن يخدمها خادماً، فقال: أولا ـ اعلمّك خيراً من ذلك ـ أو قال: خيراً من الدنيا وما فيها؟ ـ إذا أويت إلى فاشك: فكبّري أربعاً وثلاثين تكبيرة، وثلاثاً وثلاثين تحميدة، وثلاثاً وثلاثين تسبيحة، فذلك خير لك من الدنيا وما فيها [۳۹۵] . وع مشكاة الأنوار: قال: دخل رجل على أبي عبدالله عليه السلام وكلّمة فلم يسمع كلام أبي عبدالله عليه السلام وشكى إليه ثقلاً في أذنيه، فقال له: ما ينعك؟ وأين أنت من تسبيح فاطمة عليها السلام؟ قال: جعلت فداك، وما تسبيح فاطمة عليها السلام؟ فقال: تكبّر الله أربعاً وثلاثين، وتحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وتسبّح الله ثلاثاً وثلاثين تمام المائة. قال: فما فعلت ذلك إلا يسيراً، حتّى أذهب عنّي ما كنت أجده [۳۹۶] . وعن المحاسن: عن يحيى بن محمد؛ وعمرو بن عثمان، عن محمد بن عذافر، قال: دخلت مع أبي على أبي عبدالله عليه السلام فسأله أبي عن تسبيح فاطمة عليها السلام؟ فقال: الله أكبر حتّى أحصاها أربعة وثلاثين، ثم قال: الحمد الله حتى بلغ سبعاً [صفحه ۲۹۶] وستّين، ثم قال: سبحان الله حتى بلغ مائة، يحصيها بيده جملة واحدة. أقول: هذه الأخبار ظاهرة في تقديم التكبير أولاً ثم يعقبها بالتحميد وبعد ذلك التسبيح.. أما الطائفة من الأخبار التي رواها أصحابنا فهي ظاهرة في أن التسبيح مقدم على التحميد وإليك بعضها: عن فقه الرضا عليه

السلام قال: إذا فرغت من صلاتک فارفع یدیک ـ وأنت جالس ـ فکبر ثلاثاً وقل: لا إله إلا الله وحده وحده [لا شریک له]، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، وأعزّ جنده وحده، فله الملک وله الحمد، یحیی ویمیت، ویمیت ویحیی، بیده الخیر وهو علی کلّ شیء قدیر. وتسبّح بتسبیح فاطمة علیها السلام: وهو أربع وثلاثون تکبیرة، وثلاث وثلاثون تسبیحة وثلاث وثلاثون تحمیدة؛ ثمّ قل: اللهم أنت السلام، ومنک السلام، ولک السلام، وإلیک یعود السلام، سبحان ربّک ربّ العزّة عما یصفون، وسلام علی المرسلین والحمد لله ربّ العالمین. وتقول: السلام علیک أیّها النّبی ورحمة الله وبرکاته، السلام علی الأئمة الراشدین المهدیّین من آل طه ویس... [۳۹۷] . وعن الإحتجاج: وسأل عن تسبیح فاطمة علیها السلام، من سهی فجاز التکبیر أکثر من أربع وثلاثین، هل یرجع إلی أربع وثلاثین أو یستأنف؟ وإذا سبّح تما سبعة وستین هل یرجع إلی ستّة وستّین أو یستأنف، وماالذی یجب فی ذلک؟ فأجاب علیه السلام: إذا سهی فی التکبیر حتّی تجاوز أربعاً وثلاثین، عاد إلی ثلاث وثلاثین، ویبنی علیها، واذا سهی فی التسبیح فتجاوز سبعاً وستّین تسبیحة عاد إلی ستّ وستّین، وبنی علیها، فإذا جاوز التحمید فلا شیء علیه [۳۹۸] . وعن التهذیب: علیّ بن حاتم، عن محمد بن جعفر بن أحمد بن بطّة القمّی، عن محمّد بن الحسین بن أبی الخطّاب، عن محمد بن سنان، وأبو محمد هارون بن موسی، قال: حدّثنا محمد بن علی بن معمّر، عن محمد بن الحسین بن أبی الخطاب، عن محمد [صفحه ۲۹۷] بن سنان عن المفضّل بن عمر، عن أبی عبد علیه السلام ـ فی حدیث نافلة شهر رمضان ـ قال: سبّح تسبیح فاطمة علیها السلام، وهو «الله أکبر» أربعاً وثلاثین مرّة، و «سبحان الله» ثلاثاً وثلاثین مرّة، و«الحمد لله» ثلاثاً وثلاثین مرّة؛ ـ فوالله ـ لو کان شیء أفضل منه لعلّمه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم إیاها [۳۹۹] . اقول: یظهر من هذه الأخبار اختلافها عن المتقدمة من جهة الحیثیة التی استظهرناها، ومن هنا کان لابد لنا من معالجة الأخبار لکی نخرج هذا الاختلاف عن ظاهرة وتوجیهه التوجیه الصحیح بحیث لا یبقی أی اختلاف وتعارض قال فی المختلف: المشهور تقدیم التکبیر، ثم التحمید، ثم التسبیح ذکره الشیخ فی النهایة والمبسوط والمفید فی المقنعة وسلار وابن الصلاح وابن ادریس. وقال علی بن بابویه، یسبح تسبیح الزهراء، وهو أربع وثلاثون تکبیرة، وثلاث وثلاثون تسبیحة، وثلاث وثلاثون تحمیدة، وهو یشعر بتقدیم التسبیح علی التحمید وکذا قال ابنه أبو جعفر وابن جنید، والشیخ فی الاقتصاد واحتجوا بروایة فاطمة علیها السلام. والجواب: انه لیس فیها تصریح بتقدیم التسبیح، اقصی ما فی الباب ان قدمه فی الذکر، وذلک لا یدل علی الترتیب، والعطف بالواو لا یدل علیه، انتهی. وقال الشیخ البهائی رحمة الله فی مفتاح الفلاح: أعلم ان المشهور استحباب تسبیح الزهراء علیها السلام فی وقتین: أحدهما بعد الصلاة، والآخر عند النوم، وظاهر الروایة الواردة فی تسبیح الزهراء علیها السلام علی الاطلاق یقتضی تاخیره عنه. والمشهور الذی علیه العلماء فی التعقیبات: تقدیم التحمید علی التسبیح، وظاهر الروایات المعتبرة الصحیحة ذلک وهی شاملة بأطلاقها لما یفعل بعد الصلاة وما یفعل عند النوم، وما احتج به بعضهم فی کون تقدیم التسبیح علی التحمید انما یکون عند النوم مردود بکون الروایة التی استدلوها بها غیر صریحة فی تقدیم التسبیح علی التحمید فان الواو لا ـ تفید الترتیب وانما هی لمطلق الجمع علی الاصح کما مبین فی محله من الاصول، إلاّ ـ اللهم ان یقال ان ظاهر اللفظ یقتضی ذلک. [صفحه ۲۹۸] علی انه لم یوجد قائلا بالفرق بین التسبیح عند النوم وبعد الصلاة بل یظهر من خلال تتبع اقوال الفریقین القائلین بتقدیم التحمید بتقدیم التحمید علی التسبیح مطلقا سواء وقع بعد الصلاة کتعقیب او قبل النوم وهذا هو الصحیح، واما من ذهب بالتفصیل فقوله احداث لقول اخر فی مقابل الاجماع الذی علیه الشیعة وهو مخاف کما تری.

التسبیح من شعائر الدین

من کتاب اعلموا انی فاطمة: ۲: ۶۴۲. فالتسبیح شعار، او قل: شعیرة من شعائر الدین ومحتواه الفداء والتضحیة والفداء لا یکون إلاّ اذا سبقته تربیة، وهو بعد ذلک کل یحتاج إلی رمز یدل علیه، وهنا نستطیع بقلیل من الترکیز والانتباه ان نلمس هذین الشرطین فی تسبیح الزهراء... الشرط الأوّل، هو الشرط التربوی.. ونلمسه فی ترکیبة هذا التسبیح الذی علمه النبی ـ صلی الله علی وآله وسلم ـ لا بنته فاطمة

الزهراء والتسبيح يتكون من أربع وثلاثين مرة الله اكبر... وثلاث وثلاثين مرة الحمد لله، وثلاث وثلاثين مرة سبحان الله... وفى نظرة واعية نلقيها على هذا الترتيب المتقدم نجد ان التسبيح يبدأ باسم الله وينتهى باسم الله، فهو لم يبدأ بالحمد الله، ولابدأ بسبحان الله، وانما بدأ بالله اكبر. وختم بسبحان الله حتى تكون اول كلمة فى التسبيح هى كلمة الله، واخر كلمة فى التسبيح هى كلمة الله. (الله اكبر.. سبحان الله.. الحمد لله). انظروا إلى الكلمتين اللتين احاطتا بالتسبيح كما يحيط الهلال بحفة النجوم فى صدره، هذا هو الشرط الأوّل، الشرط التربوى.. حيث ظهرت فيه الاشارة واضحة إلى المبدأ والمعاد.. فنحن من الله وسنرجع إليه... انا لله، وانا إليه راجعون، وهذا معناه ان القراءة والدعاء، والتسبيح وكل حركة فى الحياة يجب ان تكون باسم الله... كما كانت اول كلمة فى القرآن: (اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم) [۴۰۰] . [صفحه ۲۹۹] فجعل القراءة منصبة فى قالب أدبى تربوى.. (اقرأ باسم ربك) أى ان القراءة يجب ان تنصب فى اطار تربوى أدبى، لأنّ التربية مشتقة من الرب، او كلمة الرب مشتقة من التربية وهو الاصح فى اللغة. هذا هو الشرط الأوّل، اما الشرط الثانى والذى يعنى ان هناك رمزاً نتخذ منه قدوة، واسوة حسنة فى تطبيق مضمون التسبيح، فهو الفداء، والتضحية... وهنا تجد فاطمة الزهراء عليها السلام حين اخذت درس هذا التسبيح من أبيها الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم اقول: حين اخذته من أبيها، هذا الدرس انطلقت به إلى قبر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب عليه السلام وحين وصلت إلى القبر، جلست تصنع جبات لمسبحتها من تراب قبر الشهيد، اجل.. فاطمة تصنع مسبحة من تراب قبر الحمزة من اجل ان تعبق حبات هذه المسبحة برائحة الشهادة، وتتضوع بعطر الشهيد الذى أقدم الفداء والتضحية، من اجل الحق، من أجل ان يحيا الإنسان فى أمن وطمأنينة، من اجل ان يعبد الناس رب العالمين فى حرية ودون اكراه.. من اجل اعطاء الناس حرية وحقا وعدالة اجتماعية.. من اجل ان يندحر الظالمون، وينهزم المستكبرون ويذل الطغاة فى الأرض. وفاطمة الزهراء، هنا تعطى الصلاة بعدا جهاديا تربويا، انها تعطى العبادات ابعادا توعوية تزيد فى رشد الأمة، وتنقص من غبائها وبلادتها، نعم انها مسبحة للصلاة، ولكنها ليست مسبحة جامدة فيها حبات من الطين... كلا.. انما هى مسبحة مصنوعة من تراب ممزوج بدم الشهادة ونور الولاية.. وهذا هو الذى يجعل للصلاة معنى وقيمة ووزنا. ومن هنا جاءت فكرة السجود على تربة الحسين عليه السلام فى الصلاة وذلك حتى نتذكر دائما ان الصلاة لا تقوم فى الأرض إلّا بدماء الشهداء حيث: لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم من كل ذلك نخرج بحصيلة نافعة مفادها: ان الشعائر الفارغة لا تؤدى دورا نافعا فى الحياة... بخلاف الشعائر المليئة بالمضمون، والمحتوى فانها تبنى الحياة وتسعد القلوب، وتربى النفوس، وهى بعد ذلك قائمة على التقوى، وملاكها طهارة القلوب وصفاء النفوس. ولهذا نجد الزهراء، حولت الشعائر الاسلامية إلى سلوك يتحرك فى اعماق الإنسان، وبين يديه ومن خلفه.. ان فاطمة حركت الشعائر فى القلوب واعطتها قوة [صفحه ۳۰۰] دفع كبيرة يوم استطاعت ان تحرك العواطف، وكثيراً من المشاعر، وتغذى العقول بفصاحتها وبلاغتها وقوة بيانها. فهى لم تحرك مشاعر الذين عاصروها، بل وأيضاً استطاعت ان تؤثر فى كل الاجيال، وفى الشعوب كافة بحيث اصبح اسمها رمزا للفداء والتضحية والبطولة والعظمة. نعم، عندما يكون للشعار مضمون، فهذه كانت نظرة الزهراء الثاقبة فى التسبيح.

الشعار وحامله

شعارات كثيرة ارتفعت فى الدنيا، وزعماء لمعت اسماؤهم فترة من الزمن، ولكنهم انطفأوا وانطفأت أسماؤهم، عندما داست الجماهير شعاراتهم تحت الارجل. فى حين نجد شعارات انطلقت على أفواه زعماء آخرين مخلصين فعاش الزعماء والقادة فى القلوب، وظلت الشعارات متوجهة متدفقة لا ينقطع عطاؤها أبداً.. ولم تستطع قوى الظلام والضلال مجتمعة ان تطفىء شعيرة واحدة من تلكم الشعائر.. لانها انطلقت من الصدق والحق والحرية فعاشت فى القلوب. ومن هنا نستطيع ان ندرك ـ على الفور ـ السبب المباشر فى بقاء شعائر، واندثار اخرى.. وفى انطفاء زعيم وعيش زعيم اخر. ان السبب الرئيسى فى كل ذلك هو الصدق.. والصدق وحده هو الذى يستبقى الشعار ويجعله خالداً.. لأنّ معنى ذلك ان ليس هناك تنافر ولا تنازع بين الشعار وبين المبدأ الذى يحمله هذا القائد او ذلك. ان اول

ما يؤدى سقوط الشعار هو ان يكون الشعار مخالفاً لسلوك الزعيم الذى يرفعه.. اما اذا التقيا: الشعار والمبدأ فان النتيجة واضحة وستكون حسنة وجيدة، وهى الخلود الكامل للشعار وحامله، ومن هنا فاننا نجد شعارات الاسلام وجيدة، وهى الخلود الكامل للشعار وحامله، ومن هنا فاننا نجد شعارات الاسلام خالدة وباقية لانها تنطلق من فطرة الإنسان تتغذى بالتقوى، والإيمان بالله. يقول الحق: (ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) [۴۰۱] . أى ان القلوب المليئة بالتقوى هى وحدها التى تغذى هذه الشعائر وتحفظها من [صفحه ۳۰۱] الضياع، ومن هذا المنطلق نجد الشعائر حين تلمسها فاطمة الزهراء ـ عليها السلام ـ تحولها إلى حياة ونور، وواقع.. وآلية تحفظ الحقوق وترعى الزمام، فمثلا ـ التسبيح من شعائر الله، لانه يعيد الإنسان إلى واقعه، وحقيقته التى خلق من اجلها، وهى العبادة المطلقة لله وحده والتوجه إلى الخالق القادر الذى لا اله غيره.. وهو ـ أى ـ التسبيح بعد كل ذلك رحلة ينسجم المرء فيها مع كل ما يجرى فى هذا الكون، لانه مامن شىء فى الأرض ولا فى السماء إلاّ وهو يسبح الله ويقدسه، تقول الارقام العلية التى نأخذها من القرآن الكريم: ان كل شىء فى هذا الكون ساجد يسبح لله ويقدسه، اخذا من الذرة والخلية وانتهاء بأكبر سديم فى الفضاء ابتداء من الأميبا، الحيوان ذى الخلية الواحدة، وانتهاء باكبر جرم حيوانى فى الأرض. ابتداء من اصغر عشب نائم فى العراء، وانتهاء باكبر دوحة فى الأرض، هذه كلها تشترك فى تسبيحة واحدة، وسجود واحد وتقديس للحق جل وعلا.. ومن هنا جاءت فكرة التسبيح لترد الإنسان إلى هذه الحقيقة وهى الانسجام الكامل مع ما يجرى فى هذا الكون. هذا هو كل ما يمكن ان يقال فى التسبيح فى مثل هذا الجال.. ولكن تعالوا معى لنرى الصديقة الزهراء كيف حولت هذا الشعار إلى صهريج ملىء بالنور والحركة والعطاء.. انظروا كيف استطاعت الزهراء ان تجعل من هذه الشعيرة الاسلامية، منهجا تربوياً، حضاريا، يسكب الراحة والطمأنينة فى النفس، ويجعل المسلم اقوى من الجبال فى مواجهة الطغاة الظالمين. فالتسبيح بتسبيح الزهراء يبدأ بـ ۳۴ تكبيرة و ۳۳ تحميدة، و۳۳ تسبيحة، وهو تسبيح معروف، ومشهور، وخصوصا عند أهل البيت عليهم السلام حيث كانوا يأمرون اولادهم بحفظه وقراءته، قبل النوم، وكان الإمام الصادق عليه السلام يقول: كنا نعلم اولادنا، او قال: نعلم صبياننا حفظ هذا التسبيح وقرائته بعد الصلاة وفى اول دقائق النوم، وقد تقدم ذكر هذا التسبيح والتعليق، عليه، ونحن اذا اردنا ان ندرك ما تقول فاطمة.. علينا أن نجعل منها قدوة، واسوة حسنة تفتح أبواب الحياة امامنا، وتضىء عالمنا الذى اطبق عليه الظلام، وذلك فى فهمنا لتسبيح الزهراء.. فعندما نسبح بتسبيح فاطمة فى اعقاب الفرائض.. يجب ان نتأثر به، ونتخلق بآدابه ونسعى إلى ان يترك اثره الطيب فى سلوكنا فى الحياة بحيث ان الذى يقرأ هذا التسبيح او يقدم على ان عمل فى حياته [صفحه ۳۰۲] اليومية عليه ان يشعر انه من احب الزهراء او من انصارها الذين يحملون مبادئها، وافكارها واهدافها إلى شعوب الارض وإلى الناس اجعين، ولم لا؟ الم تكن فاطمة رحمة للعالمين، كما كان أبوها النبى رحمة للعالمين؟.. واذا كانت كذلك، فان رسالتها هى رسائل لكل شعوب الأرض، وعلى شيعتها ان يرفعوا صوتها إلى العالم اجمع فانه احب واقرب صوت إلى القلوب.

الزهراء تعلمت التسبيح من النبى

وفى تسبيح الزهراء، نجد ان الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام قد حاولت هذا الشعار إلى سلوك يومى، وذلك عندما علمها أبوها النبى صلى الله عليه وآله وسلم هذا التسبيح، ذهبت إلى قبر الحمزة بن عبد المطلب.. وأخذت تصنع من تراب قبره حبات لمسبحتها لتدير بها هذا التسبيح. ومعنى ذلك انها اعطت الشعار محتوى ومضمونا، ومعنىّ، أى انها جعلته شعارا حيا، وليس مجرد كلمات تتحرك بها الشفاه واللسان، دون ادراك ولا ـ استيعاب. ان التسبيح هو تنزيه الله عن البعث، انه تسبيح يؤكد الحكمة التى اقامهاالله عزوجل عليها الكون والحياة والإنسان.. والشهادة هى قمة هذه الحكمة.. أى ان الشهيد قد بلغ حداً من الحكمة والكمال ليس بعده حد.. وهذه هى الفلسفة،والرشد، الذى تريده الزهراء، انه امتزاج بين التسبيح وبين دماء الشهداء. ان الصلاة من دون دم الشهيد لا تساوى شيئا. او قل؛ لولا الشهداء لما قام لهذا الدين عمود، وحمزة هو سيد الشهداء، طبعا قبل واقعة الط، وقبل مجىء يوم عاشوراء،

فلما جاء يوم عاشوراء، يوم الحسين، اصبح الحسين عليه السلام هو سيد الشهداء، كما انه سيد شباب أهل الجنة، وسيد الاحرار فى العالم، انه احتكاك فكرى، وحضارى بين التسبيح وبين دماء الشهداء، وهذا هو الفارق الذى تنفرد به الحضارة الاسلامية عن غيرها من حضارات خاوية فارغة، ونحن حينما نصلى على تربة الحسين، فاننا نقيم هذا المعنى فى القلوب، وهو: ان الصلاة لا تقوم إلّا بالشهادة، وذلک نخاطب الحسين فى الزيارة؛ اشهد انک قد أقمت الصلاة» أى اشهد انک بشهادتک قد أقمت الصلاة، وحفظتها من [صفحه ۳۰۳] الضياع، وانت قد أقمت الصلاة بأهدافها ومبادئها قبل مصرعک، وقبل يوم شهادتک. على ان السجود هو على التربة الحسينية، وليس للتربة، وهماک فرق بين السجود على الشيء والسجود للشيء، فالسجود للأشياء قطعا حرام. کأن يسجد احد الناس صنعم أى يسجد له لا عليه. فى حين ان السجود على التربة انما هو سجود لله وليس للتربة. فالتربة ليست اکثر من انها تحقق مصداق السجود على الأرض لأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم کان يقول: جعلت لى الأرض مسجداً وطهورا، ونحن نعرف ان المسلمين کانوا يصلون على تراب المسجد فى ايام رسول الله. ثم ان التسبيح جاء فى اطار التربية، فهو يبدأ بالله، وينتهى بالله، وانه ليلخص مسيرة الحضارة الاسلامية، من منطلقها وإلى هدفها.. من الله وإلى الله فهو يبدأ بالله اکبر... وينتهى بسبحان الله، فيکون قد بدأ بالله واختتم بالله، فى حتى ان هذا المعنى لم يکن ليحصل لو کان البدأ بالحمد لله مثلاً. اذن: فالتسبيح ـ تسبيح الزهراء ـ قد جاء فى اطار تربوى لانه يستقى نوره من القرآن الکريم، والقرآ، قد جاء للتربية، واول آية، وسورة نزلت فى القرآن، نجدها نزلت فى اطار تربوى، فأول کلمة فيه هى: (اقرأ باسم ربک الذى خلق). ولم يقل: اقرأ باسم الله مثلاً، وانما قال: اقرأ باسم ربک وکلمة الرب مأخوذة من التربية، بمعنى ان القراءة يجب ان تأتى فى اطار تربوى. ونفس الشيء فى تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام، وروى فى کتاب مزار المفيد عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: ان فاطمة کانت مسبحتها من خيط صوف مفتل معقود عليه عدد التکبيرات، فکانت عليها السلام بيدها تديرها تکبر وتسبح إلى ان مفتل معقود عليه عدد التکبيرات، فکانت عليها السلام بيدها تديرها تکبر وتسبح إلى ان قتل حمزة بن عبد المطلب عليه السلام فاستعملت تربته وعملت التسابيح فاستعملها الناس.. [۴۰۲] وهنا اود ان اتوقف معکم لحظات نتأمل من خلالها هذا الحديث العظيم اذ لا ـ شک ان ذهابها إلى قبر سيد الشهداء الحمزة بن عبد المطلب الذى هدّ مصرعه قلب النبى فقال فى تأبينه: ما وقفت موقفا أغيظ على من هذا الموقف حيث کانت هند زوجة ابى سفيان قد قامت بأبشع جريمة يمکن ان تقوم بها امرأة فى مثل وضع هند آکلة الاکباد، اذ شقت صدر الحمزة واخرجت کبده وارادت ان تمضغها [صفحه ۳۰۴] فحولها الله إلى حجر فى فمها فلفظتها، ثم فلفظتها، ثم جدعت انفه، واذنه، وقطعت اعضاءه وشوهت صورته النورانية بوحشية وحقد يظهران نکسة الشر فى طبعها، والدناءة والخباثة القابعة فى داخلها، والمعروف ان الحمزة بن عبد المطلب، ويوم شهادته فى احد، کان صائما فأفطر فى الجنة مع الشهداء والصديقين والزاکيات الطيبات فيما تغتدى وتروح على روحه الطاهرة، فهو يومذاک کان يمثل قمة الشهادة، وسيد الشهداء، لانه قتل يوم احد، وأحد قبل يوم کربلاء بقرابة خمسين عاما من الزمن، ومعنى ذلک الحمزة کان سيد الشهداء بحق ودون منازع، فماذا يعنى بالنسبة لنا ذهاب فاطمة إلى قبر الحمزة سيد الشهداء احد؟... ان فاطمة عندما تذهب إلى قبر الحمزة، وتصنع مسبحة من التراب الممزوج بدم الشهادة، فانها تعطينا درساً بليغا فى ان اشعار وحده لا يبنى مجتمعا، ويقيم امة، وانما لابد للشعار من محتوى عملى، ومنهج تطبيقى، وبکلمة.. لابد للشعار من ممارسة فعلية وذلک ان الشعار لابد له من هدف يتجه نحوه، ومن دون هدف، يغدو تافها لا يثير دهشة احد، ولا يشد انتباه احد، ولايربط على قلب احد. واقبح ما يکون ان يرفع الإنسان شعارا يخالفة، ويعمل ضده، يقول القرآن الکريم فى هذا المضمار: (أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسکم) [۴۰۳] ولذلک کان ولايزال ملاک الشعائر وتطبيقها.. واصبح تعظيمها يعنى العمل بها.. ولا ـ يطبقها إلاّ ـ من امتحن الله قلبه للتقوى (ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) [۴۰۴] . وللفائدة أقول: إنه لا فرق بين الشعار والشعيرة فى هذا الموضوع بالذات.. فالشعار جمعه شعارات والشعيرة جمعه شعائر، وکلها تصب فى نهر واحد، لأنّ الغاية من ذکرها هنا تحقيق غاية سامية، وهدف شريف ربانى واذا کان الشعار وحده لا يبنى مجتمعا خاصة، اذا کان خاليا من محتوى، فان اهداف الشهادة هى المضمون الجيد للشعار، وهى المحتوى الراقى لشعائر الله والتسبيح معناه التنزية لله من کل عبث

فی الکون [صفحه ۳۰۵] والحیاة والإنسان، واذا کان التسبیح معناه التنزیه ومعناه معرفة الله، فمن ـ یا تری ـ ینزه الله، ویعرف اکثر من الشهداء؟ ان الشهید یشکل قمة حضاریة عالیة فی معرفة الحق سبحانه وتعالی، ولذلک صنعت فاطمة حبات المسبحة من تراب اقدس شهید هوی إلی الأرض بین یدی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ویکفی ان الزهراء حین تصلی وتسبح الله فی صلاتها، تتمثل صورة الشهادة فی انصع اشکالها، واروع معانیها امام عینیها وکفی بذلک فخراً وتربیة وارتفاعا فی سماء الجد، وآفاق السماحة والشجاعة، والفصاحة والمحبة فی قلوب المؤمنین، من هنا جاءت فکرة السجود علی تراب کربلاء، لأنّ تراب کربلاء تضمن جسد الحسین علیه السلام.. ومن هو الحسین؟ الحسین بن رسول الله... الحسین اب فاطمة.. الحسین الذی قال فیه النبی صلی الله علیه وآله وسلم: «حسین منی وأنا من حسین احب الله من احب حسینا» علما بان الرسول قال: «جعلت لی الأرض مسجدا وطهورا». فالسجود علی الأرض وترابها سنة شریفة متبعة فی سیرة النبی الاکرم.. ونحن عندما نسجد علی قطعة من تراب کربلاء ونحتفظ بها فی جیوبنا فان ذلک یرمز إلی شیئین: الأوّل: اننا نطبق سنة شریفة جاریة، وهی السجود علی الأرض وفقا لتعالیم الحبیب المصطفی. والثانی: اننا نتذکر الحسین دائما الذی کان اقرب الناس إلی قلب جده رسول الله، والذی کان یوم عاشوراء یلبس جبة النبی، وعمامته.. والقرآن الکریم یقول: (ما أتاکم الرسول فخذوه، ومانهاکم عنه فانتهوا) [۴۰۵] وقد أتانا النبی بالحسین وأهل بیته، فقال: «حسین منی وانا من حسین احب الله من احب حسینا». فکما ان الزهراء، ترید ان تجعل اهداف الشهداء نصب عینیها حین تصنع سبحة لها من تراب قبر الشهید، کذلک نحن نرید ان نتذکر اهداف الإمام الحسین ـ علیه السلام ـ حین نصلی علی قطعة من تراب ارض کربلاء المقدسة. اذن ففاطمة الزهراء بذهابها إلی قبر الحمزة، اعطت شعیرة للتسبیح هذه دفقا معنویا، وحیاة، وعطاء تربویا، لا حدود له، هذا بالاضافة إلی انها علمتنا کیف نتعامل مع شعائر الله، وکیف نحول الشعار إلی [صفحه ۳۰۶] سلوک عملی نمشی به فی الناس، علی ان تسبیح الزهراء، قد صبه النبی فی اطار تربوی عمیق حین جعله یبدأ وینتهی بالله عزووجل. ان نظرة فاحصة نلقیها علی هیکل التسبح المذکور، ترینا بوضوح، ان التسبیح مؤلف من اربع وثلاثین تکبیرة وثلاث وثلاثین تحمیدة... وثلاث وثلاثین تسبیحة وهذا یعنی انه بدأ بالله اکبر. فأول کلمة فی التسبیح کلمة الله اذ انه لو بدأ مثلا فی التحمید لکانت اول کلمة فیه کلمة الحمد ولیس کلمة الله، وهکذا اراد النبی لهذا التسبیح ان یصب فی قالب تربوی کما هو شأن کل الشعائر الاسلامیة.. فجعله یبدأ بالله اکبر.. وینتهی بسبحان الله انه بدأ بالله وختم بالله.. وهذا هو المراد من الاطار التربوی فی منهج التسبیح.. وهو موافق لسلسلة الفکر الاسلامی فی القرآن الکریم... فنحن نعرف ان اول کلمة نزلت فی القرآن هی: (اقرأ باسم ربک الذی خلق..) والرب کلمة مشتقة من التربیة، بمعنی ان القراءة المطلوبة یجب ان تکون فی اطار التربیة الربانیة.. وإلاّ لکان یقول: اقرأ باسم الله الذی خلق... ولکنه لم یقل باسم الله الذی خلق، فی هذه السورة بالذات، وانما قال: (اقرا باسم ربک الذی خلق..) هذا بالاضافة إلی ان القراءة معناها تغذیة العقل، لأنّ العقل یتغذی بالعلم، ومن دون علم تموت العقول، وحین یقول الحق سبحانه: اقرا باسم ربک.. فان ذلک یعنی غذ عقلک بالتربیة العلمیة، حتی یصلعقلک إلی مرحلة الرشد الفکری، ان لفاطمة الزهراء ـ سلام الله علیها ـ قدرة عجیبة، ومدهشة علی تصویر المعانی الجافة واعطائها صورا حیة، ثم منحها ریشا رقیقا فیه المعانی فی ارفع درجات الفهم، والاستیعاب وان قدرتها کما قلت آنفا ـ علی تصویر قضایا الاسلام تصویرا دقیقا، لمدهشة جدا، فما من کلمة تقولها فاطمة، وما من دمعة تسکبها من عینها، ومامن خطوة تخطوها فاطمة إلاّ صورت الاسلام بکل ابعاده تصویرا حقیقیا وواضحا، یبهر الالباب ویأخذ بمجامع القلوب، وهذه میزة فی أهل البیت لایشارکهم فیها احد من العالمین... بخلاف غیرهم من الناس، او بتعبیر اکثر دقة بخلاف الآخرین.. فالاسلام الذی یعرضه الاخرون یبدو اسلاما مزیفا مرقعا مهلهلا یضرب بعضه بعضا فی حین ان الاسلام یعرضه أهل البیت علیهم السلام یبدوا اسلاما یشد بعضه بعضا، وله نور وعلیه حلاوة وجمال رشیق، له قوة جذب شدیدة،وبکلمة: الحدیث [صفحه ۳۰۷] الذی یأتینا من النبی وأهل بیته، وهم فاطمة وعلی والحسن والحسین، والتسعة المعصومون، من ذریة الحسین علیهم السلام. أقول: الحدیث الذی أتینا من أهل البیت الذی اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهیرا، یأتی حدیثا لهم نور هو من نور القرآن، بل اننا نجد حدیثهم یتعانق مع القرآن عناقا طویلا، فی مودة واخلاص.. فلیس هناک حدیث عن أهل البیت یخالف القرآن

ابداً.. ومن هنا جاء حديث الثقلين الشهير الذى تذكره كل كتب الصحاح والحديث بدءا من صحيح البخارى ومسلم، مرورا بصحيح الترمذى والنسائى وابن ماجه وابى داود، وانتهاء بمسند بن حنبل والصواعق المحرقة لابن حجر العسقلانى... كل هذه الكتب قد اجمعت واتفقت على كلمة واحدة وهى: ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى، ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدى، وقد نبأنى اللطيف الخبير انهما، أى الكتاب والعترة لن يفترتا حتى يردا على الحوض». والآن وبعد هذه الجولة السريعة فى رحاب التسبيح، وبعد هذه السباحة فى شاطىء تسبيح الصديقة فاطمة الزهراء ـ صلوات الله وسلامه عليها ـ فانه يجدر بنا ان نرجع إلى معالم هذا التسبيح الذى اصبح شعاراً يرفعه المناضلون، والمجاهدون فى وجوه الطغاة والجلادين.. بل ان هذا التسبيح ـ أعنى تسبيح الزهراء ـ قد جمع كل مناهج الإنسان المؤمن فى، الحياة فهو يبدأ بالله اكبر.. ثم الحمد لله وينتهى بسبحان الله. وهذه هى مناهج المؤمن ومعالم الإيمان فى الأرض. ان تبدأ بسم الله.. وتعتقد ان الله اكبر من كل شىء فى هذا الوجود، انه اكبر من المال، واكبر من السطان، واكبر من لاهل، والنفس، والحياة، واذا كان اكبر من كل هذه الاشياء، فمعنى ذلك انك تكون على اهبة الإستعداد لأن تضحى بنفسك واهلك، ومالك وكل غال ونفيس فى سبيل كلمة «الله اكبر».. ومن هنا ندرك السر المكنون الذى جعل الصديقة الزهراء تذهب إلى قبر الحمزة سيد الشهداء وتصنع من تراب قبره حبات لمسبحتها، وكأنها بهذا العمل تلقنا درسا لاننساه ابدا، وهو ان كلمة الله اكبر التى جاءت فى أول تسبيح الزهراء، هذه الكلمة لا يحفظها إلّا الشهداء، ولا يحصنها من غائلة العوادى إلّا دماء الشهداء... ان كلمة الله اكبر.. تعنى الصدق والوفاء والاخلاص، والشجاعة والعفة والزهد، والشرف [صفحه ۳۰۸] الرفيع، وهذه لاتسلم ابدا من ايدى العابثين إلّا بسفك المهج واراقة الدماء. وصدق الشاعر حين قال: لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم ويقول أبو القاسم الشابى إذا الشعب يوما اراد الحياة فلابد ان يستجيب القدر ولابد لليل ان ينجلى ولابد للقيد ان ينكسر اجل... ان فاطمة الزهراء عليها السلام لتدرك جيداً ان هذا الشعار الذى اخذته من النبى لايمكن حفظه إلّا بالتضحية، والشهادة ولذلك قامت بخطوة تكريمية للشهداء، وهى انها جعلت من تراب قبر الشهيد حبات لمسبحتها، لتدير عليها هذا المنهج الملائكى النورانى الذى سمى: تسبيح الزهراء. ونفس الشىء يقال بالنسبة للحمد، فالحمد هو اعلى قمة يمكن ان يصل اليها الإنسان، ومن هنا كانت سورة الحمد ام الكتاب، لانها جمعت التعبير كله ولخصت مسيرة الأنبياء جميعا فى مضمونها، وكما فى التكبير والتحميد كذلك فى التسبيح، وهو سبحان الله وكما قلت سابقا ان هذا التسبيح جاء مصبوبا فى قالب ادبى واخلاقى وتربوى، وذلك انه بدأ بـ «اسم الله» وانتهى بـ «باسم الله» فهو يبدأ بـ «الحمد الله» مثلا ـ لما حصل هذا المعنى وهذا الاطار التربوى الجميل، وهو مشتق ونابع من قول الله تعالى: (انا الله وانا إليه راجعون) اذن تسبيح فاطمة الزهراء ـ سلام الله عليها ـ انما جاء ليزرع فى أعماقنا شتائل النور، ويبادر الحب والعطاء.. لقد جاء هذا التسبيح الجامعى العظيم، ليشعل فى قلوبنا قناديل الامل والرجاء ويمنحنا الطمأنينة والسلام، ولكى نتذوق حلاوة التسبيح، فانه لابد لنا من المواظبة على قراءته فى أعقاب كل صلاة نصليها وذلك لانه يدفع البلاء عنا، ويجلب الرزق ويعمنا بسحاب البركة والخير الكثير والله ولى التوفيق [۴۰۶] وختاما للموضوع نذكر اهم فوائد وآثار هذا التسبيح المبارك الذى منه رسول الله علينا من لسان ابنته [صفحه ۳۰۹] فاطمة علما بان هذه الاثار والفوائد انما اخذناها واستفدناها من خلال عد كبير من الاحاديث المأثورة عن لسان أهل البيت عليهم السلام. ۱ ـ ان تسبيح فاطمة عليها السلام من الخير الكثير للمؤمن [۴۰۷] . ۲ ـ من قرأ هذا التسبيح عند النوم بات وله الف حسنة وعند قيامه من نومه ـ الذى قرأ فيه التسبيح ـ له الف حسنة [۴۰۸] . ۳ ـ ان هذا التسبيح مائة باللسان وألف فى الميزان وذلك قوله تعالى «من جاء بالحسنة فله عشر امثالها» إلى مائة الف [۴۰۹] . ۴ ـ انه ما عبدالله تعالى بشىء من التمجيد افضل من تسبيح فاطمة [۴۱۰] . ۵ ـ من سبح هذا التسبيح ثم استغفر الهل غفر له وهى مائة باللسان ـ أى التسبيحة ـ وألف فى الميزان وتطرد الشيطان وترضى الرحمن [۴۱۱] . ۶ ـ انه مايلزمه عند مؤمن فشقى فى حياته [۴۱۲] . ۷ ـ انه من سبح هذا التسبيح فى دبر الصلاة المكتوبة من قبل ان يبسط رجليه اوجب الله له الجنة ـ وفى رواية غفر له [۴۱۳] . ۸ ـ من سبح هذا التسبيح قبل ان يثنى رجليه بعد انصرافه من صلاة الغداة غفر له [۴۱۴] . ۹ ـ ان من قرأه وكان فى سمعه ثقل دفع الله عنه هذا الثقل

الـذی فی أذنیه [۴۱۵] . ۱۰ ـ ان هـذا التسبیح افضل شـی علمه رسول الله لفاطمـۀ علیها السـلام [۴۱۶] . [صـفحه ۳۱۰] ۱۱ ـ ان هـذه التسبیح عند الأئمۀ علیهم السلام دبر کل صلاهٔ احب الیهم من صلاهٔ الف رکعهٔ فی کل یوم [۴۱۷] . ۱۲ ـ انه من الذکر الکثیر ـ أی من سبح هذا التسبیح المبارک کان من الذاکرین من الله کثیرا «واذکروا الله ذکرا کثیرا» والذاکرین الله والذاکرات الله» [۴۱۸] . ۱۳ ـ ان من سبـح تسبیـح الصدیقـۀ الطـاهرهٔ فاطمـۀ علیها السـلام بسـبحهٔ من طین قبر الحسین علیه السـلام کتب الله له اربعمائـۀ حسـنۀ ومحی عنه اربعمائۀ سیئۀ وقضیت له اربعمائۀ حاجۀ ورفع له اربعمائۀ درجۀ [۴۱۹] . [صفحه ۳۱۵]

معرفۀ فاطمۀ

اشاره

السید محمـد رضا حیـدر شرف الـدین العاملی یـاصاح لا عــذل ولا ارغــام رفــقا بــنفسی فـالملام حـرام لا غـرو خـلی ان بکـیت بـعبرهٔ حــری فـقلبی ألهب وضـــــرام مـا کـنـت أذرف للـصـبابۀ أدمـعی سـفها ولا ـ ادمـی الفـؤاد غــرام حفت بشـخصـی الحـادثـات تـرومنی فـدفعت جیش الحزن وهـو غــرام ولکـم جــرعت مـن الحیـاهٔ حـمیمهـا لم یــثنی مــنهـا أذی وســـقـام صــرعت فـرسان اللـیالی والابـا طــبعی فأحـنت هـامها الایـــام مـاهزنی الخـطب المـروع بـعظه حــتی ولو هـتنت عــلی ســهـام لکـن یـوم الـدار خــلـف فـی الحشـی نــدبـا فـمـابین الضـــلوع حـطـام یـوم بـه اربـد الفـضـاء وغـاض نــور الخـافقین فـحلها الاـظـلاـم وتـداعت الاـفـلاـک فــی عـلیائها بـالنوح والســبع الطـباع جـهام والشـمس وارت فی الحــجاب ضـیاءهـا حــزنا وصـــدع البـدر لایـلتام اذ اوزفــت بــضـغائن مــعهودهٔ والنـاس فــی مـهـد الخنوع نیام زمـر النـفاق تـروم اکـرم مـنزل فـیه البـتولۀ والفــتی الضـــرغام هـجموا عـلی دار الوصـی وحـرقوا بــابا اعــز حـــریمه العـلام وانـهال صـاحبهم یــلوع فـاطمـا بـالسـوط ضــربـا رق مـــنه لئام ثــم انـبری عـصـرا یـهشم ضـلعها فـهوی الجـنین وقـد عـراه حـمام ســقطت مـضـرجـۀ تـجود بـنفسها لم یـرع فـیهـا للـــنبی ذمـام فــاهتز عـرش الله مــن أنـاتهـا وبکـــی دمـا لمـصابهـا الإســلاـم معرفۀ فاطمـۀ «من عرف فاطمـۀ حقّ معرفتها فقـد أدرک لیلـۀ القدر وإنما سـمیت فاطمۀ لأن الخلق فطموا عن معرفتها، ما تکاملت النبوهٔ لنبی حتی أمر بفضـلها ومحبّتها وهی الصدیقۀ الکبری وعلی معرفتها دارت القرون الأولی» [۴۲۰] . تعتبر مسألۀ المعرفۀ والبحث عن الحقیقۀ من المسائل العقائدیـۀ المهمـۀ التی تأخـذ وتشـغل حیزاً کبیراً فی العقیدهٔ الإسـلامیۀ والتی لا بد من دراسـتها وتوجیه العقل نحوها لکی یدرکها إدراکاً منطقیاً عقلائیاً، فلقد أقدمت المدرسۀ الشیعیۀ الحقۀ علی وضع الکثیر من القضایا العقائدیۀ علی طاولۀ البحث والتحقیق للوصول إلی المعرفـۀ الحقیقیـۀ التی تتمثل فی کافـۀ المسـتویات العقائدیـۀ، وحسب ما أعتقـده فإن أکثر المدارس وأفضـلها فی تقدیم الشروط الصحیحۀ واللازمۀ للوصول للحقیقۀ هی مدرسۀ الشیعۀ الإمامیۀ، تلک المدرسۀ التی دعت الناس إلی التحقیق والتفکیر والتفقه والتعقل فی عقائدها ومبادئها لکی یصلوا إلی نور الحقیقۀ وفهمها والإستضاءهٔ من نورها فی کل جوانب الحیاهٔ الإنسانیۀ، فنحن نری أن أبسـط حرکات الإنسان الإرادیـۀ یجب أن تکون مـدروسه ومسـموحاً بها من جانب العقل، ففی وصـیۀ أمیر المؤمنین علی علیه السـلام لکمیل قال: «یا کمیل ما من حرکـۀ إلا وأنت محتاج فیها إلی معرفـۀ». وهـذا یعنی أن الإسـلام لا یسـمح للإنسان بالقیام بعمل من دون التحقیق والعلم بصـحته، لکی تکون النتیجـۀ النهائیـۀ هی المعرفـۀ الحقیقیـۀ، فأکثر المؤمنین أفضـلیۀ أکثرهم معرفـۀ وإیماناً، والمعرفۀ لا تکون إلا بإدراک القضایا المطروحـۀ ودراسـتها [صـفحه ۳۱۶] الدراسـۀ الصـحیحۀ والتی یکون بناءها علی ضوء الإسـتدلالات العقلیۀ والمنطقیـۀ، من هنـا کـان لا بـد لنا من الوقوف مع بعض الأحادیث المأثورهٔ عن أهل بیت العصـمۀ لکی نفهمها ونـدرکها إدراکاً عقلیاً ونورانیاً وحسب ما یملیه علینا المنطق السـلیموالذوق الرفیع. ومرهٔ أخری نقف مع حـدیث آخر فی معرفـۀ الصدیقۀ الطاهرهٔ فاطمۀ علیها السـلام لکی ندرکه الإدراک الصـحیح الذی جاء المدح علیه، وخاصۀ معرفۀ درایۀ الروایۀ وفهمها، وهذا ما أوصی به الإمام الباقر علیه

السلام لولده الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «يا بنى اعرف منازل الشيعة على قدر روايتهم ومعرفتهم فإن المعرفة هى الدراية للرواية». و«الرواية» هى عبارة عن كلام منقول عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو الإمام عليه السلام أما «الدراية» فهى عبارة عن التحقيق والدراسة والإجتهاد للمعرفة وإدراك المفهوم الحقيقى للرواية وعين م يقصده النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو الإمام عليه السلام، وبعبارة أخرى، الرواية هى حفظ الحديث ونقله، والدراية هى نفته الحديث وفهمه، والراوى هو ناقل الحديث والفقيه هو المحقق وعالم الحديث «درى درياً ودراية الشىء توصل إلى علمه.. المنجد». فالإمام الباقر عليه السلام يوصى ابنه الصادق عليه السلام أولاً بمعرفة منازل الشيعة على قدر رواياتهم ومعرفتهم، ثم يوضح بعد ذلك أن ما يعنيه من بالمعرفة. هو دراية الروايات، حيث يقول: «وبالدّرايات للرّوايات يعلو المؤمن إلى أقصى درجات الإيمان». أى أن المهم، هو التحقيق والمعرفة وفهم الحديث لأن الرواية إذا لم تصحبها الدراية لا تجدى فتيلاً. وقال الإمام الصادق عليه السلام فى كلام آخر له بشأن قيمة دراية الرواية ومعرفة الحديث: «حديث تدريه خير من ألف حديث ترويه» [۴۲۱] . فرواية الحديث ونقله، يمكن أن تكون لها فائدتها الكبيرة وقيمتها العظيمة، وتقع موقعها الأفضل لدى من ينقل الحديث اليهم ـ فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه غير فقيه ـ ولكنها بالنسبة للراوى تكون مفيدة إذا ما اقترنت [صفحه ۳۱۷] بالدراية، ورواية الحديث دون درايته لا تجدى نفعاً للراوى ـ «وكما قال أمير المؤمنين» «قيمة كل امرءٍ وقدره معرفته» [۴۲۲] ـ بل ربما كانت فى بعض الأحيان مضرّة له ولغيره أيضاً إذ لو لم يكن الراوى على علم بالحديث فقد يتسبب حتى فى تحريفه ولهذا قال أمير المؤمنين: «عليكم بالدرايات لا بالروايات» [۴۲۳] . وجاء فى كلام آخر له عليه السلام: «همة السفهاء الرواية، وهمة العلماء الدّراية» [۴۲۴] . من هذا المنطلق وعلى هذا الأساس كانت لنا هذه الوقفة الجديدة مع حديث آخر يوضح لنا معرفة الصديقة الشهيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وارتباطها الوثيق بليلة القدر، وسيأتى إن شاء الله ارتباطها الوثيق بليلة فى البحث الثالث عشر. معرفة فاطمة عليها السلام إن من القضايا المهمة فى عقيدة الفرد المؤمن هى معرفة الحقيقة التى دعا اليها القرآن الكريم إضافة إلى دعوة أهل البيت عليهم السلام إلى الوقوف عليها ولو على قدر القابليات والإستعدادات التى يمتلكها الفرد المؤمن (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها)، فلذا جاء فى الحديث المأثور عن الإمام الصادق عليه السلام الذى يقول فيه «من كانت له حقيقة ثابتة لم يقم على شبهة هامدة حتى يعلم منتهى الغاية، ويطلب الحاديث من الناطق عن الوارث وبأى شىء جهلتم ما أنكرتم، وبأى شىء عرفتم ما أبصرتم إن كنتم مؤمنين»، أى لا ـ بد من أن يكون للمؤمن حقيقة فى معرفة، والتى من شأنها (هذه الحقيقة) أن لا تخرج الإنسان عن الاستقامة عن الجادة التى أمرنا الله تعالى باتباعها والإلتزام بها، ومعرفة هذه الحقيقة يحتاج فيها الإنسان المؤمن إلى وجود عدة أمور لا يستغنى عنها فى سبيل تحصيل هذه الحقيقة، ومن هذه الأمور هو التعقل عن الله تعالى والذى من شأن هذا التعقل أن يؤدى إلى المعرفة الصحيحة التى لا تزيل قدم الإنسان المؤمن عن [صفحه ۳۱۸] الصراط المستقيم فيكون نور هذه الحقيقة يظهر فى قلب المؤمن على سبيل الذوق والوجدان فتأخذه هذه الحقيقة كل كيانه بل تكون هذه الشغل الشاغل فى حياته ويسعى إلى الوصول اليها وعلى قدر القابليات والإستعدادات التى منحها الله تبارك وتعالى إليه هذا ما نجده من خلال أصحاب الأئمة عليهم السلام الذين كانوا دائماً يسعون إلى الوصول والحصول على هذه الحقيقة فلذا ترى كميل بن زياد يسأل أمير المؤمنين على بن طالب عليه السلام عن هذه الحقيقة فى الحديث المروى وهو أنه سأله عن الحقيقة بقوله ما الحقيقة فقال له عليه السلام مالك والحقيقة؟ فقال كميل: «أولست صاحب سرك» قال: «بلى! ولكن يرشح عليك ما يطفح منى» فقال كيمل: «أو مثلك يخيب سائلاً؟». فقال عليه السلام: «الحقيقة كشف سجات الجلال من غير إشارة» فقال كميل: «زدنى فيه بياناً». قال الإمام عليها السلام: «صحو الموهوم مع محو المعلوم». قال كميل: «زدنى فيه بياناً» قال الإمام عليه السلام: «هتك السر لغلبة الستر» قال كميل: «زدنى فيه بياناً». قال الإمام عليه السلام: «نور يشرق من صبح الأزل، فيلوح على هياكل التوحيد آثاره» قال كميل: «زدنى فيه بياناً». قال الإمام عليه السلام: «إطف السراج، فقد طلع الصبح». إذن بسؤال المؤمن عن الحقيقة يصل إلى العلم بها وببعض جوانبها فلربما لا يستطيع معرفة كنهها كما فى قضية كميل بن زياد التى مرت عليك الآن، فالعلم أول دليل يؤدى إلى المعرفة التى تنور القلب بحقيقة الإيمان، والتى تكون هذه المعرفة برهان صدقٍ

عليى نور الاسـلام وحقيقة الإيمان، وعليه نجد فى كثير من الروايات الشريفة أن الأفضلية فيما بين المؤمنين بغض النظر عن التقوى الى هى من ملازمات المعرفـة، أقول نجـد أن الأفضـلية هى بالمعرفـة فيعضـنا أكثر حجاً من بعض وبعضـنا أكثر صـياماً وصـلاة وصدقة من البعض، ولكن الأفضـلية بالمعرفـة، وعليه نجـد فى الروايات المأثور أن «أفضـلكم إيماناً أفضـلكم معرفة» [۴۲۵] . إذن يظهر من خلال استقراء الأحاديث المأثور عن أهل بيت العصمة أن قضية المعرفة الحقيقة فى حياة الفرد المؤمن مما لا يكن الإستهانة بها بل لا بد من السعى إلى [صفحه ۳۱۹] الوقوف عليها فى كل جوانبها التى تدعو إلى التعقل بها وهضـمها بالصورة الصحيحة، فلقد جاء فى الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: «لا يقبل الله عملًا إلا بمعرفة ولا معرفة إلا بعمل، فمن عرف دلّته المعرفة على العمل ومن لم يعمل فلا معرفة له...» [۴۲۶] . حيث دل هذا الحديث على أن العمل والمعرفة أحدهما ملازم للآخر وأن من الضرورى على أن الـذى يعمل لا بـد له من المعرفة بحقيقة عمله وإلا فان الله تعالى لا يقبل عملًا إلا بمعرفة، وعلى هذا الأساس تأخذ قضـية المعرفة حيزاً كبيراً فى جميع جوانب الشريعة الإسلامية سواء كان على مستوى الأصول أو على مستوى الفروع، فعلى المستوى الأول الذى يتمثل فى التوحيـد والنبوة والإمامـة والعـدل والمعاد لا بـد من المعرفـة التى من شأنها أن تجعل الحقيقة التى سـعى المؤمنون الأوائل فى الوقوف عليها ثابتـة والراسـخة فى قلوبهم تجعل الحقيقـة التى سـعى المؤمنين الأوائل فى الوقوف عليها ثابتة والراسـخة فى قلوبهم لكى لا تميل بهم الأهواء شـرقاً ولا غرباً، والمعرفـة التى نسـعى الوقوف عليها فى الجانب العقائدى المتمثل فى قضـيتنا التى نطرحها الآن هى المعرفة الخاصـة بالصديقـة الطاهرة فاطمـة الزهراء عليها السـلام لكى نـدرك بعض الحقيقـة الخاصـة بها وإلا فالمعرفة الحقيقية لها لا يسـتطيع الوصول إلى طبيعتهـا ومعرفـة كنههـا إلاـ من كـان فى مسـتواها وهـذا لا يكون إلا فى الـذى كان كفواً لها وهى كفو له ذلك هو أمير المؤمين على بن أبى طـالب عليه السـلام أمـا نحن فمعرفتنـا لهـا تكون أما بالحواس الخمس أو تكون معرفتنا من خلال معرفـة الشـىء بأشـباهه، أما الحواس الخمسـة فان لا بـد لها من من دليل يرشـدها ويعرفها بالوجـدان الأمر الذى يعرض عليها، وهذا ما جاء فى مناظرة الإمـام الصـادق عليه السـلام للطبيب الهنـدى حيث قـال له: «أما إذ أبيت إلا الجهالـة وزعمت أن الأشـياء لا تـدرك إلا بالحواس فإنى أخبرك أنّه ليس للحواس دلالـة على الأشـياء ولا فيما معرفـة إلا بالقلب، فانه دليلها ومعرّفها الأشـياء التى تدعى أن القلب لا يعرف إلاّ بها» [۴۲۷] . حيث يظهر من هـذا الحـديث أن المعرفـة الذوقيـة الوجدانية تكون نابعة من القلب، [صـفحه ۳۲۰] لـذا فإن معرفة فاطمة عليها السـلام تحتاج إلى ذوق سـليم ووجـدان حكيم لكى تظهر لنا بعض أنوار هـذه المعرفـة، هـذا من تجهـة ومن ناحية أخرى يمكن معرفـة فاطمة من خلال دراسة حياتها دراسة تحليلية مقارنة للقديسات والمؤمنات على مر العصور وان كان القياس مع الفارق وكما هو مثبوت فى محله فإن فاطمـة لا تصل إلى مقامها أى إمرأة مهما كانت فى المسـتوى الإيمانى الذى تعلق بحياتها. وعلى كل حال فإن ما نطرحه فى هـذا البحث حول معرفة فاطمـة إنما هو معرفـة ظاهرية وعلى ما نمتلكه من وسائل المعرفة الظاهرية وإلا فنحن كما قال أمير المؤمنين فى غرر الحكم: «كيف يعرف غيره من جهل نفسه» فأكثر الناس يجهلون حال انفسهم فكيف بغيرهم ولكن الميسور لا يسقط بالمعسور فمن هذا الباب لابد لنا ان نلج فى هذا الأمر ونقف مع معفرفة فاطمة عليها السلام الحقيقية.

مستويات معرفة فاطمة

هناك عدة مستويات نستطيع من خلالها معرفة أى شخصية تاريخية او اسلامية ولابد لنا من الالتفات اليها ونحن نسعى فى طريق معرفة فاطمة ام ابيها فاطمة سـلام الله عليها بل كل الأئمة عليهم السلام يتجلى هذا الأمر فى معرفتهم المعرفة الحقيقية اما المستويات فهى: ۱ ـ المسـتوى الأوّل: المعرفة التأريخية لها عليها السلام. ۲ ـ المسـتوى الثانى: المعرفة المناقبية لها عليها السلام. ۳ ـ المستوى الثالث: المعرفة العلمية والفكرية لها عليها السـلام. ۴ ـ المسـتوى الرابع: المعرفة النورانية لها عليها السـلام. [صفحه ۳۲۱] محمد جمال الهاشمى شعت فلاـ الشـمس تـحكيهـا ولاـ القـمر زهـراء مـن نـورها الأكـوان تـزدهر بـنت الخلود لهـا الأجـيال خـاشعة أم الزمـان اليـها تــنتمى العصـر روح الحياة فـلولا لطــف عـنصرها لم تأتــلف بـــيننا الارواح والصــور ســمت عـن الأفق لاروح ولامــلك وفـــاقت الارض

لا-جن ولا- بشر مجبولة من جلال الله طينتها يرف لطفاً عليها الصون والخفر ماعاب مفخرها التأنيث ان بها على الرجال نساء الأرض تفتخر خصالها الغرّ جلت ان تلوك بها منا المقاول أو تدنو لها الفكر معنى النبوة سر الوحى قد نزلت فی بيت عصمتها الايات والسور حوت خلال رسول الله أجمعها لولا الرسالة ساوى أصله الثمر تدرجت فی مراقی الحقّ عارجة لمشرق النور حيث السر مستتر ثم انثنت تملأ الدنيا معارفها تطوى القرون عياءا وهی تنتشر قل للذی راح يخفی فضلها حسداً وجه الحقيقة عنا كيف ينستر أتقرن النور بالظلماء من سفهٍ ما أنت فی القول إلّا كاذب أشر بنت النبی الذی لولا- هدايته ما كان للحق لا-عين ولا- أثر هی التی ورثت حقاً مفاخرة والعطر فيه الذی فی الورد مدخر فی عيد ميلادها الاملاك حافلة والحور فی الجنة العليا لها سمر تزوجت فی السما بالمرتضی شرفا والشمس يقرنها فی الرتبة القمر على النبوة أضفت فی مراتبها فضل الولاية لا تبقی ولا تذر ام الأئمة من طوعها لرغبتهم يعلو القضاء بنا او ينزل القدر قف يا يراعیّ عن مدح البتول ففی مديحها تهتف الالواح والزبر وارجع لنستخبر التاريخ عن نبأٍ قد فاجئتنا به الانباء والسير هل اسقط القوم حقا حملها فهوت تئن مما بها والضلع منكسر وهل كما قيل قادوا بعلها فعدت وراه نادبة والدمع منهمر ان كان حقا فان القوم قد مرقوا عن دينهم وبشرع المصطفى كفروا [صفحه ۳۲۲]

المعرفة التاريخية لها

اشاره

وذلک من جهة ولادتها وشهادتها زمانا ومکانا ومارافق ذلک من ملابسات واحداث مهمة وما عاصرته تغيرات فی حياة الأمة سياسيا وفکريا واجتماعيا وما يرتبط بذلک من سلاطين الجور واتباع الظالمين وفقهاء الفسق والفجور وغدر لمنافقين والمتملقين واتباع اللقمة والراقصين على رنين الدراهم والدنانير وانصار الوفاء والاخلاص وما سارق ذلک من تفصيلات لها الاهمية فی حياتهم عليهم السلام او فی حياة اتباعهم واولياؤهم.

ولادة فاطمة

أما ولادة الصديقة فکان فی العشرين من جمادى الاخرة کما صرح به المفيد فی مساره [۴۲۸] ونقل عن حدائقه [۴۲۹] ، وصرح به الشيخ فی مصباحه [۴۳۰] ، ورواه الطبری الامامی [۴۳۱] عن الصادق عليه السلام ولم نقف على مخالف صريح، وان سکت تکثير. واختلف فی سنته فالکلينی [۴۳۲] قال: بعد النبوة بخمس سنين وکذلک المسعودی فی الاثبات [۴۳۳] وذهب المفيد والکتابين [۴۳۴] إلی انه بعده باثنتين. [صفحه ۳۲۳] وفی مصباح الشيخ [۴۳۵] کان مولدها عليها السلام سنة اثنين من المبعث فی بعض الروايات، وفی رواية اول سنة والعامة تروی قبل المبعث بخمس. والصحيح الأوّل کما رواه ابن خشاب على نقل الکشف [۴۳۶] عن شيوخه، مرفوعاً عن الباقر عليه السلام، والطبری الإمامی [۴۳۷] مسندا عن الصادق، والکلينی [۴۳۸] صحيحا عن الباقر عليه السلام وذهب العامة کمحمد بن اسحاق [۴۳۹] ، وأبی نعيم [۴۴۰] وأبی الفرج [۴۴۱] إلی انها کانت قبل النبوة حين تبنی قريش الکعبة، ورواه الاخير باسناده عن الصادق والتعويل عليه على رواية الخاصة، ولايبعد انهم قالوا بکون مولدها قبل النبوة انکارا لما ورد ان النبی صلى الله عليه وآله وسلم کان يقول اشم من فاطمة رائحة الجنة لأنّ انعقادها کان من فاکهة الجنة ليلة المعراج [۴۴۲] . عن أبی عبدالله جعفر بن محمد بن علی عليهم السلام، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: معاشر الناس، أتدرون لما خلقت فاطمة؟ قالوا: الله ورسوله اعلم. قال: خلقت فاطمة حوراء انسية لا انسية، وقال: خلقت من عرق جبرئيل ومن زغبه. قالوا: يا رسول الله، استشکل

ذلک علینا، تقول: حوراء انسیهٔ لا انسیهٔ، ثم تقول: من عرق جبرئیل علیه السلام، فضمها إلی صدره فعرق جبرئیل، وعرقت التفاحهٔ، فصار عرقهما شیئا واحدا، ثم قال: السلام علیک یا رسول الله ورحمهٔ الله وبرکاته، قلت: وعلیک السلام یا جبرئیل فقال: ان الله اهدی الیک تفاحهٔ من الجنهٔ، فأخذتها وقبلتها ووضعتها علی عینی وضممتها إلی صدری. ثم قال یا محمد، کلها، قلت: یا حبیبی یا جبرئیل، هدیهٔ ربی تؤکل؟ قال: نعم، قد امرت بأکلها، فأفلقتها فرأیت منها نورا ساطعا ففزعت من ذلک النور، قال: کل فان ذلک نور المنصورهٔ قلت: یا جبرئیل، ومن [صفحه ۳۲۴] المنصور؟ قال: جاریهٔ تخرج من صلبک واسمها فی السماء منصورهٔ، وفی الأرض فاطمهٔ، فقلت: یا جبرئیل ولم سمیت فی السماء منصورهٔ وفی الأرض فاطمهٔ؟ قال: سمیت «فاطمهٔ» فی الأرض لانه فطمت شیعتها من النار، وفطموا أعداؤها عن حبها، وذلک قول الله فی کتابه: (ویؤمئذٍ یفرح المؤمنون بنصر الله) [۴۴۳] بنصر فاطمهٔ علیها السلام. بیان: الزغب: الشعیرات الصغری علی ریش الفرخ؛ وکونها من زغب جبرئیل إما لکون التفاحهٔ فیها وعرقت من بینها، أو لانه التصق بها بعض ذلک الزغب فأکله النبی صلی الله علیه وآله وسلم [۴۴۴] . وعن المفضل بن عمر قال: قلت لابی عبدالله جعفر بن محمد علیها السلام: کیف کانت ولادهٔ فاطمهٔ علیها السلام؟ قال: نعم، إن خدیجهٔ علیها رضوان الله لما تزوج بها رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم هجرتها نسوهٔ مکهٔ، فکن لایدخلن علیها ولا یسلمن علیها ولا یترکن امرأهٔ تدخل علیها، فاستوحشت خدیجهٔ من ذلک، فلما حملت بفاطمهٔ علیها السلام صارت تحدثها فی بطنها وتصبرها، وکانت خدیجهٔ تکتم ذلک عن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم. فدخل یوماً وسمع خدیجهٔ تحدث فاطمهٔ، فقال لها: یا خدیجهٔ، من یحدثک؟ قالت: الجنین الذی فی بطنی یحدثنی ویؤنسنی. فقال: لها: هذا جبرئیل یبشرنی أنها أنثی وأنها النسمهٔ الطاهرهٔ المیمونهٔ، وأن الله تبارک وتعالی سیجعل نسلی منها، وسیجعل من نسلها أئمهٔ فی الأمهٔ یجعلهم خلفاء فی أرضه بعد انقضاء وحیه فلم تزل خدیجهٔ رضی الله عنها علی ذلک إلی ان حضرت ولادتها، فوجهت إلی نساء قریش ونساء بنی هاشم یجئن ویلین منها ماتلی النساء من النساء، فأرسلن الیها: عصیتینا ولم تقبلی قولنا، وتزوجت محمداً یتیم أبی طالب فقیراً لا مال له، فلسنا نجیء ولانلی من أمرک شیئاً فاغتمت خدیجهٔ لذلک، فبینا هی کذلک اذ دخل علیها أربع نسوهٔ طوال کأنهن من من نساء بنی هاشم. ففزعت منهن، فقالت لها احداهن: لا تحزنی یا خدیجهٔ، فإنا رسل ربک الیک، ونحن أخواتک، أنا سارهٔ وهذه آسیهٔ بنت مزاحم وهی رفیقتک فی الجنهٔ، وهذه مریم بنت [صفحه ۳۲۵] عمران، وهذه صفراء [۴۴۵] بنت شعیب، بعثنا الله تعالی الیک لنلی من أمرک ماتلی النساء من النساء. فجلست واحدهٔ عن یمینها، والاخری عن یسارها، والثالثهٔ من بین یدیها، والرابعهٔ من خلفها، فوضعت خدیجهٔ فاطمهٔ علیها السلام طاهرهٔ مطهرهٔ. فلما سقطت إلی الأرض أشرق منها نور حتی بیوتات مکهٔ، ولم یبق فی شرق الأرض ولا غربها، موضع إلا أشرق فیه حتی دخل بیوتات مکهٔ، ولم یبق فی شرق الأرض ولا غربها موضع إلا أشرق فیه ذلک النور فتناولتها المرأهٔ التی کانت بین یدیها، فغسلتها بماء الکوثر، وأخرجت خرقتین بیضاوین أشد بیاضاً من اللبن واطیب رائحهٔ من المسک والعنبر، فلفتها بواحدهٔ، وقنعتها بالاخر، ثم استنطقتها فنطقت فاطمهٔ علیها السلام بشهادهٔ «أن لا إله إلا الله، وأن أبی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم سید الأنبیاء وأن بعلی سید الأوصیاء، وأن ولدی سید الاسباط»، ثم سلمت علیهن، وسمت کل واحدهٔ منهن باسمها، وضحکن الیها، وتباشرت الحور العین، وبشر أهل الجنهٔ بعضهم بعضاً بولادهٔ فاطمهٔ علیها السلام، وحدث فی السماء نور زاهر لم تره الملائکهٔ قبل ذلک الیوم، فلذلک سمیت «الزهراء» علیها السلام، وقالت: خذیها علیها السلام فرحهٔ مستبشرهٔ فألقمتها ثدیها فشربت، فدر علیها. وکانت علیها السلام تنمی فی کل یوم کما ینمی الصبی فی الشهر، وفی شهر کما ینمی الصبی فی سنهٍ صلی الله علیها وعلی أبیها وبعلها وبنیها [۴۴۶] . وقیل: بینما النبی صلی الله علیه وآله وسلم جالس بالأبطح ومعه عمار ابن یاسر والمنذر بن الضحضاح وأبوبکر وعمر وعلی بن أبی طالب والعباس بن عبد المطلب وحمزهٔ بن عبد المطلب، إذ هبط علیه جبرئیل علیه السلام فی صورته العظمی، قد نشر أجنحته حتی أخذت من المشرق إلی المغرب، فناداه: یا محمد الاعلی یقریء علیک السلام وهو یأمرک ان تعتزل عن خدیجهٔ أربعین صباحاً. فشق ذلک علی النبی صلی الله علیه وآله وسلم وکان لها محباً وبها وامقاً [۴۴۷] . قال: فأقام النبی صلی الله علیه وآله وسلم أربعین یوماً یصوم النهار ویقوم اللیل، حتی إذا کان [صفحه ۳۲۶] فی آخر أیامه تلک، بعث إلی خدیجهٔ

بعمار بن یاسر وقال: قل لها: یا خدیجة لا تظنی أن انقطاعی عنک (هجرة) ولاقلی، ولکن ربی عزوجل أمرنی بـذلک لتنفـذ امره، فلا تظنی یـا خدیجـة الاّـ خیراً، فـان الله عزوجـل لیبـاهی بـک کرام ملائکته کل یوم مراراً. فإذا جنک اللیل فأجیفی الباب [۴۴۸] وخذی مضـجعک من فراشک فإنی فی منزل فاطمـة بنت أسـد. فجعلت خدیجـة تحزن فی کل یوم مراراً لفقـد رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم. فلمـا کـان فی کمـال الاـربعین هبط جبرئیل علیه السـلام فقال: یا محمـد، العلی الاعلی یقرئک السـلام وهو یأمرک، ان تتأهب لتحیته وتحفته، قـال النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم: یـا جبرئیـل، ومـا تحفه ربّ العالمین؟ وما تحیته؟ قال: لاعلم لی. قال: فبینما النبی صلی الله علیه وآله وسـلم کذلک اذ هبط میکائیل ومعه طبق مغطی بمندیل سـندس ـ او قال اسـتبرق ـ فوضعه بین یدی النبی صلی الله علیه وآله وسـلم حسـست بثقل فاطمة فی بطنی [۴۴۹] ولقـد علق العلامـة الهمدانی علی هذا الحدیث بقوله: یسـتفاد من هذا الحدیث الشریف امور مهمة وفوائد عظیمة هی دالة علی سمو جلالة بضعة خیر المرسلین، وعلو منزلة زوجة افضل الوصیین وام الائمة الطاهرین ـ صـلوات الله علیهم اجمعین. منها نزول جبرئیل علیه السـلام علی صورته الاصلیة کنزوله فی اول البعثة. ففی «البحار» ج ۱۸: ص ۲۴۷: «ان محمدا صـلی الله علیه وآله وسـلم کان بحراء، فطلع له جبرئیل علیه السـلام من المشرق، فسد الافق إلی المغرب». ومعلوم ان مجیئه علیه السـلام علی هذه الهیئة لأمر عظیم. ومنها اعتکافه صـلی الله علیه وآله وسلم اربعین یوما فی بیت فاطمة بنت اسد ـ رضی الله عنها ـ قائمـا لیلـة، صائمـا نهـاره، واعتزاله عن الناس وعن زوجته الکریمـة خدیجـة الکبری سـلام الله علیها، کما کان معتکفا ومعتزلا فی اول البعثـة بحراء، نعم کان اعتکافه صـلی الله علیه وآله وسـلم یؤمئـذ لاجل ان یکون مهیئا للنبوة والرسالـة، وفی هـذا الموقف لکونه متأهبا للتحفـة الالهیة التی سـتکون منشأ الإمامة والولایة، بل هی عنصـر شـجرة النبوة کما جاء عن الباقر علیه السـلام [۴۵۰] ومنه نزول ترک سنته فی افطاره، من ادخال کل من یرد للافطار، واختصاصه صـلی الله علیه وآله وسـلم بذلک الطعام. ومنها ترک سنته فی التطهر عند وروده [صفحه ۳۲۷] المنزل للصلاة عند النوم. ولا یخفی ان الترک انما یکون للأهم، فتفطن.

تحقیق و تبیین

الـذی یسـتفاد من الأخبـار والاحـادیث التی وصـلت الینا من طریق أهل البیت علیهم السـلام إن فاطمـة علیها السـلام ولـدت علی فطرة الإسلام وبعد نزول الوحی علی أبیها صلی الله علیه وآله وسلم خلافا لما فی بعض کتب العامة، فالیک بعض نصوصها: ۱ ـ قال علی بن الحسـین علیهم السـلام فی حدیث طویل: ولم یولد لرسول الله صلی الله علیه وآله وسلم من خدیجة علیها السلام علی فطرة الاسلام إلاّ فاطمة علیها السـلام، وقد کانت خدیجة قبل الهجرة بسنة، ومات أبو طالب بعد موت خدیجة بسنة [۴۵۱] ... ۲ ـ عن حبیب السجستانی قال: سـمعت ابا جعفر علیه السـلام یقول: ولدت فاطمة بنت محمد صـلی الله علیه وآله وسلم بعد مبعوث رسول الله صلی الله علیه وآله وسـلم بخمس سنین، وتوفیت ولها ثمانی عشرة سنة وخمسة وسبعون یوما [۴۵۲] . ۳ ـ عن أبی بصـیر، عن أبی عبدالله علیه السلام قال: ولدت فاطمة فی جمادی الآخرة الیوم العشـرین منها سـنة خمس وأربعین من مولد النبی صـلی الله علیه وآله وسلم، فأقامت بمکة ثمان سنین، وبالمدینة عشـر سنین وبعد وفاة ابیها خمساً وسبعین یوماً [۴۵۳] . ۴ ـ قال ابن الخشاب فی تاریخ موالید ووفاة أهل البیت علیهم السلام نقله عن شیوخه یرفعه عن أبی جعفر محمد بن علی علیها السلام قال: ولدت فاطمة بعد ما أظهر الله نبوة نبیه صلی الله علیه وآله وسـلم وانزل علیه الوحی بخمس سـنین وقریش تبنی البیت، وتوفیت ولها ثمانیـة عشـر سـنة وخمسة وسـبعون یوماً [۴۵۴] . أقـول: قوله «وقریش تبنی البیت» لاـ تنطبق علی نزول الوحی، لأـنّ بناء البیت منهم [صـفحه ۳۲۸] کـان قبل المبعث. ثم هـذا الموقف أخبار تؤکد وتؤید مضامین تلک الأخبار، وهی روایات تدل علی انه صـلی الله علیه وآله وسـلم اسری به إلی السماء وادخل الجنة فتناول من ثمار الجنـة، فلما رجع واقع خدیجة علیها السـلام فتکوت نطفة فاطمة الزهراء علیها السـلام من تلک الثمار، ومعلوم ان قضـیة الاسـراء وقعت بعد البعثة بلا خلاف.

شهادة الصدیقة فاطمة

إلام التوانى صاحب الطلعة الغرا اما آن من أعداك ان تطلب الوترا فديناك لم أغضيت عمّا جرى على بنى المصطفى منها وقد صدع الصخرا أتغضى وتنسى امك الطهر فاطما غداة عليها القوم قد هجموا جهرا أتغضى وشبوا النار فى باب دارها وقد اوسعوا فى عصرهم ضلعها كسرا أتغضى ومنها أسقطوا الطهر محسنا وقادوا على المرتضى بعلها قسرا أتغضى وسوط العبد وشح متنها ومن لطمة الطاغى غدت عينها حمرا أتغضى وقد ماتت وملؤ فوادها شجىً وعلى بعد شيّعها سرا [۴۵۵] .

اما كيفية شهادتها بنعل عليها السلام فلقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام سبب وفاتها عليها السلام: أن قنفذ مولى عمر لكزها بنعل السيف بأمره فأسقطت محسناً، ومرضت من ذلك مرضاً شديداً [۴۵۶] ، وكان على عليه السلام يمرضها بنفسه، وتعينه على ذلك السماء بنت عميس، وفى يوم دخلت نسوة من المهاجرين والانصار على فاطمة بنت رسول الله يعدنها فقلن: السلام عليك يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف أصبحت؟ فقالت: أصبحت والله عائفة لدنياكن قالية لرجالكم، لفظتهم بعد اذ مججتهم وسئمتهم بعد ان سبرتهم، فقبحاً لافون الرأى وخطل القول وخور القناة، ولبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون لا جرم الله لقد قلدتهم ربقتها وشننت عليهم عارها فجدعا ورغما للقوم الظالمين. [صفحه ۳۲۹] ويحهم أنى زحزحوها عن ابى الحسن، مانقموا والله منه إلاّ ـ نكير سيفه ونكال وقعه، وتنمره فى ذات الله، وتالله لو تكافوا عليه عن زمام نبذه إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأ ـ تميله، ثم لسار بهم سيرة سجحا فانه قواعد الرسالة ورواسى النبوة، ومهبط الروح الامين، والطبيب بأمر الدين والدنيا والا ـ خرة إلاّ ـ ذلك هو الخسران المبين، والله لا يلتكم خشاشة، ولا يتعتع راكبه، ولا وردهم منهلا رويا فضفاضا تطفح ضفته، ولا صدرهم بطانا قد خثر بهم الرى، غير متحل بطائل إلاّ تغمر الناهل وردع سورة سغب، ولو فتحت عليهم بركات من السماء والأرض وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون، فهلم فاسمع، فما عشت اراك الدهر عجبا، وان تعجب بعد الحادث، فما بالهم باى سند استندوا، ام بأى عروة تمسكوا، لبئس العشير، وبئس للظالمين بدلا، استبدلوا الذنابى بالقوادم، والحرون بالقاحم، والعجز بالكاهل، فتعسا لقوم يحسبون انهم يحسنون صنعا، ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون، أفمن يهدى إلى الحق احق ان يتبع ام من لا يهدى إلاّ ـ ان يهدى لكم كيف تحكمون. لقحت قنطرة فنظرة ريثما تنتج، ثم احتبلوا طلاع القعب دما عبيطا، وذعافا ممضا، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غب ما أسس الاولون، ثم طيبوا بعد ذلك بانفسكم لفتنها، ثم اطمأنوا للفتنة جأشا وابشروا بسيف صارم، وهرج دائم شامل، واستبداد من الظالمين. يدع فيئكم زهيداً، وجمعكم حصيدا، فيا حسرة لهم، ولقد عميت عليهم الانباء أنلزمكموها وانتم كارهون [۴۵۷] .

الهموم المتراكمة

ليس المرض لوحده سبب الام الزهراء، عليها السلام ووجدها وحزنها، وانما كانت الهموم تجتاحها من كل حدب وصوب، فحينما كانت تمد جسدها النحيل المكدور على جلد الكبش وتتكىء على وسادة الليف، تنساب الخواطر إلى رأسها الشريف، وتهجم عليها الهواجس، وكأنّ لسان حالها الشريف: آه... تركوا وصية ابى... وغصبوا الخلافة [صفحه ۳۳۰] من زوجى؟! ولن تنتهى آثارها إلى يوم القيامة... فبئس عاقبة الخلافة التى توسلت بالحيلة والجور.. بماذا سار المسلمون وانتشرت كلمة الاسلام؟! بوحدة الكلمة! والاتحاد بين فصائل المجتمع وصلوا إلى العظمة والرقى... آه.. اذهبوا ريحهم.. واوقعوا الخلاف بينهم، وبدلوا قوة الاسلام الواحدة وطاقة المسلمين المهيبة إلى قوى وطاقات متناثرة، وجروا العالم الاسلامى إلى العجز والضعف والفرقة والذالة... آه... انا فاطمة ـ عزيزة رسول الله ـ ارقد الآن على فراش المرض؟! لم يخف انينى من ضربات هذه الأمة المبرحة.. وأقف على اعتاب الموت؟... أين وصايا أبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟.. رباه.. أعلى الشجاع القوى أراه ـ اليوم ـ مضطراً إلى السكوت عن حقه المشروع لحفظ مصلحة الاسلام العليا؟... اقتربت ساعتى.. وحان أجلى.. وها أنذا أودع الحياة فى ربيع عمرى وأيام شبابى... وسأنجو من الهموم والغصص... ولكن..

ماذا عن أيتامى الذين سيبقون بعدى؟.. أولادى.. الحسن.. الحسين.. زينب.. أم كلثوم.. آه.. ياللمصائب التى تصب عليهم ـ أيتامى الأعزاء على قلبى ـ فانى سمعت ابى يقول ـ مراراً ـ يموت ولدك الحسن مسموماً، والحسين مقتولاً بالسيف شهيداً عطشاناً.. وهذه علامات ذلك وامارته تلوح لى وأراها بعينى... كان صلى الله عليه وآله وسلم يأخذ صغيرى الحسين ـ مرة ـ ويقبل نحره ويبكى لمصيبة، ويأخذ الحسن ـ اخرى ـ ويلصق صدره بصدره ويقبله فى فمه، ويذكر مصائب زينب، وأم كلثوم فيبكى... نعم.. كانت تمر هذه الخواطر فى ذهن فاطمة عليها السلام وتؤلمها، فتشحب يوما بعد يوم، وتنحل ساعة بعد ساعة، وقد ورد فى الاثر ان فاطمة لما حضرتها الوفاة بكت، فقال لها أمير المؤمنين: يا سيدتى ما يبكيك؟ قالت: أبكى لما تلقى بعدى، فقال لها: لا تبكى، فوالله ان ذلك لصغير عندى فى ذات الله [۴۵۸] .

العيادة المبغوضة

كان الصحابة رجالاً ـ ونساءً يعودون فاطمة عليها السلام بين الحين والحين، إلّا عمر وأبابكر لم يعوداها لأنها قاطعتهم ورفضتهم ولم تأذن لهم بعيادتها، وحينما ثقل عليها المرض وقاربتها الوفاة لم يجدا بداً من عيادتها لئلا تموت بنت النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وهى ساخطة عليهما، وتبقى وصمة العار تلاحق الخليفة وجهازه الحاكم إلى يوم القيامة. فجاء لعيادتها تحت ضغط الرأى العام، فسألا عنها، وقالا لأمير المؤمنين عليه السلام: قد كان بيننا وبينها ما قد علمت فان رأيت ان تأذن لنا لنعتذر اليها من ذنبنا. قال: ذلك اليكما. فقاما فجلسا الباب. ودخل على عليه السلام على فاطمة عليها السلام فقال لها: أيتها الحرة، فلان وفلان بالباب، يريدان ان يسلما عليك فما تريدين؟ قالت: البيت بيتك، والحرة زوجتك، افعل ما تشاء! فقال: شدى قناعك، فشدت قناعها، وحولت وجهها إلى الحائط. فدخلا وسلما وقالا: ارضى عنا رضى الله عنك، فقالت: مادعا إلى هذا؟ فقالا: اعترفنا بالإساءة ورجونا ان تعفى عنا. فقالت: ان كنتما صادقين فأخبرانى عم أسألكم عنه، فإنى لا أسألكما عن أمر إلّا وانا عارفة، بانكما تعلمانه، فان صدقتمانى علمت انكما صادقان فى مجيئكما. قالا: سلى عما بدالك. قالت: نشدتكما بالله، هل سمعتما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «فاطمة بضعة منى من آذاها فقد آذانى»؟ قالا ـ نعم. فرفعت يدها إلى السماء، فقالت: اللهم انهما قد أذانى، فأنا اشكوهما اليك وإلى رسولك، لا والله لا أرضى عنكما أبداً حتى ألقى أبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأخبره بما صنعتما فيكون هو الحاكم فيكما. قال: فعند ذلك دعا أو بكر بالويل والثبور، فقال عمر: تجزع يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قول امرأة [۴۵۹] . [صفحه ۳۳۲]

وصية فاطمة

مرضت فاطمة عليها السلام مرضاً شديداً، ومكثت اربعين ليلة فى مرضها، فلما نعيت اليها نفسها قالت لعلى عليه السلام: يابن عم، انه قد نعيت الى نفسى، واننى لا أرى مابى إلّا اننى لاحقه بأبى ساعة بعد ساعة، وانا أوصيك بأشياء فى قلبى. قال لها على عليه السلام: أوصى بما أحببت يابنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجلس عند رأسها وأخرج من كان فى البيت، ثم قالت: يابن عم، ما عهدتنى كاذبة، ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتنى. فقال عليه السلام: معاذ الله، أنت أعلم الله وأبر واتقى وأكرم وأشد خوفاً من الله، من أن أوبخك بمخالفة، وقد عزعلى مفارقتك وفقدك إلا انه أمر لابد منه، والله جددت على مصيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد عظمت وفاتك وفقدك، بإنا الله وانا إليه راجعون من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضها وأحزنها، هذه الله مصيبة لاعزاء لها، ورزية لا خلف لها، ثم بكيا جميعاً ساعة [۴۶۰] . لخّصت فاطمة عليها السلام فى هذا الحوار حياتها الزوجية فى هذه العبارات، فذكرت الامير عليه السلام باخلاصها وطهارتها واطاعتها لزوجها. وشكر لها الإمام وفاءها، وأثنى على طهارتها وقدسيتها ومعاناتها وتقواها، وأبدى لها حبة ووده وتعلقه بها. وهاجت بهما الذكريات وحاشت الخواطر وتذكرا حياتهما السعيدة التى غمرتها الغبطة والدفء، والوقوف جنباً إلى جنب فى مواجهة الاحداث والمشاكل وتذليل الصعاب، فانهمرت لذلك عيناهما بالدموع، لعلها تطفىء نار القلب

التی تقضی علی الجسد. وبعد ان بکیا ساعة أخذ علی علیه السلام رأسها وضمها إلی صدره ثم قال: أوصینی بم شئت، فانک تجدینی فیها أمضی کما امرتینی به، واختار أمرک علی أمری. ثم قالت: جزاک الله عنی خیر الجزاء، وأوصته بوصایاها، وهی: ۱ ـ یابن عم، أوصیک ان تتزوج بعدی بابنة أختی امامة، فانها تکون لولدی مثلی، [صفحه ۳۳۳] فإنّ الرجال لابد لهم من النساء [۴۶۱] . ۲ ـ ان أنت تزوجت إمرأة فاجعل لها یوماً ولیلة واجعل لاولادی یوماً ولیلة، یا أبا الحسن لا تصح فی وجوههم فیصبحا یتیمین غریبین [۴۶۲] . ۳ ـ أوصیک یابن عم، ان تتخذ لی نعشا، فقد رأیت الملائکة صوروا صورته، فقال لها: صفیه لی.. فوصفته، فاتخذه لها [۴۶۳] . ۴ ـ أوصت لأزواج النبی لکل واحدة منهن اثنتی عشرة أوقیة [۴۶۴] . ۵ ـ ولنساء بنی هاشم مثل ذلک. ۶ ـ وأوصت لأمامة بنت أبی العاص بشیء [۴۶۵] . وکانت لها وصیة مکتوبة جاء فیها: «هذا ما أوصت فاطمة بنت رسول الله بحوائطها السبع؛ ذی الحسنی والساقیة، والدلال، والغراف، والرقمة، والهیثم، ومال أم ابراهیم، إلی علی بن أبی طالب، ومن بعده فإلی الحسن، فإلی الحسین، ومن بعد الحسین فإلی الاکبر فالاکبر من ولده، شهد الله علی ذلک وکفی به شهیداً، وشهد المقداد ابن الاسود، والزبیر بن العوام، وکتب علی بن أبی طالب [۴۶۶] . وروی ابن عباس وصیة مکتوبة اخری لها علیها السلام جاء فیها: «بسم الله الرحمن الرحیم. هذا ما أوصت به فاطمة بنت رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم أوصت وهی تشهد ان لا اله إلا الله وان محمدا عبده ورسوله، وان الجنة حق، والنار حق، وان الساعة آتیة لا ـ ریب فیها، وان الله یبعث من فی القبور، یا علی: أنا فاطمة بنت محمد، زوجنی الله منک لا کون لک فی الدنیا والآخرة، انت اولی بی من غیری، حنطنی وغسلنی وکفنی باللیل وصل علی وادفنی باللیل ولا تعلم أحدا، واستودعک الله وأقرأ علی ولدی السلام إلی یوم القیامة» [۴۶۷] . [صفحه ۳۳۴]

لحظات عمرها الأخیرة

ثقل علیها المرض، والإمام لا یفارقها، وأسماء تمرضها، والحسن والحسین وزینب وام کلثوم عندها، وهی تفیق مرة ویغشی علیها اخری من شدة المرض، وتجیل بصرها فی أولادها.. یقول الإمام علی علیه السلام: انها لما حضرتها الوفاة فتحت عینیها وقالت: السلام علیک یا جبرئیل، السلام علیک یا رسول الله، اللهم احشرنی مع رسولک، اللهم اسکنی جنتک وفی جوارک. ثم قالت: هؤلاء ملائکة ربی، جبریل ورسول الله حاضرون عندی، وأبی یقول: القدوم الینا [۴۶۸] یقول علی علیه السلام: فلما کان اللیلة التی أراد الله ان یکرمها ویقبضها إلیه اخذت تقول: وعلیکم السلام. یابن عم،هذا جبریل أتانی مسلماً، وقال: السلام یقرئک السلام یا حبیبة حبیب الله وثمرة فؤاده ـ الیوم تلحقین بالرفیق الاعلی وجنة المأوی ثم انصرف عنی. ثم اخذت تقول: وعلیکم السلام، وتقول: یابن عم، هذا میکائیل یقول کقول صاحبه. ثم اخذت ثالثاً تقول: وعلیک السلام، ثم فتحت عینیها شدیداً وقالت: یابن عم هذا والله الحق، عزرائیل نشر جناحه فی المشرق والمغرب، وقد وصفه لی أبی وهذه صفته. ثم قالت: یا قابض الارواح عجل بی ولا تعذبنی، ثم قالت: الیک ربی لا إلی النار، ثم غمضت عینیها، ومدت یدیها ورجلیها، وکأنها لم تکن حیة قط. أبکنی ان بکیت یاخیر هادی وأسبل الدمع فهو یوم الفراق یاقرین البتول اوصیک بالنسل فقد أصبحنا حلیف اشتیاق أبکنی وابک للیتامی ولاتنسی قتیل العدی بطف العراق فارقوا فأصبحوا حیاری یخلف الله فهو یوم الفراق وروی عن اسماء ان فاطمة لما حضرتها الوفاة قالت لاسماء: ان جبرئیل أتی [صفحه ۳۳۵] النبی صلی الله علیه وآله وسلم ـ لما حضرته الوفاة ـ بکافور من الجنة فقسمه أثلاثاً، ثلثاً لنفسه، وثلثا لعلی، وثلثا لی، وکان اربعین درهما، فقالت یا أسماء اتینی ببقیة حنوط والدی من موضع کذا وکذا وضعیه عند رأسی، فوضعته ثم قالت یا أسماء أتینی ببقیة حنوط والدی من موضع کذا وکذا وضعیه عند رأسی، فوضعته ثم قالت لاسماء حین توضأت وضوءها للصلاة، هاتی طیبی الذی أتطیب به، وهاتی ثیابی التی أصلی فیها، فتوضأت ثم تسجت بثوبها، ثم قالت: انتظرینی هنیئة وادعینی، فان اجبتک وإلاّ فاعلمی انی قدمت علی ابی فأرسلنی إلی علی. فانتظرت هنیئة ثم نادتها، فم تجبها، فکشف الثوب عن وجهها فاذا بها قد فارقت الدنیا، فوقعت علیها تقبلها، فبینا هی کذلک اذ دخل الحسن والحسین فقالا لها: یا أسماء ما ینیم امنا فی هذا الساعة، قالت: یا ابنی رسول الله. لیست

امكما نائمة، قد فارقت الدنيا، فوقع عليها الحسن يقبلها مرة ويقول: يا اماه كلميني قبل ان تفارق روحي بدني، وأقبل الحسين يقبل رجلها ويقول: انا ابنك الحسين كلميني قبل ان يتصدع قلبي فأموت. قالت لهما اسماء: يا ابني رسول الله، انطلقا إلى أبيكما على فاخبراه بموت امكما، فخرجا حتى اذا كانا قرب المسجد رفعا أصواتهما بالبكاء فقالا: قد ماتت أمنا فاطمة عليها السلام فوقع على عليه السلام على وجهه يقول: بمن العزاء يا بنت محمد، كنت بك أتعزى فبمن العزاء من بعدك؟ [۴۶۹] .

التشييع والدفن

ارتفعت أصوات البكاء من بيت على عليه السلام فصاح أهل المدينة صيحة واحدة، واجتمعت نساء بنى هاشم فى دارها، فصرخن صرخة واحدة كادت المدينة تتزعزع لها، وأقبل الناس مثل عرف الفرس إلى على عليه السلام، وهو جالس، والحسن والحسين بين يديه يبكيان، وخرجت ام كلثوم، وهى تقول: يا أبتاه يا رسول الله، الآن فقدناك حقا لا لقاء بعده ابدا. واجتمع الناس فجلسوا وهم يضجون، وينتظرون خارج الجنازة [صفحه ۳۳۶] ليصلوا عليها، وخرج أبو ذر، وقال: انصرفوا فان ابنة رسول الله قد اخر اخرابها فى العشية [۴۷۰] وأقبل أبوبكر وعمر يعزيان عليا عليه السلام، ويقولان له: يا أبا الحسن لا تسبقنا بالصلاة على ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [۴۷۱] . ولكن عليا غسلها وكفنها هو واسماء فى تلك الليلة ثم نادى: يا ام كلثوم، يا زينب يا حسن، يا حسين، هلموا تزودوا من امكم فهذا الفراق واللقاء والجنة، وبعد قليل نحاهم امير الؤمنين عليه السلام [۴۷۲] عنها. ثم صلى على على الجنازة، وشيعها والحسن والحسين وعقيل وسلمان وأبوذر والمقداد وعمار وبريدة والعباس وابنة الفضل [۴۷۳] . فلما هدأت الاصوات ونامت العيون ومضى شطر من الليل أخرجها امير المؤمنين عليه السلام ودفنها سرا وأهال عليها التراب، والمشيعون من حوله يترقبون لئلا يعرف القوم، ويمنعهم المنافقون، فدفنوها وعفوا تراب قبرها.

وقوف الإمام على قبرها

انتهت مراسم الدفن بسرعة خوفاً من انكشاف امرهم وهجوم القوم عليهم، فلما نفض الإمام يده من تراب القبر هاج به الحزن فقد بضعة الرسول التى تذكر به وزوجته الودود التى عاشت معه الصفا والطهارة والتضحية، وتحملت من اجله الاهوال والصعاب فواغوثاه... من هظمها.. من آلامها... من تصدع قلبها... وأغوثاه من كسر ضلعها... واسوداد عضدها... واسقاط جنينها... ولكن. لكل اجتماع من خليلين فرقة وكل الذى دون الممات قليل وان افتقادى فاطم بعد احمد دليل على ان لا يدوم خليل فأرسل دموعه على خديه، وحول وجهه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك من ابنتك وحبيبتك وقرة عينك وزائرتك، والبائنة [صفحه ۳۳۷] فى الثرى ببقعتك، المختار الله لها سرعة اللحاق بك، قل ـ يا رسول الله عن صفيتك صبرى وضعف عن سيدة النساء تجلدى، إلاّ ان فى التأسى لى بسنتك، والحزن الذى حل بى لفراقك، موضع التعزى، ولقد وسدتك فى ملحودة قبرك، بعد ان فاضت نفسك على صدرى، وغمضتك بيدى وتوليت امرك بنفسى، نعم، وفى كتاب الله انعم القبول، انا الله وانا إليه راجعون، قد استرجعت الوديعة، واخذت الرهينة، واختلست الزهراء، فما اقبح الخضراء والغبراء، يا رسول الله. اما حزنى فسرمد، واما ليلى فمسهد، لا يبرح الحزن من قلبى او يختار الله لى دارك التى انت مقيم، كمد مقيح، وهم مهيج، سرعان ما فرق الله (بيننا)، وإلى الله أشكو، وستنبئك ابنتك بتظافر امتك على، وعلى هضمها حقها، فاستخبرها الحال، فكم من عليل معتلج بصدرها، لم تجد إلى بثه سبيلا، وستقول، ويحكم الله وهو خير الحاكمين. سلام عليك يا رسول الله، سلام مودع لاسئم ولا قال، فان انصرف فلا عن ملالة وان اقم فلا عن سوء ظنى بما وعد الله الصابرين، الصبر أيمن واجمل. ولو لا غلبة المستولين علينا، لجعلت الرزية، فبعين الله تدفن ابنتك سرا، ويهتضم حقها قهرا، ويمنع ارثها جهرا، ولم يطل العهد، ولم يخلق منك الذكر، فالى الله ـ يا رسول الله ـ المشتكى وفيك اجمل العزاء، فصلوات الله عليها ورحمة الله وبركاته [۴۷۴] . وروى ان عليا عليها السلام سوى قبرها مع الأرض مستويا، وقيل: سوى

حواليها قبورا مرورة سبعة حتى لا يعرف احد قبرها، وروى انه رش اربعين قبرا حتى لا يبين قبرها من غيره من القبور خوفا من الاعداء [۴۷۵] فلما اصبح الناس اقبل عمر وأبو بكر والناس يريدون الصلاة على فاطمة عليها السلام. فقال المقداد: قد دفنا فاطمة عليها السلام البارحة. فالتفت عمر إلى ابى بكر فقال: الم اقل لك، انهم سيفعلون؟ قال العباس: انها اوصت ان لاتصليا عليها. فقال عمر: لا تتركون ـ بنى هاشم ـ حسدكم القديم لنا أبدا، ان هذه الضغائن التى فى [صفحه ۳۳۸] صدوركم لن تذهب، والله لقد هممت ان انبشها فاصلى عليها، فقال على عليه السلام: والله لو رمت ذاك لارجحت اليك يمينك، لئن سللت سيفى لا أغمدته دون ازهاق روحك، فانكسر عمر وسكت وعلم ان علياً اذا حلف صدق [۴۷۶] .

تاريخ وفاتها

لاشك ان وفاتها عليها السلام كانت فى السنة الحادية عشر من الهجرة ـ ظاهراً ـ لأنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم حج حجة الوداع فى السنة العاشرة وتوفى فى اوائل السنة الحادية عشر، واتفق المؤرخون والكتاب على ان فاطمة عاشت بعد ابيها اقل من سنة، الا انهم اختلفوا فى يوم وشهر وفاتها اختلافاً شديداً، فروى المعروف بالدلائل [۴۷۷] عن أبى بصير، عن الصادق عليه السلام قبضت فى جمادى الاخرة، يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه سنة إحدى عشر من الهجرة. وبه صرح المفيد فى المسار [۴۷۸] ، وفى المصباح [۴۷۹] ، ونسبه الاقبال [۴۸۰] إلى جماعة، فقال: روينا عن جماعة من أصحابنا ذكرناهم فى كتاب التعريف للمولد الشريف، ان وفاة فاطمة عليها السلام كانت يوم ثالث جمادى الآخرة، وعن ابن همام، قال: روى لعشر بقين منه. وعن الكشف [۴۸۱] قيل: لثلاث ليال من شهر رمضان. ونقل عن العاصمى [۴۸۲] باسناده عن محمد بن عمر. ونقل المصباح [۴۸۳] ، عن ابن عياش انه فى اليوم الحادى والعشرين من رجب، وبعضهم لم يعين يومه، لكن قالوا بعيشها بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم بمدة واختلفوا. [صفحه ۳۳۹] قال أبو الفرج [۴۸۴] فالمكثر يقول: ثمانية اشهر، والمقلل، اربعين يوماً. إلاّ ان الثابت فى ذلك ماروى عن ابى جعفر محمد بن على عليها السلام انها توفيت بعده بثلاثة أشهر. حدثنى بذلك الحسن بن على، عن الحارث، عن ابن سعيد، عن الواقدى، عن عمرو بن دينار، عنه عليه السلام. قلت: نقل الثلاثة اشهر، الكشف [۴۸۵] عن كتاب الذرية للدولابى عن رجاله، وعن ابن شهاب الزهرى ستة اشهر، وقال ابن قتيبة [۴۸۶] : مائة يوم بعده. وقال الكشف [۴۸۷] ، عن الباقر عليه السلام: خمس وتسعين ليلة. وروى الاحتجاج [۴۸۸] عن كتاب سليم: اربعين يوماً. وقال الكلينى [۴۸۹] : خمس وسبعون يوما. ورواه ابن الخشاب [۴۹۰] ، عن شيوخه، عن الباقر عليه السلام. وبه قال فى عيوم المعجزات [۴۹۱] ، ورواه الكلينى [۴۹۲] صحيحاً فى خبرين عن الصادق عليها السلام. سند أحدهما: أحمد بن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن أبى محبوب، عن ابن رباب، عن أبى عبيدة، عنه عليها السلام. والآخر: العدّة [۴۹۳] ، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر، عن هشام بن سالم، عنه عليها السلام. وفى خبر [۴۹۴] حسن وصحيح سنده على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبى عمير، عن هشام بن سالم، عنه عليه السلام. ويمكن تأويل خمسة وسبعين فى الثلاثة بكونه محرف خمسة وتسعين، حتى ينطبق [صفحه ۳۴۰] على الخبر الدالّ على كونه فى ثالث جمادى الآخره، مع كون وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الثامن والعشرين من صفر، وينطبق على خبر ثلاثة أشهر مجمله على التسامح فى الكمية الزائدة. ويشهد له ما قاله الكشف [۴۹۵] عن الباقر عليه السلام خمس وتسعين إن صحت النسخة لكن وقوع التحريف فى أخبار ثلاثة مشكل، مع عدم ثبوت كون وفاته صلى الله عليه وآله وسلم فى الثامن والعشرين من صفر، بل عرفت قول كثير بكونه الثانى عشر من ربيع الأوّل من أنذ الخبر الخامس من أربعين أبى نعيم فى أخبار المهدى الذى نقله الكشف [۴۹۶] ، قال علىّ عليه السلام: لم تبقى فاطمة بعده إلا خمسة وسبعين يوماً، حتى ألحقها الله به صلى الله عليه وآل وسلم. لكنّ الكلام فى ثبوت عدد صفر [۴۹۷] ، وإلاّ فالتحريف للتشابه الخطّى ولو فى أكثر غير بعيد [۴۹۸] . [صفحه ۳۴۱]

المعرفة المناقبية لها

اشاره

وذلك بالإطلاع على ماجزاها وكراماتها المحيرة للعقول والأفكار سواء فى حياتها، أو بعد شهادتها عليها السلام وما انبأت به من غيب وأسرار تعجز أكثر العقول البشرية عن الإحاطة بها والإلمام بحقائق دقائقها، وما كانت عليه من أخلاق عالية وشرف رفيع، وسمو أدب وكرامة نفس وسخاء طبع لامثله سخاء وعبادة لا نظير لها، وعلى هذا الأساس سيكون كلامنا فى هذا المقام فى أمرين وهما: (١) ـ معاجزها فى حياتها عليها السلام: (٢) ـ أخلاقها عليها السلام.

معاجزها فى حياتها

روى أنّ سلمان قال: كانت فاطمة عليها السلام جالسة قدّامها رحى تطحن بها الشعير، وعلى عمود الرحى دم سائل، والحسين فى ناحية الدار (يتضوّر من الجوع). فقلت: يا بنت رسول الله، دبرت كفّاك، وهذه فضّة؛ فقالت: أوصانى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تكون الخدمة لها يوماً، فكان أمس يوم خدمتها. قال سلمان: قلت إنّى مولى عناقة، إمّا أنا أطحن الشعير أو اسكّت الحسين لك؟ فقالت: أنا بتسكيته أرفق، وأنت تطحن الشعير. فطحنت شيئاً من الشعير، فإذا أنا بالإقامة، فمضيت وصلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلمّا فرغت قلت لعلىّ ما رأيت، فبكى وخرج، ثمّ عاد فتبسّم. فسأله عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: دخلت على فاطمة وهى مستلقية لقفاها، [صفحه ۳۴۲] والحسين نائم على صدرها، وقدّامها رحى تدور من غير يد. فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: يا علىّ، أما علمت أنّ الله ملائكة سيّاره فى الأرض يخدمون محمداً وآل محمد إلى أن تقوم الساعة [۴۹۹] . وروى عن اسامة بن زيد، قال: افتقد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم عليّاً، فقال: اطلبوا إلىّ أخى فى الدنيا والآخرة، اطلبوا الى فاصل الخطوب اطلبوا إلىّ المحكّم فى الجنة فى اليوم المشهود، اطلبوا الى حامل لوائى فى المقام المحمود. قال اسامة: فلمّا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك، بادرت إلى باب علىّ، فنادانى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خلفى: يا اسامة، عجّل علىّ بخبره وذلك بين الظهر والعصر. فدخلت فوجدت عليّاً كالثوب الملقى لاطياً بالأرض، ساجداً يناجى الله تعالى، وهو يقول: سبحان الله الدائم، فكّاك المغارم، رزّاق البهائم، ليس له فى ديمومته إبتداء، ولا زوال ولا انقضاء. فكرهت أن أقطع عليه ما هو فيه حتى يرفع رأسه، وسمعت أزيز الرحى فقصدت نحوها لأسلّم على فاطمة عليها السلام واخبرها بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى بعلها، فوجدتها راقدة على شقّها الأيمن، مخمرة وجهها بجلبابها ـ وكان من وبر الإبل ـ وإذا الرحى تدور بدقيقها، وإذا كفّ يطحن عليها برفق، وكفّ اخرى تلهى الرحى، لها نور لا أقدر أن أملى عينى منها، ولا أرى إلا اليدين بغير أبدان، فامتلأت فرحاً بما رأيت من كرامة الله لفاطمة عليها السلام. فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتباشير الفرح فى وجهى بادية، وهو فى نفر من أصحابه، قلت: يا رسول الله! انطلقت أدعو عليّاً، فوجدته كذا وكذا؛ وانطلقت نحو فاطمة عليها السلام فوجدتها راقدة على شقّها الأيمن، ورأيت كذا وكذا! فقال: يا اسامة! أتدرى من الطاحن، ومن الملهى لفاطمة؟ إنّ الله قد غفر لبعلها بسجدته سبعين مغفرة، واحدة منها لذنوبه ما تقدّم منها وما [صفحه ۳۴۳] تأخّر، وتسعة وستّين مذخورة لمحبّيه، يغفر الله بها بها ذنوبهم يوم القيامة. وإن الله تعالى رحم ضعف فاطمة لطول قنوتها بالليل، ومكابدتها للرحى والخدمة فى النهار، فأمر الله تعالى وليدين من الولدان المخلّدين أن يهبطا فى أسرعت من الطرف، وإنّ أحدهما ليطحن، والآخر ليلهى رحاها. وإنّما أرسلتك لترى وتخبر بنعمة الله علينا، فحدّث يا اسامة! لو تبديا لك لذهب عقلك من حسنهما، وإنما سألتنى خادماً فمنعتها؛ فأخدمها الله بذلك سبعين ألف ألف وليدة فى الجنّة، الذين رأيت منهنّ. وإنّا من أهل بيت اختار الله لنا الآخرة الباقية على الدنيا الفانية [۵۰۰] . وعن حماد بن سلمة، عن حميد الطويل، عن أنس قال: سألنى الحجاج بن يوسف عن حديث عائشة، وحديث القدر التى رأت فى بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله

علیه وآله وسلم وهی تحرکها بیدها، قلت: نعم أصلح الله الأمیر دخلت عائشهٔ علی فاطمهٔ علیها السلام وهی تعمل للحسن والحسین علیهما السلام حریرهٔ بدقیق ولبن وشحم، فی قدر، والقدر علی النار یغلی (وفاطمهٔ صلوات الله علیها) تحرّک ما فی القدر بإصبعها، والقدر علی النار یبقبق [۵۰۱] . فخرجت عائشهٔ فزعهٔ مذعورهٔ، حتی دخلت علی أبیها، فقالت: یا أبه، إنی رأیت من فاطمهٔ الزهراء أمراً عجیباً [عجبا]، رأیتها وهی تعمل فی القدر، والقدر علی النار یغلی، وهی تحرّک ما فی القدر بیدها! فقال لها: یا بنیّهٔ! اکتمی، فإنّ هذا أمر عظیم. فبلغ رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، فصعد المنبر، وحمد الله وأثنی علیه، ثمّ قال: إنّ الناس یستعظمون ویستکثرون ما رأوا من القدر والنار؛ والذی بعثنی بالرسالهٔ، واصطفانی بالنبوّهٔ، لقد حرّم الله تعالی النار علی لحم فاطمهٔ، ودمها، وشعرها، وعصبها، [وعظمها] وفطم من النار ذریّتها وشیعتها. إنّ من نسل فاطمهٔ من تطیعه النار، والشمس، والقمر، والنجوم، والجبال، وتضرب الجنّ بین یدیه بالسیف، وتوافی إلیه الأنبیاء بعهودها، وتسلّم إلیه الأرض کنوزها، تنزّل علیه من السماء برکات ما فیها [صفحه ۳۴۴] الویل لمن شک فی فضل فاطمهٔ. [لعن الله من یبغضها] لعن الله من یبغض بعلها، ولم یرض بإمامهٔ ولدها. إنّ لفاطمهٔ یوم القیامهٔ موقفاً، ولشیعتها موقفاً. وإنّ فاطمهٔ تدعی فتکسی، وتشفع فتشفّع، علی رغم کلّ راغم [۵۰۲] . روی عن جابر بن عبدالله قال: إنّ رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم أقام أیّاماً ولم یطعم طعاماً حتّی شقّ ذلک علیه، فطاف فی دیار أزواجه فلم یصب عند إحداهنّ شیئاً، فأتی فاطمهٔ فقال: یا بنیّهٔ! هل عندک شیء آکله، فإنّی جائع؟ قالت: لا ـ والله ـ بنفسی وأمّی. فلمّا خرج عنها، بعثت جاریهٔ لها رغیفین وبضعهٔ لحم، فأخذته ووضعته فی جفنهٔ وغطّت علیها، وقال: لأوثرنّ بها بهذا رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، فرجع إلیها فقالت: قد أتانا الله بشیء فخبأته لک، فقال: هلمّی یا بنیّهٔ، فکشفت الجفنهٔ، هی مملوءهٔ خبزاً ولحماً، فلمّا نظرت إلیه بهتت وعرفت أنّه من عند الله، فحمدت الله، وصلّت علی نبیّه أبیها، وقدّمته إلیه فلمّا رآه حمد الله. وقال: من أین لک هذا؟ قالت: هو من عند الله، (إنّ الله یرزق من یشاء بغیر حساب) [۵۰۳] . فبعث رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم إلی علی، فدعاء وأحضره، وأکل رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وعلی وفاطمهٔ والحسن والحسین، وجمیع أزواج النّبی حتی شبعوا. قالت فاطمهٔ علیها السلام: وبقیت الجفنهٔ کما هی، فأوسعت منها علی جمیع جیرانی، جعل الله فیها برکهٔ وخیراً کثیراً [۵۰۴] . وعن أبی الفرج محمد بن المکّی، عن المظفر بن أحمد بن عبد الواحد، عن محمد بن علی الحلوانی، عن کریمهٔ بنت أحمد بن محمد الروندی: وأخبرنی أیضاً به عالیاً قاضی القضاهٔ محمد بن الحسین البغدادی، عن الحسین ابن [صفحه ۳۴۵] محمد بن علی الزینبی، عن الکریمهٔ فاطمهٔ بنت أحمد بن محمد المروزیّهٔ بمکّهٔ حرسها الله تعالی، عن أبی علی زاهر بن أحد، عن معاذ بن یوسف الجرجانی، عن أحمد بن محمد ابن غالب، عن عثمان بن أبی شیبهٔ، عن نمیر، عن مجالد، عن ابن عبّاس، قال: خرج أعرابی من بنی سلیم یتبدّی فی البریّهٔ، فإذا هو بضبّ قد نفر من بین یدیه، فسعی وراءه، حتی اصطاده، ثمّ جعله فی کمّه، وأقبل یزدلف نحو النبی صلی الله علیه وآله وسلم ـ إلی أن قال ـ فقال: من یزوّد الأعرابی، وأضمن له علی الله عز وجل زاد التقوی. قال: فوثب إلیه سلمان الفارسی فقال: فداک أبی وأمّی وما زاد التقوی؟ قال: یا سلمان، إذا کان آخر یوم من الدنیا، لقّنک الله عزّ وجلّ قول: شهادهٔ أن لا ـ إله إلا ـ الله وأنّ محمداً رسول الله؛ فإن أنت قلتها لقیتنی ولقیتک، وإن أنت لم تقلها لم تلقنی ولم ألقک أبداً. قال: فمضی سلمان حتی طاف تسعهٔ أبیات من بیوت رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فلم، یجد عندهنّ شیئاً، فلمّا أن ولّی راجعاً نظر إلی حجرهٔ فاطمهٔ علیها السلام. فقال: إن یکن خیر فمن منزل فاطمهٔ بنت محمّد صلی الله علیه وآل وسلم، فقرع الباب: فأجابتهٔ من رواه الباب: من بالباب؟ فقال لها: أنا سلمان الفارسی. فقالت له: یا سلمان! وما تشاء؟ فشرح قصّهٔ الأعرابی والضبّ مع النبی صلی الله علیه وآله وسلم. قالت له: یا سلمان! والذی بعث محمداً صلی الله علیه وآله وسلم بالحقّ نبیّاً إنّ لنا ثلاثاً ما طعمنا، وإنّ الحسن والحسین قد اضطربا علیّ من شدّهٔ الجوع، ثمّ رقداکأنّهما فرخان منتوفان؛ ولکن لا أردّ الخیر [إذا نزل الخیر ببابی] یا سلمان؛ خذ درعی هذا، ثمّ امض به إلی شمعون الیهودی، وقل له: تقول فاطمهٔ بنت محمد: أقرضنی علیه صاعاً من تمر وصاعاً من شعیر أردّه علیک إن شاء الله تعالی. قال: فأخذ سلمان الدرع، ثمّ أتی به إلی شمعون الیهودی؛ قال: فأخذ شمعون الدرع، ثمّ جعل یقلّبه فی وعیناه تذرفان بالدموع وهو یقول: یا سلمان! هذا هو الزهد فی الدنیا، هذا الذی أخبرنا به موسی بن عمران فی التوراهٔ، أنا أشهد أن لا إله إلا

الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فأسلم وحسن إسلامه. ثمّ دفع إلى سلمان صاعاً من تمر، وصاعاً من شعير، فأتى به سلمان إلا فاطمة عليها السلام، [صفحه ۳۴۶] فطحنته بيدها، وأختبزته، ثمّ أتت به إلى سلمان؛ فقالت له: خذه وامض به إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم. قال: فقال لها سلمان: يا فاطمة، خذى منه قرصاً تعلّلين به الحسن والحسين. فقالت: يا سلمان،هذا شىء أمضيناه لله عز وجل لسنا نأخذ منه شيئاً. قال: فأخذه سلمان، فأتى به النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فلمّا نظر النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى سلمان قال له: يا سلمان، من أين لك هذا؟ قال: من منزل بنتك فاطمة. قال: وكان النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يطعم طعاماً منذ ثلاث. قال: فوثب النبى صلى الله عليه وآله وسلم حتى ورد إلى حجرة فاطمة، فقرع الباب، وكان إذا قرع النبى صلى الله عليه وآله وسلم الباب لا يفتح له الباب إلى فاطمة؛ فلمّا أن فتحت له الباب، نظر النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى صفار وجهها وتغيّر حدقتيها، فقال لها: يا بنيّة، ما الذى أراه من صفار وجهك وتغيّر حدقيت؟ فقالت: يا أبة، إن لنا ثلاثاً ما طعمنا طعاماً؛ وإن الحسن والحسين قد اضطربا علىّ من شدّة الجوع، ثمّ رقدا كأنّهما فرخان منتوفان. قال: فأنبههما النبى صلى الله عليه وآله وسلم فاخذ واحداً على فخذه الأيمن، والآخر على فخذه الأيسر، وأجلس فاطمة عليها السلام بين يديه واعتنقها النبى صلى الله عليه وآله وسلم، ودخل علىّ بن أبى طالب عليه السلام، فاعتنق النبى صلى الله عليه وآله وسلم من ورائه، ثم رفع النبى صلى الله عليه وآله وسلم طرفه نحو السماء فقال: إلهى وسيّدى ومولاى، هؤلاء أهل بيتى، اللهمّ أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً! قال: ثمّ وثبت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى دخلت إلى مخدع لها، فصفّت قدميها، فصلّت ركعتين ثمّ رفعت باطن كفّيها إلى السماء وقالت: إلهى وسيدى، هذا محمد نبيّك، وهذا علىّ ابن عمّ نبيّك، وهذان الحسن والحسين سبطا نبيّك، إلهى أنزل علينا مائدة [من السماء] كما أنزلتها على بنى إسرائيل، أكلوا منها وكفروا بها، اللهم أنزلها علينا فإنّا بها مؤمنون. قال ابن عباس: ـ والله ـ ما استتمّت الدعوة، فإذا هى بصحفة من ورائها يفور قتارها، وإذا قتارها [۵۰۵] أزكى من المسك الأذفر، فاحتضنتها. ثمّ أتت بها إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وعلى والحسن والحسين، فلمّا أن نظر إليها على بن أبى [صفحه ۳۴۷] طالب عليه السلام قال لها: يا فاطمة، من أين لك هذا؟ ولم يكن أجد عندك شيئاً! فقال له النبى صلى الله عليه وآله وسلم: كل يا أبا الحسن، ولا تسأل، الحمد لله الذى لم يمتنى حتى رزقنى ولداً، مثلها مثل مريم بنت عمران (كلّما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب) [۵۰۶] . قال: فأكل النبى صلى الله عليه وآله وسلم وعلىّ والحسن والحسين، وخرج النبى صلى الله عليه وآله وسلم، الحديث [۵۰۷] .

وعن عبيد بن كثير ـ معنعنا ـ عن أبى سعيد الخدرى قال: أصبح على بن أبى طالب عليه السلام ذات يوم فقال: يا فاطمة! هل عندك شيء تغذينه؟ قالت: لا، والذى اكرم أبى بالنبوة، وأكرمك بالوصية، ما أصبح الغداة عندى شيء وما كان شيء أطعمنا مذ يومين إلّا شيء كنت أوثرك به على نفسى وعلى ابنى هذين الحسن والحسين عليهما السلام. فقال على عليه السلام: يا فاطمة! إلّا كنت أعلمتنى فأبغيكم شيئاً؟ فقالت: يا أبا الحسن! أنى لأستحى من الهى ان اكلف نفسك ما لا تقدر عليه. فخرج على بن ابى طالب عليه السلام من عند فاطمة عليها السلام واثقا بالله بحسن الظن بالله فاستقرض دينارا، فبينا الدينار فى يد على بن ابى طالب عليه السلام يريد ان يبتاع لعياله ما يصلحهم، فتعرض له المقداد بن الاسود فى يوم شديد الحر، قد لوحته الشمس من فوقه وآذته من تحته، فلما رآه على بن أبى طالب عليه السلام انكر شأنه، فقال: يا مقداد! ما ازعجك هذه الساعة من رحلك! قال: يا أبا الحسن خلى سبيلى ولاتسألنى عما ورائى. فقال: يا اخى انه لا يسعنى ان تجاوزنى حتى اعلم علمك. فقال: يا أبا الحسن! رغبة إلى الله واليك ان تخلى سبيلى ولا تكشفنى عن حالى. فقال [صفحه ۳۴۸] له: يا اخى انه لا يسعك ان تكمى حالك. فقال: يا أبا الحسن! اما اذا ابيت فو الذى اكرم محمدا بالنبوة، واكرمك بالوصية، ما ازعجنى من رحلى، إلّا الجهد، وقد تركت عيالى يتضرعون جوعا، فلما سمعت بكاء العيال لم تحملنى الأرض، فخرجت مهموما راكبا رأسى، هذه حالى وقصتى، فانهملت عينا، على عليه السلام بالبكاء حتى بلت دمعته لحيته، فقال له: احلف بالذى حلفت، ما ازعجنى إلّا الذى ازعجك من وحلك، فقد استقرضت ديناراً، فقد آثرتك على نفسى، فدفع الدينار إليه، ورجع حتى دخل مسجد النبى صلى الله عليه وآله وسلم فصلى فيه يوم الظهر والعصر والمغرب. فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

المغرب مر بعلى بن ابى طالب عليه السلام وهو فى الصف الأوّل، فغمزه برجله، فقام على عليه السلام متعقبا خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى لحقه على باب من أبواب المسجد، فسلم عليه فرد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه السلام. فقال: يا أبا الحسن! هل عندك شيء نتعشاه فنميل معك؟ فمكث مطرقا لا يحير جوابا، حياء من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو يعلم ما كان من امر الدينار ومن اين اخذه، واين وجهه، وقد كان اوحى الله تعالى إلى نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ان يتعشى الليلة عند على ابن أبى طالب عليه السلام. فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى سكوته، فقال: يا أبا الحسن! مالك لا تقول: لا، فانصرف، أو تقول: نعم، فأمضى معك؟ فقال ـ حياء وتكرما ـ: فاذهب بنا؟ فاخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يد على بن ابى طالب عليه السلام فانطلقا حتى دخلا على فاطمة الزهراء عليها السلام وهى فى مصلاها قد قضت صلاتها، وخلفها جفنة تفور دخانا، فلما سمعت كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى رحلها، خرجت من مصلاها، فسلمت عليه، وكانت اعز الناس إليه، فرد صلى الله عليه وآله وسلم، ومسح على رأسها، وقال لها: يا بنتاه! كيف امسيت رحمك الله. قالت: بخير، قال عشينا غفر الله لك، وقد فعل، فأخذت الجفنة فوضعتها بين يدى النبى وعلى بن ابى طالب عليهما الصلاة والسلام. فلما نظر على بن أبى طالب عليه السلام إلى الجفنة والطعام وشم ريحه، رمى فاطمة ببصره رميا شحيحا [۵۰۸] قالت: له فاطمة سبحان الله، ما اشح نظرك واشده! هل اذنبت فيما بينى [صفحه ۳۴۹] وبينك ذنبا استوجبت به السخطة؟! قال: وأى ذنب أعظم من ذنب اصبته، اليس عهدى اليك اليوم الماضى وانت تحلفين بالله مجتهدة، ماطعمت طعاما مذ يومين؟ قال: فنظرت إلى السماء، فقالت: الهى يعلم فى سمائه ويعلم فى ارضه انى لم أقل إلّا حقاً. فقال لها: يا فاطمة! انى لك هذا الطعام الذى لم انظر إلى مثل لونه قط، ولم اشم مثل ريحه قط، ومالم آكل اطيب منه قط؟ قال: فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كفه الطيبة المباركة بين كتفى على بن ابى طالب عليه السلام، فغمزها، ثم قال: يا على! هذا بدل دينارك، وهذا جزاء دينارك من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب. ثم استعبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم باكيا، ثم قال: الحمد لله الذى هو ابى لكم ان تخرجا من الدنيا حتى يجزيكما، ويجزيك يا على، مجزى زكريا، ويجزى فاطمة مجزى مريم بنت عمران (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا [@۵۰۹] . - وروى عن يوسف بن يحيى، عن ابيه، عن جده، قال: رأيت رجلا بمكة شديد السواد له بدن، وخلق غابر، وهو ينادى، أيها الناس، دلونى على اولاد محمد، فأشار إليه بعضهم وقال: مالك؟ قال: انا فلان بن فلان. قالوا: كذبت ان فلانا كان صحيح البدن صبيح الوجه، وانت شديد السواد غابر الخلق. قال: وحق محمد انى لفلان، اسمعوا حديثى. اعلموا انى كنت جمال الحسين، فلما ان صرنا إلى بعض المنازل برز للحاجة وانا معه فرأيت تكة لباسه وكان اهداها ملك فارس حين تزوج بنت اخيه شاه زنان بنت يزدجود، فمنعنى هيبة أسألها اياه، فدرت حوله لعلى اسرقها، فلم اقدر عليها. فلما صار القوم بكربلاء، وجرى ما جرى، وصارت ابدانهم ملقاة تحت سنابك [صفحه ۳۵۰] الخيل، اقبلنا نحو الكوفة راجعين، فلما ان صرت إلى بعض الطريق ذكرت التكة، فقلت فى نفسى: قد خلا ماعنده، فصرت إلى موضع المعركة، فقربت منه فاذا هو مرمل بالدماء، قد حز رأسه من القفا وعليه جراحات كثيرة من السهام والرماح، فمددت يدى إلى التكة وهممت ان احل عقدها، فرفع يده وضرب بها يدى، فكادت اوصالى وعروقى تتقطع، ثم اخذ التكة من يدى، فوضعت رجلى على صدره وجهدت جهدى لازيل اصبعا من اصابعه، فلم اقدر، فأخرجت سكينا كان معى، فقطعت اصابعه ثم مددت يدى إلى التكة، وهممت بحلها ثانيا، فرأيت خيلا اقبلت من نحو الفرات، وشممت رائحة لم اشم رائحة اطيب منها، فلما رأيتهم قلت: انا لله وانا إليه راجعون، انما اقبلوا هؤلاء لينظروا إلى كل انسان به رمق «فيجهزوا عليه». فصرت بين القتلى، وغاب غنى عقلى من شدة الجزع، فاذا رجل يقدمهم ـ كان وجهه الشمس ـ وهو ينادى: انا محمد رسول الله، والثانى ينادى: انا حمزة اسد الله، والثالث ينادى: انا جعفر الطيار، والرابع ينادى: انا الحسن بن على. وأقبلت فاطمة وهى تبكى وتقول: حبيبى، وقرة عينى، ابكى على رأسك المقطوع، ام على يديك المقطوعتين، ام على بدنك المطروح، ام على اولادك الاسارى، ثم قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: اين رأس حبيبى وقرة عينى الحسين، فرأيت الرأس فى كفى النبى، فوضعه على بدن الحسين، فاستوى جالسا، فاعتنقه النبى وبكى ـ فذكر الحديث ـ إلى أن قال ـ: فقال: ياعدو الله! ما حملك على قطع اصابع حبيبى وقرة

عينى الحسين ـ إلى ان قال: ـ ثم قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: اخسأ ياعدوا الله! غير الله لونك، فقمت، فاذا انا بهذه الحالة [۵۱۰] . – وروى ان رجلاـ كـان محبوسا بالشام مـدة طويلـة مضـيقاً عليه، فرأى فى منامه كان الزهراء صـلوات الله عليها أتته فقالت: ادع بهـذا الـدعاء، فتعلمه ودعـا به فتخلص ورجع إلى منزله وهو: اللهم بحق والعرش ومن علاـه، وبحق الوحى ومن اوحـاه، وبحق النبى من نبـاه، وبحق البيت ومن بنـاه، ويـا سـامع كـل صوت، ويـا جـامع كل فوت، يا باريء النفوس بعـد الموت، صل على محمـد وأهل ابيته، وآتنا وجميع المؤمنين والمؤمنات فى مشارق الأرض ومغاربها فرجا من عند، عاجلا بشـهادة إن لا إله إلاّ الله، وان محمدا عبدك ورورلك، صلى الله عليه وعلى ذريته الطيبين الطاهرين وسلم تسليما [۵۱۱] . وفى جواهر العقدين للشريف السمهودى المصرى من العجائب ان ابا الحسـن نصـر بـن عيين الشـاعر تـوجه إلى مكـة المعظمـة ومعه متـاع ومـال، فخرج عليه بعض الاشـراف من بنى داود المقيمين بـوادى الصـغرى فأخذوا ما كان معه وجرحوه فكتب قصـيدة إلى الملك، الناصـر ان يذهب بالساحل ويفتحه من ايدى الافرنج القصـيدة هذه: أغنت صــفاتك ذاك المـصـقع الســنا جزت بالجود حد الحسن والمـحسنا ولا تـقل سـاحل الافـرنج اقـتحمه فـما يسـاوى اذا قــاسيته عـدنـا طــهر ســيفـك بيت الله مـن دنس ومــا احـاط بـه مـن خسـة وخنا ولا تــقل انـــهم اولاد فـاطمـة لو ادركوا آل حرب حاربوا الحســنا فلم اتم هذه القصـيدة رأى فى النوم فاطمة عليها السـلام وهى تطوف بالبيت فسـلم عليها فلم تجبه، فتضـرع اليها وتذلل عندها وسألها عن ذنبه الذى أوجب ذلك، فانشدت فاطمة عليها السـلام هذه القصيدة: [صفحه ۳۵۲] حــاشا بــنى فــاطمة كــلـهم من خسة يـعرض او مـن خنـا وانــما ايــام فــى غـــدرها وفعلها السوء اساءت بنا لئن جنا مـــــن ولـدى واحــــــد تـجعل كـل السب عـمـدا لنـا فـتب إلى الله فـــمن يــقترف اثـما بنا لا يأمن مـــما جـنا فاصـفح لاجـل المـصطفى احمد ولا تـــثر مـن آله اعـــينا فكــل مــا نالك مــنهم غــدا تـلقى بـه فـى الحشـر مـنامنا ثم صب بيـدها المباركـة المكرمـة المقدسة شيئا شبه الماء على جرحه، ثم ايقظ من منامه فرأى ان جراحته التى كانت فى بدنه صارت ملتئمة صـحيحة، فكتب فورا قصـيدة فاطمة صـلى الله عليها السـلام التى انشدتها فى رؤياه، ثم قال معتذرا: عذر إلى بنت نبى الهـــدى تصـفح عن ذنب محب جــنا وتـوبة تـقبلها عــن اخـى مـقالة تـوقعها فـى العنا والله لو قـــطعنى واحــد منهم بسيف البغــى او بالقنا لم اره بـــفعله ظـــالما بل انـه فـى فـعله احســنا فكتب هـذه الحكايـة إلى ملك اليمن فارسل الملك الهـدايا الكثيرة لهذه الاشـراف وأهل مكة وهذه القصـيدة مشـهورة بين الناس ومسـطورة فى ديوان ابن عيين [۵۱۲] . – وروى أن عليا عليها السلام أستقرض من يهودى شعيرا، فاسترهنه شيئا فدفع إليه ملاءة [۵۱۳] فاطمة، رهنا، وكانت من الصوف فأدخلها اليهودى إلى داره ووضـعها فى البيت. فلما كانت الليلـة دخلت زوجته البيت الذى فيه الملاءة بشـغل، فرأت نوراً ساطعاً فى البيت أضاء به كله فانصـرفت إلى زوجهـا، فـأخبرته بأنها رأت فى ذلك البيت ضوءاً عظيماً فتعجب اليهودى من ذلك وقـد نسـى ان فى بيته ملاءة فاطمة. فنهض مسـرعاً ودخل البيت فاذا ضـياء الملاءة ينشـر شـعاعها كأنه يشتعل من بدر منير، يلمع من قريب فتعجب من ذلك، فأنعم النظر فى موضع الملاءة، فعلم ان ذلك النور من ملاءة فاطمة عليها السلام، فخرج اليهودى يعدو إلى أقربائه وزوجته تعدوا إلى أقربائها [صفحه ۳۵۳] فاجتمع ثمانون من اليهود فرأوا ذلك فأسلموا كلهم [۵۱۴] . – وعن سـلمان الفارسى: انه لما استخرج امير المؤمنين من منزله، خرجت فاطمـة حتى انتهت إلى القبر، فقـالت خلوا عن ابن عمى فوالـذى بعث محمـدا بالحق لئن لم تخلوا عنه لا نشـرن شـعرى ولأضـعن قميص رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم على رأسـى، ولأصـرخن إلى الله، فما ناقـة صالـح بأكرم على الله من ولـدى. قال سلمان: فرأيت والله اساس حيطان المسـجد تقلعت من اسفلها، حتى لو اراد الرجل ان ينفذ من تحتها نفذ فدنوت منها وقلت: يا سيدتى ومولاـتى: ان الله تبـارك وتعـالى بعث اباـك رحمـة فلاـتكونى نقمـة، فرجعت الحيطـان حتى سـطعت الغبرة من أسـفلها فـدخلت فى غياشيمنا [۵۱۵] .

اخلاقها

تجـدست فى شخصـية فاطمـة عليها السـلام مختلف ابعاد الاخلاق الاسـلامية التى دعت واكـدت عليها التعاليم القرآنية، ولقد ضـربت

المثل الاعلى للمرأة المؤمنة الكاملة، وهذا مانراه واضحا، وجليا من خلال استقراء سيرتها عليها السلام وفى مختلف الابعاد الانسانية، فقد ورد عن على عليه السلام قال: كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: اخبرونى أى شىء خير للنساء؟ فعيينا بذلك حتى تفرقنا، فرجعت إلى فاطمة، فأخبرتها الذى قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وليس أحد منا علمه، ولاعرفه. قالت: ولكنى أعرفه: خير للنساء ان لا يرين الرجال ولا يراهن الرجال فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت يا رسول الله، سألتنا: أى شىء خير للنساء؟ وخيرهن ان لايرين الرجال ولايراهن الرجال. قال: من اخبرك، فلم تعلمه وأنت عندى؟ قلت فاطمة فأعجب ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال ان فاطمة بضعة منى [۵۱۶] . [صفحه ۳۵۴] أقول: والذى يظهر من هذه الاحاديث ان فاطمة حددت الضابطة الكلية التى فيها خير المرأة والصلاح لها فى الحياة الدنيا والاخرة ذلك هو ان لا يرى المراة رجل ولاترى رجل، وفى أمر ورد ايضا عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام استأذن أعمى على فاطمة عليها السلام فحجبته. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لها: لم حجبته وهو لا ـ يراك؟ فقالت عليها السلام: ان لم يكن يرانى فأنى أراه، وهو يشم الريح، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشهد انك بضعة منى [۵۱۷] وسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه عن المرأة، ماهى؟ قالوا: عورة: قال فمتى تكون أدنى من ربها؟ فلم يدروا، فلما سمعت فاطمة عليها السلام ذلك قالت: أدنى ما تكون من ربها أن تلزم قعر بيتها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن فاطمة بضعة منى [۵۱۸] . أقول: يظهر من هذا الحديث ان الرسول سأل اصحابه ولم يكن فيهم على عليه السلام، وهذا معارض للحديث الأوّل من حيثية وجود على عليه السلام، فالحديث الأوّل بين ان الإمام على يعرف جواب السؤال الذى سأله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهذا مخالف لكثير من الاحاديث التى تبين مقام على عليه السلام العلمية ولذا سيكون من حيث الدلالة الحديث الاخير الذى قدمناه وهو الاصح، وإلّا لو كان على عليه السلام حاضرا لأجاب على سؤال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وخاصة نحن نعلم ان على عليه السلام وفاطمة احدهما كفوا للاخر فى كل الأمور التى أقرأتها الاحاديث التى وردت عن السان المعصومين عليهم السلام. وأعطى لك شاهداً واحداً من خلال استقراء احاديث العلماء والصالحين فى قضية اخلاق فاطمة الزهراء عليها السلام تاركا لك مراجعة أقوال الاخرين فضلا عن احاديث أهل البيت الذى هى بحر عميق لمن اراد الغوص فيه واستخراج الدرر المتناثرة فيه، ومن هذه الاقوال [۵۱۹] . لم تكن الزهراء امراة عادية كانت امرأة روحانية امرأة ملكوتية... كانت انسانا بتمام معنى الكلمة نسخة انسانية متكاملة... امرأة حقيقية كاملة... حقيقة الإنسان الكامل، لم امراة عادية، بل هى كائن ملكوتى تحلى فى الوجود بصورة [صفحه ۳۵۵] انسان... بل كائن الهى جبروتى ظهر على هيئة امرأة... فقد اجتمعت فى هذه المرأة جميع الخصال الكمالية المتصورة للانسان وللمرأة. انها المرأة التى تتحلى بجميع خصال الانبياء... المرأة التى لو كانت رجلا لكانت نبيا... لو كانت رجلا ـ لكانت بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. غدا يوم المرأة حيث ولدت جميع ابعاد منزلتها وشخصيتها، غدا ذكرى مولد كائن الذى اجتمعت فيه المعنويات، والمظاهر الملكوتية، والالهية والجبروتية والملكية والانسية، غدا ميلاد الإنسان لجميع الانسانية من معنى، غدا ميلاد امرأة بكل ما تحمله كلمة «المرأة» من معنى ايجابى. ان المرأة تتسم بأبعاد مختلفة كما هو الرجل، وان هذا المظهر الصوروى الصبيعى يمثل ادنى مراتب المرأة، وادنى مراتب الرجل، بيد ان الإنسان يسمو فى مدارج الكمال انطلاقا من هذه المرتبة المتدنية، فهو فى حركة دؤوبة من مرتبة الطبيعة إلى مرتبة الغيب، إلى الفناء فى الالهية وان هذا المعنى متحقق فى الصديقة الزهراء، التى انطلقت فى حركتها من مرتبة الطبيعة وطوت مسيرتها التكاملية بالقدرة الالهية، بالمدد الغيبى وبتربية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتصل إلى مرتبة دونها الجميع. امرأة هى مغفرة بيت النبوة وتسطع كما تسطع الشمس فى جبين الاسلام العزيز، امرأة تماثل فضائلها الرسول الاكرم والعترة الطاهرة غير متناهية... امراة لا ـ يفى حقها من الثناء كل من يعرفها مهما كانت نظرته، ومهما ذكر لأن الاحاديث التى وصلتنا عن بيت النبوة هى على قدر أفهام المخاطبين، واستيعابهم فمن غير الممكن صب البحر فى جرة، ومهما تحدث عنها الاخرون فهو على قدر فهمهم ولا يضاهى منزلتها. اذن فمن الاولى ان نمر سريعا من هذا الوادى العجيب. وكانت الصديقة فاطمة عليها السلام عادية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، فمتى ما كانت تقوم فى محرابها بين يدى الله

تعالی، زهر عنـد ذلک نورها لملائکـة السـماوات والأرض کما نیر هو نور الکواکب لأهل الأرض [۵۲۰]، وروت هی سـلام الله علیها انها قالت: سمعت النبی صلی الله علیه وآله وسلم یقول: ان فی الجمعهٔ لساعهٔ لا یراقبها رجل مسلم یسأل الله عزوجل فیها خیرا إلاّ اعطاه ایـاه. فقلت: یا رسول الله أی ساعـهٔ هی؟ قال اذا تـدلی [صـفحه ۳۵۶] نصف عین الشـمس للغروب. لـذا نجدها سـلام الله علیها کانت تقول لغلامها اصـعد علی الظراب فاذا رأیت نصف عین الشـمس قـد تدلی للغروب فاعلمنی حتی ادعوا ولذلک نجد فی کتب الادعیهٔ والزیارهٔ اسـتحباب قراءهٔ دعاء السـمات اخر ساعهٔ من یوم الجمعهٔ تأسیا بما ورد عن لسان فاطمهٔ عن أبیها رسول الله صلی الله علیه وآله وسـلم. وورد عن الإمـام الحسن علیهـا السـلام انه قـال: رأیت أمی فاطمـهٔ علیهـا السـلام قامت فی محرابها لیلـهٔ جمعتها فلم تزل راکعهٔ ساجدهٔ حتی انصع عمود الصبح وسمعتها تدعو للمؤمنین وتسمیهم وتکثر الدعاء لهم ولاتدعو لنفسها بشیء فقلت لم لهذا یا اماه، لم لا تـدعین لنفسـک کمـا تـدعین لغیرک؟ فقالت: یا بنی الجار ثم الـدار [۵۲۱]، واخیرا قول الحسن البصـری الـذی قـال فی حقهـا علیها السلام: «ما کان فی هذه الأمهٔ اعبد من فاطمهٔ علیها السلام کانت تقوم حتی تتورم قدماها» [۵۲۲]. [صفحه ۳۵۷]

المعرفهٔ العلمیهٔ والفکریهٔ لها

اشاره

ألاـ هـل إلی طـول الحیـاهٔ سـبیـل وأنـی وهـذا المـوت لیس یـحول وانی وان اصبحت بـالموت مـوقنا فـلی امـل مـن دون ذاک طـویل وللـدهر الوان تـروح وتـغتـدی وان نـفوسا بـینهن تسـیل ومـنزل حـقّ لا معرج دونـه لکـل امـریء منها إلیـه سـبیل قـطعت بـأیـام التـعزز ذکـره وکـل عـزیز مـاهناک ذلیـل اری عـلل الـدنـیا عـلی کـثیرهٔ وصـاحبها حـتی الممات علیل وانی وان شـطت بـی الـدار نـازحا وقـد مـات قـبلی بـالفراق جمیـل وقـد قـال فـی الامثـال فی البین قـائل اضـرّ بـه یـوم الفـراق رحیـل لکـلّ اجـتماع مـن خـلیلین فرقـهٔ وکـل الذی دون الفـراق قـلیل وان افـتقادی فـاطما بـعد احـمد دلیـل عـلی ان لایـدوم خـلیل وکـیف هنـاک العیش مـن بعـد فـقـدهم لعـمرک شـیء مـا إلیه سـبیـل [۵۲۳]. ولیس جـلیلاـ رزء مـالٍ وفـقـده ولکـن رزء الاکـرمین جـلیل یتساوی النساء فی الحقوق والجواجبا من جههٔ التشـریع الاسلامی ومنطلقاته الاصلیهٔ، فهم سواسیهٔ کأسنان المشط فی المظهر الخارجی، ولکن من حیث حقیقـهٔ وجوهر کل انسان تختلف من شخصـیهٔ إلی اخری، وقدیما قیل: الناس مخابر، ولیسوا بمناظر أی الإنسان بجوهره وحقیقته، وذلک ان المخبر بکشف عن سلوک الإنسان ویبدو علی سیرته الذاتیهٔ بشـکل واضح لا لبس فیه... فما أضـمر ابن ادم شـیئا الا وظهر [صـفحه ۳۵۸] علی فلتـات لسـانه وصـفحات وجهه، کمـا قال أمیر المؤمنین علیه السـلام ذلک فی نهج البلاغـهٔ «تکملوا تعرفوا فـان المرء مخبوء تحت طیـات لسـانه» فالکلمـهٔ تعرف حقیقـهٔ الإنسان وطبیعـهٔ شخصـیهٔ یکون عبر توجیه بعض الاسـئلهٔ إلیه ومن خلال الجواب علیها یظهر طبع شخصـیتها وحقیقتها ومدی سـعتها واستیعابها، وهل هی شخصیهٔ عالیهٔ ذا همهٔ کبیرهٔ ام لا؟ وغیر ذلک من الامور المعمـهٔ، ذلک ان الکلمهٔ التی تخرج من الفم تحمل معها صورهٔ قائلها ونبضات قلبه، وخلجات نفسه ودخائل شخصـیته، وهـذه حقیقـهٔ معروفـهٔ لـدی علمـاء النفس والتربیـهٔ والاجتمـاع، کـل ذلک نقوله لکی نهتـدی إلی سواء السبیل. وعلی هـذا الاساس اننا نهتدی إلی معرفهٔ الشخصـیهٔ العلمیهٔ والفکریهٔ بها سـلام الله علیها من خلال عدهٔ امور مهمهٔ ومن خلالها نعبر إلی شخصیتها وندخل فی فهم حقیقتها وهذه الامور هی:

یمکن معرفهٔ شخصیتها...

یمکن معرفهٔ شخصـیتها یمکن معرفهٔ شخصـیتها من خلال سـیرتها الذاتیهٔ التی یرویها لنا أهل البیت علیهم السلام والاقربون من ذویها، ذلـک لأنّ أهل البیت ادری بما فیه وأه مکـهٔ ادری بشـعابها کما یقول المثل. إذ ان هناک امور فی الحیاهٔ صـحیحهٔ وثابته وفق مقاییس

العقل والبرهان ولا تحتاج إلى اثبات اثبات احقيتها واصحيتها إلى دليل من الخارج ولا تحتاج إلى اثبات صحة دعواها ايضا إلى شاهد فدليلها مستمد منها، ومن هذهالامور الثابتة فی حيات الإنسان الكامل «فاطمة الزهراء» هی سيرتها الذاتية التی تثبت من خلالها معرفتها الحقيقية فهذه السيرة هی السبيل الصحيح للوقوف علی حياتها عليها السلام. فهی الضابط والمعاير الصحيح للحكم عليها من خلالها. فالإنسان لايعرف المعرفة الصحيحة إلاّ من خلال هذه السيرة علی وجه الدقة اما بقية المسائل الاخری فی حياة المسائل الاخری فی حياة الإنسان من الشعارات والاطروحات والادلة والشواهد وغير ذلک لاتمثل سوی الجانب النظری من حياة الإنسان الشخصية، ومدی صدق هذه الدعوی [صفحه ۳۵۹] فهی متروكة للجانب التطبيقی فی حياته، اذن السيرة الذاتية الصديقة الطهرة تمثل جانب تطبيقی من حياتها الشخصية علی كافة المستويات، ولا نريد الوقوف مع السيرة الذاتية لفاطمة عليها السلام فی هذا الكتاب بصورة تفصيلية حيث قد اعطينا بعض النماذج للسيرة الذاتية له فی نفس هذا الكتاب هذه النماذج، علی شكل امور متناثرة فی طيات البحوث فلانقف تفصيليا معها هنا.

يمكن ان نعرف شخصيتها...

يمكن ان نعرف شخصيتها من خلال مواقفها لأنّ الموقف عمل والعمل ماهو إلاّ انعكاس لطبيعة شخصية الفرد وهذا ما اثبته التاريخ الاسلامی لفاطمة عليها السلام حيث اخبرنا بمواقفها الفذة فی جميع الحالات التی مرت بها. فعندما كانت قريش تؤذی رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم وتتعرض له بأنواع المواجهة كانت الزهراء عليها السلام تقف إلی جانبه صابرة محتسبة، فيدخل إلی البيت وقد حثی الكافرون التراب علی رأسه الشريف، فتستقبله الزهراء عليها السلام وتغسل التراب عن رأسه وهی باكية، فيقول لها الرسول صلی الله عليه وآله وسلم: لا تبكی فان الله نصار أباک، وعندما رمی أبو لهب رسول الله صلی الله عليه وآل وسلم بروث البقر اندفعت فاطمة عليها السلام لتذب عن أبيها الرسول صلی الله عليه وآله وسلم، وتسمع ابا لهب من الكلام ما يتوقف خلاله من الاندفاع بالسخرية برسول الله صلی الله عليه وآله وسلم. كما انها عليها السلام التحقت بأبيها صلی الله عليه وآله وسلم بعد هجرته إلی المدينة مجازفة بحياته ومضحية، بروحها فی سبيل نصر الاسلام واعزاز مبادئه المثلی، ولا يمكن ان يغفل دورها فی الوقوف إلی جانب رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم أيام دعوته المباركة، تؤنسه وتزيح عنه الهموم والآلام، وتعيد البسمة إلی وجهه المبارک اذا اشتدت عليه الخطوب. اضف إلی مواقفها الرسالية ايام الحروب وهی صغيرة السن بعد، ففی معركة أحد تكسر رباعية رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم ويشج جبينه، فتقبل الزهراء عليها السلام لتغسل وجهه، وتزيل الدماء عن محياه،وتعالج نزيف جراحاته، فقد جاء فی صحيح مسلم: «قال سهل بن سعد: جرح وجه رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة عن رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم تغسل الدم، وكان علی بن أبی طالب [صفحه ۳۶۰] يسكب عليها بالمحن، فلما رأت فاطمة ان الماء لايزيد الدم إلاّ كثرة، اخذت قطعة حصير فأحرقته حتی صار رمادا ثم الصقته بالجرح فاستمسک الدم». ونقل ابی نعيم فی (حلية الأولياء) عن أبی ثعلبة انه قال: «قدم رسول الله من غزاة له، فدخل المسجد فصلی فيه ركعتين، ثم خرج فأتی فاطمة عليها السلام فبدأ به قبل بيوت ازواجه، فاستقبلته فاطمة عليها السلام وجعلت تقبل عينيه ووجهه وتبكی» والاعجب من ذلک ان فاطمة عليها السلام كانت تهیء لابيها صلی الله عليه وآله وسلم السلاح فی المعركة التی جرت فی اليوم القادم. وفی معركة الخندق تقبل علی ابيها بأقراص من الخبز معدودة بعد ان بقی اياما بلا طعام، فجاء فی ذخائر العقبی: «روی عن علی عليه السلام فی حفر الخندق عن رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم ان فاطمة عليها السلام جاءت إليه بكسرة من خبزٍ فرفعتها إليه فقال: ما هذه يا فاطمة؟ قالت: من قرص اختبزته لابنتی جئتک منه بهذه الكسرة. فقال: يابنية اما انها لاول طعام دخل فی فم أبيک منذ ثلاث». وفی الفتح المبين نری الزهراء عليها السلام تضرب لا بيها صلی الله عليه وآله وسلم خيمة وتهیء له طعاما ليستحم ويغتسل حتی يزول عن جسده المبارک غبار الطريق، ويرتدی ثيابا نظيفة يخرج بها لإلی المسجد الحرام، ومن موقع الامومة وكونها زوجة وفية مخلصة لعلی عليه السلام نری انها

عليها السلام زهدت فى الدنيا وترفعت عن الدنيا، ولم يكن لها من هم إلاّ ـ تحمل المسؤولية الالهية بجدارة واستحقاق وتجسيد الصفات الالهية كأمثل ما يكون. فيروى ان علياً عليه السلام قد اشترى لها عقدا عليها السلام من اموال الفىء، وتقلدته الزهراء عليها السلام وتقبلت هذه الهدية من زوجها بسرور، وبينما هى متقلدة ذلك واذا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتى لزيارتها، فسلمت عليه وسلم عليها، إلاّ ـ انها وعلى غير المعتاد رأت مسحة من الحزن يقولون ابنة محمد تلبس لباس الجبابرة، ويوصيها ا تـذخر ذلك لاخرتها لتكون اسوة فى الزهد ومثالا للايثار والقناعة، فتنزع الزهراء عليها السلام ذلك العقد وتتصدق بثمنه فى سبيل الله وهى مليئة بالرضا والقناعة. ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدخل يوما على فاطمة عليها السلام فيراها قد علقت سترا على احد الأبواب لتزين الدار، فيتألم رسول الله عليها السلام لذلك ويقول لابنته: «انى لا احب ان يأكل أهل بيتى طيباتهم فى حياتهم الدنيا». فتبادر الزهراء عليها السلام من حينها للقيام ونزع الستر ممتثلة اوامر أبيها، ومن اورع امثلة [صفحه ۳۶۱] للايثار ماطفحت به كتب الحديث والتفسير من تقديم الزهراء عليها السلام وزوجها وولديها لطعامهم لثلاثة ايام متوالية لمسكين ويتيم واسير وبقائهم جياعا طيلة هذه المدة قربة لوجه الله الكريم، فنزل بشأنهم: (ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا، عينا يشرب بها عباد الله ويفجرونها تفجيرا، يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيرا، ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا، انم نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاءا ولا شكورا). ومن المواقف التى خلدت من خلالها الزهراء عليها السلام الزهد والايثار والقناعة انها عليها السلام قد طلبت من ابيها صلى الله عليه وآله وسلم ان يكون مهرها الشفاعة للمذنبين من امته يوم القيامة، فنزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مخبرا اياه بتلبية الله تعالى لطلب فاطمة عليها السلام وبما ان درع على عليه السلام كان المهر التقليدى لفاطمة عليها السلام فان اغلى قيمة ذكرت لذلك الدرع هى خمسمائة درهم [۵۲۴] .

و تستطيع معرفة فاطمة و شخصيتها...

وتستطيع معرفة فاطمة وشخصيتها الربانية من خلال نور كلامها الشريف الذى هو عبارة عن صورة حقيقية والنعكاس صادق لشخصيتها الالهية، فمن خلال اقوالها وكلماتها نستطيع ان نستدل عليها، ونكتشف حقيقتها فى سهولة ويسر وبساطة، ولقد تجلت انوار كلماتها المضيئة فى مختلف أبواب العلوم والفنون كعلم الفقه والاخلاق وسائر العلوم الاخرى التى تكلمت فيها، او عه عنها على اختلاف انواعها من علوم رتيبة او غريبة ظاهرة او باطنة، نقلية او عقلية، علمية او ادبية انسانية او طبيعية الهية او دنيوية فانها سلام الله عليها قد كشف القناع عن الكثير من الأسرار التى تخص هذا الوجود وبينت الكثير من عجائبه وفى كل ذلك نستطيع ان نلتمس منه وفيه شيئا يسيرا م معرفتها سلام الله عليها اما انوار كلامها فهذا ما بينته الكثير من الكتب الروائية التى نقلت لنا بين طياتها احاديثها وعد ذاتها احرازها وادعيتها وولايتها وغير ذلك فراجع المطويات للاطلاع والوقوف على هذه الأنوار الفاطمية. [صفحه ۳۶۲] قصيدة للشيخ المنصورى لك ذكرى تمر فى كل عام وعليها تمر مر الكرام هى ذكرى لها نقيم احتفالا ـ بابتهاج وفرحة وابتسام هى ذكرى ولادة سرّ فيها سيد المرسلين خير الانام بصبوح يشع فى الكون شمسا لا كشمس الضحى وبدرالتمام هى شمس والشمس ياصاح فيها ان تقسمها فمالها من مقام هى شمس الهدى وشمس المعالى وهى احرى بالذكر والاحترام من سواها فخلنى وسرورى لحظات بعد الدموع السجام ان قلبى من الهموم ملىء وملىء من الخطوب الجسام ثم أمسى خلى بال طروبا راقدا بين، نايه، والمدام ان ضرب الامثال فى مثل هذا هو ضرب، ومن فضول الكلام فالتزامى بحب آل رسول الله يغنى عن البيان التزامى فمصاب الزهراء روحى فداها هو فى وسط قلبى المستظام والحسين الشهيد فى الطف ليلا ـ يتراءى لمقلتى فى المنام فكأن السيوف تنهل منه نصب عينى والظالمون امامى هو مرمى فوق الصعيد ومرمى بعد وخز الضبا لرشق السهام فسماحا ام الحسين اذا ما شط بى مزبر الشجاء عن مرامى وطأة الرزء أثقلتنى فراحت دون قصد تخطه

أقـلامی عـلمتها انـاملی ان تـطیل القـول فـی وذم اللـئام فـعلیک السـلام منی یـتری ان تـفضلت فـی قـبول سـلامی یـا ابـنة المـصطفی ویـا خیر ام لبـنی المـرتضی الهـداة الکـرام امـنحینا بـنظرة مـنک فـضلا فسـماها مـلبد بـالظلام انت بـاب النـجاة مـنک فـضلا فادفعی السـوء عـن ربـی الاسـلام واحـرسینا مـن خـصنا بـدعاء هـو امضی مـن الف الف حسـام [صفحه ۳۶۳]

المعرفة النورانية لها

وذلک بالاطلاع علی حقیقة نورها سلام الله علیها والمبدأ الـذی منه انحدر وفیه علا ذلک النور، ویمکن مراجعة الکثیر من الروایات الواردة فی المقام لکی تعرف هذه المعرفة النورانیة لها والتی هی کفوا لعلی علیه السلام والذی یقول هو نفسه علیه السلام عندما سأله أبوذر الغفاری وسلمان رضوان الله علیهما عن معرفته بالنورانیة فقال علیه السلام. «انه لا یستکمل احد الإیمان حتی یعرفنی کنه معرفتی بالنورانیة فاذا عرفنی بهذه المعرفة فقد امتحن الله قلبه للایمان وشرح صدره اللاسلام وصار عرافا مستبصرا ومن قصر عن معرفة ذلک فهو شاک مرتاب. یا سلمان ویا جندب، قالا: لبیک یأ أمیر المؤمنین، قال علیه السلام: معرفتی بالنورانیة معرفة الله عزوجل، معرفة الله عزوجل، ومعرفة الله عزوجل ومعرفتی بالنورانیة وهو الـدین الخالص الذی قال الله تعالی: (وما امروا إلّا لیعبدوا الله مخلصین له حنفاء ویقیمون الصلاة ویؤتوا الزکاة وذلک دین القیمة). إلی ان یقول علیه السلام: (یا سلمان ویا جندب، قالا: لبیک صلوات الله علیک، قال علیه السلام: أنا أمیر کل مؤمن ومؤمنة ممن مضی وممن بقی، وایدت بروح العظمة، وانما انا عبد من عبید الله لا تسموا اربابا وقولوا فی فضلنا ماشئتم فانکم لن تبلغوا من فضلنا کنه ما جعله الله لنا، ولا معشار العشر». وهذا یؤیده علی ما ورد فی الزیارة الجامعة الکبیرة «من عرفکم فقد عرف الله» ای ان معرفتکم من شأنها ان تؤدی إلی معرفة الله تعالی لانهم هم الـدالین علیه تعالی لـذا ورد فی الحـدیث عن جابر عن عبدالله الأنصاری یقول: «سمعت ابا جعفر علیه السلام یقول: انما یعرف الله عزوجل ویعبده من عرف وعرف امامه منا أهل البیت وعن لا یعرف الله عزوجل ولا یعرف الإمام منا أهل البیت فانما یعرف ویعبد غیر الله هکذا والله ضلالا» [۵۲۵] . اذن معرفة فاطمة بالنورانیة [صفحه ۳۶۴] کمعرفة علی علیه السلام بالنورانیة «نحن أهل البیت عجنت طینتنا بید العنایة بعد رش علینا فیض الهدایة ثم خمرت بخمیرة النبوة وسقیت بماء والوحی ونفخ فیها روح الأمر فلا أقدامنا تنزل، ولا أبصارنا تضل، ولا أنوارنا تفل، واذا ضللنا فمن بالقوم یدل». الناس من شجرة شتی وشجرة النبوة واحدة محمد رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم اصلها وانا فرعها وفاطمة الزهراء ثمرها، والحسن والحسین اغصانها، أصلها نور وفرعها نور وثمرها نور، وغصنها نور، یکاد زیتها یضیء ولو لم تمسسه نار، نور علی نور» [۵۲۶] . علی ان هناک مراتب عدیدة للمعرفة فهی کلی مشکک له مراتب طولیة وعرضیة وقد قسموها إلی: ۱ ـ المعرفة البرهانیة: والتی تکون بالدلیل العقلی ۲ ـ المعرفة الإیمانیة: والتی تکون بالدلیل النقلی من الکتاب والسنة. ۳ ـ المعرفة الشهودیة: والتی تکون بالاشراف والکشف والشهود بالقلب. ولقد أضاف الیها سیدنا الاستاذ آیة الله السید عادل العلوی (دام ظله) تقسیماً آخر کما یلی: ۱ ـ المعرفة الجلالیة: وهی تعنی معرفة الشیء فی حدوده وشکله الهندسی کمعرفة الجبل من بعید. ۲ ـ المعرفة الجمالیة: وهی تعنی معرفة الشیء من باطنه وجوهره. ۲ ـ المعرفة الکمالیة: وهی تعنی الوقف علی هدف الشیء وغایته. [صفحه ۳۶۹]

فاطمة و لیلة القدر

للشیخ محمد علی الیعقوبی ولقد یعز علی رسول الله ماجنت الصحابة قد مات فانقلبوا علی الاعقاب لم یخشوا عقابه منعوا البتولة ان تنوح علیه او تبکی مصابه نعش النبی أمامهم ووراءهم نبذوا کتابه لم یحفظوا للمرتضی رحم النبوة والقرابة لو لم یکن خیر الوری بعد النبی لما استنابه قد اطفأوا نور الهـدی ضرباً بحضرته المهابة وعدوا علی بنت الهـدی ضرباً بحضرته المهابة فی أی حکم قد أباحوا ارث فاطم واغتصابه بیت النبوة بیتها شادت ید الباری قبابه

اذن الاله بـــــرفعه والقوم قـد هتكوا حـجابـهٔ بأبـى وديـعـهٔ احـمد جرعاً سقاها الظلم صـابه عاشت مـعصبهٔ الجـبين تئن مـن تـلك العـصابـهٔ حـتى قـضت وعـيونها عبرى ومـهجتها مـذابـهٔ وأمـضّ خطب فـى حشـا الاسـلام قـد اورى التهابـهٔ بـالليل واراها الوصـى وقبرها عـفى تـرابه [۵۲۷] . فاطمـهٔ وليلـهٔ القـدر «من عرف فاطمهٔ حق معرفتها فقد ادرك ليلهٔ القدر وانما سـميت فاطمهٔ لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها...». فى فاطمـهٔ الزهراء عليها السـلام سر مستودع كما تقـدم ذلك فى حـديثنا حول هذا الموضوع ـ أى السر المستودع ـ وايضـا فى ليلـهٔ القـدر سر عظيم لاـ يعرفه إلاّ المقربون الـذين امتحن الله قلوبهم للايمان والتقوى، فليلـهٔ القـدر رفعها البارى عزوجل وجعلها خيراً من الف شـهر وفيها تشويق لذيذ لمعرفهٔ ذلكم السر المكنون فى اعماقها، (وما ادراك ماليلهٔ القدر) حيث خاطب الله تعـالى المؤمنين فى ضـمائرهم لكى يحرك فيهم أمواج المعرفـهٔ عبر وسائـل العلم والوعى ولتنفتـح لهم اسـرار ليلـهٔ القـدر بـالتمعن والتدقيق فيها، على ان معرفهٔ ليلهٔ القدر تفوق الادراك البشـرى العادى أى انها تفوق ادراك سائر الناس من السواد الاعظم فانه لابد ان يكون فيها سر عظيم، والسر تقتضى معرفته استيعابا كاملا لمعنى ليلهٔ القدر والغايهٔ التى نزلت ليلهٔ القدر من اجلها ولا جل تحقيقها فى الأرض. وعلى هـذا الاساس لابـد من معرفهٔ الاساس الذى بنى عليه الحديث الذى ذكرناه فى أول بحثنا حول علاقهٔ معرفهٔ فاطمهٔ عليها السـلام بليلـهٔ القدر فانه لابد من وجود الترابط فى هذا الموضوع المهم، ففاطمهٔ فيها سـر مستودع وكذلك ليلهٔ القدر فيها سـر مكنون، فمن عرف فاطمـهٔ والسـر المستودع فيها عرف سـر ليلهٔ وعظمتها، فليلهٔ القدر عظيمهٔ كعظمهٔ فاطمهٔ عليها السـلام لذا كانت مجهولهٔ فى اثباتها ودقتها من حيث الزمان لمختص بليالى شهر رمضان. على ان عرف فاطمهٔ فقد ادرك ليلهٔ القدر هذا كونه ناتج عن معرفهٔ فاطمهٔ التى [صفحه ۳۷۰] تجعلنا ندرك الاسـلام ونستوعب اهميهٔ ليلهٔ القدر من خلال هذه المعرفهٔ، ولقد طرح الكثير من العلماء أوجه للشبه بين ليلهٔ القدر وفاطمهٔ عليها السلام [۵۲۸] ومنها: - ليلـهٔ القدر وعاء وظرف زمانى لنزول كل القرآن الكريم (إنا أنزلناه فى ليلهٔ القدر)، (ذلك الكتاب لا ريب فيه هـدىً للمتقين)، لا يأتيه الباطل من بين يديه، وفيه كل شـىء، وتبيان كل شـىء، وسـعادهٔ الدراين. وكذلك الحوراء الانسيهٔ فاطمهٔ الزكيهٔ، فان قلبها ظرف مكانى وروحانى، وصدرها وعاء الهى للقرآن الكريم والمصـحف الشريف، وانها كانت محدثـهٔ تحـدثها الملائكهٔ، فهى وعاء للامامهٔ وللمصـحف الشـريف. - وفى ليلهٔ القدر يفرق كل أمرٍ أحكمه الله خلال السـنهٔ، فيفرق ما يحـدث فيها من الامور الحتميـهٔ وغيرها، وينزل بها روح القدس على ولى العصـر والزمان وحجهٔ الله على الخلق الذى بيمنه رزق الورى وبوجوده ثبتت الأرض والسماء، وان الإيمان بليلهٔ القدر فارق بين المؤمن والكافر. كذلك بفاطمهٔ الزهراء الطيبهٔ الطاهرهٔ المطهرهٔ يفرق بين الحق والباطل، والخير والشـر، والمؤمن والكافر، وقـد ارتـد الناس فى العمل وفى الولايـهٔ بعـد رحلـهٔ رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم إلاـ ثلاث. أو خمس أو سبع، وفيهم سيدهٔ النساء فهم على حق، وغيرهم استحوذ عليهم الشيطان فاغرهم وأضـلهم فكانوا أئمهٔ الضـلال. - وفى ليلهٔ القدر معراج الأنبياء والأولياء إلى الله سبحانه فيزاد فى علمهم اللدنى والربانى ويكسبوا من الفيض الاقدس الالهى. كـذلك ولايـهٔ فاطمـهٔ المعصومهٔ النقيهٔ التقيهٔ، فهى مرقاهٔ لوصولهم إلى النبوهٔ ومقام الرسالهٔ والعظمهٔ الشـموخ الانسانى والروحانى، فما تكـاملت النبوهٔ لنبى حتى أقر بفضـلها ومحبتهـا وذلـك فى عـالم (ألست بربكم) أو فى عـالم الـذر أو عالم الانوار أو الارواح أو النشأهٔ الإنسانيـهٔ التى وراء نشأتنـا هـذه، وهـذه انمـا هى صورهٔ لتلـك كما عنـد بعض الاعلام. ففاطمـهٔ، الزهراء قطب الأولياء والعرفاء ومعراج الأنبياء والأوصياء، صدرها خزانهٔ [صـفحه ۳۷۱] الأسـرار، ووجودهـا ملتقى الانوار، فهى حلقـهٔ الوصل بين أنوار النبوهٔ وأنوار الإمامـهٔ، فأبوهـا محمـد رسول الله، وبعلهـا على وصيه وخليفته امـام المتقين وامير المؤمنين، ومنها أئمـهٔ الحق والرشاد وأركان التوحيـد وساسـهٔ العباد. - وليلـهٔ القـدر خير من الف شـهر فيضاعف فيها العمل والثواب كل واحـدٍ بألف، فالتسبح والتمجيد والتهليل والتكبير والصـلاهٔ وكل عمل كل واحد بالف، فكذلك محبهٔ الزهراء وولايتها يوجب مضاعفهٔ الاعلمال فان تسبيحها (۳۴ مرهٔ الله اكبر و۳۳ مرهٔ الحمد الله و۳۳ مرهٔ سبحان الله) بعـد كل صـلاهٔ واجبـهٔ او نافلـهٔ يجعل كل ركعـهٔ بألف ركعهٔ كما ورد فى الخبر الشـريف. فمودتها هى الاكسير الاـعظم، يجعـل من كـان معـدنه الحديـد ذهباً، وان الناس معادن كمعادن الـذهب والفضـهٔ، فمن والادها واحبها وأطاعها واطاع ابنائها الاطهار، وعادى عـدوها واعـداء ذريتها، فانه يكون كالذهب المصـفى وباقى الناس كلهم التراب، وان الله يضاعف الاعمال بحبها كما

تضاعف فى ليلة القدر، وامتازت ليلة القدر عن كل ليالى السنة بالخير والبركة والشرافة والعظمة وعلو الشأن والرفعة، كذلك خير نساء الاولين والاخرين فاطمة الزهراء عليها السلام فهى خير أهل الأرض والسماء عنصرا وشرفا وكرامة بعد ابيها الرسول المصطفى وبعلها الوصى المرتضى. – وليلة القدر ليلة مباركة (انا انزلناه فى ليلة مباركةٍ)، والبركة بمعنى النماء والزيادة والخير المستمر والمستقر الدائم والثابت وما يأتى من قبله الخير الكثير، ومن ألقاب فاطمة الزهراء انها (المباركة) ففيها كل بركات السماوات والأرض، فهى الكوثر فى الدنيا والاخرة، وهى المنهل العذب والمعين الصافى لكل فى اراد البركة، فما ادراك ما فاطمة، خير من الوجود بعد أبيها وبعها. ولو كـن النساء كمثل هذه لفضلت النساء على الرجال ولا التأنيث لاسم الشمس عار ولا التذكير فخر للهلال وقال آخر: هى مشكاة نور الله جل جلاله زيتونة عم الورى بركاتها فهى الكوثر، والكوثر، الخير الكثير (انا اعطيناك الكوثر)، ومنها ذرية الرسول [صفحه ۳۷۲] الاكرم، وعدم انقطاع نسله إلى يوم القيامة، وفى وصف النبى، انما نسله من مباركة لها بيت فى الجنة لا صخب فيه ولا نصب، والعبادة فى ليلة القدر تكون منشأ للفيوضات الالهية، والكمالات الربانية والفيوضات القدسية، والبركات السماوية، كذلك التوسل بفاطمة الزهراء فهى منشأ البركات والخيرات، ونزل القرآن الكريم وهو النور والفرقان والبيان والتبيان فى ليلة القدر، فليلة القدر نزول النور الالهى، وفاطمة الزهراء عليها السلام هى نور الله، وهى الكوكب الدرى، كما جاء ذلك فى تفسير آية النور فى قوله تعالى: (الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كانها كوكب درى يوقد شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور الله يهدى الله لنوره من يشاء) [۵۲۹] . عن موسى بن القاسم عن على بن جعفر قال: سألت ابا الحسن ـ الإمام الكاظم عليه السلام ـ عن قول الله عزوجل (كمشكاة فيها مصباح)، قال: المشكاة فاطمة والمصباح الحسن والحسين. (كانها كوكب درى) قال: كانت فاطمة كوكباً دريا من نساء العالمين. (يوقد من شجرة مباركة)، الشجرة المباركة ابراهيم (لا شرقية ولا غربية)، لا يهودية ولا نصرانية (يكاد زيتها يضيء) قال: يكاد العلم ان ينطق (ولو لم تمسسه نار نور على نور)، قال: يهدى الله عزوجل لولايتنا من يشاء [۵۳۰] . عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها: اعلم يا أبا الحسن ان الله تعالى خلق نورى وكان يسبح الله جل جلاله، ثم ادعه شجرة من شجر الجنة فأضاءت، فلما فلما دخل ابى الجنة اوحى الله إليه الهاما ان اقتطف الثمرة من تلك الشجرة وادرها فى لهواتك، ففعل، فأوعنى الله سبحانه صلب ابى صلى الله عليه وآله وسلم ثم اودعنى خديجة بنت خويلد فوضعتنى، وانا من ذلك النور اعلم ما كان وما يكون وما لم يكن، يا أبا الحسن المؤمن ينظر بنور الله تعالى [۵۳۱] وما أروع ما يقوله الشاعر: [صفحه ۳۷۳] مشكاة نور الله جل جلاله زيتونة عم الورى بركاتها هى قطب دائرة الوجود ونقطة لما تنزلت اكثرت كثراتها هى أحمد الثانى واحمد عصرها هى عنصر التوحيد فى عرصاتها ويقول المحقق العلامة الشيخ محمد باقر صاحب (الخصائص الفاطمية) فى كتابه: سبحانك اللهم يا فاطر السماوات العلى وفالق الحب والنوى، انت الذى فطرت اسما من اسمك واشتقته من نورك، فوهبت اسمك بنورك حتى يكون هو المظهر لظهورك، فجعلت ذلك الاسم اصل لجملة اسمائك وذلك النور ارومة لسيدة امائك، وناديت بالملا الاعلى: أنا الفاظر وهى فاطمة، وبنورها ظهرت الاشياء من الفاتحة إلى الخاتمة، فاسمها اسمك ونورها نورك وظهورك ظهورها، ولا اله غيرك، وكل كمالٍ ظلك وكل وجود ظل وجودك، فلما فطرتها فطمتها عن الكدورات البشرية واختصصتها بالخصائص الفاطمية، مفطومة عن الرعونات العنصرية، ونزهتها عن جميع النقائص مجموعة من الخصائص الفاطمية، مفطومة عن الرعونات العنصرية، ونزهتها عن جميع النقائص مجموعة من الخصائل المرضية بحيث عجزت العقول عن ادراكها، والناس فطموا عن كنه معرفتها، فدعا الاملاك فى الافلاك بالنورية السماوية وبفاطمة المنصورة... ام السبطين واكبر حجج الله على الخافقين، ريحانة سدرة المنتهى وكلمة التقوى والعروة الوثقى وستر الله المرخى والسعيدة العظمى والمريم الكبرى والصلاة الوسطى والانسية الحوراء التى بمعرفتها دارت القرون الاولى. وكيف احصى ثناها وان فضائلها لا تحصى وفواضلها لا تقضى، البتول العذراء الحرة البيضاء ام ابيها وسيدة شيعتها وبنيها، ملكة الأنبياء الصديقة فاطمة الزهراء عليها سلام الله [۵۳۲] . – وكثير من الناس ادركتهم السعادة فى ليلة القدر، فهى ليلة السعادة، وكذلك السيدة فاطمة الزهراء فهى سر السعادة، ومحبتها ومعرفتها

والاقتداء بها واطاعتها ونصرتها يوجب السعادة الابدية، ويحلق الإنسان فى آفاق الكمال ويسبح فى يم الجلال. وكم من شاهد وقصة تدل على ان هناك من ادركتهم السعادة ببركة فاطمة الزهراء عليها السلام، كما الله هدى ذلك المجوسى وأهل بيته إلى الاسلام فاسلموا جميعا لما [صفحه ۳۷۴] اكرم العلوية التى جاءت إليه تشكو حالها، كما يحدثنا بذلك العلامة المجلسى قدس سره فى كتابه القيم (بحار الانوار ۹۳: ۲۲۵ ـ ۲۳۶)، فراجع. ان الله سبحانه جعل حريماً لكل امر مقدس ومعظم، فانه لا صلاة إلّا بطهور وتكبيرة الاحرام، وان الحجر الاسود ومكة المكرمة جعل لها حرما، فلا يدخلها إلاّ من كان محرما، وقد حرم على نفسه الملاذ، كالنساء واستعمال الطيب ولبس المخيط وطلب الراحة كالاستظلال، فكان الحجر الاسود مواقيت، وتقدست بقعة من الأرض لاجله، ولأنّ مكة المكرمة والكعبة المعظمة مهبط الوحى ونزول الرسالة المحمدية السمحاء المتمثلة بالقرآن الكريم، والكعبة المعظمة مهبط الوحى ونزول الرسالة المحمدية السمحاء المتمثلة بالقرآن الكريم، فمكة المكرمة مكان نزول القرآن وليلة القدر زمان نزوله، وصار للكعبة حرما اثر عظمة الوحى، وكذلك شهر رمضان، فانه نزل القرآن كله فى ليلة قدره، ولكن سرت القداسة والتكريم والتعظيم إلى ان كل ايام وليالى الشهر، بل تشرف ذلك العصر الذى نزل فيه القرآن فأقسم به الله فى سورة العصر، كمما أقسم بالمكان الذى نزل فيه الوحى (لا اقسم بهذا البلد) فشعاع الوحى والقرآن الكريم قد نور ميدانا وسيعا فى الزمان والمكان. فما تقدس عند ربك الاكرم الذى علم الإنسان مالم يعلم، فانه يكون له حريم مقدس وتوابع مقدسة، كليلة القدر بشرفها تشرفت ليالى شهر رمضان وايامه، وكذلك فاطمة الزهراء تقدست عند ربها، فوجب اجلالها واكرامها، بل وينبغى تعظيم ذريتها ومودتهم وتكريمهم، فانه الف عين لاجل عين تكرم، فوجب على كل مسلم اكرام السادة والذرية الطيبة، من ولد فاطمة الزهراء وعلى المرتضى عليهما السلام، فالصالح منهم يكرم الله والطالح منهم لرسوله وعترته. ان الله سبحانه وتعالى قد دعا عباده لضيافتهم العامة فى شهر رمضان المبارك، فالصائم وافد على الله وضيفه ولكل ضيف قرى، وقرى الله الاعتاق من النار ودخول الجنة، وان الله ليغفر لعباده الصائمين ويعتق الرقاب من جهنم فى الشهر كله، فانها خير من الف شهر، كما جاء نص ذلك فى الأخبار، وفاطمة الزهراء عليها السلام سميت فاطمة، لانها تفطم شيعتها من النار، وتعتق رقابهم وتدخلهم الجنة (ومن زحزح عن [صفحه ۳۷۵] النار، وادخل الجنة فقد فاز) [۵۳۳] . عن الإمام الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: انما سميت ابنتى فاطمة لأنّ الله فطمها وفطم محبيها عن النار [۵۳۴] . قال النبى: انما سميت فاطمة ابنتى لأنّ الله فطمها ومحبيها عن النار [۵۳۵] وانفردت ليلة القدر بعظمتها وشموخها من بين ليالى السنة، فليس لها مثيل ولا نظير، فهى سيدة الليالى والأيام. وفاطمة الزهراء عليها السلام لا مثيل لها بين النساء، فهى سيدة نساء العالمين من الاولين والاخرين فى الدنيا والاخرة، ولو لا امير المؤمنين على المرتضى عليهما السلام لما كان لها كفؤ من الرجال آدم ومن دونه، وهذا مانصت علهى الأخبار الشريفة عند الفريقين السنة والشعية، ذات الله سبحانه سر لا يعلمه إلاّ هو، وله فى خلقه اسرار لا يعلمها إلاّ هو ورسوله والراسخون فى العلم من عترة النبى الهادى المختار عليهم السلام. وليلة اقدر سر من اسرار الله، وفاطمة الزهراء عليها السلام عصمة الله وسر من اسراره العظمى، لا يعرف حقيقتها ومقامها الرفيع وآياتها الباهرة إلاّ الله ورسوله وأهل بيته الاطهار عليهم السلام، فهى سر فى وجودها وفى ولادتها وحياتها ورحلتها إلى جوار ربها. وليلة القدر قد جهلها الناس من حيث الليالى ومن حيث القدر والمنزلة فقطعوا وفطموا عن معرفتها، كذلك البضعة الاحمدية والجزء المحمدى فهى مجهولة القدر (وانما سميت فاطمة لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها)، كما جهل قدرها اولئك الكفرة احرقوا بابها وكسروا ضلعها واسقطوا جنينها وغصبوا فدكها وحقها، ولم ينصروها فخفى على الناس مقامها وقدرها حتى قبرها الشريف وتأريخ وفاتها، ليكون شاهدا فى التأريخ على مظلوميتها وشهادتها ومظلومية بعلها (اللهم العن اول ظالم ظلم حق محمد وآل محمد وآخر تابع له على ذلك). عن مجاهد: خرج النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو آخذ بيد فاطمة فقال: من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهى فاطمة بنت محمد، وهى بضعة منى وهى قلبى وهى روحى التى [صفحه ۳۷۶] بين جنبى من آذاها فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله [۵۳۶] ومن اذى الله لعنه الله ملأ السماوت والأرض [۵۳۷] ومن طرق العامة، عن نصر بن مزاحم، عن زياد بن المنذر، عن زادان، عن سلمان، قال: قال النبى: يا سلمان، من احب فاطمة بنتى فهو فى

الجنة معى ومن ابغضها فهو فى النار، يا سلمان، حب فاطمة ينفع فى مائة من المواطن، ايسر ذلك المواطن الموت والقبر والميزان والمحشر والصراط والمحاسبة، فمن رضيت عنه ابنتى فاطمة رضيت عنه ومن رضيت عنه رضى الله عنه، ومن غضبت عليه غضبت عليه، ومن غضبت عليه غضب الله عليه، يال سلمان، ويل لمن يظلمها ويظلم بعلها امير المؤمنين عليا وويل لمن يظلم ذريتها وشيعتها [۵۳۸] . وأخيراً نختم هذا الموضوع بحديث ورد فى معرفة ليلة القدر وما الذى يفرق فى هذه الليلة حيث جاء عن زرارة عن حمران قال: «سألت ابا عبدالله عما يفرق فى ليلة القدر هل هو ما يقدر سبحانه وتعالى فيها؟ قال: لا توصف قدرة الله تعالى إلّا أنه قال فيها يفرق كل امر حكيم فكيف يكون حكيما إلّا ما فرق ولا توصف قدرة الله سبحانه لانه يحدث ما يشاء واما قوله «خير من ألف شهر» يعنى فاطمة فى قوله تعالى «تنزل الملائكة والروح فيها» والملائكة فى هذا الموضع المؤمنون الذين يملكون علم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم والروح روح القدس وهى فاطمة عليها السلام «من كل امر سلام» يقول كل امر سلمه حتى يطلع الفجر يعنى حتى يقوم القائم «عج» [۵۳۹] . [صفحه ۳۷۹]

فلسفة اسماء فاطمة الزهراء

اشاره

الشيخ صالح الكواز هل بعد موقفنا على يبرين أحبى بطرفٍ بالدموع ضنين وإذا عاينت بين طلوله أجريت عينى للظباء العين لم تخب نار قطينةٍ حتى ذكت نار الفراق بقلبى المحزون وابتاع جدّته الزمان بمخلق ورمى حماه بصفقةٍ المغبون قال الحداة وقد حبست مطّيهم من بعدما أطلقت ماء شؤونى ماذا وقوفك فى ملاعب خرّدٍ جدّ العفاء بربعها المسكون وقفوا معى حتى إذا ما استيأسوا خلصوا نجيّاً بعدما تركونى فكأنّ يوسف فى الديار محكم وكأننى بصواعه اتهمونى ويلاه من قوم أساؤوا صحبتى من بعد إحسانى لكلّ قرين قد كدت لولا الحلم من جزعى لما ألقاه أصفق بالشمال ويمينى لكنّما والدهر يعلم أننى ألقى حوادثه بحلم رزين قلبى يقل من الهموم جبالها وتسيخ عن حمل الرداء متونى وأنا الذى لا أجزعن لرزيةٍ لولا رزاياكم بنى ياسين تلك الرزايا الباعثات لمهجتى ماليس يبعثه لظى سجّين كيف العزاء لها وكلّ عشيةٍ دمكم بحمرتها السماء ترينى والبرق يذكرنى وميض صوارم أردتكم فى كفّ كلّ لعين والرعد يعرب عن حنين نسائكم فى كلّ لحنٍ للشجون مبين يندبن قوماً ماهتفن بذكرهم إلّا تضعضع كلّ ليث عرين السالبين النفس أول ضربةٍ والمبلسين الموت كلّ طعين لا عيب فيهم غير قبضهم اللّوا عند اصطكاك السمر قبض ضنين سلكوا بحاراً من دماء أميةٍ بظهور خيلٍ لا بطون سفين [صفحه ۳۸۰] ما ساهموا الموت الزؤام ولا اشتكوا نصباً بيوم بالردى مقرون حتى إذا التقمتهم حوت القنا وهى الأمانى دون خير أمين نبذتهم الهيجاء فوق تلاعها كالنون ينبذ بالعرا ذا النون خذ فى ثناثهم الجميل مقرضاً فالقوم قد جلّوا عن التأبين هم أفضل الشهداء والقتلى الأولى مدحوا بوحيٍ فى الكتاب مبين ليت الكواكب والوصى زعيمها وقفوا كموقفهم على صفين بالطفّ كى يروا الأولى فوق القنا رفعت مصاحفها إتقاء منون جعلت رؤوس بنى النبّى مكانها وشفت قديم لواعجٍ وضغون الواثبين لظلم آل محمدٍ ومحمد ملقىً بلا تكفين والقائلين لفاطم آذيتنا فى طول نوحٍ دائم وحنين والقاطعين اراكة كى لا تقيل بظلّ أوراقٍ لها وغصون ومجمعى حطبٍ على البيت الذى لم يجتمع لولا شمل الدين والداخلين على البتولة بيتها والمسقطين لها أعزّ جنين والقائدين إمامهم بنجاده والطهر تدعو خلفهم برنين خلوا ابن عمى أو لأكشف للدعا رأسى وأشكو للإله شجونى ما كان ناقة صالحٍ وفصيلها بالفضل عند الله إلا دونى ورنت الى

القبر الشريف بمقلةٍ عبى وقلبٍ مكمدٍ محزون نادت وأظفار المصاب بقلبها أبناه عزّ على العداة معينى أبتاه هذا السامرىّ وعجله تبعا ومال الناس عن هرون أىّ الرزايا أتقى بتجلدٍ هو فى النوائب مذ حييت قرينى فقدى أبى أم غصب بعلى حقه أم كسر ضلعى أم سقوط جنينى أم أخذهم إرثى وفاضل نحلتى أم جهلهم حقى وقد عرفونى قهروا يتميك الحسين وصنوه وسألتهم حقى وقد نهرونى [صفحه ۳۸۱] فلسفة أسماء فاطمة الزهراء عن يونس بن ظبيان قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: لفاطمة عليها السلام تسعة أسماء عند الله عزّ وجل: فاطمة والصدّيقة والمباركة والطاهرة والزكيّة والراضية والمرضيّة والمحدّثة والزهراء [۵۴۰] . من الأمور المهمة التى أخذت جانباً وحيزاً واضحاً فى الشريعة الإسلامية وأكد عليها الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة: من خلال أحاديثهم المباركة مسألة تسمية المولود بإسم مبارك يدل على معنى لائق وجميل وحسب ما ترتضيه النفس المؤمنة ويميل إليه الوجدان الانسانى ذلك لأنّ الإسم الذى يمنحه الأب أو الأم للمولود يكون ذو أثر كبير ومهم فى النفس الإنسانية حيث اثبتت البحوث العلمية المتأخرة التى قام بها علماء النفس والإجتماع أن للإسم أثراً بالغاً على منشأ تصرفات وسلوك الأفراد الذين يحملون ذلك الإسم، وان كانت هذه المسألة تتفاوت فى مدى تأثيرها على السلوك الفردى للإنسان من فرد إلى آخر إلا أنه فى النتيجة النهائية يترك بعض الآثار المعينة الواضحة البرهان لذلك المعنى الذى يحمله الإسم، على أن هذه الأمور الواضحة تدرك بأدنى تأمل لدى الإنسان الواعى الفطن الذى يدرك الكثير من الحقائق المعنوية قبل أن تطرق ذهنه وسمعه. وعلى هذا الأساس نجد أن هناك تمايزاً واضحاً فى الأسماء التى تطرح وتعطى لأى فرد، حيث نجد أن الكثير م الأسماء التى حملها بعض الأفراد وان كانت ذات مغزى [صفحه ۳۸۲] لطيف وأصيل وحسن إلا أنه المسمى بها غير منزه بل أنه مثلًا يدل على خلاف اسمه، وهذا بخلاف ما نجده فى بعض الأسماء التى تحمل معنى قبيح وصاحبها ذو أصالة وأخلاق حسنة وأفعال جميلة. وهكذا نجد من خلال استقراء سيرة التاريخ فى هذا المجال أن هناك الكثير من الأسماء اللامعة والتى يشير اليها المسلمون بالبنان مثل عبد الملك وهارون الرشيد والمتوكل على الله والواثق بالله أن بينهم وبين أسماءهم وألقابهم البون الشاسع، فأسمائهم تدل على أنهم عاشوا فى ملكوت التوكل والرشد والتقوى والوثوق بالله والإعتصام به بينما السيرة الذاتية لحياتهم وشخصياتهم تدل على خلاف ذلك، فمثلًا لو طالعنا حياة هارون الرشيد ذلك الخليفة العباسى وكيف تصرف برعونة وحماقة مع الأحرار والسادة العلويين من ذرية رسول الله صلىالله عليه وآله وسلم، وخصوصا [۵۴۱] وخاصة اجرامه بحق الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام نجد ان هذا الأمر واضح وبصورة جلية، ولنعم ما قال الشاعر الكبير أبو فراس الحمدانى فى رائعته التى يقول فيها: الدين مخترم والحق مهتضم وفى آل رسول الله مقتسم إلى أن يقول... ليس الرشيد كموسى فى القياس ولا مأمونكم كالرضا ان أنصف الحكم إذا تلوا أية غنى خطيبكم قف بالديار التى لم يعفها القدم بينما إذا نظرنا إلى أهل بيت النبوة علهيم السلام نجد أن أسماءهم تدل على المعانى العالية المنال وفى نفس الوقت نرى أن السيرة الذاتية لحياتهم ومواقفهم وتصرفاتهم ذات دلالة واضحة على أسماءهم وألقابهم. فحين نقرأ سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام نجد كل ألقابه وكناه منطلقة من صفاته الأصيلة الثابتة فى أعماقه وفى جذوره المشرقة المضيئة بنور الله تعالى فهو الإمام العابد الزاهد الصادق القائد إمام المتقين وقائد الغر المحجلين، وهكذا فى الحسن المجتبى والحسين الشهيد والساجد والباقر عليهم السلام أجمعين. [صفحه ۳۸۳] ومن هذا المنطلق نرى أن الرسول وأهل بيته عليهم السلام قد أكدوا ومن خلال الكثير من الروايات على ضرورة تسمية المولود بخير الاسماء وافضلها وذلك لما يتركه الاسم من البصمات الواضحة والاثار الجميلة على طبيعة تصرف الفرد وعلى ضوء ذلك المعنى الذى يحمله الإسم، ولذلك جاءت الأحاديث لتؤكد على هذه المسألة وللفلسفة الرائعة لها، حيث ورد الإستحباب المؤكد على ضرورة تسمية المولود بأحسن الأسماء حيث روى عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: «لا يولد لنا ولد إلا سميناه محمد فإذا مضى لنا سبعة أيام فإن شئنا غيرنا وإن شئنا تركنا» [۵۴۲] . وقد أكد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على هذه التسمية بقوله: «من ولد له أربعة أولاد ولم يسمّ أحدهم بإسمى فقد جفانى» [۵۴۳] . وكان الديدن العام لأئمة أهل البيت عليهم السلام على هذا الأمر والاهتمام به كل الإهتمام فهم

عليهم السلام كانوا يحثوا المسلمين على تسمية أبناءهم وبناتهم بالأسماء التالية (عبد الرحمن ـ وباقى أسماء العبودية ـ محمد، أحمد، على، حسن، حسين، جعفر، طالب، فاطمة) [۵۴۴] . وجاء التأكيد على هذه الأسماء من خلال عدة روايات أثبتت هذه المسألة المهمة كل ذلك لأجل تحصين الطفل من السخرية والإستهزاء من قبل الآخرين فى حالة تسميته بأسماء ورد فيها الكراهة مثل الحكم، خالد، مالك، حارث، ولئلا تكون سبباً للشعور بالنقص كما هو الحال فى الأسماء المستهجنة. وبعد هذه المقدمة المهمة فى مضمونها نصل إلى موضوع البحث الذى نريد الدخول فيه وهو أسماء فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) وفلسفتها، فان أسمها بن البارى عز وجل وهو الواضع لهذه المعصومة الشهيدة اسمها وكما سيتبين من خلال البحث، وهنا فى هذا المقام ينقدح لدينا عدة أسئلة مهمة مرتبطة بصميم بحث أسماءها ألا وهى: ۱ ـ لماذا البارى عز وجل وضع الأسماء لفاطمة الزهراء عليها السلام؟ ۲ ـ وما فلسفة أسماءها؟ [صفحه ۳۸۴] ۳ ـ وماهية المعانى لها؟ ولم التأكيد من قبل الله تعالى على أهمية أسماء الزهراء عليها السلام؟ كل هذه الأسئلة لابد لنا من التوقف عندما والإلمام بمعرفتها من خلال مراجعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام واستظهارها وكيفية بيان معانى أسماء فاطمة الزهراء عليها السلام. أما كون أسماءها من الله تعالى وهو الذى سماها بفاطمة فيوجد فى هذا المضار أحاديث كثيرة تبين هذه المنقبة لفاطمة (سلام الله عليها)، فلقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لفاطمة عليها السلام: «شقّ الله لك يا فاطمة اسماً من أسمائه، فهو الفاطر وأنت فاطمة». وجاء فى حديث عن يونس بن ظبيان قال: قال أبو عبدالله عليه السلام «لفاطمة عليها السلام تسعة أسماء عند الله عز وجل: فاطمة والصديقة والمباركة والطاهرة والزكية والراضية والمرضية والمحدّثة والزهراء» [۵۴۵] . وفى حديث آخر قال أبو الحسن عليه السلام: «... فلما ولدت فاطمة سماها الله تبارك وتعالى فاطمة». أقول: فيتبين من خلال هذه الأحاديث وأحاديث أخرى أغفلنا من ذكرها لئلا يطول المقام بها إن أكثر أسماء فاطمة الزهراء عليها السلام هى من وضع الله تعالى وهو الذى سماها بهذه الأسماء المباركة، ففى رواية يثبت الإمام عليه السلام أن للزهراء عليها السلام اسم واحد سماها به الله تعالى وفى رواية أخرى يثبت معصوم آخر أن للزهراء عليها السلام تسعة أسماء عند الله تبارك وتعالى، كل ذلك نتيجة المقام السامى لفاطمة الزهراء عند الله تعالى، وربما يوحى هذا الكلام أن هناك تعارض فى عدد أسماء الزهراء عليها السلام ولكن بأدنى تأمل للروايات يظهر لنا أن هذا ناشىء من طبيعة حال السائل، وعلى هذا الأساس انقدح فى ذهننا الأسئلة المتقدمة الذكر وهو لماذا البارى عز وجل هو الذى سمى فاطمة بهذه الأسماء؟ وما هى فلسفتها؟ وما هى المناسبة بين ذات الزهراء وأسماءها التى أعطاها الله تبارك إياها؟ وعليه كل الأسئلة المتقدمة سوف نجيب عليها من خلال [صفحه ۳۸۵] هذا البحث بإجماله. فنقول: إنما وضع الله أسماء فاطمة الزهراء عليها السلام منه لتكون علامة لشيء ما، وهذا الشيء سوف يتضح لنا من خلال الأبحاث القادمة، وربما تسأل أيها القارىء العزيز كيف يكون الإسم علامة للمسمى والمفهوم من العلامة هو الوسم والذى يظهر هذا من خلال مراجعة أفراد اللغة العربية؟ والجواب على ذلك: أن بين الأسماء والمعانى الموضوع لها مناسبة ذاتية، والواضع عندما يضع الإسم المعين للمسمى المعين يكون عالماً بالمناسبة وقادراً علهيا ولوجود الحكمة والإتقان فى وضع الأسماء لتلك المعانى، ومن هنا كان الواضع لأسماء فاطمة الزهراء هو الله تعالى وذلك لوجود المناسبة والحكمة فى ذات الزهراء عليها السلام، وكذلك اقتضت حكمة البارى عز وجل ان تكون العلامة فيها مناسبة لها وهى ذات الزهراء فى مادتها وصورتها حيث كانت دلالة فاطمة الزهراء ذاتية ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً مع اسمها فكان التعبير من الله تعالى أدق فى التعريف لذات الزهراء عليها السلام وأظهر فى تميز ذاتها عن بقية الذوات. فالله سبحانه وتعالى لم يهمل الحكمة ولم يظلمها ولم يضعها فى غير ما جعلها مقتضية لها فمن شاء أن يطلعه على علل الأشياء وأسبابها علمه ذلك بتفهيمه أو بوضع القرائن له والامارات على ذلك وكما فعل ذلك مع أهل البيت عليهم السلام حيث هو الذى وضع أسماءهم وهذا ما نجده من خلال المأثور الروائى لأهل البيت عليهم السلام، فالله تبارك وتعالى يحب أن تكون أسماء أهل البيت عليها السلام منه تعالى وكما قال الله تعالى: (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون). وأما إن قال شخص ما إن الواضع لأسماء فاطمة هو غير الله تعالى وبغض النظر عن الرواية الواردة فى المقام والشواهد والقرائن الأخرى؟ فالجواب عليه: أنه لو قلنا بأن الواضع غير الله تعالى لم يكن هناك محذور فى أن الألفاظ بينها

وبين المعانى مناسبة ذاتية لأن الوضع لا يمكن إلا ممّن له قوة المعرفة التى تنقص عن المعرفة بالمناسبة واعتبارها، ويدل على هذا إنّا وجدنا فى اللغة واشتقاق الألفاظ بعضها من بعض ونظمها على ما يوافق الحكمة ما يبصر العقول مع ما عرفنا [صفحه ۳۸۶] من قصورنا عن أكثر أسرارها ولا يكون ذلك إلا ممن يقدر على المناسبة ويعرف كمال حسنها وشرفها على عدمها وإذا كان قادراً على العلم بها وعلى معرفتها بأنّها أكمل وأدلّ على المطلوب وأوفق بالحكمة كان العدول عن ذلك نقصاً فى الكمال وعدولاً إلى الإهمال عن الحكمة لأن الأسماء فى الحقيقة صفات المسمّيات فلو لم يكن بين الصفة وموصوفها مناسبة ذاتية ومطابقة حقيقة لكانت صفة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) التى تطلب بها تمييزها تصلح أن تكون لغيرها وإذا صلحت لغيرها كان تميزها بها مما يز فى الإلتباس وعدم المعرفة. وعلى كل حالٍ فإن البحث فى هذا المقام لطويل وشائك فالذى نريد القول به والنتيجة التى نريد استعراضها وإظهارها هو أن الواضع هو الله تبارك وتعالى لأسماء فاطمة الزهراء عليها السلام، وانما وضعها لتكون العلامات المميزات والصفات المعينات لفاطمة الزهراء عليها السلام، ولكى يتبين معرفة الحال فى المقام أكثر نقول: ان المراد من هذه الأسماء الأعم من اللفظية والمعنوية لأن العلامة والتمييز يحصل بكل منهما، والحاصل أن أسماءها (سلام الله عليها) التى اشير اليها فى الرواية المتقدمة الذكر سواءً كانت من الاسماء الصفاتية او الفظية فإنها مشتقة م أسمائه تعالى يعنى اشتقها سبحانه وتعالى م أسمائه وهذا معنى ما روى عن على بن الحسين عليه السلام حيث قال: حدثنى أبى عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن قال: «قال الله يا آدم هذه أشباح أفضل خلائقى وبرياتى هذا محمد وأنا الحميد المحمود فى فعالى شققت له اسماً من اسمى وهذا على وأنا العلى العظيم شققت له اسماً من اسمى وهذه فاطمة وأنا فاطر السموات والأرض فاطم أعدائى من رحمتي يوم فصل قضائى وفاطم أوليائى عمّا يعّرهم ويشينهم شققت لها اسماً من اسمى...». وهذا يعنى أنها فيض وجودها ونورها من فيض نور الله تبارك وتعالى ونسبتها إلى الله تعالى من حيث وجودها ومبدأ نورها وصفاتها (سلام الله عليها) وبأبسط تأمل لهذا الحديث يظهر أنه سبحانه وتعالى يريد بالإسم ما هو أعم من اللفظ ولو أراد خصوص اللفظ فقط يعنى اسم فاطمة لما قال تعالى وهذه فاطمة وأنا فاطر السموات والأرض ولو أراد خصوص المعنى لما علقه بالألفاظ ولكنه تعالى يريد الأسماء [صفحه ۳۸۷] المعنوية والأسماء اللفظية وهو المفهوم من أحاديثهم الكثيرة وكما سيتبين لنا من خلال اظهار معانى أسماء فاطمة (سلام الله عليها) فافهم تغنم [۵۴۶] .

معانى اسماء فاطمة الزهراء

اشاره

عن يونس بن ظبيان قال: قال أبو عبدالله عليها السلام لفاطمة عليها السلام تسعة أسماء عند الله عزّ وجل: فاطمة والصدّيقة والمباركة والطاهرة والزكيّة والراضية والمرضيّة والمحدّثة والزهراء [۵۴۷] . على ضوء هذا الحديث سوف يكون كلامنا حول أسماء فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) حيث نأخذ كل اسم من اسماءها وحسب تسلسله ووروده فى الحديث المبارك ومن خلال ذلك نقف مع أقوال أهل البيت عليهم السلام فى ذلك وبيان أقوال العلماء فى هذه الأسماء المباركة.

فاطمة

إن الظاهر من خلال استقراء أحاديث أهل بيت العصمة (سلام الله عليهم) أن أول اسم سميت به بضعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو فاطمة، وهذا على القطع اليقينى ثابت ولا يعتريه الشك ولا الشبهة ولذا ورد فى كثير من أحاديث أهل البيت التأكيد على هذا الإسم وإكرامه وإطائه الهيبة اللائق به حيث كان لاسم فاطمة (سلام الله عليها) وقع كبير فى نفوس ومحبى أهل البيت وخصوصا فى نفوس أهل البيت عليهم السلام وكان له المنزلة العظمى كما يظهر من الروايات والأخبار الصحيحة المسندة. [صفحه ۳۸۸] فلقد

روی عن فضالة بن أيوب، عن السكونی قال: دخلت علی أبی عبدالله عليه السلام وأنا مغموم مكروب، فقال لی: يا سكونی ما عمّ ك؟ فقلت: ولـدت لی ابنة، فقال: يا سـكونی علی الأرض ثقلها، وعلی الله رزقها، تعيش فی غير أجلك وتأكل من غير رزقك، فسـری والله عنی، فقـال: ما سـميتها؟ قلت: فاطمـة. قال: آه آه ثمّ وضع يـده علی جبهته ـ إلی أن قال ـ ثم قال: أمّا إذا سـمّيتها فاطمـة فلا تسـبها ولا تلعنها ولا تضـربها [۵۴۸] . وعن بشار المكاری قال: دخلت علی أبی عبـدالله عليه السـلام بالكوفـة وقـد قدم له طبق طبرزد [۵۴۹] وهو يأكـل، فقال: يا بشار أدن فكل. فقلت: هنّاك الله وجعلنی فـداك، قـد أخـذتنی الغيرة من شـیء رأيته فی طريق! أوجع قلبی وبلغ منّی، فقال لی: بحقی لما دنوت فأكلت. قال: فدنوت فأكلت، فقال لی: حديثك، قلت: رأيت جلوازاً [۵۵۰] يضرب رأس إمرأة ويسوقها إلی الحبس وهی تنـادی بأعلی صوتها: «المسـتغاث بالله ورسوله» ولا يغيثها أحـد. قال: ولم فعل بها ذلك؟ قال: سـمعت الناس يقولون إنها عثرت فقالت: «لعن الله ظالميك يا فاطمـة» فارتكب منها ما ارتكب. قال: فقطع الأكل ولم يزل يبكی حتی ابتل منـديله ولحيته وصدره بالـدموع. ثم قال: يا بشار، قم بنا إلی مسـجد السـهلة فندعوا الله عز وجل ونسأله خلاص هذه المرأة. قال: ووجّه بعض الشـيعة إلی باب السـلطان وتقـدم إليه بأن لا يبرح إلی ان يأتيه رسوله، فان حـديث بالمرأة حـدث صار إلينا حيث كنّا. قال: فصـرنا إلی مسـجد السـهلة، وصـلی كل واحد منّا ركعتين، ثم رفع الصادق عليه السلام يده إلی السماء وقال: أنت الله ـ إلی آخر الدعاء ـ قال: فخر ساجداً لا أسمع منه إلاـ النفس ثم رفع رأسه فقـال: قم فقـد أطلقت المرأة. قـال: فخرجنـا جميعـاً، فبينما نحن فی بعض الطريق إذ لحق بنا الرجل الـذی وجهنـاه إلی بـاب السـلطان، فقـال له عليه السـلام: ما الخبر؟ قال: قـد اطلق عنها، قال: كيف كان أخراجها؟ قال: لا أدری ولكننی كنت واقعاً علی باب السـلطان، إذ خرج حاجب فـدعاها وقال لها: ما الذی تكلمت؟ قالت: عثرت فقلت «لعن الله ظالميك يا فاطمة» ففعل بی مـا فعـل. قـال: فأخرج مائتی درهم وقال: خـذی هـذه واجعلی الأمير فی حل: فأبت أن تأخـذها، فلما رأی ذل منها دخل وأعلم صاحبه بـذلك ثم خرج فقـال: انصـرفی إلی بيتك فـذهبت إلی منزلها. فقال أبو عبـدالله عليه السـلام: أبت أن تأخـذ المائتی درهم؟ قال: نعم، وهی والله محتاجة اليها، قال: فأخرج من جيبه صـرة فيها سـبعة دنانير وقال: اذهـب أنت بهذه إلی منزلها فأقرئها منی السـلام، وادفع إليها هـذه الدنانير، قال: فذهبنا جميعاً، فأقرأناها منه السـلام، فقالت: بالله أقرأنی جعفر بن محمد السـلام، فشـقت جيبها ووقعت مغشـية عليها قال: فصبرنا حتی أفاقت، وقال: أعدها علیّ، فأعدناها عليها حتی فعلت ذلك ثلاثاً، ثم قلنا لها: خذی، هذا ما أرسل به إليك، وأبشـری بذلك، فأخذته منا وقالت: سلوه أن يستوهب أمته من الله، فما أعرف أحداً توسّل به إلی الله أكثر منه ومن آبائه وأجداده عليهم السلام [۵۵۱] . أقول: الـذی يظهر من خلال التأمل فی هـذه الروايـة أن أئمة أهل البيت عليهم السـلام كانوا يتأثرون أشد التأثر عندما يسـمعون اسم فاطمـة وخصوصا ما جری عليها من الظلم والعـدوان بعـد وفاة أبيها رسول الله صـلی الله عليه وآله وسـلم، وكـذلك نری كيف أن الإمام ألقی اهتمامه البالغ بهـذه المرأة التی لعنت ظالمی فاطمـة الزهراء وعـدی له الـدعاء الـذی علی أثره أطلق الله سـراحها، وكذلك كيف أكرمها بالسـبعة دنانير لأنها موالية ومؤمنة بالتولی لأهل البيت والتبری من أعدائهم. وورد عن سـليمان الجعفری أنه قال: سـمعت أبا الحسن عليه السـلام يقول: لا يـدخل الفقر بيتاً فيه اسم محمد أو أحمد أو علی أو الحسن والحسـين أو جعفر أو طالب أو عبد الله أو فاطمة من النساء [۵۵۲] . [صفحه ۳۹۰] وأيضاً عن الإمام موسـی بن جعفر عن أبيه عليه السـلام فی حديث طويل عن رسول الله صلی الله عليه وآله وسـلم عنـد قرب وفـاته: «ألاـ ان فاطمـة بابهـا بـابی، وبيتهـا بيتی، فمن هتكه فقـد هتـك حجـاب الله» قال عيسـی (الراوی للحـديث): فبكی أبو الحسن عليه السـلام طويلاًـ وقطع بقيـة كلامـه وقـال: هتـك والله حجـاب الله، هتـك والله حجاب الله، هتك والله حجـاب الله يـا أمّه ـ صـلوات الله عليهـا [۵۵۳] . هـذه هی بعض الأحـاديث التی بينت كرامـة اسم فاطمـة عنـد الأئمـة: أمـا معنی فاطمة وتسـميتها بهذا الإسم المبارك فلا يخلو من أسـباب ومناسـبات فهلم معی إلی طائفة كبيرة من الأحاديث التی تذكر اسم سيدتنا فاطمة الزهراء ووجه التسـمية وبيان معانی اسـمها المبارك وأقوال العلماء فيه. وعن يونس بن ظبيان انه قال له الإمام أبو عبـدالله عليه السـلام: أتدری أیّ شیء تفسير فاطمة؟ قلت: أخبرنی يا سيدی، قال: فطمت من الشرّ.قال: ثم قال: لولا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام تزوّجها لما كـان لها كفو إلی يوم القيامـة علی وجه الأرض آدم فمن دونه [۵۵۴] . وعن علی بن إبراهيم، عن اليقطينی، عن محمـد بن زياد مولی

بنى هاشم قال: حدّثنا شيخ لنا ثقة يقال له نجيّة بن إسحاق الفزارىّ قال: حدّثنا عبدالله بن الحسن بن حسن قال: قال أبو الحسن عليه السلام: لم سميّت فاطمة فاطمة؟ قلت: فرقاً بينه وبين الأسماء. قال: إنّ ذلك لمن الأسماء، ولكنّ الاسم الذى سميّت به، أنّ الله تبارك وتعالى علم ما كان قبل كونه، فعلم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتزوّج فى الأحياء وأنّهم يطمعون فى وراثة هذا الأمر من قبله، فلمّا ولدت فاطمة سمّاها الله تبارك وتعالى «فاطمة» لما أخرج منها وجعل فى ولدها، ففطمهم عمّا طمعوا؛ فبهذا سمّيت فاطمة «فاطمة» لأنّها فطمت طمعهم. ومعنى فطمت: قطعت [۵۵۵] . وعن أبى عبدالله عليه السلام أنّه قال: «إنّا أنزلناه فى ليلة القدر»الليلة: فاطمة، والقدر: [صفحه ۳۹۱] الله، فمن عرف فاطمة حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر. وإنّما سمّيت «فاطمة» لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها [۵۵۶] . وقال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة: شقّ الله لك يا فاطمة اسماً من أسمائه، فهو الفاطر وأن فاطمة [۵۵۷] . وقال علىّ عليه السلام: إنّما سمّيت فاطمة لأنّ الله فطم من أحبّها عن النار [۵۵۸] . وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: إنّما سمّيت ابنتى فاطمة لأنّ الله فطمها وفطم محبّيها عن النار. وقال الصادق عليه السلام: تدرى أىّ شىء تفسير فاطمة؟ قال: فطمت من الشرّ. ويقال: إنّما سمّيت فاطمة لأنّها فطمت عن الطمث [۵۵۹] . وعن محمد بن مسلم الثقفى، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لفاطمة عليها السلام وقفة على باب جهنّم، فإذا كان يوم القيامة كتب بين عينى كلّ رجل: مؤمن أو كافر، فيؤمر بمحبّ قد كثرت ذنوبه إلى النار، فتقرأ فاطمة بين عينيه محبّاً فتقول: إلهى وسيّدى سمّيتنى فاطمة وفطمت بى من تولانى وتولّى ذرّيتى من النار، ووعدك الحقّ وأنت لاـ تخلف الميعاد، فيقول الله عزّ وجلّ: صدقت يا فاطمة، إنىّ سمّيتك فاطمة، وفطمت بك من أحبّك وتولاّك وأحبّ ذرّيتك وتولاّهم من النار، ووعدى الحقّ وأنا لا أخلف الميعاد ـ الحديث [۵۶۰] . وعن أبى جعفر عليه السلام قال: لمّا ولدت فاطمة عليها السلام أوحى الله عزّ وجل إلى ملك فانطلق به لسان محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فسمّاها فاطمة، ثم قال: إنّى فطمتك بالعلم، وفطمتك عن الطمث. ثم قال أبو جعفر عليه السلام: والله لقد فطمها الله تبارك وتعالى بالعلم وعن الطمث بالميثاق [۵۶۱] . إأقول: أما معنى قوله «فطمتك بالعلم» يعنى أرضعتك بالعلم أو قطعتك عن الجهل [صفحه ۳۹۲] بسبب العلم، وهذا كناية عن كونها فى بدو فطرتها عالماً بالعلوم الرانية. وقال المولى محمد علىّ الأنصارى رحمه الله: وقد تلخّص منها (أى الأخبار) وجوه متعدّدة لتسميتها عليها السلام بتلك التسمية: مثل فطم نفسها بالعلم، وفطمهاعن الشرّ، وفطمها عن الطمث، وفطم ذرّيّتها وشيعتها من النار، وكذلك فطم من تولاّها وأحبّها منها، وفطم الأعداء عن طمع الوارثة فى الملك، وعن حبّها، ونحو ذلك. ولا مناقاة بين الأخبار، لأنّ الفطم معنى يصدق مع كلّ من الوجوه المذكورة؛ واختلاف الأخبار من جهة اختلاف حال الرواة والحضّار من حيث الاستعداد الذاتيّة، واختلاف المصالح فى الأزمنة والأمكنة؛ وكلّ هذه المعانى مرادة من اللفظ عند التسمية، ولا يلزم من ذلك استعمال اللفظ فى أكثر من معنى واحد، الذى هو مخالف للقواعد الظاهريّة اللفظيّة، لأنّ فاطمة مشتقّ من الفطم بمعنى الفصل، ومنه الفطام فى الطفل بمعنى فصله عن اللبن والارتضاع، يقال: فطمت المرضع الرضيع فطماً، من باب ضرب، فصلته عن الرضاع، فهى فاطمة، والصغير فطم بمعنى المفطوم. وأفطم الرجل: دخل فى وقت الفطام، مثل أحصد الزرع، إذا حان حصاده. وفطمت الحبل: قطعته. وفطمت الرجل عن عادته: إذا منعته عنها. وليس الفطم مخصوصاً بالفصل عن اللبن وإن كثر استعماله فيه، بل هو مطلق الفصل عن الشىء، ومعنى القطع والمنع راجع إليه أو متفرّغ منه، فيكون معنى «فاطمة» فاصلة أو قاطعة أو مانعة، وكلّ منها معنى كلّىّ وماهيّة مطلقة يصدق مع القيود الكثيرة، فسمّيت من عندالله بها. ويلزم فى تحقّق معنى الفصل أن يكون هناك فاصل ومفصول له، مثلاً إذا كانت الامّ فاطمة لطفلها، فهى فاصلة، والطفل مفصول، واللبن مفصول عنه، والغذاء مفصول به. فيكون معنى فاطمة أنّها تفطم نفسها ولو بسبب قابليّتها الذاتيّة عن الجهل بالعلم، وعن الشرّ بالخير، وعن الطمث بالطهارة عن الحمرة، وتفطم ذرّيّتها وشيعتها ومن تولّيها وأحبّها من النار بالجنّة، وتفطم أعداءها عن طمع الوراثة باليأس عنها، وعن حبّها ببغضها. فلوحظ فى وجه تسميتها بهذا الاسم وجوه متعدّدة وهى غير داخلة فى مفهوم الاسم حتّى توجب تعدّد معانى اللفظ. بل هى لحاظات خارجيّة باعتبارها وقعت التسمية. [صفحه ۳۹۳] مثلاً لو كان مجىء زيد من جهة أغراض مخلتفة وأسباب متعدّدة، فقيل: «جاء زيد»، لم يوجب ذلك كون المجىء مستعملا فى المعانى التعدّدة. نعم لو جعل فاطمة بالنسبة إلى

فطم الأعداء أو الأحبّاء بمعنى كونها ذات فطم من المبنيّ للفاعل ـ كما هو كذلك ـ أى ذات فاطميّة، وفى فطمها عن الشرّ بمعنى ذات فطم من المبنيّ للمفعول أى ذات مفطومية لزم المحذور المذكور،، ولكن على التقرير المسطور لا يلزم ذلك المحذور. ويمكن جعلها بمعنى ذات الفطم مطلقاً من باب النسبة فيكون جامداً يستوى فيه المذكّر والمؤنثّ... نعم، يمكن جعل فاطمة فى جميع الوجوه بمعنى المفعول، أى المفطومة، من باب الصفة بحال المتعلّق بلحاظ المآل والحقيقة؛ أو جعله بمعنى ذات الفطم، من المصدرالمبنىّ للفاعل أو المفعول لكن على سبيل القضيّة الكلّيّة لا الجزئيّة، كما لا يخفى. وبالجملة فاختلاف الأخبار فى بيان وجه التسمية إشارة إلى عدم انحصاره فى شيء؛ أو كون معناها معنى كلّيّا يشمل على وجوه كثيرة، فيحتمل احتمالاً ظاهراً أن يكون ملحوظاً فى وجه التسمية امور على حدة أيضاً كفطمها على الإخلاق الرذيلة بالأخلاق الفاضلة، وعن الأحوال الخبيثة بالأحوال الطيّبة الزكيّة، وعن الأفعال القبيحة بالأفعال الحسنة، وعن الظلمانيّة بالنورانيّة، وعن السهو والغفلة بالذكر والمعرفة، وعن عدم العصمة بالمعصوميّة، وبالجملة عن جميع جهات النقيصة بالكمالات العقلانيّة والورحانيّة والنفسانيّة ولوازمها الظاهرّية والباطنيّة، فيلزم حينئذٍ أن تكون لها العصمة الكبرى فى الدنيا والآخرة والاولى. فتكون حينئذ معصومة تقيّة نقيّة وليّة صدّيقة مباركة طاهرة إلى آخر الأسماء المذكورة فى الرواية وغير الرواية. وتخصيص أسمائها بالتسعة فى الخبر الصادقيّ عليه السلام إمّا من جهة اشتمالها من حيث المعنى على سائر الأسماء أيضاً؛ أو من جهة صدور التسمية بها من جانب الله سبحانه بلا واسطةٍ كما يشعر به قوله عليه السلام: لفاطمة تسعة أسماء عند الله [۵۶۲] ... وقال العلامة الهمدانى [۵۶۳] فى بيان اسم فاطمة (صلوات الله وسلامه عليها) ما نصة: هذا الإسم سواء كان من عند الله عزّ وجل أو بإلهام من الله تعالى كما لا حظت فى [صفحه ۳۹۴] الأخبار الماضية، لم يكن للعلامة تمييز المسمأة به عن غيرها فحسب، كما فى أسامى سائر الناس التى لم تراع المناسبة غالباً بينها وبين الأعيان والذوات، بل فى هذا الجعل وهذه التسمية الإلهيّة حكمة وسرّ وتناسب عميق بين الإسم والمسماة به. وإن مادّة «فطم» على أيّ وجه فرضت فيها فاعلاًـ أو مفعولاًـ كانت يمعنى القطع والفصل على نحو الإطلاق، ولا يختصّ بأحد الوجوه السابقة من الشرّ والطمث والجهل والخطأ وسوء الخلق والحمرة والحيض وما أشبه ذلك، لأنّها (سلام الله عليها) متّصفة بجميع المكارم، منفطمة عن جميع العيوب والنقائص، فتناسب الاسم لها ـ فاعلًا ـ لكونها (سلام الله عليها) فطمت نفسها وذرّيّتها وشيعتها من النار وما يوجب الشنار والعار، وتناسبه لها ـ مفعولا ـ لأنّها (سلام الله عليها) مفطومة عن معرفتها الناس فهو وصف المتعلّق. فمن الذى يبلغ معرفتها؟! هيهات! ضلّت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الألباب، وخشئت العيون، وتصاغرت العلماء، وحصرت الخطباء، وتحيّرت الحكماء، وتقاصرت الحلماء، وجهلت الألبّاء، وكلّت الشعراء، وعجزت الادباء، وعييت البلغاء عن وصف شأنٍ من شأنها، ودرك درجة من سموّ رفعتها. هى قطب دائرة الوجود ونقطة لمّا تنزّلت اكثرت كثراتها هى أحمد الثانى وأحمد عصرها هى عنصر التوحيد فى عرصاتها ومن عرف فاطمة عليها السلام حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر [۵۶۴] والتشابه من وجوه: الأول: إنّ ليلة القدر مجهولة للناس من حيث القدر والمنزلة والعظمة، والناس فطموا وقطعوا عن معرفتها، وكذلك البضعة الأحمديّة والجزء المحمّديّة عليها السلام مجهولة قدرها، محفيّة قبرها. والثانى: كما أنّ ليلة القدر يفرق فيها كلّ أمر حكيم، كذلك بفاطمة يفرق بين الحقّ والباطل، والمؤمن والكفار. والثالث: كما صارت ليلة القدر ظرفاً لنزول الآيات والسور، فهى (سلام الله عليها) [صفحه ۳۹۵] صارت وعاءً للإمامة والمصحف. الرابع: إنّ ليلة القدر معراج الأنبياء والأولياء، وكذلك ولايتها مرقاة لوصولهم إلى النبوّة الرسالة والعظمة [۵۶۵] . والخامس: إنّ ليلة القدر منشأ للفيوضات والكمالات، وكذلك التوسّل بها وسيلة للخيرات والبركات ودفع البليّات [۵۶۶] . والسادس: إنّ ليلة القدر خير من ألف شهر، وكذلك هى (سلام الله عليا) خير نساء الأولين والآخرين، بل إنّ فاطمة خير أهل الأرض عنصراً وشرفاً وكرماً. هى مشكاة نور الله جلّ جلاله زيتونة عمّ الورى بركاتها وهى (سلام الله عليها) كما قال الباقر عليه السلام عنصر الشجرة الطيّبة التى هى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اصلها وفرعها عليّ عليه السلام. فلاحظ هذا الحديث وتدبّر فيها، ثم ارجع البصر كرّتين حتى يظهر لك المعارف والحكم وسرّ «لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا عليّ لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما» وسرّ قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا عليّ، أنفذ ما أمرتك به الزهراء عليها السلام» وسرّ قول عليّ عليه

السلام: «يا بقيّة النبوّة»، فوالله لولا فاطمة ما قام بعد النبی صلی الله علیه وآله وسلم عمود، ولا اخضرّ له عود. ولنعم ما قال الازریّ رحمه الله: نحن من باری السماوات سرّ لو كرهنا وجودها ما براها بل بآثارنا ولطف رضانا سطح الأرض والسماء بناها وبأضوائنا التی لیس تخبو حوت الشمس ما حوت من سناها وممّا ینبغی لفت النظر إلیه هو أنّ المعصومین ینتمّون بهذا الإسم الشریف اهتماماً شدیداً، ویكرمونه إكراماً عظیماً، وإذا سمعوا به یبكون ویتأسّفون، ویحبّون التی سمّیت به، ویحبّون بیتاً كان فیه اسم فاطمة، وهم یتوسّلون به. فلاحظ الحدیث الذی نقلناه عن أبی جعفر علیه السلام فإنّه ذیّله بالقسم والتأكید بقوله: والله فطمها الله تبارک وتعالی بالعلم وعن الطمث بالمیثاق. [صفحه ۳۹۶] وأیضاً إنّه علیه السلام ـ إذا وعكه الحمّی (وقبل وجعها آلمها) استعان بالماء البارد، ثم ینادی حتی یسمع صوته علی باب الدار: فاطمة بنت محمد صلی الله علیه وآله وسلم. قال العلّامة المجلسی رحمه الله: لعلّ النداء كان استشفاعاً بها صلوات الله علیها للشفاء. قال المحدّث القمّی: إنّی أحتمل قوّیاً كما أنّه أثّر الحمّی فی جسده اللطیف كذلک أثّر كتمان حزنه علی أمه المظلومة فی قلبه الشریف، فكما أنّه یطفی حرارة جسده بالماء، یطفی لوعة وجده بذكر اسم فاطمة سیّدة النساء، وذلک مثل ما یظهر من الحزین المهموم من تنفّس الصعداء، فإنّ تأثیر مصیبتها صلوات الله علیها علی قلوب أولادها الأئمة الأطهار آلم من حزّ الشفار، وأحرّ من جمرة النار [۵۶۷] .

الصديقة

وهو ثانی الأسماء المباركة لفاطمة الزهراء الذی هو معروف علی لسان أهل البیت:، وقد سماها به الله تبارک وتعالی أجلالاً وإكراماً لمقامها السامی ولما وصلت إلیه من التصدیق بكل ما اتاه الله ورسوله صلی الله علیه وآله وسلم، والصدیقة صیغة مبالغة فی الصدق والتصدیق أی انها سلام الله علیها كثیرة الصدق، ولقد ورد فی كتاب تاج العروس معنی التصدیق والصدق حیث قیل ان الصدّیق أبلغ من الصدوق، وقیل: انه الكامل فی الصدق الذی یصدق قوله بالعمل، البار، الدائم التصدیق، وقیل: انه من لم یكذب قط، وقیل: من صدق بقوله واعتقاده، وحقق صدقه بفعله، وأیاً كان منها معنی الصدیق فان فاطمة الزهراء سلام الله علیها تنطبق علیها جمیع الأقوال فهی سلام الله علیها كانت المداومة علی التصدیق بما یوجبه الحق جلّ وعلاـ حیث كانت المصدقة بكل ما أمر الله به وبأنبیائه ولا یدخلها فی أی شیء من ذلک أی شک كان وكانت المصداق الأفضل ـ مع أولیائه المعصومین ـ لقوله تعالی: (والذین آمنوا بالله ورسله أولئک هم الصّیدّیقون) [۵۶۸] وقوله تعالی: (وما المسیح بن مریم إلاـ رسول قد خلت من قبله [صفحه ۳۹۷] الرسل وأمه صدّیقة) [۵۶۹] ، حیث فسرت كلمة صدیقة فی هذا الآیة المباركة بأنها تصدق بآیات ربها، ومنزلة ولدها وتصدقه فیها أخبرها به، بدلالة قوله تعالی: (وصدقت بكلمات ربها)، وقیل: لكثیرة صدقها وعظم منزلتها فیما تصدق به من أمرها. وعلی كل حال فإن فاطمة الزهراء سلام الله علیها كانت الصدیقة الطیبة التی صدّقت بالله ورسوله وبما جاء به من عند الله تعالی وكانت المؤمنة بكل عقائدها الربانیة والتی كانت تعمل علی ضوء تلک العقائد والمعتقدات ولقد جاءت الروایات الكثیرة لكی تؤكد علی هذه الحقیقة الواضحة للزهراء علیها السلام فلقد ورد عن النبی صلی الله علیه وآله وسلم فی حدیث طویل: یا علیّ، إنّی قد أوصیت فاطمة ابنتی بأشیاء وأمرتها أن تلقیها إلیک، فأنفذها، فهی الصادقة الصدوقة، ثم ضمّها إلیه وقبّل رأسها، وقال: فداک أبوک یا فاطمة [۵۷۰] . وعن مفضّل بن عمر قال: قلت لأبی عبدالله علیه السلام: من غسل فاطمة علیها السلام؟ قال: ذاک أمیرالمؤمنین علیه السلام،فكأنّما استضقت (استفظعت) ذلک من قوله، فقال لی: كأنّک ضقت ممّا أخبرتک به، فقلت: قد كان ذلک جعلت فداک، فقال: لا یضیقنّ فإنّها صدّیقة لم یكن یغسّلها إلا صدّیق، أما علمت أنّ مریم لم یغسّلها إلیعیسی؟ [۵۷۱] ـ الحدیث. وكذلک قول رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم إنّه قال لعلیّ علیه السلام: أوتیت ثلاثاً لم یؤتیهنّ أحد ولا أنا: أوتیت صهراً مثلی ولم اوت أنا مثلی، واوتیت زوجة صدّیقة مثل ابنتی ولم اوت مثلها زوجة، واوتیت الحسن والحسین من صلبک ولم اوت من صلبی مثلهما، ولكنّكم منّی وأنا منكم [۵۷۲] . وجاء عن علی بن جعفر، عن أخیه، عن أبی الحسن علیه السلام قال: «إنّ فطمة علیها السلام صدّیقة شهیدة». والصدّیقة فعّیلة للمبالغة

فی الصـدق والتصدیق، أی کانت کثیرة التصدیق لما [صـفحه ۳۹۸] جاء به أبوها صـلی الله علیه وآله وسـلم، وکانت صادقةً فی جمیع أقوالها، مصدّقةً أقوالها بأفعالها، وهی معنی العصـمة، ولا ریب فی عصـمتها صلوات الله علیها لدخولها فی الذین نزلت فیهم آیة التطهیر بإجماع الخاصّـة والعامّـة، والروایات المتواترة من الجانبین [۵۷۳] . وقـال الصـادق علیه السـلام: وهی الصدّیقـة الکبری، وعلی معرفتها دارت القرون الاولی [۵۷۴] .

المبارکة

وهو ثالث الأسـماء التی وردت عن لسان المعصوم علیه السـلام لفاطمة الزهراء سـلام الله علیها عند الباری عز وجلّ: والظاهر من خلال سیرتها علیها سـلام وما ترکت من ذریـة طیبـة من بعـدها أن مسألـة البرکـة واضـحة البرهان فی حیاته الواقعیة، حیث نجد أن ذریة کل رسول من ولده وخصوصاً الذکور إلا نبینا محمد صـلی الله علیه وآله وسلم حیث کانت ذریته من ابنته المبارکة فاطمة سلام الله علیها، وهذا ما نجده من خلال المأثور الروائی فی حیاة الرسول وأهل بیته علیهم السـلام. وقبل الدخول فی أحادیث أهل البیت علیهم السلام ومدی دلالات هذه الأحادیث علی هذا الإسم لفاطمة سلام الله علیها نراجع کتب اللغة لنری مدی انطباق معنی المبارکة أو البرکة علی حیاتها الشخصـیة وما ترکته فی هـذه الدنیا. فلقد ورد فی معنی کلمة البرکة هی النماء والزیادة، وعن الزجاج المبارک ما یأتی من قبله الخیر الکثیر [۵۷۵] . وقیل: ان البرکـة: هی النماء والسـعادة والزیادة [۵۷۶] . وقـال الراغب: ولمـا کان الخیر الإلهی یصـدر من حیث لا یحبس، وعلی وجه لا یحصـی ولا یحصـر قیل ـ لکل ما یشاهد منه زیادة محسوسة هو مبارک فیه وفیه برکة. [صـفحه ۳۹۹] ولا شک ولاـ ریب ومن خلاـل اسـتقراء حیـاة فاطمـة علیهـا السـلام قبـل وبعـد وفاتهـا هی الخیر الکثیر الـذی ورد فیه قوله تعالی: (إنا اعطیناک الکوثر)، ولقـد انطبقت علیهـا هـذه المعـانی لکـثرة برکتهـا علی رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم وعلی أهـل بیته وعلی شـیعة أمیر المؤمنین، فـأی برکـة بعـد رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم مثـل فاطمـة والتی علی معرفتهـا دارت القرون الاولی، وأی برکـة أکبر وأفضل من برکـة فاطمـة سـلام الله علیها علی الشـیعة وخاصة فی هذه الحیاة الدنیا حیث کانت الوعاء الأکبر للإمامة التی مثلت أفضـل مصادیق الولایـة الکبری وأی برکـة أفضل منها عنـدما تأتی یوم القیامـة وتخلص شـیعتها ومحبیها من عـذاب النار. ولقـد طفحت کتب السـیرة والتاریـخ دلالـة علی کثرة برکة فاطمة الزهراء سـلام الله علیها وکذلک الکتب الروائیة والکلامیة والتفسـیریة حیث أظهرت من خلال طیات صـفحاتها هذه الصـفة الواردة فیها، فاقرأ معی ما کتب حول برکة الزهراء سـلام الله علیها فیما ورد عن عبدالله بن سـلیمان قائلًا... (قرأت فی الإنجیل فی وصف النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم: نکّاح النساء ذو النسل القلیل، إنما نسـله من مبارکة لها بیت فی الجنة لا صـخب فیه ولا نصب، یکفلها فی آخر زمان کما کفل زکریا أمک، لها فرخان مستشهدان) [۵۷۷] . ولقد ورد فی تفسیر سورة الکوثر (إنـا أعطینـاک الکوثر) أ، الکوثر هی فاطمـة الزهراء سـلام الله علیهـا، والکوثر معنـاه الخیر الکثیر. ویعنی ذلـک أن لکثرة ذریة رسول الله من جهـة إبنته فاطمـة الزهراء سـلام الله علیها خاطب القرآن الرسول الأکرم محمـد صـلی الله علیه وآله وسـلم بأنه له الکوثر کرامـة من الله تعالی له. قال العلامة الطباطبائی رحمة الله: إنّ کثرة ذرّیّته هی المراده وحدها بالکوثر الذی اعطیه النّبی صـلی الله علیه و آله وسـلم أو المرادبها الخیر الکثیر، وکثرة الذرّیّة مرادة فی ضمن الخیر الکثیر، ولولا ذلک لکان تحقیق الکلام بقوله: (إنّ شانئک هو الأـبتر) خالیـاً عن الفائـدة. وقـد اسـتفاضت الروایات أنّ السورة إنّما نزلت فیمن عابه صـلی الله علیه وآله وسـلم بالأبتر بعـد ما مات ابنه القاسم وعبـدالله، وبـذلک ینـدفع ما قیل: إنّ مراد الشانیء بقوله (أبتر) المنقطع عن [صـفحه ۴۰۰] قـومه أو المنقطع عن الخیر، فردّ الله علیه بـأنّه هو المنقطع من کـلّ خیر. ولما فیه قوله (إنّا أعطیناک) م الامتنان علیه صـلی الله علیه وآله وسـلم جیء بلفظ المتکلّم مع الغیر الـدالّ علی العظمة، ولما فیه من تطبیب نفسه الشـریفة أکدّت الجملة بإنّ، وعبّر بلفظ الإعطاء الظاهر فی التملیک. وبالجملة لا تخلو من دلالـة علی أنّ ولـد فاطمـة علیها السـلام ذرّیّته صـلی الله علیه وآله وسـلم، وهذا فی نفسه من ملامح القرآن الکریم، فقد کثّر الله تعالی نسـله بعـد کثرة لاـ یعادلهم فیها أیّ نسل آخر، مع ما نزل علیهم من النوائب، وأفنی جموعهم من المقاتل الذریعـة [۵۷۸] . وقال الفخر

الرازی فی تفسیر قوله تعالی: (إنّا أعطیناک الکوثر)، والقول الثالث: الکوثر أولاده. قالوا: لأنّ هـذه السورة إنما نزلت ردّاً علی من عابه علیه السلام بعدم الأولاد، فالمعنی أنّه یعطیه یبقون علی مرّ الزمان، فانظر کم قتل من أهل البیت، ثم العالم ممتلیٔ منهم ولم یبق من بنی ـ امیّهٔ فی الـدنیا أحـد یعبـأ به! ثمّ انظر کم کـان فیهم من الأکـابر من العلمـاء کالباقر والصادق والکاظم والرضا علیهم السـلام والنفس الزکیهٔ وأمثالهم [۵۷۹] . وقال أیضاً: إنّا إذا حملنا الکوثر علی کثرهٔ الأتباع أو علی کثرهٔ الأولاد وعدم انقطاع النسل کال هذا إخباراً عن الغیب، وقد وقع مطابقاً له، فکان معجز [۵۸۰] . وقال الآلوسـی فی تفسیر: (إنّ شانئک هو الأبتر)، الأبتر: الذی لا عقب له حیث لا یبقی منه نسـل ولا حسن ذکر، وأمّا أنت فتبقی ذرّیتک... علیه دلالـهٔ علی أنّ أولاد البنات من الذرّیّهٔ [۵۸۱] . وقال العلامهٔ القزوینیّ: ووجه المناسـبهٔ أنّ الکافر شـمت بالنّبی صـلی الله علیه وآله وسلم حین مات أحد أولاده وقال: إنّ محمداً أبتر، فإن مات مات ذکره. فأنزل الله هـذه السورهٔ علی نبیّه علیه السـلام تسـلیهٔ له، کأنّه تعالی یقول: إن کان ابنک قـد مات فإنّا أعطیناک فاطمـهٔ، وهی وإن کانت واحـداهٔ وقلیلهٔ ولکنّ الله سیجعل هذا الواحد کثیراً. [صفحه ۴۰۱] وتصدیقاً لهذا الکلام تری فی العالم ـ الیوم ـ ذرّیهٔ فاطمهٔ الزهراء علیه السلام الذین هم ذرّیهٔ رسول الله علیه السـلام منتشـرین فی بقاع العالم، ففی العراق حوالی ملیون، وفی إیران حوالی ثلاث ملایین، وفی حصر خمس ملایین، وفی المغرب، الأقصـی خمس ملایین، وفی الجزائر وتونس ولیبیـا عـدد کـثیر، وکـذلک فی الاـردن وسوریـا ولبنـان والسودان وبلاد الخلیج والسـعودیّهٔ ملایین، وفی الیمن والهند وباکسـتان والأفغان وجزر أندونیسیا حوالی عشرین ملایین، وقلّ أن تجد فی البلاد الإسـلامیّهٔ بلـدهٔ لیس فیها أحـد من نسل السـیّدهٔ فاطمهٔ الزهراء علیها السـلام، ویقدّر مجموعهم بخمسـهٔ وثلاثین ملیوناً، ولو اجریت إحصائیّات دقیقـهٔ وصـحیحهٔ فلعلّ العدد یتجاوز هذا المقدار [۵۸۲] . ویؤیّـد ما اسـتفادهٔ العلاّمهٔ (ره) وغیره أخبار کثیرهٔ وردت من الفریقین العامّـهٔ والخاصّهٔ، کما روی الحافظ الکنجیّ الشافعیّ عن النبیّ صـلی الله علیه وآله وسـلم قال: «إنّ الله عزّ وجلّ جعل ذرّیهٔ کـلّ نـبیّ فی صـلبه، وإنّ الله عزّ وجـلّ جعـل ذرّیّتی فی صـلب علی بن أبی طـالب». قلت: رواه الطبرانی فی معجمه الکبیر، فی ترجمهٔ الحسن. فإن قیل: لا اتّصال لذرّیّهٔ النبیّ صـلی الله علیه وآله وسـلم بعلّی علیه السـلام إلا من جههٔ فاطمهٔ علیها السـلام، وأولاد البنات لا تکون ذرّیّهٔ لقول الشاعر: بـنونا بـنو وبـناتـنا بنوهنّ أبناء الرجال الأباعد قلت: فی التنزیل حجّهٔ واضـحهٔ تشهد بصحّهٔ هذه الدعوی، وهو قوله عزّ وجلّ فی سورهٔ الأنعام: (ووهبنا له (أی لإبراهیم) إسـحاق ویعقوب کلّا هـدینا ونوحاً هدینا من قبل ومن ذرّیّته (أی ذّریّهٔ نوح) داود وسـلیمان (إلی أن قال) وزکریّا ویحیی وعیسـی وإلیاس) [۵۸۳] . فعدّ عیسـی علیه السـلام من جملهٔ الذرّیّهٔ الذین نسبهم إلی نوح علیه السـلام وهو ابن بنت لا اتّصال له إلا من جههٔ امّه مریم. وفی هذا أکدّ دلیل [علی] أنّ أولاد فاطمهٔ علیها السـلام ذرّیّهٔ للنّبی صـلی الله علیه وآله وسـلم ولاـ عقب له إلاـ من جهتهـا... وقـد قـال عطـاء ومن شـایعه من المفسّـرین: الهاء من قوله (ومن ذرّیّته) راجعـهٔ إلی إبراهیم. ویحصل فی هذا فائدهٔ [صـفحه ۴۰۲] اخری لطیفـهٔ وهو أنه عدّ من جملهٔ الذرّیّهٔ الذین نسـبهم إلی إبراهیم لوطاً ولم یکن من صلبه، لأـنّ لوطـاً ابن أخی إبراهیم، والعرب تجعـل العمّ أبـاً کمـا أخبر عزّ وجلّ عن ولـد یعقوب حیث قال: (نعبـد إلهک وإله آبائک إبراهیم وإسـماعیل وإسـحاق) ومعلوم أنّ إسـماعیل عمّ یعقوب ولکن نزّله منزلـهٔ الأب، فیحصل من هـذا جواز انتساب أولاد علیّ علیه السـلام إلی النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم علی الإطلاق، لأنّه أخوه وهو منه بمنزلهٔ هارون من موسی، کما نسب الله لوطاً إلی إبراهیم، ولوط إنّمـا هو ابن أخیه، وکـذلک هنا... ابن حصـین عن عمر قال: سـمعت رسول الله یقول: کلّ بنی أنثی فإنّ عصـبتهم لأبیهم ما خلا ولد فاطمهٔ، فإنّی أنا عصبتهم وأنا أبوهم [۵۸۴] . وقال رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم فی حدیث طویل: یا فاطمهٔ، ما بعث الله نبیّاً إلا جعل له ذرّیّهٔ من صلبه، وجعل ذرّیّتی من صلب علیّ، ولولا علیّ ما کانت لی ذرّیّهٔ [۵۸۵] . قال ابن أبی الحدید فی ذیل کلام علیّ علیه السـلام: «املکوا عنّی هـذا الغلاـم لا یهـدّنی، فإنّنی أنفس بهـذین ـ یعنی الحسن والحسـین ۸ ـ علی الموت لئلاًـ ینقطع بهما نسـل رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم [۵۸۶] . فإن قلت: أیجوز أن یقال للحسن والحسین وولدهما أبناء رسول الله وولد رسول الله وذرّیّهٔ رسـول الله ونسـل رسـول الله؟ قلت: نعم، لأـنّ الله سـماهم أبنـائه فی قـوله تعـالی: (نـدع أبنائنـا وأبنـائکم) [۵۸۷] ، وإنمـا عنی الحسـن والحسـین... وسـمّی الله تعالی عیسـی ذرّیّهٔ إبراهیم فی قوله: (ومن ذرّیّته دواد وسلیمان ـ إلی أن قال ـ ویحیی وعیسی)... فإن قلت: فما

تصنع بقوله تعالى: (ما كان محمّـد أبا أحدٍ من رجالكم) [۵۸۸] ؟ قلت: أسألـك عن أبوّته لأبراهيم بن ماريـة، فكلّ ما تجيب به عن ذلـك فهو جوابى عن الحسن والحسين عليهمـا السـلام. والجواب الشامل للجميع أنّه عنى زيـد بن حارثـة، لأنّ [صـفحه ۴۰۳] العرب كانت تقول: زيـد بن محمّـد، على عادتهم فى تبنّى العبيد، فأبطل الله ذلك ونهى عن سـنّة الجاهليّة... قيل لمحمّد ابن الحنفيّة: لم يغرّر بـك أبـوك فى الحرب ولم لاـ يغرّر بـالحسن والحسين؟ فقـال: لأنّهمـا عينـاه، وأنـا يمينه، وهو يـذبّ عن عينيه بيمينه [۵۸۹] . وروى الخطيب عن عبـدالله بن عبّاس قال: كنت أنا وأبى العبّاس بن عبـد المطّلب جالسـين عند رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم إذ دخل على بن أبى طـالب، فسلّم فردّ عليه رسول الله: وبشّ به وقـام إليه واعتنقه قبّـل بين عينيه وأجلسه عن يمينه، فقال العبّاس: يا رسول الله، أتحبّ هـذا؟ فقـال النبىّ صـلى الله عليه وآله وسـلم: يـا عمّ رسول الله، والله لله أشـدّ حبـاً له منّى، إنّ الله جعل ذرّيـة كلّ نبىّ فى صـلبه، وجعل ذرّيتى فى صـلب هذا [۵۹۰] . وجرت مناظرة طويلة بين الإمام موسـى بن جعفر عليهم السـلام وبين هارون الرشـيد، وفيه قال له هـارون: لم جوّزتم للعامّـة والخاصّـة أن ينسبـوكم إلى رسول الله صـلى الله عليه وآل وسـلم ويقولون لكم: يـا بنى رسول الله، وأنتم بنو علىّ؟ وإنّمـا ينسـب المرء إلى أبيـه، وفاطمـة إنّمـا هى وعـاء، والنـبىّ صـلى الله عليه وآله وسـلم جـدّكم من قبـل أمّكم! فقلت: يـا أمير المؤمنين، لو أن النبىّ صـلى الله عليه وآله وسلم نشر فخطب إليك كريمتك هل كنت تجيبه؟ فقال: سبحان الله! ولم لا اجيبه بل أفتخر على العرب والعجم وقريش بـذلك. فقلت: لكنّه عليه السـلام لاـ يخطب إلىّ ولاـ ازوّجه. فقـال: ولم؟ فقلت: لأنّه ولـدنى ولم يلـدك. فقال: أحسـنت يا موسـى. ثم قال: كيف قلتم إنّا ذرّيّـة النبى، والنبىّ صـلى الله عليه وآل وسـلم لم يعقب، وإنّما العقب للذكر لا للانثى، وأنتم ولـد الابنـة ولاـ يكون لها عقب؟ فقلت: أسألك بحقّ القرابـة والقبر ومن فيه إلا ما أعفيتنى عن هـذه المسألـة، فقال: أولا تخبرنى بحجّتكم فيه يـا ولـد علىّ، وأنت يا موسـى يعسوبهم وإمام زمانهم؟ كـذا انهى إلىّ، ولست أغفيك فى كلّ ما أسالك عنه حتّى تأتينى فيه بحجّـة من كتاب الله، فأنتم تدّعون معشـر ولد علىّ أنّه لا يسـقط عنكم منه شـىء ألف ولا واو إلا وتأويله عندكم، واحتججتم بقوله عزّ وجلّ: (ما فرّطنا فى [صـفحه ۴۰۴] الكتاب من شىء) [۵۹۱] وقد اسـتغنيتم عن رأى العلماء وقياسهم. فقلت: تأذن لى فى الجواب؟ قال: هات. فقلت: أعوذ بالله من الشـيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم (ومن ذرّيّته داود وسـليمان وأيّوب ويوسف وموسى وهارون وكـذلك نجزى المحسـنين وزكريّا ويحيى وعيسـى) [۵۹۲] ، من أبـو عيسـى، يـا أمير المـؤمنين؟ فقـال: ليس لعيسـى أب، فقلت: إنّما الحقناه بذرارى الأنبياء عليهم السـلام من طريق مريم عليها السلام، وكذلك الحقنا بذرارى النّبى صلى الله عليه وآله وسلم من قبل امّنا فاطمـة عليها السـلام. أزيـدك يا أمير المؤمنين؟ قال: هات. قلت: قول الله عزّ وجلّ: (فمن حاجّك فيه من بعـد ما جائك من العلم فقل تعالوا ندع أبنائنا وابنائكم ونسائنا ونسائكم وأنفسنـا وأنفسكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) [۵۹۳] ، ولم يدّع أحد أنّه أدخل النبىّ صـلى الله عليه وآله وسـلم تحت الكسـاء عنـد مباهلـة النصارى إلا علىّ بن أبى طالب وفاطمـة والحسن والحسـين عليهم السـلام، وكـان تأويـل قوله عزّ وجـلّ (أبنائنـا) الحسن والحسـين (ونسائنـا) فاطمـة (وأنفسـنا) علىّ بن أبى طالب. إنّ العلماء قـد أجمعوا على أنّ جبرئيـل قـال يوم احـد: «يا محمّـد، إنّ هـذه لهى المواساة من علىّ. قال: لأنّه منّى وأنا منه. فقال: جبرئيل: وأنما منكما يا رسول الله. ثمّ قـال: لاـ سيف إلاـ ذو الفقـار، ولاـ فتى إل علىّ» فكـان كمـا مـدح الله عزّ وجلّ به خليله عليه السـلام إذ يقول: (فتى يـذكرهم يقال له إبراهيم) [۵۹۴] ، إنّا معشـر بنى عمّك نفتخر بقول جبرئيل إنّه منّا. فقال: أحسنت يا موسى ـ الحديث [۵۹۵] . عن عبد الصمد بن بشير، عن أبى الجارود، عن أبى جعفر عليه السـلام، قال: قال لى أبو جعفر عليه السـلام: يا أبا الجارود، ما يقولون فى الحسن والحسـين عليها السـلام؟ قلت: ينكرون علينا أنّهما ابنا رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم، قال: فبأىّ شـىء احتججتم عليهم؟ قلت: بقول الله عزّ وجلّ فى عيسـى بن مريم: (ومن ذرّيّته داود وسليمان (إلى قوله) وكذلك نجزى المحسنين)، وجعل عيسى من ذرّيـة إبراهيم، قال: فأىّ شىء قالوا لكم؟ قلت: قالوا: قد يكون ولد الابنة من الولد ولا يكون من الصلب. قال: فبأىّ شىء احتججتم عليهم؟ قال: قلت: احتججنا عليهم بقول الله تعالى: (قل تعالوا ندع أبنائنا وأبنائكم ونسائنا ونسائكم) الآية: قال: فأىّ شـىء قالوا لكم؟ قلت: قالوا قد يكون فى كلام العرب ابنى رجـل واحـد، فيقول: أبنائنـا، وإنّمـا همـا ابن واحـدٍ. قـال: فقال أبو جعفر عليه السـلام: والله يا أبا الجارود لاعطينّكها من كتاب الله

تسمّى لصلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يردّها إلّا كافر. قال: قلت: جعلت فداك، وأين؟ قال: حيث قال الله (حرمّت عليكم امّهاتكم وبناتكم (إلى أن ينتهى إلى قوله) وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) [۵۹۶] ، فسلهم يا أبا الجارود، هل حلّ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نكاح حليلتهما؟ فإن قالوا: نعم، فكذبوا والله وفجروا، وإن قالوا: لا فهما والله ابناه لصلبه، وما حرمتا عليه إلاّ للصلب [۵۹۷] . وعن عامر الشعبيّ إنّه قال: بعث إليّ الحجّاج ذات ليلة، فخشيت، فقمت وتوضّأت وأوصيت، ثم دخلت عليه فنظرت فإذا نطع منشور وسيف مسلول، فسلّمت عليه، فردّ السلام فقال: لا تخف، فقد أمنتك الليلة وغداً إلى الظهر. وأجلسنى عنده، ثمّ أشار فأتى برجل مقيّد بالكبول والأغلال، فوضعوه بين يديه فقال: إنّ هذا الشيخ يقول: إنّ الحسن والحسين كانا ابنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ ليأتينّى بحجّة من القرآن وإلا لأضربنّ عنقه. فقلت: يجب أن تحلّ قيده فإنّه إذا أحتجّ فإنّه لا محالة يذهب، وإن لم يحتجّ فإنّ السيف لا يقطع هذا الحديد. فحلّوا قيوده وكبوله، فنظرت فإذا هو سعيد بن جبير، فحزنت بذلك وقلت: كيف يجد حجّة على ذلك من القرآن؟ فقال له الحجّاج: أئتنى بحجّة من القرآن على ما ادّعيت وإلا أضرب عنقك. فقال له: انتظر فسكت ساعة ثم قال له مثل ذلك، فقال: انتظر. فسكت ساعة ثم قال له مثل ذلك، فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قال: (ووهبنا له إسحاق ويعقوب (إلى [صفحه ۴۰۶] قوله) وكذلك نجزى المحسنين). ثم سكت. وقال للحجّاج: اقرأ ما بعده، فقرأ: (وزكريّا ويحيى وعيسى)، فقال سعيد: كيف يليق ههنا عيسى؟ قال: إنّه كان من ذرّيّته، قال: اين كان عيسى من ذرّيّة إبراهيم ولم يكن له أب بل كان ابن ابنة فنسب إليه مع بعده، فاحسن والحسين أولى أن ينسبا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع قربهما منه. فأمر له بعشرة آلاف دينار وأمر بأن يحملوها معه إلى داره، وأذن له فى الرجوع. قال الشعبى: فلما أصبحت قلت فى نفسى: قد وجب علىّ أن آتى هذا الشيخ فأتعلّم منه معانى القرآن، لأنّى كنت أظنّ أنّى أعرفها فإذا أنا لا أعرفها، فأتيته فإذا هو فى المسجد وتلك الدنانير بين يديه يفرّقها عشراً عشراً ويتصدّق بها، ثم قال: هذا كلّه ببركة الحسن والحسين عليهما السلام، لئن أغممنا واحداً لقد أفرحنا ألفاً وأرضينا الله ورسوله [۵۹۸] .

الطاهرة

من الأسماء الجميلة والتى تدل على معنى يصبو إليه كل مؤمن هو الطهارة الباطنية والظاهرية، حيث سميت به فاطمة سلام الله عليها، وقد دلت عدة روايات مهمة فى هذا الباب على مدى طهارتها عليها السلام هذا بالإضافة إلى الشواهد الأخرى التى أيدت هذه المسألة عنها عليها السلام من أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة بل هى المحور الذى يدور عليه أهل البيت عليهم السلام، وأفضل دليل على طهارتها هو آية التطهير، فهى سلام الله عليها مطهرة نقية مبرءة من كل الأرجاس الظاهرية والباطنية وإليك بعض الأحاديث والشواهد التى تدل على أنها طاهرة سواء الطهارة الظاهرية أو الباطنية. فلقد ورد عن أبى جعفر، عن آبائه: قال: إنّما سمّيت فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم «الطاهرة» لطهارتها من كلّ دنس، وطهارتها من كلّ رفث، وما رأت قطّ يوماً حمرة [صفحه ۴۰۷] ولا نفاساً [۵۹۹] . وعن الصادق عليه السلام قال: إنّ الله حرّم النساء على علىّ ما دامت فاطمة حيّة، لأنّها طاهرة لا تحيض [۶۰۰] . ولقد بيّن العلامة المولى محمد على الأنصارى وجه الطهارة عن أهل البيت: بما فيهم فاطمة سلام الله عليها حيث قال: ووجه الطهارة فى جميع ما ذكر منهم من حيث الحكمة أنّ منشأ النجاسة ونحوها إنّما هو جهة النفسانيّة، وليس فى تلك الأنوار الإسفهبديّة جهة النفسانيّة بالمرّة ولو مثقال ذرّة. وما ورد فى طهارة أجسادهم الشريفة إنّما هو محمول على أجزائها الظاهريّة والباطنيّة من كلّ حيثيّة، وإلا ـ فظواهر الأجساد طاهرة من كلّ مسلم أيضاً فلا يكون لهم حينئذ فضل من هذه الجهة... [۶۰۱] . أما قضية سد الأبواب بالنسبة للمسجد النبوى الشريف إلاّ لأهل البيت عليهم السلام فى زمن النبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم فهى أفضل شاهد على طهارتهم الظاهرية والباطنية. وقال العلامة الأمينى [۶۰۲] رحمه الله إشارة إلى هذا المسألة: إنّ سدّ الأبواب الشارعة فى المسجد كان لتطهيرة عن الأدناس الظاهريّة والمعنويّة، فلا يمرّ به أحد جنباً، ولا يجنب فيه أحد. وأمّا ترك بابه صلى الله عليه وآله وسلم وباب أمير

المؤمنين عليه السلام فلطهارتهما عن كلّ رجس ودنس بنصّ آية التطهير، حتّى إنّ الجنابة لا- تحدث فيهما من الخبث المعنوى ما تحدث فى غيرهما... وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ألا إنّ مسجدى حرام على كلّ حائض من النساء وكلّ جنب من الرجال إلّا على محمد وأهل بيته عليهم السلام على وفاطمة والحسن والحسين [۶۰۳] (صلوات الله عليهم أجمعين). وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ألا لا يحلّ هذا المسجد لجنب ولا الحائض إلّا لرسول الله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، ألا قد بيّنت لكم الأسماء أن لا تضلّوا [۶۰۴] ... [صفحه ۴۰۸] فزبدة المخض من هذه كلّها أنّ إبقاء ذلك الباب والإذن لأهله بما أذن الله لرسوله ممّا خصّ به مبتنٍ على نزول آية التطهير النافية عنهم كلّ نوع من الرجاسة. وقال العلامة الشيخ السعيد جمال الدين الحسن بن زين الدين الشهيد الثانى رحمه الله: وروى الصدوق فى كتاب «من لا يحضره الفقيه» عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مرسلاً أنّه قال: «إنّ فاطمة (صلوات الله عليها) ليست كأحد منكنّ، إنّها لا ترى دماً فى حيض ولا نفاس كالحوريّة...» ولا يخفى ما فى هذه الروايات من المافاة لما سبق فى حديث قضاء الحائض للصوم دون الصلاة من أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يأمر فاطمة عليه السلام بذلك. ووجه الجمع حمل أمره صلى الله عليه وآله وسلم لها عليها السلام على إرادة تعليم المؤمنات، وهو نوع من التجوّز فى الخطاب شائع، ولعلّ المقتضى له فى هذا الموضع رعاية خفاء هذه الكرامة كغيرها ممّا ينافى ظهوره بلاء التكليف [۶۰۵] وفى ختام هذا البحث ينبغى أن تلاحظ ما جاء فى غسلها ووصيّتها عليه السلام قبل الوفاة، وهو أدلّ دليل وأقوى حجّة على أنّها كانت طاهرة ميمونة فى حياتها وبعد مماتها، ولم يحدث الموت فيها رجاسة ولا دناسة، مع أنك تعلم أنّه ممّا لا خلاف فيه تنجّس البدن بعد الموت وبعد خروج النفس عنه، ولأجل ذلك لا بدّ أن يغسّل الميّت حتّى يطهّر بدنه وينظّف جسمه، إلا أنّ سيّدة النساء عليه السلام أوصت أن لا يكشفها أحد، وأن تدفن بغسلها قبل الوفاة. روى أحمد فى مسنده عن أمّ سلمى (زوجة أبى رافع) قالت: اشتكت فاطمة شكواها التى قبضت فيه، فكنت امرّضها، فأصبحت يوماً كأمثل من رأيتها فى شكواها تلك، قالت: وخرج عليّ لبعض حاجته، فقالت: يا امّه اسكبى لى غسلاً. فسكبت لها غسلاً، فاغتسلت كأحسن ما رأيتها تغسل، ثم قالت: يا أمّه أعطينى ثيابى الجدد، فأعطيتها، فلبستها، ثم قالت: يا أمّه قدّى لى فراشى وسط البيت، ففعلت؛ واضطجعت واستقبلت القبلة وجعلت يدها تحت خدّها، ثم قالت: يا امّه إنّى مقبوضة الآن وقد تطهّرت، فلا يكشفنى أحد، فقبضت مكانها، قالت: فجاء عليّ فأخبرته [۶۰۶] . [صفحه ۴۰۹] وقال فى «كشف الغمّة»: واتفاقهما من طرق الشيعة والسنة على نقله مع كون الحكم على خلافة عجيب، فإنّ الفقهاء من الطرفين لا يجيزون الدفن إلا بعد الغسل إلا فى موضع ليس هذا منه... ولعلّ هذا أمر يخصّها عليها السلام. نعم إنّها عليها السلام كأبيها فى طهراتها كما تقدّم عن الصدق عليه السلام إنّه لمّا سئل: هل اغتسل عليّ حين غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: النّبى طاهر مطهّر ولكن اغتسل عليّ عليه السلام وجرت به السنة.

الزكية

ومعنى هذا الاسم مماثل ومرادف للمباركة، والذى يقتضى الحال ان الزكاة هى النمو والزيادة فى الشىء على وجه ما بحيث يكون ذا أثر واضح نتيجة تلك الزيادة التى تطرأ عليه، فالزهراء زكية من جهة أن الله تعالى قد جعل ذرية الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد ازدادت ونمت عن طريق الرحم الطاهر للزهراء سلام الله عليها فلقد كثر وبانت ذرية الرسول من جهتها سلام الله عليها وهذا يقتضى أن تكون الزهراء هى المنبع الذى عن طريقه كثرة ذرية رسول الله، فهى الزكية بكثرة بركتها على شيعتها ويمن المراجعة فى هذا الموضوع فى باب اسمها المباركة فإنه كما هى مباركة فهى زكية بسبب اخلاصها وحبها الله تعالى تفانيها فى ذات الله.

الراضية

من الأمور المهمة والتى تكون ذا أهمية كبيرة فى معرفة درجة أيمان الفرد المسلم مسألة الرضا عن الله تعالى.، فمقام الرضا يحتاج إلى معرفة ويقين حتى يصل إليه الإنسان ويكون من الراضين بما قسم الله تعالى حتى يصل فى النهاية إلى مرحلة إيمانية [صفحه ۴۱۰]

عالية جداً، وكما ورد فى دعاء كميل «وتجعلنى بقسمك راضياً قانعاً» أى أن الإنسان المؤمن يطلب من الله تعالى أن يوصله إلى مقام الرضا منه جل وعلا فى كل ما يقسمة له سواء من خير أو غير ذلك، ومع هذا كله فلقد ورّد فى عدة أحاديث مروية عن أهل بيت العصمة عليهم السلام أن رأس طاعة الله تعالى الصبر والرضا عن الله تبارك وتعالى. فلقد جاء فى الحديث الشريف عن على بن الحسين عليه السلام أنه قال: «الصبر والرضا عن الله رأس طاعة الله، ومن صبر ورضى عن الله فيما قضى عليه فيما أحب أو كره، لم يقض الله عز وجل له فيما أحب أو كره إلا ما هو خير له» [۶۰۷] لأنه سبحانه وتعالى كما ورد فى بعض الأخبار ـ عند حسن ظن عبده المؤمن به، إضافة إلى أن الله سبحانه لا ـ يختار لعبده إلا ـ ما فيه خيره ومصلحته، وان خفيف تلك المصلحة على العبد لمحدوديته وقصوره عن الإحاطة بمصالحه ومفاسده. وجاء فى حديث آخر عن أبى عبدالله عليه السلام قال: إنّ أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله عز وجل [۶۰۸] . فمن خلال هذا الحديث وأحاديث أخرى يظهر مقام الزهراء سلام الله عليها العلى حيث أنها كانت راضية عن الله تعالى بكل ما قدر لها من خير وبلاء، وهذا ينم عن الحالة الإيمانية عند فاطمة سلام الله عليها، فمبلاحظة اسمها إلا لمن حاز على مرتبة شريفة وسامية، فبملاحظة أمور أخرى فى حياتها سلام الله عليها يتضح ويظهر آنها عليها السلام كانت ذا مرتبة علمية وعرفانية بلغت أوج عظمتها، وكما ورد على لسان المعصوم عليه السلام «نحن حجج الله على الخلق وجدتنا فاطمة حجة الله علينا» والحجة لا يكون على الآخرين إلا إذا كان ذو مقام علمى وسامى على الآخرين وإلا لا يكون حجة على غيره. إذن فاطمة كانت راضية وهذا يظهر من خلال أبسط تأمل لحياتها وما جرى عليها [صفحه ۴۱۱] من الظلم والأذى، وبما قدّر لها من مرارة الدنيا ومشقاتها ومصائبها وبلاياها. وبمراجعة بعض الروايات فى المقام يظهر ان هناك حالة ترابط بين اسم الصديقة لفاطمة سلام الله عليها وبين اسمها الراضية، فهناك حالة تلازم كما يظهر من الحديث الذى سوف أنقله إليك بين حالة الرضا بقضاء الله تعالى وبين الصدّيق الذى يكون عند الله بهذا المقام، فلقد روى عن أبى عبدالله عليه السلام أنه قال: «قال الله عز وجل: عبدى المؤمن لا أصرفه فى شىء إلا جعلته خيراً له، فليرض بقضائى، وليصبر على بلائى، وليشكر نعمائى أكتبه، أكتبه يا محمد من الصدّيقين عندى» [۶۰۹] . وتمام هذا الحديث منطلق على سيرتها الذاتية عليها السلام فهى كانت راضية بقضاء الله تعالى وصابرة على ما جرى عليها من الظلم والهوان، وكانت شاكرة لله تعالى فالشكر يدى على الرضا، وبملاحظة أسماء الزهراء فى الرواية المتقدمة فى أول الفصل نجد أن من أسماءها الصديقة وأن من الأسماء الأخرى لها هو الراضية، إذن الرضا يؤدى بالعبد إلى درجة الصديقين، والزهراء من خلال استقراء حياتها وسيرتها الذاتية نجد أنها كانت راضية بكل ما قدر الله لها، فهى إذن صديقة وهذا من أفضل البراهين على أنها كانت صديقة سلام الله عليها. أما من خلال الأحاديث والأقوال الواردة فى المقام فهى كثيرة والتى من خلالها بينت أن فاطمة سلام الله عليها كانت الراضية،وكما قلنا أن سيرتها الذاتية طافحة بالأحداث الكثيرة التى أثبت أنها كانت راضية بما قدر الله لها، فعن على بن أعبد قال: قال لى علىّ رضى الله عنه: ألا أحدّثك عنّى وعن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانت من أحبّ أهله إليه؟ قلت: بلى. قال: إنّها جرّت بالرحى حتّى أثّر فى يدها، واستقت بالقربة حتّى أثّر فى نحرها، وكنست البيت حتّى اغبرّت ثيابها، وأوقدت القدر حتّى دكنت ثيابها، وأصابها من ذلك ضرّ، فأتى النبىّ عليه السلام خدم، فقلت: لو أتيت أباك فسألته خادماً. فأتته فوجدت عنده حدّاثاً، فاستحيت فرجعت، فأتاها من الغد، فقال: ما كان حاجتك؟ فسكتت، فقلت: أحدّثك يا رسول عليه السلام، جرّت عندى [صفحه ۴۱۲] بالرحى حتّى أثّر فى يدها، وحملت القربة حتّى أثّر فى نحرها وكسحت البيت حتّى اغبرّت ثيابها، [و] أوقدت القدر حتّى دكنت ثيابها، فلمّا جاءك الخدم أمرتها أن تأتيك فتستخدمك خادماً يقيها حرّ ماهى فيه. قال: اتّقى الله يا فاطمة، وأدذى فريضة ربّك، واعملى عمل أهلك، إن أخذت مضجعلك فسبّحى ثلاثاً وثلاثين، وكبّرى أربعاً وثلاثين، فتلك مائة، فهى خير لك من خادم. فقالت: رضيت عن الله وعن رسوله؛ ولم يخدمها [۶۱۰] . ولقد ذكر المولى محمد على الأنصارى شارح الخطبة، فى مسالة رضاها سلام الله عليها ومسألة من وجوه اقتضاها حال الرواية حيث قال: وإطلاق الرضيّة لرضاها عن الله ورسوله حين ذهبت على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فطلبت منه خادمة وقالت: لا اطيق على شدائد أشغال البيت، فعلّمها النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم تسبح فاطمة وبشّر لها بقوابه: فقالت ثلاثاً: رضيت عن

الله ورسوله. فرجعت إلى بيتها فقالت: طلبت من أبى خير الدنيا، فأعطانى خير الآخرة. أو لرضاها عن الله تعالى فيما أعطاها من القرب والمنزلة وطهارة الطينة وغير ذلك من المراتب والعالية فى الدنيا والبرزخ والآخرة من حيث الجاه والمنزلة النعمة الشرف والفضيلة. أو لرضاها عنه تعالى فى جعل الشفاعة الكبرى بيدها من الإنتقام من قتلة ولدها فى الدنيا والآخرة [۶۱۱] .

المرضية

وهذا اسم آخر لفاطمة الزهراء سلام الله عليها، والذى يظهر من خلال التأمل والتدير فى السيرة الذاتية لها أنه هناك احتمالا، فى معنى كونها مرضية، أحدهما هو كون جميع أعمالها وأفعالها وأقوالها وما صدر منها خلال مسيرة حياتها مرضية عند الله تبارك وتعالى فهى رضى الله عنها ورضت عنه، فهى راضية مرضية راضية عن [صفحه ۴۱۳] البارى عز وجل ومرضية بما وعد الله تبارك وتعالى عباده بالرضوان الأكبر. والإحتمال الآخر أنها سلام الله عليها كانت مرضية، من جهة ما أعطاها الله تبارك وتعالى من المقامات النورانية التى بها فضلها على غيرها وكذلك، ومن خلال ما اعطاها تبارك وتعالى من الذرية الكثيرة حيث جعل منها الائمة الهاديين، وكذلك هى مرضية سلام الله عليها من جهة أن لها مقام الشفاعة الكبرى وكما ورد فى أحاديث مجيئها يوم القيامة وكيفية شفاعتها لشيعتا ومحبيها، وهذا ما بحثناه فى الفصل الخاص الذى بيناه فيه مقاماتها سلام الله عليها، وأياً كان تفسير معنى المرضية سواء كان الاحتمال الأولى أو الثانى، فغن فاطمة سلام الله عليها قد حازت وفازت بهذه المنزلة الرفيعة والدرجة الراقية فهى راضية مرضية أعمالها عند الله عز وجل (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى).

المحدثة

اشاره

ونقف هنا فى هذا الصفحات مع اسم آخر لفاطمة سلام الله عليها والذى نستفيده من خلال مراجعة مصادر اللغة إن هذا الإسم ومن دون تحريك حرف الدال نحتمل فيه اما أن تكون الدال المشدّدة مكسورة واما أن تكون الدال المشددة فيه مفتوحة. وعلى الاحتمال الأول يكون معنى هذا الإسم أنها سلام الله عليها كانت تحدث امها خديجة عليه السلام وهذا ما يظهر من خلال مراجعة بعض الروايات، حيث أنها سلام الله عليها كانت تحدث أمها وهى فى بطنها، وكما ورد عندما سئل رسول الله من زوجته خديجة اثناء دخوله عليها قائلًا لها مع تتحدثين قالت: الجنين الذى فى بطنى يؤنسنى ويحدثنى. وعلى الإحتمال الثانى وهو الأصح على ما يظهر من بعض الأحاديث فى المقام (وسوف تأتينا خلال البحث) يكون معنى المحدّثة هو أنها سلام الله عليها كانت تحدثها الملائكة وتؤنسها وخصوصا بعد فقد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وهنا سؤال يطرح نفسه فى المقام وينقدح فى ذهن القارى ء وهو هل من الممكن أن [صفحه ۴۱۴] تكون الملائكة تحدث بعض الناس مع أن المعلوم أن الوحى انقطع بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وفى حالة تكون تحديث الملائكة وامكان وقوعه ولو على غير نحو الوحى هل يقع هذا مع فاطمة سلام الله عليها؟ وللإجابة على هذا السؤال لا بد لنا من مراجعة القرآن الكريم ونستقرأه فى هذه المسألة وامكان وقوعها فى الأمم السابقة باعتبار أن القرآن الكريم المصدر الأول للمسلمين فى عرض الأشياء عليه. فنجد من خلال عدة آيات قرآنية كثيرة جداً ثبتت هذه الحقيقة وهى أن الملائكة يمكن أن تتحدث مع البشر، فهذا صريح القرآن يثبت هذه الحقيقة الواضحة البرهان والتى لا يبقى معها شك وإليك بعض هذه الآيات القرآنية التى ثبتت هذه المسألة: ۱ ـ قال الله تعالى (واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً فاتخذت من دونهم حجاباً...) [۶۱۲] . ۲ ـ (وإذا قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك...) [۶۱۳] . ان الظاهر من خلال التأمل فى الآتين المباركتين أن مريم سلام الله عليها تحدثت مع الملائكة، وهذا منأفضل الأدلة على مسألة تحدث الملائكة مع أناس ليسوا بأنبياء فإن

مريم سلام الله عليها لم تكن بنبى ولم تكن إمام بل هى أم نبى من انبياء الله تعالى، ومع ذلك فالملائكة تحدثت معها. ۲ ـ قوله تعالى: (وامرأته قائمة...) [۶۱۴] . ۴ ـ وقوله تعالى: (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) [۶۱۵] وقوله تعالى: (فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبّحوا بكرة وعشياً) [۶۱۶] (فقضهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها) [۶۱۷] (وإذ أوحيت [صفحه ۴۱۵] إليالحواريين أن آمنوا بى وبرسولى) [۶۱۸] . (إذ يوحى ربّك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا) [۶۱۹] . (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً) [۶۲۰] . (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) [۶۲۱] . (إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى) [۶۲۲] . اذن يظهر من خلال هذه الآيات القرآنية وآيات أخرى أن الوحى ليس مختص بالأنبياء والرسل فقط بل هو يتعدى إلى أولياء الله تعالى، نعم الوحى هنا فى هذه الآيات المفهوم منه غير الوحى فى إبلاغ الرسالات إلى الأنبياء بل هو شأن آخر من الوحى. فالوحى لغة الإعلام الخفى السريع، واصطلاحاً الطريقة الخاصة التى يتصل بها الله تعالى برسله وأنبيائه لاعلامهم ألوان الهداية والعلم، وانما جاء تعبير الوحى عن هذه الطريقة باعتبارها خفية عن الآخرين ولذا عبر الله تعالى عن اتصاله برسوله الكريم بالوحى [۶۲۳] . قال سبحانه (إنا أوحينا اليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده...) [۶۲۴] . وقال الله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء إنه على حكيم) [۶۲۵] . وهذه الآية الآخيره حددت معنى الوحى الذى يختص بالأنبياء والمرسلين أما الآيات الاخرى المتقدمة الذكر فلها معانى آخر للوحى، والذى نقول به أن فاطمة الزهراء إنما كانت محدّثة من قبل الملائكة بنحو من أنحاء الوحى الذى بينته الآيات [صفحه ۴۱۶] الآنفة الذكر، فلا محالة أن تكون قد حدثت من قبل الملائكة كما دل القرآن على إمكان وقوع ذلك كما حديث مع أم موسى وكيفية إيحاء الله تعالى لها. وثمة شواهد أخرى تدل على على أنها كانت محدثة من قبل الملائكة، وهذا ما نجده فى المأثور الروائى الذى نقل إلينا عبر الرواة والمحدثون. فعن إسحاق بن جعفر بن محمد بن عيسى بن زيد بن على قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إنّما سمّيت فاطمة محدّثة لأنّ الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادى مريم بنت عمران فتقول: يا فاطمة، إنّ الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين، يا فاطمة اقنتى لربّك واسجدى واركعى مع الراكعين [۶۲۶] . فتحدّثهم ويحدّثونها، فقالت لهم ذات ليلة: أليست المفضّلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: إنّ مريم كانت سيّدة نساء عالمها، وإنّ الله جعلك سيّدة نساء عالمك وعالمها وسيّدة نساء الأولين والآخرين [۶۲۷] . وعن عبدالله بن الحسن المؤدّب، عن أحمد بن على الاصفهانى، عن إبراهيم بن محمد الثقفى، عن اسماعيل بن بشّار قال: حدّثنا علىّ بن جعفر الحضرمىّ بمصر منذ ثلاثين سنة قال: حدّثنا سليمان قال: محمد بن أبى بكر لمّا قرأ: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبىّ) [۶۲۸] ولا محدّث، قلت: وهل يحدّث الملائكة إلاّ الأنبياء؟ قال: إنّ مريم لم تكن نبيّة وكانت محدّثة، وأمّ موسى بن عمران كانت محدّثة ولم تكن نبيّة، وساره امرأة إبراهيم قد عاينت الملائكة فبشّروها بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، ولم تكن نبيّة، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت محدّثة ولم تكن نبيّة [۶۲۹] . وجاء فى الكتاب القيم (الغدير الذى يعتبر من أهم الكتب التى ألفت فى حق ولاية أهل البيت عليهم السلام) حول مسألة الأناس المحدثون حيث قال: «أصفقت الامّة الإسلامية على أنّ فى هذه كما لدى الامم السابقة اناس محدّثون ـ على صيغة المفعول ـ [صفحه ۴۱۷] وقد أخبر بذلك النّبى الأعظم كما ورد فى الصّحاح والمسانيد من طريق الفريقين الامّة والخاصّة، والمحدّث من تكلّمه الملائكة بلا نبوّة ولا رؤية صورة، أو يلهم له ويلقى فى روعه شيء من العلم على وجه الإلهام والمكاشفة من المبدأ الأعلى، او ينكت له فى قلبه من حقايق تخفى على غيره، أو غير ذلك من المعانى التى يمكن أن يراد منه. فوجود من هذا شأنه من رجالات هذه الأمّة مطبق عليه بين فرق الإسلام، بيد أنّ الخلاف فى تشخيصه. فالشيعة ترى علياً أمير المؤمنين وأولاده الأئمة صلوات الله عليهم من المحدّثين...» [۶۳۰] . وقال رحمة الله: «إنّ فى هذه الامّة اناس محدّثون كما كان فى الامم الماضية، وأمير المؤمنين وأولاده الأئمة الطاهرون علماء محدّثون وليسوا بأنبياء. وهذا الوصف ليس من خاصّة منصبهم ولا ينحصر بهم بل كانت الصدّيقة كريمة النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم محدّثة، وسلمان الفارسىّ محدّثاً، نعم كلّ الأئمّة من العترة الطاهرة محدّثون، وليس كلّ محدّث بإمام، ومعنى المحدّث هو العالم بالأشياء بإحدى الطرق الثلاث

المفصّلة فى الأحاديث. هذا ما عند الشيعة ليس إلا» [۶۳۱] . وورد عن العلامة المناوى فى ذيل الحديث الذى جاء عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم حول مسألة تحديث الملائكة مع الناس ما نصه: «قد كان فيما مضى قبلكم من الامم اناس محدّثون». قال القرطبىّ: الرواية بفتح الدال، اسم مفعول جمع محدّث بالفتح أى ملهم، أو صادق الظنّ، وهو من القى فى نفسه شيء على وجه الإلهام والمكاشفة من الملأ الأعلى، أو من يجرى الصواب على لسانه بلا قصد، أو تكلّمه الملائكة بلا نبوّة، أو من إذا رأى رأياً أو ظنّ ظنّاً أصاب، كأنّه حدّث به والقى فى روعه من عالم الملكوت فيظهر على نحو ما وقع له. وهذه كرامة بكرم الله بها من شاء من صالح عباده، وهذه منزلة جليلة من منازل الأولياء [۶۳۲] . إذن يظهر من الأحاديث والأقوال المأثورة عن الخاصة والعامة أن مسألة تحديث [صفحه ۴۱۸] الملائكة لأناس ليسوا بأنبياء متسالمة وما شذ عنها إلا من يدعى الزور والبهتان ضد الشيعة، فالأمم الماضية وقع فيها هذا الأمر وهذا ما ظهر لنا من خلال القرآن الكريم حيث آوحى الله إلى الحواريين وإلى الملائكة وإلى النحل وإلى أم موسى...

مصحف فاطمة

وعلى هذا الأساس كان مصحف فاطمة سلام الله عليها، هذا المصحف الذى أثاروا عليه الأقويل الباطلة التى ليس لها أى حقيقة وأى برهان سوى أنهم اعتبروا إطلاق هذا المصحف على أنه قرآناً غير القرآن الموجودة حالياً وأنه عند الشيعة يخفونه تقية، وأمثال هذا الدعاوى الباطلة والتى لا تمت إلى الدين بصلةٍ وكل دليلهم الذى اعتمدوا عليه هو أن لفظ المصحف يطلق على القرآن لذلك قالوا بأن مصحف فاطمة قرآن غير هذا القرآن الكريم المتداول الآن. أما القول الصحيح فى هذا المقام فبعد معرفة أن فاطمة سلام الله عليها كانت محدّثة دون أن تكون نبية وحسب ما ورد من الإستدلال على هذه المسألة، فإن حديث الملائكة لها كان يكتب من قبل الإمام على عليه السلام أو من قبل فاطمة نفسها سلام الله عليها وهذا ما يظهر من الأحاديث الآتية، أما مضمون هذا المصحف وماهيته وكيف نعطى القول الفصل فيه فهذا ما سيتبين من خلال بيان معنى لفظ المصحف، وماهية مضمون هذا المصحف وما فيه من العلم والأحاديث والأمور الغيبية. أما لفظ المصحف فى صحاح اللغة: ورد فى كتاب لسان العرب: المصحف والمصحف الجامع للصّحف المكتوبة بين الدفتين كأنه أصحف والكسر والفتح فيه لغة. وفى المصباح المنبر: والصحيفة قطعة من جلد أو قرطاس كتب فيه... والجمع صحف بضمتين وصحائف... والمصحف بضم الميم أشهر من كسرها. وفى أقرب الموارد: المصحف اسم مفعول... وحقيقتها مجمع الصحف أو ما جمع منها بين دفتى الكتاب المشدود... وفيه لغتان أخريات وهما المصحف والمصحف جمع [صفحه ۴۱۹] مصاحف. إذن يظهر من هذه المعانى التى وردت فى صحاح اللغة أن المصحف ما جمعت فيه الصحف وليس كما يدعى أنه قرآن غير هذا القرآن الموجودة. وهناك شواهد أخرى تثبت هذه الحقيقة حيث ورد فى حديث عن الإمام أبى عبدالله عليه السلام أنه قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، إنما هو شيء أملاها الله وأوحى إليها. قال: قلت: هذا والله العلم [۶۳۳] . إن هذا الحديث يعطى دلالة واضحة على أن مصحف فاطمة سلام الله عليها يختلف اختلافاً كبيراً عن ما موجود فى القرآن من جهة مضمونه، وقد علق العلامة السيد محسن العاملى (ره) على هذه المسألة بقوله: «لا يخفى أنه قد تكرر نفى أن يكون فيه شيء من القرآن والظاهر أنه لكون تسميته بمصحف فاطمة يوهم أنه أحد قد نسخ المصاحف الشريفة، فنفى هذا الإيهام وفى بعض الأحاديث أن فيه وصيتها، ولعل أحد محتوياته، ثم إن بعضها دال على أنه من إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخط على عليه السلام» [۶۳۴] . وعلق العلامة الخطيب محمد كاظم القزوينى (ره) على هذه الرواية بقوله: «وليس معناه أن القرآن الموجود بين أيدينا ناقص، وأن مصحف فاطمة مكمل له، كلا وألف كلا، وليس معناه أن الله أنزل على فاطمة عليها السلام قرآناً وكل من ادعى غير هذا فهو إما جاهل أو معاند مفتر كذاب» [۶۳۵] . أقول: يظهر من أقوال علماء الشيعة الإمامية وعلى ما ورد فى أحاديث أهل البيت أن مسألة مصحف فاطمة قد تسالمت عليه الشيعة، ويؤمنون به، ويعتبرونه من المواريث التى تركتها فاطمة سلام الله عليها لابناءها الأئمة المعصومين، ولا يظهر هذا المصحف إلا بظهور الحجة بن الحسن العسكرى عجل الله تعالى فرجه باعتباره الوريث الشرعى لجدته

الزهراء سلام الله عليها. [صفحه ۴۲۰]

مصحف فاطمة في الأحاديث الشريفة

في حديث عن أبي عبدالله عليه السلام: «ومصحف فاطمة ما أزعم أنّ فيه قرآناً وفيه ما يحتاج الناس إلينا، ولا نحتاج إلى أحد حتّى إنّ فيه الجلده ونصف الجلده وثلث الجلدة وربع الجلدة وأرش الخدش» [۶۳۶] . وفي حديث طويل عن أبي عبدالله عليه السلام: «وإنّ عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام، وما يدريهم ما مصحف فاطمة؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث، مرّات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، إنّما هو شيء أملاها الله وأوى إليها. قال: قلت: هذا والله العالم... [۶۳۷] ». وفي حديث آخر: «وخلّفت فاطمة مصحفاً ما هو قرآن، ولكنّه كلام من كلام الله أنزل عليها، إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخطّ علي [۶۳۸] . وعن أبي عبدالله عليه السلام، قيل له: إنّ عبدالله بن الحسن يزعم أنّه ليس عنده من العلم إلا ما عند النس، فقال: «صدق والله ما عنده من العلم إلا ما عند الناس، ولكن عندنا والله الجامعة فيها الحلال والحرام، وعندنا الجفر، أفيدري عبدالله أمسك بعير أو مسك شاة؟ وعندنا مصحف فاطمة، اما والله ما فيه حرف من القرآن، ولكنّه إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخطّ علي عليه السلام، كيف يصنع عبدالله إذا جاء الناس من كلّ فنّ يسألونه، أما ترضون أن تكونوا يوم القيامة آخذين بحجزتنا، ونحن آخذون بحجزة نبيّنا، ونبيّنا آخذ بحجزة ربّه»؟ [۶۳۹] . وعن حمّاد بن عثمان قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «تظهر زنادقة سنة ثمانية وعشرين ومائة، وذلك لأنّي نظرت في مصحف فاطمة. قال: فقلت: وما مصحف فاطمة؟ فقال: إنّ الله تبارك وتعالى لمّا قبض نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم دخل على فاطمة من وفاته [صفحه ۴۲۱] من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عزّ وجلّ، فأرسل اليها ملكاً يسلّي عنها غمّها ويحدّثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال لها: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي. فأعلمته، فجعل يكتب كلّ ما سمع حتّى أثبت من ذلك مصحفاً. قال: ثم قال: أما إنّه ليس الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون» [۶۴۰] . وفي حديث آخر قال له الراوي: فمصحف فاطمة؟ فسكت طويلاً ثمّ قال: «إنّكم لتبحثون عمّا تريدون وعمّا لا تريدون، إنّ فاطمة مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمسة وسبعين يوماً وقد كان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرئيل يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيّب نفسها، ويخبرها عن أبيها ونكانه، ويخبرها [۶۴۱] . وعن أبي بصير قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عليها السلام عن مصحف فاطمة، فقال: «أنزل عليها بعد موت أبيها. قلت: ففيه شيء من القرآن؟ فقال: ما فيه شيء من القرآن. قلت فصفه لي، قال: له دفّتان من زبرجدتين على طول الورق، وعرضه حمراوين. قلت: جعلت فداك فصف لي ورقه، قال: ورقه من درّ أبيض، قيل له: كن فكان. قلت: جعلت فداك فما فيه؟ قال: في خبر ما كان وخبر ما يكون إلى يوم القيامة، وفيه خبر سماءٍ سماءٍ، وعدد ما في السموات من الملائكة، وغير ذلك، وعدد كلّ م خلق الله مرسلاً وغير مرسل وأسماؤهم، وأسماء من أرسل إليهم، وأسماء من كذّب ومن أجاب، وأسماء جميع من خلق الله من المؤمنين والكافرين من الأولّين والآخرين، وأسماء البلدان، وصفة كلّ بلد في شرق الأرض وغربها، وعدد ما فيها من المؤمنين، وعدد ما فيها من الكافرين، وصفة كلّ من كذّب، وصفة القرون الاولى وقصصهم، ومن ولي من الطواغيت ومدّة ملكهم وعددهم. وأسماء الأئمّة وصفتهم، وما يملك كلّ واحدٍ واحدٍ، وصفة كبرائهم، وجميع من تردّد في الأدوار. قلت: جعلت فداك وكم الأدوار؟ قال: خمسون ألف عام. وهي سبعة أدوار، فيه أسماء جميع ما خلق الله وآجالهم، وصفة أهل الجنّة، وعدد من يدخلها، وعدد من يدخل النار، وأسماء هؤلاء وهؤلاء، وفيه علم القرآن كما أنزل، وعلم التوراة كما انزلت، وعلم الإنجيل كما انزل كما انزل، وعلم الزبور، وعدد كلّ شجرة ومدرة في جميع البلاد». قال أبو جعفر عليه السلام: «ولمّا أراد الله تعالى أن ينزل عليها جبرئيل وميكائيل وإسرافيل أن يحملوه فينزلون به عليها، وذلك في ليلة الجمعة من الثلث الثاني من الليل، فهبطوا به وهي قائمة تصلّي، فما زالوا قيّاماً حتّى قعدت، ولمّا فرغت من صلاتها سلّموا عليها وقالوا: السلام يقرئك السلام؛ ووضعوا المصحف في حجرها، فقالت: لله السلام ومنه السلام وإليه السلام وعليكم يا رسل الله السلام، ثمّ عرجوا إلى السماء. فما زالت من بعد صلاة الفجر إلى زوال الشمس تقرأه حتّى

أتت على آخره. ولقد كانت عليها السلام مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجنّ والإنس، والطير والوحش، والأنبياء والملائكة». قلت: جعلت فداك فلمن صار ذلك المصحف بعد مضيّها؟ قال: «دفعته إل أمير المؤمنين عليه السلام، فلمّا مضى صار إلى الحسن ثم إلى الحسين عليهما السلام، ثم عند أهله حتّى يدفعوه إلى صاحب هذا الأمر. فقلت: إنّ هذا العلم كثير! قال: يا أبا محمد، إنّ هذا الذى وصفته لك لفى ورقتين من أوّله، وما وصفت لك بعد ما فى الورقة الثانية ولا تكلّمت بحرف منه» [۶۴۲] . وختاماً للبحث حول اسم المحدثة نذكر ما قاله العلامة الهمدانى تعليقاً حول الروايات الواردة فى هذا المقام حيث قال تحت عنوان فائدتان: إنّ ما يستفاد من هذا الأخبار فى شأن مصحف فاطمة سلام الله عليها فى وجوه مختلفة: منها: ما يدلّ على أنّ الله تعالى أرسل ملكاً أو يأتيها جبرئيل بعد قبض نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم يحدّها عليه السلام ويكتب علىّ عليه السلام، كما فى الحديث الأوّل والثانى من البحار. ومنها: ما يدلّ على أنّ مصحف فاطمة عليه السلام كان موجوداً فى حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما [صفحه ۴۲۳] لاحظت فى حديث «البصائر» بقوله عليه السلام: ولكنّه إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخطّ علىّ عليه السلام. ومنها: ما يدلّ على أنّ الله عزّ وجلّ أوحى إليها كا لاحظت فى الحديث الثالث من «البصائر» بقوله عليه السلام: «إنّما هو شىء أملاها الله وأوحى إليها». ويستفاد أيضاً أنّ مصحفها سلام الله عليها يشتمل على جميع الأحكام الشرعيّة من نصف الجلدة أو جلدة واحدة حتى أرش الخدش، وأنّ فيه أسماء جميع الناس والكائنات جميعها من الشجر والمدر وغير ذلك كما فى حديث «دلائل الإمامة»، وفيه ذكر الحوادث المهمّة إلى يوم القيامة. ويستفاد أيضاً أنّ من مصادر علوم أهل البيت عليهم السلام وكانوا يرجعون إليه [۶۴۳] .

الزهراء

وهو من أشهر أسماءها وأشهرها شيوعاً عند الشيعة، فنراهم كثيراً ما يسمون أسماء مواليدهم من الاناث بهذا الاسم المبارك اضافة إلى اسمها فاطمة، وقد تقدم بنا الحديث فى كيفية تطابق الإسم على المسمى وبيان فلسفته، وكذلك الحال فى هذا المقام، ففاطمة سلام الله عليها سميت بهذا الإسم (زهراء) لأن نورها الذى زهرت به السموات والأرض ولم يأت هذا الإسم اعتباطاً وإنما جاء ليعبر عن طبيعة ذاتها، فنجد ومن خلال مطابقة الكثير من الروايات التى تروى مبدء نور فاطمة وخلقته ان لها نوراً يسطع من جبينها ومن وجهها المتلألىء بنور الله تعالى والذى كان من شأنه أن زهرت به السموات والأرض كرامةً من الله تعالى لها ولمقامها السامى عنده، أما بيان هذا الاسم فانه لا يحتاج إلى كثير تأمل وخاصة بالنسبة للمطلع على الأسماء العربية، فانها بسيطة ومفهومةً عندما تطرق الأذهان، ومع ذلك نقف مع هذه الروايات التى تبين علة تسميتها الزهراء ففى حديث طويل عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: [صفحه ۴۲۴] «ثم أظلمت المشارق والمغرب، فشكت الملائكة إلى الله تعالى أن يكشف عنهم تلك الظلمة، فتكّلم الله جلّ جلاله كلمة فخلق منها روحاً، ثمّ تكلّم بكلمة فخلق من تلك الكلمة نوراً، فأضاف النور إلى تلك الروح وأقامها مقام العرش، فزهرت المشارق والمغارب فهى فاطمة الزهراء، ولذلك سمّيت «الزهراء» لأنّ نورها زهرت بن السموات [۶۴۴] »، الحديث. وعن أبان بن تغلب قال: قلت لأبى عبدالله عليه السلام: يا ابن رسول الله، لم سمّيت الزهراء «زهراء»؟ فقال: «لأنّها تزهر لأمير المؤمنين عليه السلام فى النهار ثلاث مرّات بالنور، كان يزهر نور وجهها الغداة والناس فى فراشهم، فيدخل بياض ذلك النور إلى حجراتهم بالمدينة، فتبيض حيطانهم، فيعجبون من ذلك، فيأتون النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فيسألونه عمّا رأوا، فيرسلهم إلى منزل فاطمة عليها السلام فيأتون منزلها فيرونها قاعدة فى محرابها تصلّى والنور يسطع من محرابها من وجهها، فيعلون أنّ الذى رأوه كان من نور فاطمة، فإذا انتصف النهار وترتّبت للصلاة، زهر نور وجهها عليها السلام بالصفرة فتدخل الصفرة فى حجرات الناس، فتصرّ ثيابهم وألوانهم، فيأتون النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فيسألونه عمّا رأوا، فيرسلهم إلى منزل فاطمة عليها السلام فيرونها قائمة فى محرابها وقد زهر نور وجهها عليها السلام بالصفرة، فيعلمون أنّ الذى رأوا كان من نور وجهها، فإذا كان آخر النهار وغربت الشمس، أحمّ وجه فاطمة، فأشرق وجهها بالحمرة فرحاً وشكراً لله عزّ وجلّ، فكان تدخل حمرة وجهها حجرات القوم وتحمرّ حيطانهم، فيعجبون من ذلك ويأتون فإذا كان آخر

النهار وغربت الشمس، احمرّ وجه فاطمة، فاشرق وجهها بالحمرة فرحاً وشكراً الله عزّ وجلّ، فكان تدخل حمرة وجهها حجرات القوم وتحمرّ حيطانهم، فيعجبون من ذلك ويأتون النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ويسألونه عن ذلك، فيرسلهم إلى منزل فاطمة، فيرونها جالسة تسبّح وتمجّده ونور وجهها يزهر بالحمرة، فيعلمون أنّ الذى رأوا كان من نور وجه فاطمة عليها السلام، فلم يزل ذلك النور فى وجهها حتّى ولد [صفحه ۴۲۵] الحسين عليه السلام، فهو يتقلّب فى وجوهنا إلى يوم القيامة فى الأئمة منّا أهل البيت إمام بعد إمام» [۶۴۵] . وعن أبى هاشم العسكرى قال: سألت صاحب العسكر عليه السلام: لم سمّيت فاطمة «الزهراء» عليه السلام؟ فقال: «كان وجهها يزهر لأمير المؤمنين عليه السلام من أوّل النهار كالشمس الضاحية، وعند الزوال كالقمر المنير، وعند غروب الشمس كالكوكب الدرّىّ» [۶۴۶] . وعن الحسن بن يزيد قال: قلت لأبى عبدالله عليه السلام: لم سمّيت فاطمة «الزهراء»؟ قال: «لأنّ لها فى الجنّة قبّة من ياقوت حمراء ارتفاعها فى الهواء مسيرة سنة. معلّقة بقدرة الجبّار، لا علاقة لها من فوقها فتمسكها، ولا دعامة لها من تحتها فتلزمها، لها مائة آلف باب، على كلّ باب بألف من الملائكة، يراها أهل الجنة كما يرى أحدكم الكوكب الدرّىّ الزاهر فى افق السماء، فيقولون: هذه الزهراء لفاطمة» [۶۴۷] . وعن ابن عمارة، عن أبيه قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن فاطمة لم سمّيت «زهراء»؟ فقال: «لأنّها كانت إذا قامت فى محرابها زهر نورها لأهل السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض» [۶۴۸] . وعن جابر، عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قلت: لم سمّيت فاطمة الزهراء زهراء؟ فقال: «لأنّ الله عزّ وجلّ خلقها من نور عظمته، فلمّا أشرقت أضاءت السموات والأرض بنورها، و غشيت أبصار الملائكة، وخرّت الملائكة لله ساجدين، وقالوا: إلهنا وسيّدنا، ما هذا النور؟ فأوحى الله إليهم: هذا نور من نورى، وأسكنته فى سمائى، خلقته من عظمتى، اخرجه من صلب نبىّ من أنبيائى، افضّله على جميع الأنبياء، واخرج من ذلك النور أئمة يقومون بأمرى، ويهدون إلى حقّى، وأجعلهم خلفائى فى أرضى بعد انقضاء وحيى» [۶۴۹] . [صفحه ۴۲۶] وعن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم: «لمّا خلق الله آدم وحوّاء تبخترا فى الجنّة، فقال آدم لحوّاء: ما خلق الله خلقاً هو أحسن منّا. فأوحى الله إلى جبرئيل عليه السلام: ائت بعبدىّ الفردوس الأعلى. فلمّا دخلا الفردوس نظرا إلى جارية على درنوك من درانيك الجنّة، وعلى رأسها تاج من نور، وفى أذنيها قرطان من نور قد أشرقت الجنان من حسن وجهها، فقال آدم: حبيبى جبرئيل! من هذه الجارية التى قد أشرقت الجنان من حسن وجهها؟ فقال: هذه فاطمة بنت محمد نبىّ من ولدك يكون فى آخر الزمان، قال: فما هذا التاج الذى على رأسها؟ قال: يعلها علىّ بن أبى طالب عليه اسلام... قال: فما القرطان اللذان فى اذنيها؟ قال: ولداها الحسن والحسين. قال آدم: حبيبى جبرئيل! خلقوا قبلى؟ قال: هم موجودون فى غامض علم الله قبل أن تخلق بأربعة آلاف سنة» [۶۵۰] . فى الدّرّ كوّنها البارى وصوّرها من قبل إيجاد خلق اللوح والقلم وتوّجت تاج نور حوله درر يضى كالشمس أو كالنجم فى الظلم لله اشباح نور طالما سكنوا سرّ الغيوب فسادوا سائر الامم قال العلامة المقرّم: اشتهرت الصدّيقة بالزهراء لجمال هيئتها والنور الساطع فى غرّتها، حتّى إذا قامت فى محرابها زهر نورها لأهل السماء كما يزهر الكوكب لأهل الارض، وإن حضرت للإستهلال أوّل الشهر لا يرى نور الهلال لغلبة نور وجهها على ضيائه [۶۵۱] ... وعن سلمان الفارسّى (ره) مرفوعاً قال: كنت جالساً عند النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فى المسجد إذا دخل العبّاس بن عبد المطّلب، فسلّم، فردّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ورحّب به، فقال: يا رسول الله بما فضّل الله علينا أهل البيت علىّ بن أبى طالب والمعادن واحدة؟ فقال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم: «إذن أخبرك يا عمّ، إنّ الله خلقنى وخلق عليّاً ولا سماء ولا أرض ولا جنّة ولا نار ولا لوح ولا قلم. فلمّا أراد الله عزّ وجلّ بدو خلقنا تكلّم بكلمة فكانت نوراً، ثمّ تكلّم بكلمة ثانية فكانت روحاً، فمزج فيما بينهما واعتدلا، فخلقنى وعليّاً منهما. [صفحه ۴۲۷] ثمّ فتق من نورى نور العرش، فأنا أجلّ من العرش. ثمّ فتق من نور علىّ نور السماوات، فعلىّ أجلّ من السماوات. ثمّ فتق من نور الحسن نرو الشمس، ومن نور الحسين نور القمر، فهما أجلّ من الشمس والقمر. وكانت الملائكة تسبّح الله تعالى وتقول فى تسبيحها: «سبّوح قدّوس من أنوارها ما أكرمها على الله تعالى»! فلمّا أراد الله تعالى أن يبلو الملائكة أرسل عليهم سحاباً من ظلمة، وكانت الملائكة لا تنظر أوّلها من آخرها ولا آخرها من أوّلها، فقالت الملائكة، إلهنا وسيّدنا منذ خلقتنا ما رأينا مثل ما نحن فيه، فنسألك بحقّ هذه الأنوار إلا ما كشفت عنّا. فقال الله عزّ وجلّ: وعزّتى وجلالى لأفعلنّ؛

فخلق نور فاطمة الزهراء عليها السلام يومئذ كالقنديل، وعلّقه فى قرط العرش، فزهرت السماوات السبع والأرضون السبع، من أجل ذلك سمّيت فاطمة «الزهراء». وكانت الملائكة تسبّح الله وتقدّسه، فقال الله: وعزّتى وجلالى، لأجعلنّ ثواب تسبيحكم وتقديسكم إلى يوم القيامة لمحبّى هذه المرأة وأبيها...». إذن قد تبين من هذه الأخبار والأحاديث الشريفة الوجه من تسميتها بالزهراء فتارة لأشراق نورها للإمام على عليه السلام وأخرى لأن الأرض والسموات العلى زهرت من نورها، وتارة أخرى نتيجة عبادتها ودخول نورها إلى بيوتات المدينة وإشعاع هذا النور على جميع الناس آنذاك. خجلاً من نور بهجتها تتوارى الشمس بالشفق وحياءً من شمائلها يتغطى الغصن بالورق

البتول

جرت عادة الباحثين والكاتبين حول حياة السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها عند التعرض لاسمها المبارك (البتول) البحث حول قانون العلية والمعلولية كقانون وسنة ربانية جعلها البارىء عزوجل منذ الخلقة الاولى، فنجد أنه لا يوجد معلول دو علة مؤثرة فيه أو لا توجد أسباب إلا ولها مسبب حقيقى، وبعبارة أخرى لا [صفحه ۴۲۸] يوجد أى شىء دون أن تكون له علة مؤثرة فيه، وعلى هذا الأساس نجد أن الكثير قد طعنوا فى اسمها الذى نحن بصدد الوقوف معه فى هذه الصفحات حيث يقتضى اسم البتول مخالفة قانون العلية كل ذلك لما لهذا الإسم (البتول) من معنى مؤثر وفاعل على طبيعة الحياة البشرية، ولو أن هؤلاء الذين وقفوا موقف التعنت لهذه الكرامة ولهذا المقام السامى وتأملوا فى مراجعة القوانين الكونية والسنن الإلهية لوجدوا أن هناك الكثير من هذه القوانين قد خرقت وبتأييد من الله تعالى وهذا ما نجده من خلال مراجعة القرآن الكريم باعتباره المصدر الأول للتشريع الإسلامى ولقضايا المهمة التى ربما لا ـ يوجد لها حل (ونزلنا القرآن تبياناً لكل شىء) أى لا يوجد شىء من الامور التى تعرض لنا فى الحياة إلا وله أساس ومعرفة وبيان من القرآن الكريم، أما من الذى يستطيع إدراك هذا البيان ومعرفته المعرفة الحقة فهذا ما نراه واضحاً بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة من بعده: ثم من بعد ذلك نرجع إلى الذين أوصى بهم الأئمة بالعودة اليهم بعد غيبة القائم عجل الله تعالى فرجه «وأما الحوادث الواقعة فى زمن الغيبة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فانهم حجتى عليكم وأنا حجة الله عليهم)، إذن لا بد بالنتيجة النهائية أن نرجع إلى القرآن الكريم ونرى هل ان هناك قوانين شذ عنها الكثير من الناس وحسب ما ارتضاه تبارك وتعالى؟ (نعم) بهذا القول سوف يجيبنا القرآن الكريم فثمة هناك شواهد واضحة البرهان جلية البيان، صريحة فى معناها متقدة فى مغزاها أثبتت من خلال واقعيتها مدى صحة مدركيتها فهذه النار التى جعلت لإبراهيم عليه السلام برداً وسلاماً وخالفت قوانين الطبيعة فى سلوكها وخاصيتها المحرقة وهذه شجرة من يقطين أنبتت ليونس عليه السلام بعد أن نبذه الحوت بالعراء وهو سقيم، مع العلم بأن حبة اليقطين تحتاج إلى مدة غير قصيرة، حتى تثبت وتورق وتستر بورقها جسم إنسان أو غير إنسان، وهكذا نجد فى شذوذ الكثير من المسائل عن القوانين والسنن الإلهية، فهذه مريم مخالفة فى ولادة عيسى عليه السلام من غير أب مسألة قانون التناسل البشرى الطبيعى، وكذلك هناك طوائف عديدة وأمثلة واضحة تدل دلالة صريحة على أنه هناك الكثير من القوانين قد خرقت بقدرة الله تعالى باعتباره هو مسبب الأسباب الطبيعى بل هو الجاعل لهذه السنن القدرة بهذه [صفحه ۴۲۹] الكيفية كل هذا المقال الذى قلنا به وبيّنا الشىء اليسير منه لكى نرجع إلى قضية فاطمة سلام الله عليها فى كونها بتول منقطعة عن الحيض، فهل هذا اخلاف وتغير فى قانون الطبيعة أم هى كرامة من الله تعالى لها؟ وهل لهذه مسألة وجه يخرج عنه المتحير فكره إلى الصحيح من البيان؟ نعم نقول فى فاطمة عليها السلام كانت بتول بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى وسبق أن قلنا أن هذه المسألة لم تكم الفريدة من نوعها، بل توجد شواهد قرآنية عليها ومن خلال أبسط استقراء للقرآن الكريم نرى هذا الشىء الواضح. أما بيان البتول والوقوف عليها، وبيان الوجه فى ذلك فهذا ما سيظهر لنا من خلال مراجعة كتب اللغة والحديث والتاريخ لنرى كيف كانت فاطمة سلام الله عليها بتول بكل ما تحمل هذه الكلمة من مدلولات واضحة. أما بيان معنى هذه الكلمة من خلال مراجعة كتب اللغة فيظهر من خلال هذه الكتب أنه سئل أحمد بن يحيى عن

فاطمة رضوا الله عليها بنت سيدّنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لم قيل لها: البتول؟ فقال: لا نقطاعها عن نساء أهل زمانها ونساء الامّة عفافاً وفضلاً وديناً وحسباً. وقيل: لانقطاعها عن الدنيا إلى الله عزّ وجلّ... وقيل: تبتيل خلقها انفراد كلّ شيء عنها بحسنه لا يتّكل بعضه على بعض. قال ابن الأعرابيّ: المبتّلة من النساء: الحسنة الخلق، لا يقصر شيء عن شيء لا تكون حسنة العين سمجة الأنف، ولا حسنة الأنف سمجة العين، ولكن تكون تامّة [۶۵۲] . وقال ابن الأثير: وامرأة بتول: منقطعة عن الرجال لا شهوة لها فيهم: وبها سمّيت مريم أمّ المسيح عليهما السلام. وسمّيت فاطمة «البتول» لا نقطاعها من نساء زمانها فضلاً وديناً وحسباً. وقيل: لا نقطاعها عن الدنيا إلى الله تعالى [۶۵۳] . وقال الطريحى: والبتول فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قيل: سمّيت بذلك لانقطاعها إلى الله وعن نساء زمانها فضلاً، وعن نساء الامّة فضلاً وحسباً وديناً [۶۵۴] . [صفحه ۴۳۰] وورد عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «سمّيت فاطمة بتولاً ـ لأنّها تبتّلت وتقطّعت عمّا هو معتاد العورات فى كلّ شهر، ولأنّها ترجع كلّ ليلة بكراً. وسمّيت مريم بتولاً لأنّها ولدت عيسى بكراً» [۶۵۵] . وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «وإنّما سمّيت فاطمة «البتول» لأنّها تبتّلت من الحيض والنفاس...» [۶۵۶] . وعن عليّ عليه السلام قال: «إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم سئل: ما البتول؟ فإنّا سمعناك يا رسول الله تقول: إنّ مريم بتول، وفاطمة بتول؟ فقال: البتول التى لن تر حمرةً قطّ، أى لم تحض، فإنّ الحيض مكروه فى بنات الأنبياء» [۶۵۷] . وعن عائشة قال: إذا اقبلت فاطمة كانت مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت لا تحيض قطّ، لأنّها خلقت من تفّاحة الجنّة، ولقد وضعت الحسن بعد العصر، وطهرت من نفاسها، فاغتسلت وصلّت المغرب [۶۵۸] ... وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ ابنتى فاطمة حوراء، إذ لم تحض ولم تطمث» [۶۵۹] . وروى الحافظ أبو بكر الشافعى عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إبنتى حوراء آدمية لم تحض ولم تطمث...» [۶۶۰] ... الخ. وروى ابن عساكر عن أنس بن مالك عن ام سليم قالت: لم تر فاطمة (رضى الله عنها) دماً فى حيض ولا فى نفاس [۶۶۱] . وروى الطبرى عن أسماء بنت عميس قالت: قبلت: (أى ولدت) فاطمة بالحسن فلم أر لها فى حيض ولا ـ نفاس، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «أما علمت أن ابنتى طاهرة، لا يرى لها دم فى طمث ولا ولادة» [۶۶۲] . [صفحه ۴۳۱] وعن أبى عبدالله عليه السلام قال: حرّم الله النساء على عليّ ما دامت فاطمة حيّة، لأنها طاهرة لا تحيض» [۶۶۳] . وفى كتاب «مولد فاطمة عليها السلام» لابن بابويه، يرفعه إلى أسماء بنت عميس قالت: قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد كنت شهدت فاطمة إنّ فاطمة خلقت حوريّة فى صورة إنسيّة [۶۶۴] . وعن أبى جعفر عليه السلام، عن آبائه: قال: «إنّما سمّيت فاطمة بنت محمّد «الطاهرة» لطهارتها من كلّ دنس، وطهارتها من كلّ رفث، وما رأت قطّ يوماً حمرةً ولا نفاساً» [۶۶۵] . أقول: يظهر من التأمل فى كلمات أصحاب الصحاح من أهل اللغة والبيان أنهم حملوا معنى الانقطاع بالنسبة للفظ البتول محملاً جيداً وفسروه بأنه انقطاع عن نساء زمان فاطمة سلام الله عليها من ناحية العفة والفضل والدين والحسب، وكذلك حملوه على الزهد عن الدنيا وانقطاعها سلام الله عليها عن الدنيا وهذه المعانى التى حملوا اسم البتول عليها وان كانت جيدة ومفيدة وواضح من خلال السليقة العربية ومفاهيمها إلا ـ واقع الحال والمقام لا يساعد على هذا الحمل ولا يظهر فيه نتيجة وجود مرجحات وشواهد وقرائن واضحة لمن أراد استقصاءها فى معنى اسم البتول، وخير شاهد على هذه القرائن هو ما قدمناه من الروايات الواردة فى المقام من الخاصة والعامة، فهى أفضل دليل على أن المراد من كلمة واسم البتول هو ما أطلقت وبينت الروايات الشريفة، فالمقول الذى نقول به ونرجحه على كلمات أهل اللغة فى معنى البتول فى انه هذا الاسم ظاهر فى التى لم تر حمرة قط ولم تحض أبداً وهو الذى يساعد عليه المقام فتأمل فى هذه الروايات المباركة. أما ما يظهر من كلمات بعض الذين وقفوا موقف المتحير ولا يجد أى طريق لحل هذه المعضلة والتى حسب آرائهم انها مخالفة لنظام العلل والمعاليل والأسباب، وان [صفحه ۴۳۲] قصية أن فاطمة سلام الله عليها لا ترى الدم ولا الحيض وأمثال هذه القذارة، فحسب قولهم انها مخالفة لحديث الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «أبى الله أن يجرى الأشياء إلا بأسبابها فجعل لكل شىء سبباً» وذلك من جهة خروجها عن هذا النظام الأكمل فى الطبيعة فنقول: قد تبين الحال من خلال مراجعة القرآن الكريم وان الكثير من الشواهد القرآنية تدل دلالة قطعية على أن الله تعالى قد تصرف فى ملكه وقهر الكثير من القواعد المطردة فى الطبيعة

الکونیة «ذلت لقدرتک الصعاب وتسببت بلطفک الأسباب» «ویا مسبب الأسباب من غیر سبب». وقد علق المحقق الهمدانی [۶۶۶] على هذه المسألة ببيان واضح ذو فائدة جلية ومضامين عالية وغير مخالفة لما هو الأساس من هذه المسألة حيث قال: توجد فی القرآن الکریم طائفة من القصص والوقائع والحوادث لا ـ یساعد علیها جریان العادة المشهورة فی عالم الطبیعة على نظام العلّة والمعلول المعهودة، کحمل مریم سلام الله علیها، فإنّها مع أنّه لم تمسسها بشر حملت بولدها عیسی علیه السلام، وکحمل سارة بإسحاق علیه السلام مع أنّها کانت عجوزاً، وکحمل امرأة زکریّا بیحیی مع أنّها کانت عاقراً، وأمثال ذلک فی العجزات وخوارق العادات التی یثبتها القرآن لعدّة من الأنبیاء الکرام کمعجزات نوح وهود وصالح وإبراهیم ولوط وداود وسلیمان وموسی وعیسی ومحمد علیهم السلام، فإنّ کلّ ذلک امور خارقة للعادة. فبعد هذا البیان یظهر للقارئ الکریم بطلان ما یقال: إنّ الحیض فی النساء من لوازم الخلقة، فخلوّ المرأة عنه نقص، وإنّ العادة الشهریّة علامة وسبب للولادة؛ لأنّا نقول: لیس الخروج من مضایق الطبیعة نقصاً بل ربما یکون کرامة یا لها من کرامة! على أنّ الحیض بنفسه قذارة ورجس، کما قال الله عزّ وجلّ (قل هو أذیً) أی قذارة یتأذّی منها، فإنّ المرأة حین حدثت لها العادة الشهریّة تنفعل وتخجل وتنکسر ولا ترضی أن تصرّح بها لکلّ أحد وإن کان أمسّ الناس إلیها من الرجال والنساء، وقد تحدث فیها ضعف، ومن ذلک سقطت عنها فی هذه الأیّام الصلاة والصوم، وحرم علیها اللبث فی [صفحه ۴۳۳] المساجد، وغیر ذلک من الأحکام المذکورة فی کتب الفقه، حتّی حین حاضت صارت ناقصة الإیمان کما نبّه علیه الإمام علیّ علیه السلام بقوله: «فأمّا نقصان إیمانهنّ فقعودهنّ عن الصلاة والصیام فی أیّام حیضهنّ» [۶۶۷] . فعلى هذا: إنّ الل عزّ وجلّ تفضّل على سیّدة النساء فاطمة البتول العذراء سلام الله علهیا بالولادة الکاملة من دون رؤیة هذه القذارة. وهذا فضیلة سامیة لها، وتطهیر زائد فی ذاتها سلام الله علیها. وإنّ الله عزّ وجلّ لا یرضی أن تتلوث سیّدة نساء العالمین من الأولین والآخرین بهذه القذارة أو غیرها ظاهرة کانت أو باطنة، کما قال فی حقّها: (إنّما یرید الله لیذهب عنکم الرجس أهل البیت ویطهّرکم تطهیراً)؛ وعن النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم: یا حمیراء إنّ فاطمة لیست کنساء الآدمیّین لا تعتلّ کما یعتللن [۶۶۸] . [صفحه ۴۳۷]

فدک عنوان الولایة

اشاره

لبعض أشراف مکة [۶۶۹] . ما لعینی قد غاب عنها کراها [۶۷۰] وعراها من عبرةٍ ماعراها ألدارٍ نعمت فیها زماناً ثم فارقتها فلا أغشاها أم لحیّ بانوا بأقمار ثمّ یتجلّی الدجی بضوء سناها حاش لله لست أطمع نفسی أخر العمر فی اتّباع هواها بل بکائی لذکر من خصّها الله تعالی بلطفه واجتباها ختم الله رسله بأبیها واصطفاه لوحیه واصطفاها وحباها بالسیّدین الزکیین الأمامین حنه حین حباها ولفکری فی الصاحبین الّلذین أمامین منه حین حباها منعا بعلها من العهد والعقد وکان المنیب والأوّاها واستبدّا بأمرٍ دبّراها قبل دفن النبیّ وانتهزاها وأتت فاطم تطالب بالأرث من المصطفی فما ورثاها لیت شعری لم خولفت سنن القرآن فیها والله قد أبداها نسخت آیة المواریث منها أم هما بعد فرضها بدّلاها قالا أبوک جاء بهذا حجة من عنداهم نصباها قال للأنبیاء حکم بأن لا یورثوا فی القدیم وانتهراها أفبنت النبیّ لم تدر إن کا ن نبیّ الهدی بذلک فاها بضعة من محمدٍ خالفت ما قال حاشا مولاتنا حاشاها سمعته یقول ذاک وجاءت تطلب الارث ضلة وسفاها هی کانت لله أتقی وکانت افضل الخلق عفةً ونزاها أو تقول النبیّ قد خالف القر آن ویح الأخبار ممن رواها سل بإبطال قولهم سورة النمل وسل مریم التی قبل طه [صفحه ۴۳۸] فهما ینبئان عن إرث یحیی وسلیمان من أراد انتباها فدعت واشتکت إلی الله من ذا ک وفاضت بدمعها مقلتاها ثمّ قالت فنحلة لی من والدی

المصطفى فلم ينحلاها فأقامت بها شهوداً فقالوا بعلها شاهد لها وابناها لم يجيزوا شهادة ابنى رسول الله هادى الأنام إذ ناصباها لم يكن صادقاً على ولافا طمة عندهم ولا ولداها كان أتقى لله منهم فلان قبح القائل المحال وشاها جرّعاها من بعد والدها الغيض مراراً فبئس ماجرعاها ليت شعرى ما كان ضرّهما الحفظ لعهد النبىّ لو حفظاها كان إكرام خاتم الرّسل الهادى البشير النذير لو اكرماها ولو ابتيع ذاك بالثمن الغالى لما ضاع فى اتّباع هواها ولكان الجميل أن يقطعاها فدكاً لا الجميل أن يقطعاها أترى المسلمين كانوا يلومو نهما فى العطاء لو أعطياها كان تحت الخضراء بنت نبىّ صادقٍ ناطقٍ أمين سواها بنت من أمّ من حليلة من ويل لمن سنّ ظلمها وأذاها قل لنا أيها المجادل فى القول عن الغاصبين إذ غصباها أهما ما تعمّداها كما قلت بظلم كلّا ولا اهتضماها فلماذا إذ جهزت للقاء الله عند الممات لم يحضراها شيعت نعشها ملائكة الرحمن رفقاً بها وما شيّعاها كان زهداً فى أجرها أم عناداً لأبيها النبىّ لم يتبعاها أم لأنّ البتول أوصت بألا يشهدا دفنها فما شهداها أغضباها وأغضبا عند ذاك الله ربّ السماء إذ أغضباها وكذا أخبر النبى بأنّ الله يرضى سبحانه لرضاها لا نبىّ الهدى أطيع ولا فاطمة أكرمت ولا حسناها ولأىّ الامور تدفن سرّاً بضعة المصطفى ويعفى ثراها [صفحه ۴۳۹] فدك عنوان الولاية قد تعرض الكثير من الباحثين والمحققّين لقضية فدك وكتبت أقلامهم الشريفة فى ما يتعلق بها من أمور عقائدية وولائية أفضل وأروح الكتب والتحقيقات سواء كانت هذه المؤلفات من الأفذاذ من العلماء الدينيين وكتّاب الشيعة المخلصين أو الذين تنورت بصيرتهم بنور الإيمان من جمهور العامة، حيث تعتبر هذه الكتب من روائع التراث الأسلامى عبر مرّ السنين والدهور، وفى خضم الأحداث إلى وقتنا الحاضر فى أرث الزهراء عليها السلام خاصة والولاية لعلى عليه السلام بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم عامة، ويدافعون عن الباطل ويمدهم الشيطان بطغيانهم لحرف المسلمين عن الطريق المستقيم، والمحجة البيضاء بولاية علىّ و أولاده الأئمة الاطهار عليهم السلام. فمن هذا المنطلق كان لابدلنا من وقفة يسيرة من عنوان الولاية والحق السليب من أهل بيت النبوة عليهم السلام تلك هى فداك التى جاءت لتعبر عن معانى الولاء أو البراءة بالنسبة للذين يقفون فى سدة الحكم الإسلامى إذ بان رحلة النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وفدك قرية بالحجاز، بينهما وبين المدينة يومان، وقيل: ثلاثة، أفاءها الله إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فى سنة «سبع» صلحاً، وذلك أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما نزل خيبر وفتح حصونها، ولم يبق إلا ثلاث واشتد بهم الحصار، راسلوا رسول الله يسألونه أن ينزلهم على الجلاء وفعل، وبلغ ذلك من أهل فدك، فأرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يصالحهم على النصف من ثمارهم وأموالهم فأجابهم إلى ذلك، فهى ممالم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، فكانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيها عين خوارة ونخيل كثير، وهى التى أقطعها رسول الله فاطمة صلوات الله عليها [۶۷۱] ولقد نزلت الآيات القرآنية الكريمة على قلب الرسول الأكرم كى تثبت حقيقة خالدة على من العصور ألا وهى منح فاطمة الزهراء فدكا وعلى لسان القرآن الكريم، لذلك تعتبر فدك منحة ربانية قبل أن تكون هدية نبوية، حيث جاء قوله تعالى: (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شىء قدير ما أفاء الله على رسوله من أهل القربى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل لكيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب) [۶۷۲] . ليكون دليلاً على أنّ قوله تعالى «وآت ذا القربى حقه» هو كون فدك للصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام، ولقد أيدت هذا القول الكثير من الكتب الواردة فى تفسير قوله تعالى «وآت ذا القربى حقه» منها كشف الغمة [۶۷۳] وتفسير العياشى [۶۷۴] وكتاب تأويل الآيات [۶۷۵] وتفسير مجمع البيان [۶۷۶] وتفسير فرات [۶۷۷] ، حيث أجمعت جميع هذه الكتب أنّ فدك هبة من الله تعالى فى القرآن الكريم وعلى لسان الرسول لفاطمة عليها السلام، والذى يظهر من جميع هذه الكتب ان فدك لفاطمة ولعقبها من بعدها أى للائمة عليهم السلام، ولقد غصبت فدك ظلماً وعدواناً بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم، أما الشاهد على كونها هبة من الله تعالى ما روى فى تفسير الإمام الرضا عليه السلام،

فی مسألـة اصـطفاء أهل البیت فی الکتاب العزیز فی أثنی عشـر موطناً... قال علیه السـلام: والآیـة الخامسة: قول الله عزوجل: (وآت ذی القربی حقه)؛ خصوصـیة خصـهم الله العزیز الجبار بها، واصـطفاهم علی الأمـة؛ فلما نزلت هذه الآیة علی رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم قال أدعوا إلیّ فاطمـة، فـدعیت له: «فقال، قالت: لبیک یا رسول الله. فقال: هذه فدک، هی مما لم یوجف علیه بخیل ولا رکاب وهی لی خاصة، دون المسـلمین، قد جعلتها لک لما أمرنی الله تعالی به، فخذیها لک ولی ولدک» [۶۷۸] . [صفحه ۴۴۱] ولکن القوم لم یتحملوا أن تکون فدک خالصة لأهل بیت النبوة بل شـحت علیها أنفس القوم، وإلی ذلک أشار الإمام علی علیه السـلام فی رسالته لابـن حنیف: «بلی کـانت فی أیـدینا فـدک من کل ما أضـلته السـماء فشـحت علیها نفوس قوم وسـخت عنها نفوس قوم آخرین ونعم الحکم الله» [۶۷۹] ، والـذی یظهر من جمیع الروایات الواردة فی المقام: إن فدک کانت فیئاً أفاءها الله علی نبیه خاصة دون المسـلمین لانـه لم یوجف علیه بخیـل ولا رکاب، فأنزل الله تعالی: (وآت ذی القربی حقه) فقال صـلی الله علیه وآله وسـلم لجبرائیل علیه السـلام ومن ذا القربی؟ وما حقه؟: أعط فاطمة فدکاً، فأعطاها حوائط فدک، ومالله ولرسوله فیها فدعا حوائط فدک، وما الله ولرسوله فیها فدعا حسـناً وحسیناً وفاطمة علیهم السلام وقال لها علیه السلام: إن الله قد أفاء علی أبیک فدکاً، واختصه بها، فهی لی خاصة دون المسلمین، أفعـل بها ما أشاء. وقال: کان لأمک خدیجـة علی أبیک مهر وأنّ أباک قـد جعل فـدک لک بـذلک. أقول: یظهر من هـذا الکلام أنّ مسألـة المهر الحاضـر للزوجة یکون فی ذمة الرجل فی حالة عدم دفعه بعد وفاة الزوجة ولابد من أعطاءه للورثة الذین هم أبناء الزوجة لذا کانت فاطمة وریثة أمها خدیجة فی مهرها فأعطاها فدک فی قبال ذلک، هذا مانسـتفیده من خلال الروایة وقال صلی الله علیه وآله وسـلم: نحلتکها لتکون لک ولولدک من بعدک فخذیها، وقال صـلی الله علیه وآله وسلم: أکتب لفاطمة نحلة من رسول الله. وبالجملة فرسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم أعطاها حقها بأمر الله فـدکاً، فکانت لها من الله تعالی وقد جعلها فی حیاته لها نحلة، وأشـهد علی ذلک أمیر المؤمنین وأم أیمن. وقالت فاطمة علیها السـلام: لست أحدث فیها حدثاً وأنت حی، أنت أولی بی من نفسـی ومالی لک ثم قالت فی احتجاجها علیها السـلام فی مسـجد النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم: هذا کتاب رسول الله أوجبها لی ولولدی دون احتجاجها علیها السـلام فی مسـجد النبی صـلی الله علیه وآله وسلم: هذا کتاب رسول الله أوجبها لی ولولدی دون المؤمنین، وعلی کل فلیس فی الروایات فی تعیین من له فدک، ذکر علی أو ما یشـعر بأن فدکاً له وهو أول الأئمة، أو لخصوص الأئمة من ولد الحسـین علیه السـلام، أو للامامـة ومن یتصدی لها، بل هی عطیة ونحلة وهبها وأعطاها النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم فاطمة علیها السـلام لذی قربی رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم فی الیوم، وهم فاطمة وولدیها الحسن والحسین علیهم السلام کما [صفحه ۴۴۲] دعاهم واعطاها لتکون لفاطمة والحسن والحسین علیهم السلام ولا إختصاص فی عقب فاطمة علیها السلام بالأئمة من ولد الحسین دون الحسن علیهم السلام، وبعـد فاطمـة والحسـن والحسـین علیهـم السـلام تکـون میراثـاً لعقب الحسن والحسـین علیهم السـلام. ثمّ قـالت فنحلـة لی مـن والـدی المــصطفی فـلم یـنحلاهـا فأقـامت بـهـا شــهوداً فـقـالوا بــعلهـا شــاهـد لهـا وابـناها لم یجیزوا شـهادة ابنی رسول الله هادی الانـام إذ نـاصباها

اخراج عمال فاطمة من فدک

وردت عدة أحادیث وروایات أثبتت حقیقة واضحة البرهان [۶۸۰] جلیلة البیان وهی أنه لما بویع أبو بکر، واسـتقام له الأمر علی جمیع المهاجرین والأنصار، بعث إلی فدک وأخرج وکیل فاطمة علیها السـلام بنت رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم منها، فجاءت فاطمة علیها السـلام مستعدیة فطالبها بالبینة؛ فجاءت بعلی والحسـنین صـلوات الله علیهم وأم أیمن المشـهود لها بالجنة، فرد شهادة أهل البیت علیهـم السـلام بجرّ النفـع وشـهادة أم أیمـن بقصورهـا عـن نصـاب الشـهادة ثـم أدعتهـا علی وجـه المیراث، فغضـبت علیـه وعلی عمر فهجرتهمـا، واوصت بـدفنها لیلاً، لئلاً یصـلّیا علیها فاسـخطا بـذلک ربّهما ورسوله، واسـتحقا الیم النکال، وشدیـد الوبال، ثم لما انتهت الإمارة إلی عمر بن عبد العزیز ردّها علی بنی فاطمة علیهم السـلام، ثم انتزعها منهم یزید بن عبدالملک، ثم دفعها السـفاح الی الحسن

بن الحسن بن على بن أبى طالب عليهما السلام، ثم أخذها المنصور، ثم اعادها المهدى، ثم قبضها الهادى، ثم ردها المأمون لما جاءه رسول بنى فاطمة، فنصب وكيلاً ـ من قبلهم وجلس محاكماً فردها عليهم، وفى ذلك يقول دعبل الخزاعى: أصبح وجه الزمان قد ضحكا بـرد مأمون هـاشماً فـدكا [صفحه ۴۴۳]

خطأ الخليفة الأول

ولنبين خطأ أبى بكر فى تلك القضية مع وضوحها بوجوه: أما أن فدكاً كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمما لا نزاع فيه، وقد أوردنا من رواياتنا وأخبارنا للمخالفين مافيه كفاية ونزيده وضوحاً بما رواه فى جامع الأصول: مما أخرجه من صحيح «أبى داود» عن عمر، قال: إنّ أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسول مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاصة قرى عرينة وفدك وكذا وكذا ينفق على أهله منها نفقة سنتهم، ثم يجعل ما بقى فى السلاح والكراع عدة فى سبيل الله وتلا: (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول) الآية. وروى أيضاً: عن مالك بن أوس قال: كان فيما احتج به عمر أن قال: كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث صفايا: بنو النضير، وخيبر، وفدك، إلى آخر الخبر. وروى ابن أبى الحديد: قال أبو بكر: حدّثنى أبو زيد عمر بن شبّه، قال: حدثنا حيان ابن بشير، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال: أخبرنا ابن أبى زائدة [۶۸۱] ، عن محمد ابن إسحاق، عن الزهرى، قال: بقيت بقية من أهل خيبر تحصنوا؛ فسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يحقن دماءهم ويسيرهم، ففعل، فسمع ذلك أهل فدك فنزلوا على مثل ذلك، وكانت للنبى صلى الله عليه وآله وسلم خاصة، لانه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب «قال»: قال أبوبكر: وروى محمد بن اسحاق أيضاً: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما فرغ من خيبر قذف الله الرعب فى قلوب أهل فدك، فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصالحوه على النصف من فدك، فقدمت عليه رسلهم بخيبر أو بالطريق، أو بعد ما قدم المدينة [۶۸۲] ، فقبل ذلك منهم وكانت فدك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خالصة له، لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، قال: وقد روى انه صالحهم عليها كلّها، الله أعلم أىّ الأمرين كان، انتهى. وسيأتى اعتراف عمر بذلك فى تنازع علىّ عليه السلام والعباس؛ وأما أنّه وهبها لفاطمة عليها السلام [صفحه ۴۴۴] فلأنّه لاخلاف فى أنّها صلوات الله عليها ادّعت النحلة مع عصمتها بالأدلة المتقدمة، وشهد له من ثبت عصته بالأدلة الماضية والآتية والمعصوم لا يدّعى، إلاّ الحقّ ولا يشهد إلاّ بالحقّ ويدور الحقّ معه، حيثما دار؛ وأمّا انها كانت فى يدها صلوات الله عليها فلأنّها ادعتها بعد الوفاة صلى الله عليه وآله وسلم على وجه الاستحقاق وشهد المعصوم بذلك لها، فإن كانت الهبة قال الموت تبطل بموت الواهب، كما هو المشهود، ثبت القبض وإلاّ فلا حاجة إليه فى إثبات المدّعى. قد مرّ من الأخبار الدالّة على نحلتها وانّها كانت فى يدها عليها السلام مايزيد على كفاية المنصف بل يسدّ طريق إنكار المتعسف، ويدّل على أنها كانت فى يدها صلوات الله عليها ما ذكر أمير المؤمنين عليه السلام فى كتابه إلى عثمان بن حنيف، حيث قال: «بلى عنها نفوس آخرين، ونعم الحكم الله «وما أصنع بفدك وغير فدك والنفس مظانها فى غير جدث!» [۶۸۳] . وأمّا أنّ أبا بكر وعمر أغضبا فاطمة عليها السلام فقد اتضح بالاخبار المتقدمة، ثم اعلم أنا لم نجد أحداً من المخالفين أنكر كون فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى حياته، ولا أحداً من الأصحاب طعن على أبى بكر بإنكاره ذلك، إلاّ ما تفطّن به بعض الافاضل من الاشارف، من أنه يظهر من أخبار المؤالف والمخالف ذلك. وقد تقدم ما رواه ابن ابى الحديد فى ذلك، عن أحمد بن عبد العزيز الجوهرى وغيرها من الأخبار، [صفحه ۴۴۵] ولا ـ يخفى، ان ذلك يتضمن إنكار الآية وإجماع المسلمين: إذ القائل: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يصرف شيئاً من غلّة فدك وغيره من الصفايا فى بعض مصالح المسلمين، لم يقل بأنها لم تكن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بل قال: بأنه فعل ذلك على وجه التفضّل وابتغاء مرضاة الله، وظاهر الحال أنه أنكر ذلك دفعاً لصحة النحلة، فكيف كان يسمع الشهود على النحلة مع ادّعائه أنها كانت من أموال المسلمين. واعتذر المخالفون من قبل أبى بكر بوجوه سخيفة: الأول: منع عصمتها صلوات الله عليها، وقد تقدمت الدلائل المثبتة لها. الثانى: أنه لو

سلم عصمتها، فليس للحاكم أن يحكم بمجرد دعواها، وإن تيقن صدقها، وأجاب أصحابنا بالادلة الدالة على أن الحاكم يحكم بعلمه؛ وأيضاً اتّفقت الخاصة والعامة على رواية قصة خزيمة بن ثابت وتسميته بذى الشهادتين لما شهد للنبى صلى الله عليه وآله وسلم بدعواه، ولو كان المعصوم كغيره لما جاز النبى صلى الله عليه وآله وسلم قبول شاهد واحد والحكم لنفسه، بل كان يجب عليه الترافع إلى غيره، وقد روى أصحابنا: أن أمير المؤمنين عليه السلام خطّا شريحاً فى طلب البيّنة، وقال: إن إمام المسلمين يؤتمن من امور على ماهو أعظم من ذلك، وأخذ ما ادّعاه من درع طلحة بغير حكم شريح، والمخالفون، حرّفوا هذا الخبر وجعلوه حجة لهم، واعتذروا بوجوه اخرى سخيفة لا يخفى على عاقل بعد ما أوردنا فى تلك الفصول ضعفها ووهنها، فلا نطيل الكلام بذكرها.

بطلان دعوى عدم توريث الأنبياء

ستدل أصحابنا على بطلان ذلك بآى من القرآن الكريم منها: قوله تعالى مخبراً عن زكريا عليه السلام: (وإنى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقراً فهب لى من لدنك وليّاً يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله ربّ رضيّاً) قوله تعالى: «ولياً» أى: ولداً يكون أولى بميراثى، وليس المراد بالوالىّ من يقوم مقامه ولداً كان أو غيره، لقوله [صفحه ۴۴۶] تعالى حكاية عن زكريّا (ربّ هب لى من لدنك ذرية طيبة).وقوله (ربّ لا تذرنى فرداً وأنت خير المؤمنين – فاستجبنا له ووهبنا له يحيى)، والقرآن يفسّر بعضه بعضاً، واختلف المفسرون فى أن المراد بالميراث العلم أو المال فقال ابن عباس والحسن والضحاك: أن المراد به فى قوله تعالى: «يرثنى» وقوله سبحانه: (ويرث من آل يعقوب) ميراث المال. وقال أبو صالح: المراد به فى الموضعين ميراث النبوة. وقال السدى ومجاهد والشعبى: المراد فى الأول: ميراث المال، وفى الثانى: ميراث النبوة، وحكى هذا القول عن ابن عباس والحسن والضحاك. وحكى عن مجاهد، أنه قال: المراد من الأول: العلم، ومن الثانى: النبوة. وأما وجه دلالة الآية على المراد فهو أن لفظ الميراث فى اللغة والشريعة والعرف إذا اطلق ولم يقيد، لا يفهم منه إلّا الأموال ومافى معناها، ولا يستعمل فى غيرها إلّا مجازاً، وكذا لا يفهم من قول القائل: «لا وارث لفلان» إلّا من ينتقل إليه وأمواله وما يضاهيها دون العلوم وما يشاكلها، ولا يجوم العدول، عن ظاهر اللفظ وحقيقة إلّا لدليل، فلو لم يكن فى الكلام قرينة توجب حمل اللفظ على أحد المعنيين، لكفى فى مطلوبنا، كيف والقرائن الدالة على المقصود موجودة فى اللفظ. أما أوّلاً: فلأنّ زكريا عليه السلام اشترط فى وارثه أن يكون رضياً، وإذا حمل الميراث على العلم والنبوة لم يكن الإشتراط معنى، بل كان كان لغواً عبثاً، لأنّه إذا سأل من يقوم مقامه فى العلم والنبوة فقد دخل فى سؤاله الرضا، وما هو أعظم منه، فلا معنى لاشتراطها، ألا ترى أنه لا يحسن أن يقول أحد: اللهم ابعث إلينا نبياً واجعله مكلفاً عاقلاً. وأما ترى أنه لا يحسن الخوف من بنى العمّ ومن يحذر حذوهم يناسب المال دون النبوة والعلم، وكيف يخاف مثل زكرياً عليه السلام من أن يبعث الله تعالى إلى خلقة نبياً يقيمه مقام زكرياً ولم يكن أهلاً للنبوة والعلم سواء كان من موالى زكرياً أو من غيرهم؛ على أن زكرياً عليه السلام كان إنما بعث لإذاعة العلم ونشره فى الناس، فلا يجوز أن يخاف من الأمر الذى هو الغرض فى بعثته؛ فإن قيل: كيف يجوز على مثل زكرياً عليه السلام الخوف من أن يرث الموالى ماله، وهل هذا إلّا الشحّ والبخل؟ قلنا: لمّا علم زكرياً عليه السلام من حال الموالى أنهم من أهل الفساد، خاف أن ينفقوا أمواله [صفحه ۴۴۷] فى المعاصى، ويصرفوه فى غير الوجوه المحبوبة، مع أنّ فى وراثتهم ماله كان يقوى فسادهم وفجورهم، فكان خوفه خوفاً من قوة الفسّاق، وتمكنهم فى سلوك الطرائق المذمومة وانتهاك محارم الله عزّ وجلّ، وليس مثل ذلك من الشحّ والبخل؛ فإن قيل: كما جاز الخوف على المال جاز الخوف على وراثتهم العلم، لئلّا يفسدوا به الناس ويضلّوهم، ولا ريب فى أنّ ظهور آثار العلم كان فيهم من دواعى إتباع الناس وإياهم وانقيادهم لهم؟ قلنا: لا يخلو هذا العلم الذى ذكرتموه من أن يكون هو كتب علمية وصحف حكمية، لأنّه قد يسمى علما مجازاً، أو يكون هو العلم الذى يملأ القلوب وتعيه الصدور؛ فإن كل الأوّل، فقد رجع إلى معنى المال، وصح أن الأنبياء عليهم السلام يورثون الاموال وكان حاصل خوف زكرياّ عليه السلام أنه خاف من أن ينتفعوا ببعض أمواله نوعاً خاصاً من الإنتفاع، فسأل ربّه ان يرزقه الولد حذراً من ذلك؛ وإن كان الثانى: فلا يخل أيضاً من أن يكون هو العلم، الّذى بعث النبى

لنشره وأدائه إلى الخلق، أو أن يكون علماً مخصوصاً لا يتعلق بشريعة، ولا يجب إطلاع الأمة عليه كعلم العواقب وما يجرى فى مستقبل الأوقات ونحو ذلک. والقسم الأول: لا يجوز أن يخاف النبى من وصوله إلى بنى عمّه، وهم من جملة امته المبعوث إليهم لأن يهديهم ويعلمهم وكان خوفه من ذلک خوفاً من غرض البعثة. والقسم الثانى: لا معنى للخوف من أن يرثوه إذ أمره بيده، ويقدر على ن يلقه إليهم ولو صحّ الخوف على القسم الأوّل لجرى ذلک فيه أيضاً فتأمل. هذا خلاصة ما ذکره السيّد المرتضى رضى الله عنه فى الشافى عند تقرير هذا الدليل وما أورده عليه من تأخّر عنه يندفع بنفس التقرير، كما لا يخفى على الناقد البصير فلذا لانسوّد بإيرادها الطوامير. الآية الثانية: قوله تعالى: (وورث سليمن داود) وقال: (يا أيها الناس علّمنا منطق الطير واوتينا من كلّ شىء إن هذا لهو الفضل المبين) وجه الدلالة هو أنّ المتبادر من قوله تعالى ورث: أنّه ورث ماله كما سبق فى الآية المتقدمة، فلا يعدل عنه إلّا لدليل؛ [صفحه ۴۴۸] وأجاب قاضى القضاء فى المغنى: بأن فى ما يدل على أن المراد وراثة العلم دون المال، وهو قوله تعالى: وقال: (يا أيّها الناس علّمنا منطق الطير)، فإنه يدل على أنّ الّذى ورث هو هذا العلم وهذا الفضل، وإلّا لم يكن لهذا تعلّق بالاول؛ وقال الرازى فى تفسيره: لو قال تعالى ورث سليمن داود ماله لم يكن لقوله تعالى وقال: (يا أيها الناس علّمنا منطق الطير) معنى، وإذا قلنا: ورث مقامه من النبوّة والملک حسن ذلک، لانّ علم منطق الطير يكون داخلاً فى جملة ماورثه، وكذلک قوله: (واوتينا من كل شىء) لأن وارث العلم يجمع ذلک، ووارث المال لا يجمعه، وقوله: (إنّ هذا لهو الفضل المبين) يليق أيضاً بما ذکر دون المال، الّذى يحصل للكامل والناقص. وما ذکره الله تعالى من جنود سليمان بعده، لا يليق إلّا بما ذكرنا فبطل بما ذكرنا قول من زعم أنّه لا يورث إلّا المال فأما إذا ورث المال والملک معاً؛ فهذا لا يبطل بالوجوه الّذى ذكرنا بل بظاهر قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «نحن معاشر الأنبياء لا نورّث»؛ وردّ السيّد المرتضى رضى الله عنه فى الشافى كلام المغنى بأنّه: لا يمتنع أن يريد ميراث المال خاصّة، ثمّ يقول مع ذلک إنّا علّمنا منطق الطير ويشير بالفضل المبين إلى العلم والمال جميعاً، فله فى الأمرين جميعاً فضل على من لم يكن كذلک؛ وقوله: (وأوتينا من كلّ شىء) يحتمل المال كما يحتمل العلم، فليس بخالص لما ظنه ولو سلّم دلالة الكلام لما ذکره، فلا يمتنع، أن يريد أنه ورث المال بالظاهر والعلم بهذا النوع من الإستدلال، فليس يجب إذا دلّت الدلالة فى بعض الألفاظ على المجاز أن نقتصر بها عليه، بل يجب ان نحملها على الحقيقة التى هى الأصل، إذا لم يمنع من ذلک مانع؛ وقد ظهر بما ذكره السيد قدس سره، بطلان قول الرازى أيضاً، وكان القاضى يزعم أنّ العطف لو لم يكن للتفسير لم يكن للمعطوف تعلق بما عطف عليه، وانقطع نظام الكلام وما اشتهر من أن التأسيس أولى من التأكيد، من الأغلاط المشهورة، وكان الرازى يذهب إلى أنّه لامعنى للعطف، إلّا إذا كان المعطوف داخلاً فى المعطوف عليه، فعلى أى شىء يعطف حينئذ قوله تعالى: (وأوتينا من كل شىء) فتدبروا: أمّا قوله: أنّ المال يحصل للكامل والناقص، فلو حمل الميراث على المال لم يناسب قوله: (إن هذا الفضل المبين) فيرّد عليه: أنّه إنما يستقيم إذا كانت الإشارة إلى أوّل الكلام فقط، وهو وراثة المال وبعده ظاهر، [صفحه ۴۴۹] ولو كانت الإشارة إلى مجموعة الكلام كما هو الظاهر أو إلى أقرب الفقرات؛ أعنى قوله: (واوتينا من كل شىءٍ) لم يبق لهذا الكلام مجال؛ وكيف لا يليق الإشارة دخول المال فى جملة المشار إليه وقد منّ الله تعالى على عباده، وفى غير موضع من كلامه المجيد بما أعطاهم فى الدنيا من صنوف الأموال وأوجب على عباده الشكر عليه، فلا دلالة فيه على عدم إرادة وراثة المال سواء كان من كلام سليمان أو من كلام المالک المنّان؛ وقد ظهر بذلک بطلان قوله أخيراً إنّ كلام سليما أو من كلام المالک المنّان؛ وقد ظهر بذلک بطلان قوله أخيراً إنّ ما ذكره الله من جنود سليمان لا يليق إلّا بما ذكرنا، بل الاظهر أنّ حشر الجنود من الجن والإنس والطير قرينة على عدم إرادة الملک من قوله: (ورث سليمان داود) فإنّ تلک الجنود لم تكن لداود حتّى يرثها سليمان، بل كانت عطّية مبتدئاة من الله تعالى لسليمان عليه السلام، وقد أجرى الله تعالى على لسانه أنّه أخبر الإعتراف بأنّ ما ذكره لا يبطل قول من حمل الآية على وارثةالملک معاً فإنّه يكفينا فى إثبات المدّعى؛ وسيأتى الكلام فى الحديث الّذى تمسّک به. الآية الثالثة: ما يدّل على وارثة الاولاد والأرقاب، كقوله تعالى: (للرجال نصيب ممّا ترک الوالدان والأقربون وللنساء نصيب ممّا ترک الوالدان والأقربون ممّا قلّ نصيب أو كثر مفروضاً) وقوله تعالى: (وصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظّ الأثنين) وقد اجتمعت الأمّة على عمومها إلّا من أخرجه

الـدليل، فيجب أن يتمسک بعمومها إلّا إذا قامت دلالـة قاطعـة؛ وقـد قال سـبحانه عقيب آيات الميراث: (تلک حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنّات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلک هو الفوز العظيم – ومن يعص الله و رسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالـداً فيهـا وله عـذاب مهين)؛ ولم يقـل دليـل على خروج النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم من قوله: نحن معاشـر الانبيـاء لا نورث، ما تركناه صدقة؛ قال صاحب المغنى: لم يقتصـر أبو بكر على رواية حتّى استشـهد عليه عمر وعثمان وطلحة والزبير وسـعداً وعبد الرحمن بن عوف، فشـهدوا به فكان لا يحل لأبى، وقد صار الأمر إليه أن يقسم التركة ميراثاً، وقد أخبر الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم بأنّها صدقة وليس بميراث؛ وأقلّ ما فى الباب أن يكون الخير من أخبار الآحاد، فلو أنّ شاهدين شهدا [صفحه ۴۵۰] فى التركة أنّ فيها حقّاً، أليس كان يجب أن يصـرفه عن الإرث؟ فعلمه بما قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع شهادة غيره أقوى، ولسنا نجعله مدعياً، لأنّه لم يـدّع ذلک لنفسه وإنّما بين أنه ليس بميراث، وأنه صدقة ولا يمتنع تخصـيص القرآن بذلک كما يخص فى العبد والقاتل وغيرهما. ويرد عليه: أنّ الإعتماد فى تخصـيص الآيات، إمّا على سـماع أبى بكر ذلک الخبر من رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم ويجب على الحاكم ان يحكم بعمله؛ وإما على شـهادة من زعموهم شـهوداً على الرواية، أو على مجموع الأمرين، أو على سـماعه من حيث الرواية منع انضـمام البـاقين إليه؛ فـإن كان الأول فيرد عليه بوجوه من الايراد عليه: الأول: ما ذكره السـيّد رضـى الله عنه فى «الشافى» من أنّ أبا بكر فى حكم المدّعى لنفسه والجار إليها نفعاً فى حكمه، لأن أبابكر وسائر المسـلمين سوى أهل البيت عليه السـلام تحل لهم الصدقة، ويجوز أن يصيبوا منها، وهذه تهمة فى الحكم والشهادة ثمّ قال رضى الله عنه: وليس له ان يقول يقتضى أن لا تقبل شهادة شاهدين فى تركـة فيها صدقـة بمثل ما ذكرتم، وذلک لأن الشاهـدين إذا شـهدا بالصدقـة فحظهما منها كحظّ صاحب الميراث، بل سائر المسـمين، وليس كذلک حال تركة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأنّ كونها صدقة يحرّمها على ورثته، ويبيحها لسائر المسلمين، انتهى. ولعلّ مراده رحمهم الله أنّ لحرمان الورثـة فى خصوص تلک المادة شواهـد على التهمة بأن كان غرضـهم إضـعاف جانب أهل البيت عليهم السـلام، لئلاّـ يتمكنوا عن المنازعـة فى الخلافـة، ولاـ يميـل النـاس لنيل الزخارف الدنيويـة، فيكثر أعوانهم وأنصارهم ويظفروا بإخراج الخلافـة والإمارة من أيـدى المتغلبينّ، اذ لا يشک أحـد ممن نظر فى أخبار العامة والخاصة، فى أن أمير المؤمنين عليه السـلام كان فى ذلـک الوقت طالباً للخلافـة، مـدّعياً لإسـتحقاقه لها، وأنّه لم يكن إنصـراف الاعيان والاشـراف عنه، وميلهم إلى غيره إلا لعلمهم بأنه لا يفضّل أحداً منهم على ضـعفاء المسـلمين، وأنه يسوىّ بينهم فى العطاء والتقريب، ولم يكن إنصراف سائر الناس عنه إلا لقلة ذات يده، وكون المـال والجـاه مع غيره. والأولى أن يقال فى الجواب: أنه لم تكن التهمـة لأجل أن له حصـة فى التركـة، بل لأنه [صـفحه ۴۵۱] كان يريـد أن يكون تحت يـده، ويكون حاكماً فيه يعطيه من يشاء، ويمنعه من يشاء ويؤيـده: قول أبى بكر فيما رواه فى جامع الاصول من سـنن أبى داود، عن أبى الطفيل، قال: جاءت فاطمة عليها السـلام إلى أبى بكر تطلب ميراثها من أبيها، فقال لها، سـمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسـلم: إنّ الله إذا أطعم نبياً طعمـة فهو للذى يقوم من بعده؛ ولا ريب فى أنّ ذلک ممّا يتعلق به الأغراض، ويعد من جلب المنافع، ولـذا لا تقبل شـهادة الوكيل فيما هو وكيل فيه والوصـى فيما هو وصـى فيه؛ وقد ذهب قوم إلى عدم جواز الحكم بالعلم مطلقاً لأنّه مظنـة التهمـة، فكيف إذا قامت القرائن عليه من عداوة ومنازعة، وإضـعاف جانب ونحو ذلک، والعجب أنّ بعضـهم فى باب النحلـة منعوا بعـد تسليم عصـمة فاطمـة عليها السـلام جواز الحكم بمجرد الـدعوى وعلم الحاكم بصـدقها، وجوزوا الحكم بأن التركة صدقـة، للعلم بالخبر مع معارضـته للقرآن وقيام الـدليل على كـذبه. الثانى: أنّ الخبر معارض للقرآن لدلالـة الآية فى شأن زكريّا وداود عليهم السـلام على الوارثـة وليست الآية عامّة حتّى تخصـص بالخبر فيجب طرح الخبر، لايقال: إذا كانت الآية خاصّة فينبغى تخصـيص الخير بهـا، وحمله على غير زكريـا وداود عليهمـا السـلام لأنّـا نقـول: الحكـم بخروجهمـا عـن حكـم الأنبيـاء مخـالف لإجمـاع الأمـة، لإنحصارهـا بالإـيراث مطلقـاً، وعـدمه مطلقاً، فلا محيص عن الحكم بكـذب الخبر، وطرحه. الثالث: أنّ أمير المؤمنين صـلوات الله عليه كان يرى الخبر موضوعاً باطلاً، وكان عليه السـلام لا يرى إلّا الحق والصـدق، فلابـد من القول بأنّ من زعم أنّه سـمع الخبر كاذب. أما الأـولى: فلما رواه مسـلم، فى «صـحيحة» وأورده فى «جامع الأصول» أيضاً عن مالک بن أوس ـ فى روايـة طويلـة ـ قال: عمر لعلىّ عليه

السلام والعبّاس، قال أبو بكر: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا نورث، ما تركناه صدقة، فرأيتماه كاذباً آثماً غادراً خائناً، والله يعلم أنّه لصادق بار راشد تابع للحق، ثمّ توفى أبو بكر، فقلت: أنا وليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وولى أبى بكر، فرأيتمانى كاذباً غادراً آثماً خائناً، والله يعلم أنّى لصادق بار تابع للحقّ فولّيتها. وعن البخارى: فى منازعة على والعباس فيما أناه الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من بنى [صفحه ۴۵۲] النضير، أنه قال عمر بن الخطاب: قال أبو بكر: أنا ولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقبضها فعمل فيها بها عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأنتما حينئذ ـ وأقبل على على عليه السلام والعباس تزعمان أن أبابكر فيها كذا. والله يعمل أنّه فيها صادق بار راشد تابع للحق وكذلك زاد فى حق، نفسه، قال: والله يعلم أنّى فيها صادق بار راشد تابع للحق، إلى آخر الخبر، وقد روى ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة،: من كتاب «السقيفة» عن أحمد بن عبد العزيز الجوهرى «مثله» بأسانيد. وأما المقدمة الثانية: فلما مر وسيأتى من الأخبار المتواترة، فى أنّ علياً عليه السلام لا يفارق الحق والحق لا يفرقه، بل يدور معه حيث ما دار، ويؤيده روايات السفينة والثقلين وأضرابهما. الرابع: أنّ فاطمة عليها السلام أنكرت رواية أبى بكر، وحكمت بكذبه فيها، ولاـ يجوز الكذب عليها، فوجب الرواية وراويها. أما المقدمة الاولى: فلما مر فى خطبتها وغيرها، وسيأتى من شكايتها فى مرضها وغيرها، وقد رووا فى صحاحهم: أنها عليها السلام انصرفت من عند أبى بكر ساخطة، وماتت عليه واجدة، وقد اعترف بذلك ابن أبى الحديد؛ وأما الثانية: فلما من من عصمتها وجلالتها عليها السلام. الخامس: أنّه لو كانت تركة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صدقة، ولم يكن لها صلوات الله عليها حظّ فيها، لبيّن النبى صلى الله عليه وآله وسلم الحكم لها إذا التكليف فى تحريم أخذها، يتعلق بها ول بينه لها لما طلبتها لعصمتها، ولايرتاب عاقل فى أنّه لو كانت بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأهل بيتهأن تركتى صدقة لاتحل لما خرجت ابنته وبضعته من بيتها مستعدية ساخطة صارخة فى معشر المهاجرين، والانصار، تعاتب إمام زمانها بزعمكم، وتنسبه إلى الجور والظلم فى غصب تراثها، وتستنصر المهاجر، والانصار، فى الوثوب عليه، وإثارة الفتنة بين المسلمين، وتهيّج الشرّ، ولم تستقر بعد أمر الامارة والخلافة، وقد أيقنت بذلك طائفة من المؤمنين، أن الخليفة غاصب للخلافة ناصب لأهل الإمامة، فصبّوا عليه اللعن والطعن إلى نفخ الصور وقيام النشور؛ وكان ذلك من أكد الدواعى إلى شقّ عصا المسلمين، وافتراق كلمتهم، وتشتت الفتهم، وقد كانت تلك النيران يخمدها بيان الحكم لها ولامير المؤمنين عليه السلام، ولعله لا يجسر من اوتى حظاً من الاسلام على القول [صفحه ۴۵۳] بان فاطمة عليها السلام مع علمها بأن ليس لها فى التركة بأمر الله نصيب، كانت تقدم على مثل ذلك الصنيع، أو كان أمير المؤمنين عليه السلام مع علمه بحكم الله، لم يزجرها عن التظلم والإستعداء، ولم بالقعود فى بيتها، راضية بأمر الله فيها، وكان ينازع العباس، بعد موتها ويتحاكم إلى عمر ابن الخطاب؛ فليت شعرى هل كان ذلك الترك والإهمال لعدم الإعتناء بضعته الّتى كانت تؤذيه ما آذاها، ويريبه مارابها، أو بأمر زوجها وابن عمّه وأخيه المساوى لنفسه ومواسيه بنفسه، أو لقلة المبالاة بتبليغ أحكام الله وأمر امته، وقد أرسله الله بالحق بشيراً ونذيراً للعالمين. السادس: أنّا مع قطع النظر عن جميع ما تقدم، نحكم قطعاً بأن مدلول هذا الخبر كاذب باطل ومن اسند إليه هذا الخبر، لا يجوز عليه الكذب، فلابد من القول بكذب من رواه، والقطع بأنه وضعه وافتراه؛ وأما المقدمة الثانية فغنية عن البيان. وأما الاولى: فبيانها أنّه قد جرت عادة الناس قديماً وحديثاً بالإخبار عن كل ما جرى، بخلاف المعهود بين كافة الناس، وخرج عن سنن عاداتهم، سيمّا إذا وقع فى كل عصر وزمان، وتوفرت الدواعى، إلى نقله وروايته؛ ومن العلوم لكل أحد، أن جميع الامم على اختلافهم فى مذاهبهم يهتمون بضبط أحوال الأنبياء وسيرتهم، وأحوال أولادهم، وما المعلوم أيضاً أنّ العادة قد جرت من يوم خلق الله الدنيا واهلها، إلى زمان انقضاء مدتها وفنائها، بأن يرث الاقربون من الاولاد، وغيرهم أقاربهم وذوى أرحامهم، وينتقعون ماموالهم وما خلفوه بعد موتهم؛ ولاـ شك لأحد فى أنّ عامة الناس، عالمهم وجاهلهم، وغنيهم وفقيرهم وملوكهم، ورعاياهم يرغبون إلى كل ما نسب إلى ذى شرف وفضيلة، ويتبركون به ويحرزه الملوك فى خزائنهم، ويوصون به لاـحب أهلهم، فكيف بسلاح الانبياء فى ثيابهم وأمتعتهم، ألا ترى إلى الاعمى إذ أبصر فى مشهد من المشاهد المشرفة، أو توهمت العامة أنّه أبصر اقتطعوا ثيابه وتبركوا بها وجعلوها حرزاً من كل بلاء؛ إذا تمهّدت المقدمات فنقول: لو كان ما

تركه الأنبياء من لـدن آدم عليه السـلام إلى الخاتم صـلى ال عليه وآله وسـلم صدقـة، لقسـمت بين الناس، بخلاف المعهود من توارث الآبـاء والاولاـد وسائر الاقارب، ولا يخلو الحال: إمّا أن [صـفحه ۴۵۴] يكون كـلّ نبى يبين الحكم لورثته بخلاـف نبينا صـلى الله عليه وآله وسـلم، أو يتركون البيان كما تركه صلى الله عليه وآله وسلم فجرى على سنّة الذين خلوا من قبله، من أنبياء الله عليهم السلام: فإن كان الأوّل، فمع أنّه خلاف الظاهر، كيف خفى هـذا الحكم على جميع أهل الملل والأديان، ولم يسـمعه أحـد إلاّ أبوبكر، ومن يحـذو حذوه، ولم ينقل أحد أنّ عصا موسى عليه السلام فجرى على وجه الصدقة إلى فلان، وسيف سليمان عليه السلام صار إلى فلان، وكذا ثياب سائر الأنبياء وأسـلحتهم وأدواتهم فرقّت بين الناس، ولم يكن فى ورثـة أكثر من مائة الف نبى، قوم ينازعون فى ذلك، وإن كان بخلاـف حكم الله عزوجـل؛ وقـد كـان أولاـد يعقوب عليه السـلام مع علوّ قـدرهم يحسـدون على أخيهم، ويلقونه فى الجبّ لمـا رأوه أحبّهم إليه، أو وقعت تلـك المنازعـة كثيراً، ولم ينقلها أحـد فى الملل السابقـة وأرباب السـير، مع شـدّة اعتنائهم بضـبط أحوال الأنبياء وخصائهم، وما جرى بعـدهم كما تقـدم؛ وإن كان الثانى، فكيف كانت حال ورثـة الأنبياء أكانوا يرضون بـذلك ولا ينكرون؟ فكيف صـارت ورثـة الأنبيـاء جميعاً يرضون بقول القائمين بالأمر مقام الأنبياء، ولم ترض به سيّده النساء؟ أو كانت سـنة المنازعـة جاريـة فى جميع الاـمم، ولم ينقلهـا أحـد ممّن تقـدّم، ولا ذكر من انتقلت تركات الأنبياء إليهم؛ إنّ هـذا لشـىء عجاب، وأعجب من ذلك، أنّهم ينازعون فى وجود النص على أمير المؤمنين عليه السـلام، مع كثرة الناقلين له من يوم السـقيفة إلى الآن؛ ووجوه الأخبار فى صحاحهم، وادّعائهم الشـيعة تواتر ذلك، من أول الأمر إلى الآن ويستندون فى ذلك إلى أنه لو كان حقاً، لما خفى ذلك لتوفر الدواعى إلى نقله وروايته، فانظر بعين الإنصاف أن الدواعى لشـهرة أمر خاص، ليس الشاهد له إلاّ قوم مخصوص من أهل قرن معين أكثر، أم لشهرة أمر قـل زمـان من الأزمنـة من لـدن آدم عليه السـلام إلى الخـاتم صـلى الله عليه وآله سـلم عن وقوعه فيه؟ مع أنّه ليس يـدعو إلى كتمـانه وإخفائه فى الامم السالفـة داع، ولم يـذكره رجل فى كتاب، ولم يسـمعه أحد من أهل ملّة؛ ولعمرى لا أشك فى أن من لزم الإنصاف وجانب المكابرة، والإعتساف، وتأمل فى مـدلول الخبر وأمعن النظر، يجزم قطعاً بكذبه وبطلانه؛ وإن كان القسم الثمانى،وهو أن يكون إتماد أبى بكر فى تخصـيص الآيات بالخبر من حيث روايـة الرواة له دو علمه بأنه من كلام الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم، لسـمعه باذنه فيرد عليه أيضاً وجوه من النظر: الأوّل: أن ما ذكره قاضـى القضاة، من أنه شـهد بصـدق الروايـة فى أيام أبى بكر: عثمان وطلحـة، والزبير، وسـعد، وعبد الرحمان، باطل غير مذكور فى سيرة ورواية من طرقهم وطرق أصحابنا؛ وإنما المذكور فى رواية مالك بن أوس التى رووها فى صـحاحهم: أنّ عمر بن الخطاب لمّا تنازع عنده أمير المؤمنين عليه السلام والعبّاس استشهد نفراً فشهدوا بصدق الرواية: ولنذكر ألفاظ صـحاحهم فى رواية مالك بن أوس على اختلافها، حتّى يتضح حقيقة الحال: روى البخارى ومسـلم وأخرجه الحميدى، وحكـاه فى جـامع «الأـصول» فى الفرع الرابع من كتـاب الجهـاد من حرف الجيم، عن مالك أنّه قال: أرسل إلىّ عمر فجئته حين تعالى النهار، قال: فوجدته فى بيته جالساً على سـرير مفضياً [۶۸۴] ، إلى رمـاله، متكئاً على وسادة [۶۸۵] من أدم، فقـال لى: يا مالك، أنّه قد دفّ أهـل أبيـات من قومك [۶۸۶] وقـد أمرت فيهم برضـخ [۶۸۷] فخـذه فـأقسم بينهم قـال: قلت: لو أمرت بهـذا غيرى، قال: خـذه يا مالك، قال: فجاء يرفأ [۶۸۸] فقال: هل لك فى عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد؛ فقال عمر: نعم فأذن لهم فدخوا؛ ثمّ جاء فقـال: هـل لـک فى عبـاس وعلى عليه السـلام قـال: نعم فـأذن لهما: فقال العباس: اقض بينى وبين هـذا، فقال القوم أجل! فاقض بينهم وارحهم، قال مالك بن أوس: فخيل إلى أنهم قد كانوا قدموهم لذلك، فقال عمر اتّئدوا [۶۸۹] : أنشدكم بالله الذى بإذنه تقوم السماء والأـرض، أتعلمون أن رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم قال: لا نوّرث ما تركنا صدقـة؟ قالوا: نعم؛ ثم أقبل على العبّاس وعلىّ عليه السـلام فقال: أنشـدكما بالله الذى بأذنه تقوم السـماء والأرض، أتعلمان أنّ رسول [صـفحه ۴۵۶] الله صـلى الله عليه وآله وسـلم قال: لا نورث، مـا تركنا صدقـة؟ قالا: نعم، إلى آخبر الخبر؛ ثمّ حكى فى جامع الأصول، عن البخارى ومسـلم، أنّه قال عمر لعلى عليه السـلام: قـال أبوبكر: قـال رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم: لاـ نورث، ما تركناه صدقـة، فرأيتماه كاذباً آثماً غادراً، خائناً، وتزعمان أنّه فيها كذا كما نقلنا سابقاً؛ وحكى فى جامع الاصول، عن أبى دواد، أنّه قال أبو البخترى: سـمعت حديثاً من رجل فأعجبنى، فقلت: اكتبه لى،

فاتى به مكتوباً مدبراً [۶۹۰] ، دخل العباس وعلى عليه السلام على عمر، وعنده طلحة والزبير وعبدالرحمان وسعد وهما يختصمان، فقال عمر لطلحة والزبير وعبد الرحمان وسعد: ألم تعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: كل مال النبى صلى الله عليه وآله وسلم صدقة، إلّا مااطعمه أهله، أو كساهم، إنا لانورث؟ قالوا: بلى [۶۹۱] . توضيح: ولا يذهب على ذى فطنة أن شهادة الاربعة التى تضمنتها الرواية الاولى والثانية على اختلافهما، لم يكن من حيث الرواية والسماع عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، بل لثبوت الرواية عندهم بقول أبى بكر، بقرينة أن عمر ناشد علياً عليه السلام والعباس: أتعلمان أن الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا نورث، ما تركناه صدقة؟ فقالا ـ نعم؛ وذلك لانه لا يقدر أحد فى ذلك الزمان على تكذيب تلك الرواية، وقد قال عمر فى آخر الرواية: رأيتماه، يعنى أبا بكر كاذباً آثماً غادراً خائناً، وكذا فى حق نفسه؛ والعجب أن القاضى لم يجعل علياً عليه السلام والعباس شاهدين على الرواية مع تصديقهما كما صدّق الباقون، بل جميع الصحابة لأنهم يشهدون بصدقهما. وقال ابن أبى الحديد بعد حكاية كلام السيد رضى الله عنه فى أن الاستشهاد كان فى خلافة عمر دون أبى بكر، وأن معول المخالفين على إمساك الأمة عن النكير على أبى بكر دون الاستشهاد ما هذا لفظه: قلت: صدق المرتضى فيما قال، أما عقيب وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ومطالبة فاطمة عليها السلام بالإرث فلم يرو الخبر إلّا أبا بكر وحده، وقيل: إنّه رواه معه مالك بن أوس ابن الحدثان؛ وأما المهاجرين الذين ذكرهم قاضى القضاة فقد شهدوا بالخبر فى خلافة عمر، وتقدم ذكر ذلك، وقال فى الموضع المتقدم الذى أشار إليه، [صفحه ۴۸۷] وهو الفضل الذى ذكر فيه روايات أبى البخترى على مارواه أحمد بن عبد العزيز الجوهرى، بإسناده عنه: قال جاء علىّ والعباس إلى عمر، وهما يختصمان، فقال عمر لطلحة والزبير وعبدالرحمان وسعد: أنشدكم الله، أسمعتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: كل مال نبى فهو صدقة إلاّ ـ ما أطعمه أهله، إنّا لا نورّث! فقالوا: نعم؛ قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتصدّق به، ويقسم فضله، ثمّ توفّى، فولّيه أبو بكر سنتين يصنع فيه ما كان يصنع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنتما تقولان، إنه كان بذلك خاطئاً، وكان بذلك ظالماً وما كان بذلك إلّا راشداً، ثم ولّيته بعد أبى بكر فقلت لكما: إن شئتما قبلتماه على عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعهده الذى عهد فيه، فقلتما: نعم، وجئتمانى الآن تختصمان؛ يقول هذا: اريد نصبى من ابن أخى، ويقول هذا: اريد نصبى من امرأتى! والله لا أقضى بينكما إلّا بذلك. قال ابن ابى الحديد: قلت: وهذا أيضاً مشكل، لأن أكثر الروايات أنّه لم يرو هذا الخبر إلاّ ـ أبا بكر وحده، ذكر ذلك معظم المحدثين، حتى أن الفقهاء فى أصول الفقه أطبقوا على ذلك فى إحتجاجهم فى الخبر برواية الصحابى والواحد. وقال شيخنا أبو على: لا ـ يقبل فى الرواية إلاّ ـ رواية إثنين كالشهادة، فخالفه المتكلمون والفقهاء كلّهم، واحتجّوا عليه بقبول الصحابة رواية أبى بكر وحده، قال: «نحن معاشر الأنبياء لانورث» حتّى أن أصحاب أبى على تكلف لذلك جواباً، فقال: قد روى أن أبا بكر يوم حاجّ فاطمة عليها السلام قال: انشد الله امرءً سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى هذا شيئاً! فروى مالك بن أوس بن الحدثان: أنه سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا الحديث ينطق بأنه استشهد عمر وطلحة والزبير وعبد الرحمان وسعداً، فقالوا: سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأين كانت هذه الرواية أيّام أبى بكر! ما نقل أنّ أحداً من هؤلاء يوم خصومة فاطمة عليها السلام وأبى بكر روى من هذا شيئاً. انتهى. فظهر أنّ قول القاضى ليس إلا شهادة زور، ولو كان لما ذكره من إستشهاد أبى بكر مستند لاشار إليه كما هو الدأب فى مقام الإحتجاج، وأما هذه الرواية التى رواها ابن أبى الحديد فمع أنّها لا تدل على الإستشهاد فى خلافة أبى بكر، فلا تخلو من تحريف، لما عرفت من أن لفظ رواية [صفحه ۴۵۸] أبى البخترى على ما رواه أبو داود، وحكاه فى جامع الاصول [۶۹۲] : ألم تعلموا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: كلّ مال النبى صدقة أسمعتم [۶۹۳] رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما رواه الجوهرى، على أنّه لا يقوم فيما تفر دّوابه من الأخبار حجّة علينا، وأنّما الإحتجاج بالمتفق عليه، أو ما اعترف به الخصم والإستشهاد على الرواية لم يثبت عندنا لا فى أيّام أبى بكر ولافى زمن عمر ثمّ أورد السيد رحمه الله على كلام صاحب المغنى بأنا لو سلّمنا إستشهاد من ذكر على الخبر لم يكن فيه حجة، لأن الخبر على كل حال لا يخرج من أن يكون غير موجب للعلم، وهو فى حكم أخبار الآحاد، وليس يجوز أن يرجع عن ظاهر القرآن بما يجرى هذا المجرى،

لأن المعلوم لا يخص إلاّ بمعلوم؛ قال: على أنّه لو سلم لهم أنّ الخبر الواحد يعمل به فى الشرع لا حتاجوا إلى دليل مستأنف على نّه يقبل فى تخصيص القرآن لأن مادل على العمل به فى الجملة لا يتناول هذا الموضع كما لا يتناول جواز النسخ به، وتحقيق هاتين المسئلتين من وظيفة اصول الفقه. والثانى: أنّ رواه الخبر كانوا متّهمين فى الرواية بجلب النفع من حيث حلّ الصدقة وما أجاب به شارح كشف الحق من الفرق بين الرواية والشهادة، وأنّ التهمة إنّما تضر فى الشهادة دون الرواية، فسخيف جداً ولم يقل أحد بهذا الفرق غيره. الثالث و الرابع: ما تقدم فى الإيراد الثالث والرابع من القسم الأوّل. الخامس: ما تقدم من وجوب البيان للورثة. أما القسم الثالث: وهو أن يكون مناط الحكم على علم أبى بكر مع شهادة النفر؛ وكذلك الرابع: وهو أن يكون الإعتماد على روايته معهم، فقد ظهر بطلانها مما سبق، فإن المجموعة وإن كان أقوى من كل واحد من الجزئين، إلاّ أنه لا يدفع التهمة ولامناقضة الآيات الخاصة ولا باقى الوجوه السابقة؛ وقد ظهر بما تقدم أن الجواب عن قول أبى على: «أتعلمون كذب أبى بكر أم تجوزون صدقة، وقد علم أنّه لا شيء يعلم به كذبه قطعاً فلابد من تجويز كونه صادقاً كما حكاه فى المغنى» هو أنا نعلم كذبه قطعاً والدليل عليه: [صفحه ۴۵۹] ما تقدم من الوجوه الستّة المفصلة، وأن تخصيص الآيات من هذا الخبر ليس من قبيل تخصيها فى القاتل والعبد كما ذكره قاضى القضاة. إذ مناط الثانى روايات معلومة الصدق، والأول خبر معلوم الكذب. وقد سبق فى خطبة فاطمة عليها السلام إستدلالها بقوله تعالى: (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله) وبثلاث من الآيات السابقة، وهو يدل مجملاً، على بطلان ما فصّلوه من الأجوبة؛ ثمّ إن بعض الاصحاب حمل الرواية على وجه لا يدل على ما فهم منها الجمهور وهو أن يكون ما تركناه صدقة مفعولاً ثانياً للفعل أعنى «نورث» سواء كان بفتح الراء على صيغة المجهول من قولهم: ورثت أبى شيئاً، أو بكسرها من قولهم: أورثه الشيء أبوه. وأما بتشديد الراء فالظاهر أنه لحن، فإن التوريث إدخال أحد فى المال على الورثة كما ذكره الجوهرى وهو لا يناسب شيئاً من المحامل ويكون صدقة منصوباً على أن يكون مفعولا لتركنا، والإعراب لا تضبط فى أكثر الروايات؛ ويجوز أن يكون النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقف على الصدقة فتوهّم أبو بكر أنه بالرفع وحينئذ يدل على أن ماجعلوه صدقة فى حال حياتهم لا ينتقل بموتهم إلى الورثة أى مانووا فيه الصدقة من غير أن يخرجوه من أيديهم لايناله الورثة حتى يكون للحكم إختصاص بالإنبياء عليهم السلام ولا يدل على حرمان الورثة مما تركوه مطلقاً؛ والحق أنه لا يخلو عن بعد، ولا حاجة لنا إليه لما سبق، وأما الناصرون لأبى بكر فلم يرضوا به وحكموا ببطلانه، وإن كان لهم فيه التخلص عن القول بكذب أبى بكر، فهو إصلاح لم يرض به أحد المتخاصمين، ولا ـ يجرى فى بعض رواياتهم. واعلم أن بعض المخالفين استدلوا ـ على صحّة الرواية وما حكم به أبو بكر ـ بترك الامة النكير عليه، وقد ذكر السيد الأجل رضى الله عنه فى الشافى كلمهم ذلك على وجه السؤال، وأجاب عنه بقوله فإن قيل: إذا كان أبو بكر قد حكم بخطأ فى دفع فاطمة عليها السلام من الميراث واحتج بخبر لا حجة فيه، فما بال الامة اقرتّه على هذا الحكم ولم تنكر عليه وفى رضاها وإمساكها دليل على صوابه؛ قلنا قد مضى أن ترك النكير لا ـ يكون دليل الرضا، إلاّ فى الموضع الّذى لا يكون له وجه سوى الرضا وبينا فى الكلام على إمامة أبى بكر هذه الموضع بياناً شافياً. [صفحه ۴۶۰] وقد أجاب أبو عثمان الجاحظ فى كتاب العباسية عن هذا السؤال جواباً جيّد المعنى واللفظ، نحن نذكره على وجهه ليقابل بينه وبين كلامه فى العثمانية وغيرها. قال: وقد زعم ناس أن الدليل على صدق خبرهما يعنى أبابكر وعمر فى منع الميراث وبراءة ساحتهما ترك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النكير عليهما؛ ثمّ قال: فيقال لهم: لئن كان ترك النكير دليلاً ـ على صدقهما ليكونن ترك النكير على المتظلمين منهما والمحتجين عليهما والمطالبين لهما بدليل دليلاً ـ على صدق دعواهم وإستحسان مقالتهم لا ـ سيما وقد طالت المشاحات، وكثرت المراجعة والملاحات، وظهرت الشكيمة، واشتدت الموجدة، وقد بلغ ذلك من فاطمة عليها السلام حتى أنّها أوصت أن لا يصلى عليها أبو بكر وقد كانت؛ قالت له حين أتته طالبة بحقها ومحتجة برهطها: من يرثك يا أبا بكر، إذا مت؟ قال: أهلى وولدى، قالت: فما بالنا لا نرث النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فلما منعها ميراثها وبخسها حقها، واعتل عليها، ولج فى أمرها، وعاينت التهضم، وآيست من النزوع، ووجدت مس الضعف وقلة الناصر؛ قالت: والله لأدعونّ الله عليك، قال: والله لا دعون الله لك. قالت: ـ والله ـ لا اكلمك أبداً، قال: والله أهجرك أبداً؛ فإن يكن

ترك النكير على أبى بكر دليلاًـ على صواب منعه إنّ فى ترك النكير على فاطمة عليها السلام دليلًا على صواب طلبها؛ وأت ما كان يجب عليهم فى ذلك تعريفها ما جهلت عادلاً، أو تقطع واصلًا، فإذا لم نجدهم أنكروا على الخصمين جميعاً فقد تكافأت الامور واستوت الاسباب والرجوع إلى أصل حكم الله فى المواريث أولى بنا وبكم، وأوجب علينا وعليكم، وإن قالوا كيف يظن ظلمها والتعدى عليها؟ وكلما، ازدادت فاطمة عليها السلام غلظة ازداد عليها ليناً ورقّة حيث تقول: ـ والله ـ لا اكلّمك أبداً فيقول: والله لا أهجرك أبداً، ثم تقول: والله لأدعونّ الله عليك فيقول: والله لأدعون الله لك؛ ثم يحتمل هذا الكلام الغليظ والقول الشديد فى دار الخلافة وبحضرة قريش والصحابة مع حاجة الخلافة إلى البهاء والرفعة وما يجب لها من التنويه والهيبة، ثم لم يمنعه ذلك أن قال معتذراً أو متقرباً كلام المعظم لحقها، المكبر لقيامها والصائن لوجهها، والمتحنن عليها: ما أحد أعزّ علىّ منك فقراً ولا حبّ إلىّ منك غنىّ [صفحه ۴۶۱] ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إنّا معاشر الأنبياء لا نورّث ما تركناه فهو صدقة؛ قيل لهم: ليس ذلك بدليل على البرائة من الظلم والسلامة من الجور، وقد يبلغ من مكر الظالم ودهاء الماكر إذا كان أريباً وللخصومة معتاداً أن يظهر كلام المظلوم وذلّة المنتصف، وجدة الوامق، ومقة المحق؛ وكيف جعلتم ترك النكير حجّة قاطعة ودلالة واضحة؟ وقد زعمتم أنّ عمر قال على منبره: متعتان كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متعة النساء ومتعة الحجّ، أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما، فما وجدتم أحداً أنكر قوله، ولا استشنع مخرج نهيه، ولا خطأه فى معناه، ولا تعجب منه ولا استفهمه، وكيف تقضون بترك النكير، وقد شهد عمر يوم السقيفة، وبعد ذلك أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: الأئمة من قريش ثم قال فى مكانه: لو كان سالم حيّاً ما يخالجنى فيه شك حين أظهر الشك فى استحقاق كل واحد من الستة الذين جعلهم شورى وسالم عبد لأمراة من الأنصار وهى اعتقته وحازت ميراثه، ثم لم ينكر ذلك من قريش قوله منكر ولاـ قابل إنسان بين قوليه ولا تعجب منه؛ وإنما يكون ترك النكير على من لا رغبة ولا رهبة عند دليلًا على صدق قوله وثواب عمله، فأما ترك النكير على من يملك الضعة والرفعة والأمر والنهى والقتل والإستحياء والحبس والإطلاق فليس بحجة تشفى ولا دليل يغنى؛ قال: وقال آخرون: بل الدليل على صدق قولهما وصواب عملهما إمساك الصحابة عن خلعهما والخروج عليهما وهم الذين وثبوا على عثمان فى أيسر من جحد التنزيل وردّ النصوص، ولو كانوا يقولون ويصفون ما كان سبيل الامة فيهما إلّا كسبيلهم فيه وعثمان كان أعزّ نفراً وأشرف رهطاً وأكثر عدداً وثروة وأقوى عدة. قلنا: إنهما لم يجحدا التنزيل ولم ينكرا المنصوص ولكنهما بعد إقرارهما بحكم الميراث وما عليه الظاهر من الشريعة ادّعيا رواية وتحدثا بحديث لم يكن محالاًـ كونه ولاـ يمتنع فى حجج العقول مجيئه وشهد لهما عليه من علته مثل علتهما فيه؛ ولعل بعضهم كان يرى التصديق للرجل إذا كان عدلاً فى وهطه مأموناً فى ظاهره، ولم يكن قبل ذلك عرفه بفجرة، ولا جرّب عليه غدرة، فيكون تصديقه له على جهة حسن الظن وتعديل الشاهد؛ ولأنه لم يكن كثير منهم يعرف حقائق الحجج والذى يقطع بشهادته على [صفحه ۴۶۲] الغيب، وكان ذلك شبهة على أكثرهم، فلذلك قلّ النكير وتواكل الناس واشتبه الأمر، فصار لا يتخلص إل معرفة حق ذلك من باطله إلّا العالم المتقدم والمؤيد المرشد؛ ولأنه لم يكن لعثمان فى صدور العوام، وفى قلوب السفلة والطغات ما كان لهما من الهيبة والمحبة، ولأنهما كانا أقل استيثاراً بالفىء واقل تفكهاً بمال الله منه، ومن شأن الناس إهمال السلطان ماوفر عليهم أموالهم ولا يستأثر بخراجهم ولم يعطل ثغورهم؛ ولأن الذى صنع أبو بكر من منع العترة حظها والعمومة ميراثها قد كان موافقاً لجلة قريش ولكبراء العرب، ولأن عثمان أيضاً كان مضعوفاً فى نفسه مستخفاً بقدرة لا يمنع ضيماً ولا يقمع عدواً؛ ولقد وثب ناس على عثمان بالشتم والقذف والتشنيع والنكير لامور لو أتى عمر أضعافها وبلغ أقصاها لما اجترؤا على اغتيابه فضلًا عن مباداته والإغراء به ومواجهته كما أغلظ عيينة بن حصين له: فقال: أما إنّه لو كان عمر لقمعك ومنعك؛ فقال عيينة: إنّ عمر كان خيراً لى منك أرهبنى فابقانى، ثم قال: والعجب أنّا وجدنا جميع من خالفنا فى الميراث على اختلافهم فى التشبيه والقدر والوعيد يرد كل صنف منهم من أحاديث مخالفيه وخصومه، ما هو أقرب استناداً وأوضح رجالاً وأحسن اتّصالاً حتّى إذا صاروا إلى القول فى ميراث النبى صلى الله عليه وآله وسلم نسخوا الكتاب وخصوا الخبر العام بما لا يدانى بعض ما رووه وأكذبوا ناقليه وذلك أنّ كل إنسان منهم إنما يجرى إلى هواه ويصدق ما وافق وضاه،

هـذا آخر كلام الجاحظ؛ ثم قال السيد رضـى الله عنه: فإن قيل: ليس ما عارض به الجاحظ من الإستدلال بترك النكير، وقوله كما لم ينكروا على أبى بكر فلم ينكروا أيضاً على فاطمة عليها السلام ولا غيرها من المطالبين بالميراث كالازواج وغيرهن معارضته صحيحة؛ وذلك أن نكير أبى بكر لذلك ودفعه والإحتجاج عليه يكفيهم ويغنيهم عن تكلف نكير ولم ينكر على أبى بكر مارواه منكر فيستغنوا بإنكاره؛ قلنا: أوّل ما يبطل هذا السؤال أن أبا بكر لم ينكر عليها ما أقامت عليه بعد إحتجاجها بالخبر من التظلم والتألم والتعنيف والتبكيت وقولها على ما روى: والله لأدعون الله عليك، ولا كلّمتك أبداً، وما جرى هذا المجرى فقد كان يجب أن ينكره غيره فمن المنكر الغضب على المنصف وبعد فإن كان إنكار أبى بكر مقنعاً أو مغنياً عن إمكار غيره من المسلمين، [صفحه ۴۶۳] فإنكار فاطمة عليها السلام حكمه مقامها على التظلم منه يغنى عن نكير غيرها، وهذا واضح لمن أنصف من نفسه، انتهى كلامه «رفع الله مقامه» الخامس: قال ابن أبى الحديد: اعلم أن الناس يظنون أن نزاع فاطمة عليها السلام أبا بكر كان فى أمرين فى الميراث والنحلة، وقد وجدت فى الحديث أنّها نازعت فى أمر ثالث ومنعها أبو بكر إيّاها أيضاً وهو سهم ذى القربى؛ روى أحمد بن عبدالعزيز الجوهرى عن أنس، أن فاطمة عليها السلام أتت أبا بكر فقالت: قد علمت الذى حرم علينا أهل البيت من الصدقات وما أفاء الله علينا من الغنائم فى القرآن من سهم ذوى القربى، ثم قرأت عليه قوله تعالى: (واعلموا أنّما غنمتم من شىء فان الله خمسه وللرسول ولذى القربى) الآية: فقال لها أبو بكر: بأبى أنت وأمىّ وولدى وولدك، السمع والطاعة لكتاب الله ولحقّ رسوله وحقّ قرابته وأنا أقرأ من كتاب الله الّذى تقرأين، ولم يبلغ علمى منه أنّ هذا السهم من الخمس مسلّم إليكم كاملاً، قالت: أملك هو لك ولا قربائك؟ قال: لا، بل أنفق عليكم منه وأصرف الباقى فى مصالح المسلمين. قالت: ليس هذا بحكم الله تعالى، فقال: هذا حكم الله فإن كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهد إليك فى هذا عهداً صدقّتك وسلّمته كلّه إليك وإلى أهلك. قالت: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يعهد إلىّ فى ذلك بشىء إلّا أنّى سمعته يقول لمّا أنزلت هذه الآية: ابشروا آل محمد فقد جاءكم الغنى، قال أبوبكر: لم يبلغ من هذه الآية أن أسلم اليكم هذا السهم كلّه كاملاً ولكن لكم الغنى الّذى يغنيكم ويفضل عنكم، هذا عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وغيرهما فاسأليهم عن ذلك وأنظرى هل يوافقك على ماطلبت أحد منهم؟ فانصرفت إلى عمر فقالت له مثل ما قالت لأبى بكر، فقال لها مثل ما قال لها أبو بكر فتعجبت فاطمة عليها السلام من ذلك وتظنّت قد تذاكرا ذلك واجتمعا عليه. ثم قال: قال أحمد بن عبد العزيز: حدثّنا أبو زيد بإسناده إلى عروة قال: أرادت فاطمة عليها السلام أبا بكر على فدك وسهم ذى القربى تأبى عليها وجعلهما فى مال الله تعالى. ثمّ روى عن الحسن بن علىّ عليه السلام: أنّ أبا بكر منع فاطمة عليها السلام وبنى هاشم سهم ذى القربى وجعلها فى سبيل الله فى السلاح والكراع. ثمّ روى بإسناده عن محمّد بن [صفحه ۴۶۴] إسحاق قال: سألت أبا جعفر محمد بن على عليه السلام قلت: أرأيت علياً عليه السلام حين ولّى العراق وما ولى من أمر الناس، كيف صنع فى سهم ذى القربى؟ قال: سلك بهم طريق أبى بكر وعمر، قلت: كيف ولم وأنتم تقولون، ما تقولون: أما والله ما كان أهله يصدرون إلّا عن رأيه، فقلت: فما منعه، قال: يكره أن يدعى عليه من مخالفة أبى بكر وعمر. انتهى ما أخرجه ابن أبى الحديد بن كتاب أحمد بن عبدالعزيز. وروى فى جامع الأصول: من سنن أبى داود، عن جبير بن مطعم: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يقسم لبنى عبد شمس ولا لبنى نوفل من الخمس شيئاً كما قسم لبنى هاشم قال: وكان أبو بكر يقسم الخمس نحو قسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غير أنه لم يكن يعطى منه قربى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يعطيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان عمر يعطيهم ومن كان بعده منه. وروى مثله بسند آخر، عن حبير بن طعم؛ ثمّ قال: وفى اخرى له والنسائى: لمّا كان يوم خيبر وضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سهم ذى القربى فى بنى هاشم وبنى عبد المطلب. ثمّ قال: وأخرج النسائى أيضاً بنحو من هذه الروايات من طرق متعددة بتغيير بعض ألفاظها وإتفاق المعنى. وروى أيضاً، عن أبى داود بإسناده، عن يزيد بن هرمز: أنّ ابن الزبير أرسل إلى ابن العباس يسأله عن سهم ذى القربى لمن يراه؟ فقال له: لقربى رسول الله صلى الله عليه و آله سلم، قسّمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهم، وقد كان عمر عرض علينا من ذلك عرضاً رأيناه دون حقّنا ورددناه عليه وأبينا أن نقبله. وروى مثله عن النسائى أيضاً وقال: وفى اخرى له مثل أبى داود، وفيه: وكان الذى

عرض عليهم أن يعين ناكحهم ويقضـي عن غارمهم ويعطي فقيرهم وأبى أن يزيدهم على ذلك. وروى العياشي في تفسيره: رواية ابن عبّاس ورويناه في موضع آخر. وروى أيضاً: عن أبي جميلة، عن بعض أصحابه، عن أحدهما عليهم السلام، قال: قد فرض الله الخمس نصيباً لآل محمد عليهم السلام فأبى أبو بكر أن يعطيهم نصيبهم، حسداً وعداوة، وقد قال الله: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون)؛ والأخبار من طريق أهل البيت عليهم السلام في ذلك أكثر من أن تحصى؛ وسيأتي [صفحه ۴۶۵] بعضها في أبواب الخمس والانفال إن شاء الله تعالى؛ فإذا اطّلعت على ما نقلناه من الأخبار من صحاحهم، نقول: لا ريب في دلالة الآية، على اختصاص ذي القربى القربى بسهم خاص؛ سواء كان هو سدس الخمس كما ذهب إليه أبو العالية، وأصحابنا، ورووه عن أئمتنا عليهم السلام وهو الظاهر من الآية كما اعترف به البيضاوي وغيره؛ أو خمس الخمس لإتّحاد سهم الله وسهم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وذكر الله للتعظيم كما زعم ابن عباس، وقتادة وعطا؛ أو ربع الخمس، والأرباع الثلاثة الباقية للثلاثة الاخيرة، كما زعمه الشافعي؛ وسواء كان المراد بذى القربى أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياته، وبعده الإمام من أهل البيت كما ذهب إليه أكثر أصحابنا، أو جميع بني هاشم كما ذهب إليه بعضهم وعلى ما ذهب إليه الاكثر يكون دعوى فاطمة عليها السلام نيابة عن أمير المؤمنين عليه السلام تقيّة أو كان المراد بني هاشم وبني المطلب كما زعمه الشافعي، أو آل عليّ، وعقيل وآل عبّاس، وولد الحارث بن عبد المطلب، كما قال أبو حنيفة. وعلى أي حال فلا ريب أيضاً في أن الظاهر من الآية تساوي الستّة في السهم، ولم يختلف الفقهاء في أنّ إطلاق الوصيّة والإقرار لجماعة معدودين يقتضي التسوية لتساوي السنة، ولم يشترط الله عزّ وجلّ في ذي القربى فقراً أو مسكنة بل قرنه بنفسه وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم للدلالة على عدم الإشتراط؛ وأما التقييد إجتهاداً فمع بطلان الإجتهاد الغير المستند إلى حجة فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدفع التقييد لدلالة خبر جبير وغيره على أنّه لم يعطيها ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعطيهم، وقد قال أبوبكر في رواية أنس: لكم الغنى الّذى يغنيكم ويفضل عنكم؛ فما زعمه أبو بكر من عدم دلالة الآية على أن السهم مسلم الذى القربى ووجوب صرف الفاضل من السهم عن حاجتهم في مصالح المسلمين مخالف للآية والأخبار المتفق على صحّتها؛ وقد قال سبحانه في آخر الآية: (إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا)؛ واعترف الفخر الرازي في تفسيره بأن من لم يحكم بهذه القسمة فقد خرج عن الإيمان، وقال تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فالئك هم الكافرون)؛ وقال: هم الفاسقون، وقال هم الظالمون، فاستحق بما صنع ما يستحقه الراد على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم. [صفحه ۴۶۶] السادسة: مادلت عليه الروايات السالفة وما سيأتي في باب شهادة فاطمة عليها السلام، من أنّها أوصت أن تدفن سراً، وأن لا يصلى عليها أبو بكر وعمر لغضبها عليهما في منع فدك وغيره من أعظم الطعون عليهما؛ وأجاب عنه قاضي القضاة في «المغني» بأنه قد روى أنّ أبا بكر هو الذى صلى على فاطمة عليها السلام وكبر أربعاً، وهذا أحد ما استدل به كثير من الفقهاء في التكبير على الميّت ولا يصح أنّها دفنت ليلاً؛ وإن صحّ ذلك فقد دفن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلاً وعمر دفن ليلاً، وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدفنون بالنهار ويدفنون بالليل؛ فما في هذا ما يطعن به بل الاقرب في النساء أنّ دفنهنّ ليلاً أستر وأولى بالسنة. وردّ عليه السيّد الأجلّ في الثاني: بأن ما ادّعيت من أنّ أبا بكر هو الذى صلّى على فاطمة عليها السلام وكبر أربعاً، وإنّ كثيراً من الفقهاء يستدلون به في التكبير على الميت فهو شيء ما سمع إلّا منك وإن كنت تلقّيته عن غيرك فممن يجري مجراك في العصبيّة وإلاّ فالروايات المشهورة وكتب الآثار والسير خالية من ذلك، ولم يختلف أهل النقل في أنّ أمير المؤمنين عليه السلام صلّى على فاطمة عليها السلام إلّا رواية شاذّة نادرة وردت بأن العباس صلّى عليها. روى الواقدي: بإسناده، عن عكرمة، قال: سألت ابن عباس متى دفنتم فاطمة عليها السلام؟ قال: دفناها بليلٍ بعد هدأة. قال: قلت: فمن صلّى عليها؟ قال: عليّ عليه السلام. وروى الطبرسي، عن الحرث بن أبي أسامة، عن المدايني، عن أبي زكريا العجلاني أن فاطمة عليها السلام عمل لها نعش قبل وفاتها فنظرت وقالت: سترتموني ستركم الله. قال أبو جعفرمحمد بن جرير: والثبت في ذلك أنّها زينب؛ لأن فاطمة عليها السلام دفنت ليلاً ولم يحضرها إلّا العباس وعليّ عليه السلام، والمقداد والزبير. وروى القاضي أبو بكر أحمد بن كامل بإسناده في تاريخه: عن الزهري، قال: حدّثني عروة بن الزبير، أنّ عائشة أخبرته: أنّ فاطمة بنت رسول الله صلى

الله علیه وآله وسلم عاشت بعد رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ستّة أشهر فلما توفیت دفنها علی علیه السلام لیلًا وصلّی علیها علیّ بن أبی طالب علیه السلام، وذکر فی کتابه هذا أنّ أمیر المؤمنین والحسن والحسین علیهما السلام دفنوها لیلًا وغیّبوا قبرها. [صفحه ۴۶۷] وروی سفیان بن عیینة، عن عمرو عن الحسن بن محمد: أنّ فاطمة علیها السلام دفنت لیلًا وروی عبدالله بن أبی شیبة، عن یحیی بن سعید العطار، عن معمر،عن الزهری: مثل ذلک؛ وقال البلاذری فی تاریخه: إن فاطمة علیها السلام لم تر مبتسمة بعد وفاة رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ولم یعلم أبو بکر وعمر بموتها؛ والأمر فی هذا أوضح وأظهر من أن یطنب فی الإستشهاد علیه، وبذکر الروایات فیه، فأما قوله ولا یصح، أنّها دفنت لیلًا، وإن صحّ فقد دفن فلان وفلان لیلًا فقد أنّ دفنها لیلًا فی الصحّة کالشمس الطالعة، وأن منکر ذلک کدافع المشاهدات ولم نجعل دفنها لیلًا بمجرد، وهو الحجّة. فیقال: فقد دفن فلان وفلان لیلًا بل مع الإحتجاج بذلک علی ما وردت به الروایات المستفیضة الظاهرة الّتی هی کالمتواتر أنها علیها السلام أوصت بأن تدفن لیلًا حتی لا یصلی علیها الرجلان، وصرّحت بذلک وعهدت فیه عهداً بعد أن کانا استاذنا علیها فی مرضها لیعوداها فأبت أن تأذن لهما فلّما طال علیهما المدافعة رغبا إلی أمیر المؤمنین علیه السلام، فی أن یستأذن لهما وجعلاها حاجة إلیه فکلّما أمیر المؤمنین علیه السلام فی ذلک وألحّ علیها فأذنت لهما فی الدخول ثمّ أعرضت عنهما عند دخولهما ولم تکلمهما؛ فلمّا خرجا قالت لأمیر المؤمنین علیه السلام: قد صنعت ما أردت، قال: نعم؛ قالت: فهل أت صانع ما آمرک؟ قال: نعم؛ قالت: فإنّی أنشدک الله لا یصلیا علی جنازتی، ولا یقوما علی قبری، وروی أنه علیه السلام عمی علی قبرها، ورشّ أربعین قبراً فی البقیع ولم یرش علی قبرها حتی لا یهتدیا إلیه، وأنهما عاتباه علی ترک إعلامهما بشأنها وإحضارهما للصلاة علیها، فمن هاهنا احتججنا بالدفن لیلًا، ولو کان لیس غیر الدفن باللیل من غیر ما تقدم علیه وتأخر عنه، لم یکن فیه حجّة، انتهی کلامه رفع الله مقامه. ومما یدل من صحاح أخبارهم علی دفنها لیلًا، وأن أبا بکر لم یصلّ علیها، وعلی غضبها علیه وهجرتها إیّاه: مارواه مسلم فی «صحیحة» وأورده فی «جامع الاصول» فی الباب الثانی من کتاب الخلافة والإمارة من حرف الخاء عن عائشة ـ فی حدیث طویل ـ بعد ذکر مطالبة فاطمة علیها السلام أبا بکر فی میراث رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وفدک وسهمه من خیبر؛ قالت: فهجرته فاطمة علیها السلام، فلم تکلّمة فی ذلک حتی ماتت، فدفنها علی علیه السلام ولم یؤذن بها [صفحه ۴۶۸] أبابکر؛ قالت: فکان لعلّی وجه من الناس حیاة فاطمة علیها السلام فلّما توفیت فاطمة علیها السلام انصرفت وجوه الناس عن علیّ، ومکثت فاطمة علیها السلام بعد رسول الله ستة أشهر ثم توفیت، وروی ابن أبی الحدید: عن أحمد بن عبد العزیز الجوهری، عن هشام بن محمد، عن أبیه، قال: قالت فاطمة علیها السلام لأبی بکر: إنّ أمّ أیمن تشهد لی أنّ رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم أعطانی فدک، فقال: یا بنت رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، والله ما خلق الله خلقاً احب إلی من رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم أبیک ولوددّت أن السماء وقعت علی الأرض یوم مات أبوک، والله لئن تفتقر عائشة أحب إلی من أن تفتقری، أترانی اعطی الأسود والأحمر حقّه وأظلمک حقّک وأنت بنت رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم إنّ هذا المال لم یکن للنبیّ صلی الله علیه وآله وسلم ولّیته کما کان یلیه، قالت: والله لا کلمتک أبداً قال: والله لا هجرتک أبداً قالت: والله لادعون الله علیک قال: والله لأدعون الله لک: فلّما حضرتها الوفاة أوصت أن لا ـ یصلی علیها، فدفنت لیلًا وصلی علیها العباس بن عبد المطلب، وکان بین وفاتها ووفاة أبیها صلی الله علیه وآله وسلم إثنتان وسبعون لیلة، ومما یؤیّد إخفاء دفنها، جهالة قبرها والإختلاف فیه بین الناس إلی یومنا هذا، ولو کان بمحضر من الناس لما اشتبه علی الخلق ولا اختلف فیه. السابعة: ممّا یرد علی الطعون علی أبی بکر فی تلک الواقعة. أنّه مکّن ازواج النبیّ التصرفّ فی حجراتهّن بغیر خلاف ولم یحکم فیها بأنّها صدقة، وذلک یناقض ما منعه فی أمر فدک ومیراث الرسول صلی الله علیه وآله وسلم فإن انتقالها إلیهنّ إمّا علی جهة الإرث أو النحلة والأوّل مناقض لروایته فی المیراث؛ والثانی یحتاج إلی الثبوت ببیّنة ونحوها ولم یطالبهنّ بشیء منها کما طلب فاطمة علیها السلام فی دعواها وهذا من أعظم الشواهد لمن له أدنی بصیرة علی أنّه لم یفعل إلاّ عداوة لأهل بیت الرسالة ولم یقل ما قال إلاّ ـ إفتراء علی الله وعلی رسوله!! ولنکتف بما ذکرنا، فإن بسط الکلام فی تلک المباحث ممّا یوجب کثرة حجم الکتاب وتعسّر تحصیله علی الطلّاب؛ فانظر أیّها العاقل المنصف بعین البصیرة فیما اشتمل علیه الأخبار الکثیرة التی أوردوها فی

کتبهم المعتبرهٔ عنـدهم، من حکم سـیدهٔ النساء صـلوات الله علیها مع عصـمتها وطهارتها باغتصابهم للخلافهٔ، وأنّهم اتباع الشـیطان وأنّه ظهر فیه حسیکهٔ النفاق، وأنّهم أرادوا إطفاء نور الدین وإهماد سـننّ سـید [صفحه ۴۶۹] المرسـلین صلوات الله علیه وآله و أنّهم آذوا أهل بیته واضمروا لهم العداوهٔ وغیر ذلک ممّا اشتملت علیه الخطبهٔ الجلیلّهٔ فهل یبقی بعد ذلک شک فی بطلان خلافهٔ أبی بکر ونفاقه ونفاق أهل بیته؟! ثمّ أنّها علیها السلام حکمت بظلم أبی بکر فی منعها المیراث صریحاً بقولها علیها السلام لقد جئت شیئاً فریّاً، ودعت الأنصار إلی قتاله فثبت جواز قتله، ولو کان إماماً لم یجز قتله، ثمّ انظر إلی هـذا المنافق کیف شبّه أمیر المؤمنین وسیّد الوصـیین وأخا سیـد المرسـلین وزوجته الطاهرهٔ بثعالـهٔ شـهیده ذنبه وجعله مریّاً لکل فتنهٔ! ثمّ إلی موت فاطمهٔ صـلوات الله علیها ساخطهٔ علی أبی بکر، مغضـبهٔ علیه منکرهٔ لإمامته وإلی انکار أبی بکر کون فدک خالصهٔ لرسول الله صـلی الله علیه آله وسلم مع کونه مخالفاً للآیهٔ والإجماع وأخبارهم وإلی أنّه انتزع فـدک من یـد وکلاء فاطمـهٔ علیها السـلام وطلب منها الشـهود مع أنّها لم تکن مدعیـهٔ، فحکم بغیر حکم الله وحکم الرسول وصار بذلک من الکافرین بنص القرآن وإلی طلب الشاهد من المعصومهٔ وردّ شـهادهٔ المعصومین الذین أنزل الله تعالی فیهم ما أنزل وقال فیهم النبی صلی الله علیه وآله وسلم ما قال، ومنعها المیراث خلافاً لحکم الکتاب وافترائه علی الرسول صلی الله علیه وآله وسـلم بما شـهد الکتاب والسنهٔ بکذبه فتبوء مقعده من النار وظلمه علیها صلوات الله علیها فی منع سهم ذی القربی خلافاً لله تعالی ومناقضـهٔ لمـا رواه حیث مکن الازواج من التصـرف فی الحجر وغیرهمـا ممّـا یسـتنبط من فحاوی ما ذکر من الأخبار ولا یخفی طریق استنباطها علی أولی الابصار.

احتجاج فاطمهٔ الزهراء

اشاره

علی القوم لمّا منعوها فـدک [۶۹۴] . روی عبدالله بن الحسن علیه السـلام بإسـناده عن آبائه علیهم السلام أنّه لمّا أجمع [۶۹۵] أبو بکر علی منع فاطمهٔ علیها السـلام فدک، وبلغها ذلک، لاثت خمارها علی رأسها [۶۹۶] ، واشتملت بجلبابها [۶۹۷] ، وأقبلت فی لمهٍ [۶۹۸] من حفدتها [۶۹۹] ونسـاء قومها، تطأ ذیولها [۷۰۰] ، ما تخرم مشـیتها مشـیهٔ رسول الله صـلی الله علیه وآله وسلم [۷۰۱] ، حتّی دخلت علی أبی بکرٍ ـ وهو فی حشدٍ [۷۰۲] من المهاجرین [صفحه ۴۷۱] والأنصار وغیرهم فنیطت دونها ملاءهٔ [۷۰۳] ، فجلست، ثم أنّت أنّه أجهش القوم [۷۰۴] لها بالبکاء. فارتـج المجلس [۷۰۵] ثم أمهلت هنیـهٔ [۷۰۶] .حتی اذا سـکن نشیج القوم [۷۰۷] ، وهدأت فورتهم [۷۰۸] ، افتتحت الکلام بحمـد الله والثناء علیه والصـلاهٔ علی رسول الله، فعاد القوم فی بکائهم، فلّما أمسـکوا عادت فی کلامها، فقالت علیها السلام: الحمد لله علی ما أنعم، وله الشکر علی ما ألهم، والثناء بما قدّم، من عموم نعم ابتدأها [۷۰۹] ، وسبوغ آلاء أسداها [۷۱۰] ،وتمـام مننٍ والاها [۷۱۱] ، جمّ عن الاحصـاء عـددها [۷۱۲] ، ونـأی عن الجزاء أمـدها [۷۱۳] ، وتفـاوت عن الإدراک أبـدها [۷۱۴] ، وندبهم [صفحه ۴۷۲] لاستزادتها بالشـکر لا تصالها [۷۱۵] ، واسـتحمد إلی الخلایق بإجزالها [۷۱۶] ، وثنّی بالنـدب إلی أمثالها [۷۱۷] وأشـهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شـریک له، کلمهٔ جعل الإخلاص تأویلها [۷۱۸] ، وضـمن القلوب موصولها [۷۱۹] ، وأنار فی الفکر معقولها [۷۲۰] . الممتنع من [صفحه ۴۷۳] الأبصار رؤیته [۷۲۱] ، ومن الألسن صفته [۷۲۲] ، ومن الأوهام کیفیته، ابتدع الأشیاء لامن شیء کـان قبلها [۷۲۳] ، وأنشأهـا بلا احتـذاء أمثلـهٍ امتثلها [۷۲۴] ، کونهـا بقـدرته، وذرأهـا بمشـیته، من غیر حاجـهٍ منه إلی تکوینها، ولافائـدهٔ له فی تصویرها إلاّ تثبیتاً لحکمته، وتنبیهاً علی طاعته [۷۲۵] ، وإظهاراً لقدرته، وتعبداً لبریته [۷۲۶] ، وإعزازاً لدعوته [۷۲۷] . ثمّ جعـل الثواب علی طاعته، ووضع العقاب علی معصـیته، ذیادهً لعباده عن نقمته [۷۲۸] ، وحیاشهً منه إلی جنته [۷۲۹] . أشهد أن أبی محمداً صـلی الله علیه وآله وسلم عبده ورسوله، اختاره وانتجبه قبل أن أرسله، وسماه قبل أن اجتبله [۷۳۰] ، واصطفاه قبل ان ابتعثه، اذ الخلائق بالغیب مکنونهٔ وبستر الأهاویل مصونهٔ [۷۳۱] ، وبنهایهٔ العدم مقرونهٔ، علما من الله تعالی بمآیل [صـفحه ۴۷۴] الأمور [۷۳۲] ،

وإحاطة بحوادث الـدهور، ومعرفة بمواقع المقدور [۷۳۳] ، ابتعثه الله تعالى إماماً لأمره [۷۳۴] وعزيمةً على إمضاء حكمه، وإنفاذاً لمقادير حتمه [۷۳۵] فرأى الامم فرقاً فى أديانها، عكّفاً على نيرانها [۷۳۶] عابدة لأوثانها منكرةً لله مع عرفانها [۷۳۷] . فأنارالله بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ظلمها [۷۳۸] وكشف عن القلوب بهمها [۷۳۹] ، وجلى عن الابصار غممها [۷۴۰] وقام فى الناس بالهداية، وأنقذهم من الغواية، وبصرهم من العماية [۷۴۱] ، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم، ثمّ قبضه الله إليه قبض رأفةٍ واختيار [۷۴۲] ورغبةٍ وايثار بمحمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم [۷۴۳] عن تعب هذه الدار فى راحةٍ، قد حفّ بالملائكة [صفحه ۴۷۵] الأبرار ورضوان الرّب الغفار، ومجاورة الملك. صلى الله على أبى نبيّه وأمينه على الوحى، وصفيه وخيرته من الخلق ورضيه، والسلام عليه رحمة الله وبركاته. ثمّ التفت إلى أهل المجلس وقالت: أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه [۷۴۴] وحملة دينه ووحيه، وأمناء الله على أنفسكم، وبلغاؤه إلى الامم [۷۴۵] ، وزعمتم حق لكم [۷۴۶] لله فيكم، عهد قدمه اليكم، وبقية استخلفها عليكم [۷۴۷] : كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بينة بصائره [۷۴۸] ، منكشفة سرائره [۷۴۹] ، متجلية ظواهره، مغتبطة به أشياعه [۷۵۰] ، قائد إلى الرضوان اتباعه، مؤدٍ إلى النجاة إسماعه [۷۵۱] به تنال حجج الله المنورة، وعزائمه المفسرة، ومحارمه المحذرة، وبيناته الجالية، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة [۷۵۲] ، وشرايعه المكتوبة. [صفحه ۴۷۶] فجل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس [۷۵۳] ونماء فى الرزق [۷۵۴] ، والصيام تثبيتاً للإخلاص [۷۵۵] ، والحجّ تشييداً للدين [۷۵۶] ، والعدل تنسيقاً للقلوب [۷۵۷] ، واطاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا أماناً من الفرقة، والجهاد عزاً للإسلام، والصبر معونةً على استيجاب الأجر [۷۵۸] ، والأمر بالمعروف مصلحة للعامّة، وبر الوالدين وقايةً من السخط [۷۵۹] ، وصلة الارحام منماةً للعدد [۷۶۰] ، والقصاص حصناً للدماء، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازين [صفحه ۴۷۷] تغييراً للبخس [۷۶۱] ، والنهى عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس [۷۶۲] ، واجتناب القذف حجاباً عن اللّغة [۷۶۳] ، وترك السرقة إيجاباً للعفة [۷۶۴] ، وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبية، (فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون) وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، فإنه (إنّما يخشى الله من عباده العلماء). ثمّ قالت: أيّها الناس! اعلموا أنّى فاطمة، وأبى محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، أقول عوداً وبدءاً [۷۶۵] ، ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شططاً [۷۶۶] : (ولقد جاءكم رسول من أنفسكم [۷۶۷] عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم [۷۶۸] بالمؤمنين رؤوف رحيم [۷۶۹]) [۷۷۰] فإنّ تعزوه [۷۷۱] وتعرفوه تجدوه أبى دون نسائكم وأخا ابن عمى دون رجالكم، ولنعم المعزّى إليه صلى الله عليه وآله سلم. فبلّغ الرسالة صادعاً بالنذارة [۷۷۲] مائلاً عن مدرجة [صفحه ۴۷۸] المشركين [۷۷۳] ، ضارباً ثبجهم [۷۷۴] ، آخذاً بأكظامهم، داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة [۷۷۵] ، يكسر الأصنام وينكت الهام [۷۷۶] حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، حتى نفرّى اللّيل عن صبحه [۷۷۷] وأسفر الحق عن محضه [۷۷۸] ، ونطق زعيم الدين [۷۷۹] ، وخرست شقاشق الشياطين [۷۸۰] ، طاح وشيظ النفاق [۷۸۱] ، انحلّت عقد الكفر والشقاق، وفهتم بكلمة الإخلاص [۷۸۲] فى نفر من البيض الخماص [۷۸۳] ، وكنتم على شفا [صفحه ۴۷۹] حفرةٍ من النار [۷۸۴] ، مذقة الشارب، ونهزة الطامع [۷۸۵] ، وقبسة العجلان [۷۸۶] ، وموطىء الاقدام [۷۸۷] ، تشربون الطرق [۷۸۸] ، وتقتاتون الورق [۷۸۹] ، أذلةً خاسئين [۷۹۰] ، «تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم» [۷۹۱] فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم بعد اللتيا والتى [۷۹۲] ، وبعد أن منى ببهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب [۷۹۳] ، «كلما [صفحه ۴۸۰] أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله»، أو نجم قرن للشيطان [۷۹۴] ، وفغرت فاغرة من المشركين [۷۹۵] قذف أخاه فى لهواتها [۷۹۶] ، فلا ينكفىء [۷۹۷] حتى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه [۷۹۸] ، مكدوداً فى ذات الله [۷۹۹] ، مجتهداً فى أمر الله، قريباً من رسول الله سيد أولياء الله [۸۰۰] ، مشمّراً ناصحاً [۸۰۱] ، مجداً كادحاً [۸۰۲] ، وأنتم فى رفاهية من العيش، وادعون فاكهون آمنون [۸۰۳] ، تتربصون بنا الدوائر [۸۰۴] ، وتتوكّفون [صفحه ۴۸۱] الأخبار [۸۰۵] ، وتنكصون عند النزال [۸۰۶] ، وتفرون عند القتال. فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم حسيكة النفاق [۸۰۷] ، وسمل جلبات الدين [۸۰۸] ، ونطق كاظم الغاوين [۸۰۹] ، ونبغ خامل الأقلّين [۸۱۰] ، وهدر فنيق المبطلين

[۸۱۱] . فخطر فی عرصـاتکم [۸۱۲] ، وأطلع الشیطان رأسه من مغرزه، هاتفاً بکم، فألفـاکم لـدعوته مستجیبین [۸۱۳] ، وللغرّة فیه ملاحظین [۸۱۴] ثم استنهضکم [۸۱۵] فوجدکم [صفحه ۴۸۲] خفافاً [۸۱۶] ، وأحمشکم فألفاکم غضاباً [۸۱۷] ، فوسمتم [۸۱۸] غیر ابلکم، وأوردتم غیر شـربکم [۸۱۹] ؛ هـذا والعهـد قریب، والکلم رحیب، والجرح لمّا یندمل [۸۲۰] ، والرسول لمّـا یقبر [۸۲۱] زعمتم خوف الفتنهٔ [۸۲۲] ، «ألا فی الفتنهٔ سـقطوا وإنّ جهنم لمحیطهٔ بالکافرین» [۸۲۳] . فهیهات منکم، وکیف بکم، وأنّی تؤفکون؟ وکتاب الله بیـن أظهرکم [۸۲۴] ، اموره ظـاهرهٔ، وأحکـامه زاهرهٔ [۸۲۵] ، وأعلامه باهرهٔ، وزواجره لائحـهٔ، وأوامره واضـحهٔ، قـد خلّفتموه وراء ظهورکم، أرغبهً عنه تریدون، أم بغیره تحکمون، «بئس للظالمین بدلاً [۸۲۶] » [۸۲۷] «ومن یبتغ غیر الإسلام دیناً فلن یقبل منه وهو فی الآخرهٔ من [صـفحه ۴۸۳] الخاسرین» [۸۲۸] ثم لم تلبثوا إلاـ ریث أن تسـکن نفرتها، ویسـلس قیادها [۸۲۹] ثم أخـذتم تورون وقدتها [۸۳۰] ، وتهیّجون جمرتهـا [۸۳۱] ، وتسـتجیبون لهتاف الشیطان الغوی [۸۳۲] ، وإطفاء أنوار الدین الجلی، وإهماد سـنن النبی الصـفی [۸۳۳] ، تسـرون خشوا فی أرتعاء [۸۳۴] ، وتمشون لأهله ووله فی الخمر والضـراء [۸۳۵] ، ونصبر منکم علی مثل حزّ المـدی [۸۳۶] ، ووخز السّـنان فی الحشـا [۸۳۷] ، وأنتـم تزعمـون ألاّـ إرث لنـا، «أفحکم [صـفحه ۴۸۴] الجاهلیـهٔ تبغـون ومن أحسن من حکمـاً لقوم یوقنون» [۸۳۸] أفلا تعلمون؟ بلی تجلّی لکم کالشـمس الضاحیـهٔ [۸۳۹] أنّی ابنته. أیهـا المسـلمون أاغلب علی إرثیه [۸۴۰] یا ابن أبی قحافهٔ أفی کتاب الله أن ترث أباک، ولا أرث أبی؟ «لقد جئت شیئاً فریاً [۸۴۱] » [۸۴۲] ، أفعلی عمدٍ ترکتم کتاب الله، ونبذتمونه وراء ظهـورکم، إذ یقول: «وورث سـلیمان داود» [۸۴۳] , وقـال فیمـا اقتصّ من خبر یحیی بن زکریـا علیهـا السـلام إذ قال ربّ «هب لی من لدنک ولیّاً یرثنی ویرث من آل یعقوب» [۸۴۴] وقال: «واولوا الأرحام بعضهم اولی ببعض فی کتاب الله» [۸۴۵] وقال:«یوصیکم الله فی أولاـدکم للـذّکر مثـل حظ الانثیین» [۸۴۶] وقـال: «إن ترک خیراً الوصیّهٔ للوالـدین والأـقربین بـالمعروف حقـاً علی المتقیـن» [۸۴۷] ، وزعمتم ألاّـ حظوهٔ لی [۸۴۸] ، ولاـ إرث من أبی لا رحم بیننا! [صـفحه ۴۸۵] أفخصّـکم الله بآیـهٔ أخرج منها أبی؟ أم هل تقولون أهل ملّتین لا یتوارثان، ولست أنا وأبی من أهل ملّهٔ واحـدهٔ؟! أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبی وابن عمّی [۸۴۹] ؟ فدونکها مخطمهٔ مرحولهٔ [۸۵۰] تلقاک یوم حشرک، فنعم الحکم الله، والزّعیم محمدّ [۸۵۱] ، والموعد القیامهٔ، وعند الساعهٔ ما تخسرون [۸۵۲] ، ولاـ ینفعکم إذ تنـدمون، «ولکـل نبأٍ مسـتقرّ وسوف تعلمون من یأتیه عـذاب یخزیه [۸۵۳] ویحلّ علیه عـذاب مقیم» [۸۵۴] ثم رمت بطرفها [۸۵۵] نحو الأنصار فقالت: یا معاشـر الفتیهٔ [۸۵۶] ، وأعضاد الملّهٔ [۸۵۷] ، وأنصار الإسـلام! ما هـذه الغمیزهٔ فی حقّی [۸۵۸] ؟ والسّنهٔ عن [صفحه ۴۸۶] ظلامتی [۸۵۹] ، أما کان صـلی الله علیه وآله وسـلم أبی یقول: «المرء یحفظ فی ولده»؟ سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالهً [۸۶۰] ، ولکم طاقهٔ بما احاول، وقوّهٔ علی ما أطلب وازاول! أتقولون مات محمد صـلی الله علیه وآله وسـلم؟! فخطب جلیل اسـتوسع وهیه [۸۶۱] ، واسـتنهر فتقه، وانفتـق رتقه [۸۶۲] ، وأظلمت الأـرض لغیبته، وکسـفت النجوم لمصـیبته [۸۶۳] ، واکدت الآمال [۸۶۴] ، وخشـعت [صفحه ۴۸۷] الجبال، واضـیع الحریم [۸۶۵] ، وازیلت الحرمـهٔ عنـد مماته [۸۶۶] فتلک والله النّازلـهٔ الکبری [۸۶۷] ، والمصـیبهٔ العظمی، لا مثلها نازلـهٔ ولا بائقهٔ عاجلهٔ [۸۶۸] أعلن بهـا کتاب الله ـ جل ثناؤه ـ فی أفنیتکم فی ممساکم ومصـبحکم [۸۶۹] هتافاً وصـراخاً وتلاوهٔ وإلحاناً [۸۷۰] ، ولقبله مـا حـلّ بأنبیاء الله ورسـله، حکم فصل [۸۷۱] وقضاء حتم [۸۷۲] : «وما محمـد إلا رسول قد خلت [۸۷۳] من قبله الرسول أفإن مات أو قتل انقلبتم علی أعقابکم [۸۷۴] ومن ینقلب علی عقبیه فلن یضرّ الله شیئاً وسیجزی الله الشاکرین [۸۷۵] » [۸۷۶] . [صفحه ۴۸۸] أیها بنی قیلهٔ! [۸۷۷] أاهضم تراث أبیه [۸۷۸] وأنتم بمرأی منّی ومسمع [۸۷۹] ، ومبتدأ [صفحه ۴۸۹] ومجمع [۸۸۰] ؟! تلبسـکم الدّعوهٔ، وتشـملکم الخبرهٔ [۸۸۱] ، وأنتم ذوو العـدد والعـدّهٔ، والأداهٔ والقوّهٔ، وعندکم السـلاح والجنّهٔ؛ توافیکم الـدعوهٔ فلاـ تجیبون، وتـأتیکم الصّـرخهٔ فلاـ تغیثون، وأنتم موصوفون بالکفـاح [۸۸۲] ، معروفون بـالخیر والصّـلاح، والنجّبهٔ التی انتجبت [۸۸۳] ، والخیرهٔ الـتی اختیرت! [۸۸۴] قـاتلتم العرب، وتحمّلتم الکـدّ والتعب، ونـاطحتم الامم [۸۸۵] ، وکافحتم البهم [۸۸۶] ، فلاـ نبرح أو تبرحون [۸۸۷] ، نـأمرکم فتأتمرون [۸۸۸] حتی دارت بنا رحی الإسـلام [۸۸۹] ، [صـفحه ۴۹۰] ودرّ حلب الأیام [۸۹۰] ، وخضعت نعرهٔ الشرک [۸۹۱] ، وسکنت فورهٔ الإفک [۸۹۲] ، وخمدت نیران الکفر [۸۹۳] ، وهدأت دعوهٔ الهرج [۸۹۴]

، واستوسق نظام الدين [۸۹۵] ، فأنّى جرتم بعد البيان [۸۹۶] ، واسررتم بعد الإعلان، ونكصتم بعد الإقدام [۸۹۷] ، وأشركتم بعد الإيمان؟ «ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهمّوا بإخراج الرسول وهم بدأوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق ان تخشوه إن كنتم مؤمنين [۸۹۸] » [۸۹۹] . [صفحه ۴۹۱] ألا قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض [۹۰۰] ، وأبعدتم من هو أحقّ بالبسط والقبض [۹۰۱] ، وخلوتم بالدعة [۹۰۲] ، ونجوتم من الضيق بالسّعة، فمججتم ما وعيتم [۹۰۳] ، ودسعتم الذى تسوّغتم [۹۰۴] ، «فإن تكفروا [۹۰۵] أنتم ومن فى الأرض جميعاً فإنّ الله لغنى [صفحه ۴۹۲] حميد» [۹۰۶] ألا وقد قلت ما قلت على معرفة منّى بالخذلة التى خامرتكم [۹۰۷] ، والغدرة التى استشعرتها قلوبكم [۹۰۸] ، ولكنها فيضة النفس [۹۰۹] ، ونفثة الغيظ [۹۱۰] ، وخور القنا [۹۱۱] ، وبثّة الصدور [۹۱۲] ، وتقدمة الحجّة [۹۱۳] . فدونكموها فاحتقبوها [۹۱۴] دبرة الظّهر [۹۱۵] ، نقبة الخفّ [۹۱۶] ، باقية العار [۹۱۷] ، موسومة بغضب الله وشنار الأبد [۹۱۸] ، موصولة بنار الله الموقدة [۹۱۹] التى تطلع على [صفحه ۴۹۳] الأفئدة. فبعين الله ما تفعلون [۹۲۰] «وسيعلم الذين ظلموا أىّ منقلب [۹۲۱] ينقلبون [۹۲۲] ». وأنا ابنة نذير لكم [۹۲۳] بين يدى عذاب شديد،، «فاعملوا [۹۲۴] إنّا عاملون وانتظروا إنّا منتظرون [۹۲۵] . فأجابها أبو بكر عبد الله بن عثمان، فقال: يا ابنة رسول الله، لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً، رؤوفاً رحيماً، وعلى الكافرين عذاباً أليماً وعقاباً عظيماً: فإن عزوناه وجدناه أباك دون النساء، وأخاً لبعلك دون الأخلاء، آثره على كل حميم، وساعده فى كل أمر جسيم، لا يحبّكم إلا كل سعيد، ولا يبغضكم إلا كل شقى: فأنتم عترة رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبون، والخيرة المنتجبون، على الخير أدلّتنا، وإلى الجنّة مسالكنا، وأنت ـ يا خيرة النساء وابنة خير الأنبياء ـ صادقة فى قولك، سابقة فى وفور عقلك، غير مردودةٍ عن حقك، ولا مصدودةٍ عن صدقك، ووالله، ما عدوت رأى رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «نحن معاشر الأنبياء لا نوّرث ذهباً ولا فضة ولا داراً ولا عقاراً، وإنما نورّث والحكمة، والعلم والنبوة، وما كان لنا من طعمة فلولىّ الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه». وقد جعلنا ما حاولته فى الكراع والسّلاح يقابل به المسلمون، ويجاهدون الكفار، ويجالدون المردة [۹۲۶] ثم الفجّار. وذلك بإجماع من المسلمين لم أتفرّد به وحدى، ولم [صفحه ۴۹۴] أستبد [۹۲۷] بما كان الرأى فيه عندى، وهذه حالى، ومالى هى لك وبين يديك، لا نزوى عنك [۹۲۸] ولا ندّخر دونك. ونت سيدة أمّة أبيك، والشجرة الطيبة لبنيك، لا يدفع ما لك من فضلك، ولا يوضع من فرعك وأصلك؛ [۹۲۹] حكمك نافذ فيما ملكت يدأى، فهل ترين [۹۳۰] أن اخالف فى ذلك أباك صلى الله عليه وآله؟ فقالت عليها السلام: سبحان الله! ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن كتاب الله صادفاً [۹۳۱] ، ولا لأحكامه مخالفاً، بل كان يتّبع أثره [۹۳۲] ، ويقفو سوره [۹۳۳] ، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزور [۹۳۴] ، وهذا بعد وفاته شبيه بما بغى له من الغوائل فى حياته [۹۳۵] هذا كتاب الله حكماً عدلاً، وناطقاً فصلاً، يقول: «يرثنى ويرث من آل يعقوب»، «وورث سليمان داود» فبيّن عزّ وجلّ فيما وزّع عليه من الأقساط، وشرّع من الفرايض والميراث، وأباح من حظّ الذّكران والإناث ما أزاح علّة المبطلين [۹۳۶] ، وأزال التّظنّى والشبهات فى الغابرين [۹۳۷] ، كلا ـ «بل سوّلت لكم أنفسكم [۹۳۸] أمراً فصبر جميل [۹۳۹] والله المستعان على [صفحه ۴۹۵] ما تصفون» [۹۴۰] . فقال أبو بكر صدق الله ورسوله، وصدقت ابنته؛ انت معدن الحكمة، وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين وعين الحجّة، لا أبعد صوابك، ولا أنكر خطابك [۹۴۱] هؤلاء المسلمون بينى وبينك، قلّدونى ما تقلّدت، وباتّفاق منهم أخذت [۹۴۲] غير مكابر ولا مستبد ولا مستأثر [۹۴۳] ، وهم بذلك شهود. فالتفتت فاطمة عليها السلام وقالت: معاشر الناس المسرعة إلى قيل الباطل [۹۴۴] ، المغضية [۹۴۵] على الفعل القبيح الخاسر «أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها [۹۴۶] » [۹۴۷] كلا بل ران على قلوبكم [۹۴۸] ما أسأتم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبئس ما تأوّلتم [۹۴۹] ، وساء ما به أشرتم [۹۵۰] ، وشرّ ما عنه اعتضتم [۹۵۱] ، لتجدنّ ـ والله ـ محمله ثقيلاً ـ [۹۵۲] ، وغبّه وبيلاً ـ [۹۵۳] إذا كشف لكم الغطاء، وبان ما وراءه [صفحه ۴۹۶] الضراء [۹۵۴] «بدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون [۹۵۵] » [۹۵۶] و «خسر هنالك المبطلون [۹۵۷] » [۹۵۸] . ثم عطفت على قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقالت: [۹۵۹] . قد كان بعدك أنباء وهنبثة لو كنت شاهدها لم تكبر الخطب إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها واختلّ قومك فاشهدهم وقد نكبوا [۹۶۰] . وكل أهل له قربى ومنزلة عند الإله على الأدنين مقترب [۹۶۱]

. [صفحه ۴۹۷] أبدت رجال لنا نجوى صدورهم لمّا مضيت وحالت دونك التّرب [۹۶۲] . تجهّمتنا رجال واستخفّ بنا لمّا فقدت وكل الأرض مغتصب [۹۶۳] . وكنت بدراً وقوراً يستضاء به عليك تنزل من ذى العزة الكتب وكان جبريل بالآيات يونسنا فقد فقدت فكل الخير محتجب [۹۶۴] . فليت قبلك كان الموت صادفنا لمّا مضيت وحالت دونك الكتب [۹۶۵] . إنّا رزئنا بما لم يرز ذو شجن من البريّة لا عجم ولا عرب [۹۶۶] . ثم انكفأت عليها السلام وأمير المؤمنين عليه السلام يتوقع رجوعها إليه، ويتطلع طلوعها عليه [۹۶۷] فلما استقرت بها الدار [۹۶۸] قالت لأمير المؤمنين عليه السلام: يابن أبى طالب! اشتملت شملة الجنين [۹۶۹] . [صفحه ۴۹۸] وقعدت حجرة الظنين [۹۷۰] نقضت قادمة الأجدل [۹۷۱] ، فخانك ريش الاعزل [۹۷۲] ؛ هذا ابن أبى قحافة [۹۷۳] يبتزنى نحيلة أبى وبلغة ابنى [۹۷۴] ، لقد أجهر فى خصامى [۹۷۵] ، وألفيته ألدّ فى كلامى [۹۷۶] ، حتى حبستنى قيلة نصرها، والمهاجرة وصلها [۹۷۷] ، وغضّت الجماعة [صفحه ۴۹۹] دونى طرفها [۹۷۸] ؛ فلا دافع ولا مانع، خرجت كاظمةً، وعدت راغمةً [۹۷۹] ، أضرعت خدّك [۹۸۰] يوم أضعف حدّك [۹۸۱] ، افترست الذئاب، افترشت التراب [۹۸۲] ، ما كففت قائلاً ولا أغنيت باطلًا [۹۸۳] ، ولا خيار لى. ليتنى مت قبل هنيتى [۹۸۴] ودون زلّتى [۹۸۵] عذيرى الله منك عادياً ومنك حامياً [۹۸۶] . [صفحه ۵۰۰] ويلاى فى كل شارقٍ [۹۸۷] ، مات العمد [۹۸۸] ، ووهت العضد. شكواى إلى أبى، وعدو أى إلى ربّى [۹۸۹] . اللهم أنت أشدّ قوة وحولاً [۹۹۰] ، وأحدّ بأساً وتنكيلًا [۹۹۱] . فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا ويل عليك، الويل لشانئك [۹۹۲] ، نهنهى عن وجدك يا ابنة الصّفوة [۹۹۳] وبقيّة النبوة، فما ونيت عن دينى، ولا أخطأت مقدورى [۹۹۴] ، فإن كنت تريدين البلغة فرزقك مضمون، كفيلك مأمون، وما أعد لك أفضل مما قطع عنك [۹۹۵] . [صفحه ۵۰۱] فاحتسبى الله [۹۹۶] ؛ فقالت: حسبى الله؛ وأمسكت [۹۹۷] .

كلامها مع نساء المهاجرين والأنصار عند ما يعدنها

روى العلامة المجلسى رحمه الله عن الشيخ الثقة الصدوق رحمه الله: حدّثنا أحمد بن الحسن القطّان، قال: حدثنا عبد الرحمان بن محمد الحسينى، قال: حدثنا أبو الطيب محمد بن الحسين بن حميد اللخمى، قال: حدثنا أبو عبدالله محمد بن زكرياً، قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمان المهلّبى، قال: حدثنا عبدالله بن محمد بن سليمان، عن أبيه، عن عبدالله بن الحسن، عن امه فاطمة بنت الحسين عليه السلام قالت: لما اشتدت علة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغلبها، اجتمع عندها نساء المهاجرين والأنصار، فقلت لها، يا بنت رسول الله: كيف أصبحت عن علّتك؟ فقالت عليها السلام: أصبحت والله عائفة لدنياكم [۹۹۸] ، قالية رجالكم [۹۹۹] ، لفظتهم قبل أن عجمتهم [۱۰۰۰] ، وشنئتهم بعد أن سبرتهم [۱۰۰۱] ، فقبحاً [صفحه ۵۰۲] لفلول الحد [۱۰۰۲] ، وخور القناة [۱۰۰۳] ، وخطل الرأى [۱۰۰۴] ، «بئس قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون» [۱۰۰۵] لا جرم لقد قلدتهم ربقتها، وشننت عليهم غارها [۱۰۰۶] ، فجدعاً وعقراً وسحقاً للقوم الظالمين [۱۰۰۷] . ويحهم أنّى زحزحوها عن رواسى الرسالة [۱۰۰۸] ، وقواعد النبوة، ومهبط الوحى الأمين، والطبين بأمر الدنيا والدين [۱۰۰۹] ، ألا ذلك هو الخسران المبين، وما نقموا من أبى الحسن [۱۰۱۰] ، نقموا والله منه نكير سيفه [۱۰۱۱] ، وشدّة وطئه [۱۰۱۲] ، ونكال وقعته [۱۰۱۳] ، وتنمّره فى ذات الله عزّ وجلّ [۱۰۱۴] . [صفحه ۵۰۳] والله لو تكافوا عن زمام نبذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليه لا عتلقه [۱۰۱۵] ، ولسار بهم سيراً سجحاً [۱۰۱۶] ، لا يكلم خشاشه [۱۰۱۷] ، ولا يتعتع راكبه [۱۰۱۸] ، ولأوزدهم منهلاً نميراً فضفاضاً [۱۰۱۹] تطفح ضفّتاه [۱۰۲۰] ولأصدرهم بطاناً [۱۰۲۱] ، قد تحيرّ بهم الرىّ [۱۰۲۲] غير متحل منه بطائل إلا بغمر الماء [۱۰۲۳] وردعة شررة الساغب [۱۰۲۴] ، ولفتحت عليهم بركات من [صفحه ۵۰۴] السماء والأرض، وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون. ألا هلمّ فاسمع وما عشت أراك الدهر العجب [۱۰۲۵] ، وإن تعجب فقد أعجبك الحادث! إلى أىّ سناد استندوا، وبأىّ عروة تمسّكوا، استبدلوا الذّنابى والله بالقوادم [۱۰۲۶] ، والعجز بالكاهل [۱۰۲۷] ، فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ألا إنّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون [۱۰۲۸] ، (أفمن يهدى إلى

الحقّ أحق أن يتبع أمّن لا يهدّى إلاّ أن يهدى فما لكم كيف تحكمون) [۱۰۲۹] أما لعمر إلهك [۱۰۳۰] لقد لقحت [۱۰۳۱] فنظرة ريث ما [صفحه ۵۰۵] تنتج [۱۰۳۲] ثم احتلبوا طلاع القعب دماً عبيطاً [۱۰۳۳] ، وذعافاً ممقراً [۱۰۳۴] ، هناك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غب ما سنّ الأولون [۱۰۳۵] ، ثم طيبوا عن أنفسكم نفساً [۱۰۳۶] وطأمنوا للفتنة جأشاً [۱۰۳۷] ، وأبشروا بسيف صارم [۱۰۳۸] ، وهرج شامل [۱۰۳۹] ، واستبداد من الظالمين [۱۰۴۰] ، يدع فيئكم زهيداً [۱۰۴۱] ، وزرعكم حصيداً [۱۰۴۲] فياحسرتى لكم وأنّى بكم [۱۰۴۳] ، وقد عمّيت [قلوبكم] عليكم أنلزمكموها [۱۰۴۴] وأنتم لها كارهون [۱۰۴۵] . [صفحه ۵۰۶] إن هذه الخطبة الفاطمية والدرة البيضاء لفى غاية الفصاحة ونهاية البلاغة من ناحية عذوبة ألفاظها وجميل محتواها وعظيم مضمونها الذى لابد للموالى والمخالف من الوقوف على مضمونها وطبيعة أهدافها التى أنشدتها الصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام والتى لم تخرج فيها عن حد الشرع المقدس بل سارت مع كل ما دعى إليه الرسول وأهل بيته الأطهار، ففيها من الجلالة والنور بحيث لا بد من الإستضاءة من نورها الذى لو عرض على الظلمات لأضاءت منه، ولو خوطب بها الجبال الشامخات لرأيتها خاشعة من بهاءها وجلالها، وان كانت لم تترك الأثر الواضح على القلوب القاسية التى لم تمل إلى هداية بل كانت كالحجارة بل أن الحجارة لما يتفجر منها الماء الذى فيه حياة القلوب والنفوس، فكانت سلام الله عليها فى هذه الخطبة مظهرة لنور ثمار النبوة وعبق أرج الرسالة فهى عصن الدوحة المحمدية وحليلة العصمة العلوية ومجمع الأنوار الولائية فهى كلمة الله التامة وأم أبيها التى يفرغ لسانها عنه صلى الله عليه وآله وسلم، وهى الصديقة الكبرى التى فطمت الخلق عن م معرفتها فضلاً عن معرفة أنوارها وكلامها الذى لا بد من الوقوف معه وتجلية أنواره، ومعرفة أركانه وأهدافه فلذا لا بد من التعرض لأهداف هذه الخطبة لكى يتضح لنا برهانها الظاهر، وكلامها المؤثر الذى ينبع م مشكاة النبوة المحمدية وظهر على لسان الأسرار الفاطمية. [صفحه ۵۰۷]

اهداف خطبة الزهراء

هناك مجموعة أهداف لتصلّب الزهراء فى مواقفها: أوّلاً ـ أرادت الزهراء استرجاع حقها المغصوب، وهذا أمر طبيعى لكل إنسان غصب حقّه أن يطالب به بالطرق المشروعة. ثانياً ـ كان الحزب الحاكم قد استولى على جميع الحقوق السياسية والإقتصادية لبنى هاشم، وألغى جميع امتيازاتهم المادية والمعنوية، فهذا عمر بن الخطاب يقول لابن عباس: أتدرى ما منع قومكم (أى قريش) منكم بعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟ كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحاً، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفّقت [۱۰۴۶] ، هذا بالنسبة للخلافة، وبالنسبة للأموال فقد منعوا بنى هاشم فدك والميراث والخمس ـ أى سهم ذوى القربى ـ واعتبروهم كسائر الناس. وكان بنو هاشم وفى مقدّمتهم على عليه السلام لا يقدرون على المطالبة بحقوقهم المغصوبة بأنفسهم، فجعلت الزهراء من نفسها مطالبة بحق بنى هاشم وحقها، ومدافعة عنهم اعتماداً على فضلها وشرفها وقربها من رسول الله، واستناداً إلى أنوثتها حيث النساء أقدر من الرجال فى بعض المواقف. ومعلوم أن الزهراء إذا استردّت حقوقها استردّت حينئذ حقوق بنى هاشم معها. ثالثاً ـ استهدفت الزهراء من مطالبتها الحثيثة بفدك فسح المجل أمامها للمطالبة بحق زوجها المغلوب على أمره، والواقع أنّ فدك صارت تتمشّى مع الخلافة جنباً إلى جنب، كما صار لها عنوان كبير وسعة فى المعنى، فلم تبق فدك قرية زراعية محدودة بحدودها فى عصر الرسول، بل صار معانها الخلافة والرقعة الإسلامية بكاملها. ومما يدل على هذا تحديد الأئمة لفدك، فقد حدها على عليه السلام فى زمانه بقوله: حدّ منها جبل أحد، وحدّ منها عريش مصر، وحدّ منها سيف البحر، وحدّ منها دومة الجندل [۱۰۴۷] وهذه الحدود التقريبية للعالم الإسلامى آنذاك. [صفحه ۵۰۸] أما الإمام الكاظم عليه السلام فقد حدها للرشيد بعد أن ألحّ عليه الرشيد أن يأخذ فدكاً، فقال له الإمام: ما آخذها إلا بحدودها، قال الرشيد: وما حدودها؟ قال: الحدّ الأول عدن، والحدّ الثانى سمرقند، والحدّ الثالث أفريقيّة، والحدّ الرابع سيف البحر مما يلى الخزر وأرمينية، فقال له الرشيد: فلم يبق لنا شىء فتحوّل فى مجلسى [۱۰۴۸] ، أى أنّك طالبت بالرقعة الإسلامية فى العصر العباسى بكاملها. فقال الإمام: قد أعلمتك أنى إن حدّدتها لم تردّها. ففدك تعبير ثانٍ عن الخلافة

الإسلامية، والزهراء جعلت فدكاً مقدمة للوصول إلى الخلافة، فأرادت استرداد الخلافة عن طريق استرداد فدك. ومما يدل على هذا تصريحات الزهراء في خطبتها بحق علي وكفاءته وجهاده، فهي القائلة في خطبتها الكبيرة التي ألقتها في مسجد رسول الله: «فأنقذكم الله بأبي محمد بعد بعد اللّتيا والّتي، وبعد أن مني يبهم الرجال وذؤبان العرب ومرده أهل الكتاب، كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله أو نجم قرن للشيطان، أو فغرت فاغرة من المشركين، قذف أخاه (أي عليّا) في لهواتها، فلا ينكفي حتى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيد أولياء الله، مشمّراً ناصحاً، مجدّاً كادحاً، وأنتم في رفاهيةٍ من العيش وادعون فاكهون آمنون، تتربّصون بنا الدوائر وتركّفون الأخبار، وتنكصون عن النزال، وتفرّون من القتال». وتقول أيضاً: «ألا وقد أرى والله أن قد أخلدتم إلى الخفض، وبعدتم من هو أحقّ بالبسط والقبض». وهو أمير المؤمنين. وكان لإشادة الزهراء بفضل علي عليه السلام في خطبتها أثر بالغ في نفوس الأنصار حتى هتف قسم منهم باسمه، فاستشعر أبوبكر الخطر من هذه البادرة، وشقّ عليه مقالتها، فصعد المنبر وقال: «أيها الناس ما هذه الرعة إلى كلّ قالة، أين كانت هذه الأماني في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ ألا من سمع فليقل، ومن شهد فيلتكلّم، إنّما هو ثعالة: [صفحه ۵۰۹] شهيده ذنبه، مربّ لكلّ فتنة. هو الذي يقول كرّوها جذعة بعد ما هرمت، يستعينون بالضعفة، ويستنصرون بالنساء كأمّ طحال أحبّ أهلها اليها البغي، ألا إنّي لو أشاء أن أقول لقلت، ولو قلت لحبت،إنّي ساكت ما تركت». ثم التفت إلى الأنصار فقال: «قد بلغني يا معشر الانصار مقالة سفهائكم، وأحقّ من لزم عهد رسول الله أنتم، فقد جاءكم فآويتم ونصرتم، ألا إنّي لست باسطاً يداً ولا لساناً على من لم يستحقّ ذلك منّا». ثم نزل [۱۰۴۹] . قال ابن ابى الحديد: قرأت هذا الكلام على النقيب أبي يحيى جعفر بن يحيى بن أبي زيد البصريّ وقلت له: بمن يعرّض؟ فقال: بل يصرّح، قلت: لو صرّح لم أسألك، فضحك وقال: بعليّ بن أبي طالب عليه السلام. قلت: هذا الكلام كلّه لعليّ يقوله؟ قال: نعم إنّه الملك يا بنّي، قلت: فما مقالة الأنصار؟ قال: هتفوا بذكر عليّ، فخاف من اضطراب الأمر عليهم ـ انتهى. لهذا قلت: إن الزهراء اتّخذت من فدك ذريعةً للوصول إلى استرداد خلافة علي عليه السلام، وإلاـ فما الذي حداها وهي تطالب بميراثها أن تشيّد بمواقف الإمام وأحقّيته بالخلافة حتى أثارث الأنصار، فهتفوا بذكر علي؟ وما الذي حدا أبابكر أن يذكر علياً بسوء في خطبته كقوله: إنّما هو ثعالة شهيده ذنبه، مربّ لكل فتنة. رابعاً: أرادت الزهراء عليها السلام بمنازعة أبي بكر إظهار حاله وحال أصحابه للناس، وكشفهم على حقيقتهم، ليهلك من هلك عن بيّنهة، ويحيى من حيّ عن بيّنة، وإلاّ فبضعة الرسول أجل قدراً وأعلى شأناً من أن تقلب الدنيا على أبي بكر حرصاً على الدنيا، ولا سيّما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبرها بقرب موتها وسرعة لحاقها به، ولذا لم ينهها عليّ عليه السلام عن منازعة أبي بكر في فدك وهو القائل: «وما أصنع بفدك وغير فدك، [صفحه ۵۱۰] والنفس مكانها في غد جدث» [۱۰۵۰] ، ولم تكن الزهراء أقلّ من علي تقىً وزهداً في الدنيا. ثم إنّ عليّاً عليه السلام كان بإمكانه أن يعوّض الزهراء عن ما غصب منها بما يملكه من الأموال، ويمنعها من الهوان، فإنّ ممّا يملك إرثي البغيبغة وأبي نيزر، وهما أكثر قيمة من فدك، وقد جعلهما عليه السلام قبل وفاته وقفاً على الفقراء، وكنا واردهما السنويّ ۴۷۰ ألف درهم. وأيضاً هذا هو السبب في حمل عليّ الزهراء على بغلة، والمرور بها على دور المهاجرين والانصار، ومطابتهم بنصرتها مع علمها بخذلانهم، كلّ ذلك لاطلاع الناس أبد الدهر على حقيقة الأمر، وإظهار حال الغاصبين وحال أصحابهم... قال ابن أبي الحديد: قلت لمتكلّم من متكلّمي الإماميّة يعرف بعليّ ابن تقى من بلدة النيل: وهل كان فدك إلاـ نخلًا يسيراً وعقاراً ليس بذلك الخطير؟ فقال لي: ليس الأمر كذلك، بل كانت جليلةً جدّاً، وكان فيها من النخل نحو ما بالكوفة الآن. (أي في القرن السادس الهجري)، وما قصد أبوبكر وعمر بمنع فاطمة عنها إلا ألاّ يتقوّى بحاصلها وغلّتها على المنازعة في الخلافة، ولهذا أتبعا ذلك بمنع فاطمة وعلي وسائر بني هاشم وبني المطّلب حقّهم في الخمس، فإنّ الفقير الذي لا مال له تضعف همّته، ويتصاغر عند نفسه، ويكون مشغولاً بالاحتراف والاكتساب عن طلب الملك والرئاسة [۱۰۵۱] . وقال الإمام الصادق عليه السلام للمفضّل بن عمر: «لمّا بويع أبو بكر أشار عليه عمر أن يمنع علياً وأهل بيته الخمس والفي وفدكاً، فإنّ شيعته إذا عملوا ذلك تركوه، وأقبلوا إليك رغبة في الدنيا، فصرفهم أبو بكر عن جميع ما هو لهم». وثمّة سبب أخر وهو إرادة التظاهر بالقوّة أمام أهل البيت، وسدّ

الطريق أمامهم، وقطع أىّ أملٍ فى نفوسهم للوصول إلى غايتهم [۱۰۵۲] . قال العلامة المجلسى رحمه الله: إنّ طلب الحقّ والمبالغة فيه وإن لم يكن منافياً للعصمة لكنّ زهدها صلوات الله عليها وتركها للدنيا، وعدم اعتدادها بنعيمها ولذّتها، وكمال عرفانا [صفحه ۵۱۱] ويقينها بفناء الدنيا، وتوجّه نفسها القدسيّة وانصراف همّتها العالية دائماً إلى اللذات المعنويّة والدرجات الاخروية، لا تناسب مثل هذا الاهتمام فى أمر فدك، والخروج إلى مجمع الناس، والمنازعة مع المنافقين فى تحصيله. والجواب عنه من وجهين، الأوّل: أن ذلك لم يك حقّاً مخصوصاً لها، بل كان أولادها البررة الكرام مشاركين لها فيه، فلم يكن يجوز لها المداهنة والمساهلة والمحاباة وعدم المبالاة فى ذلك ليصير سبباً لتضييع حقوق جماعة من الأئمة الأعلام والأشراف الكرام. نعم لم كان مختصاً بها كان تركه والزهد فيه وعدم التأثر من فوته. والثانى: إنّ تلك الامور لم تكن لمحبّة فدك وحبّ الدنيا، بل كان الغرض إظهار ظلمهم وجورهم وكفرهم ونفاقهم، وهذا كان من أهمّ امور الدين وأعظم الحقوق على المسلمين، ويؤيّده أنّها صلوات الله عليها صرّحت فى آخر الكلام حيث قال: «قلت ما قلت على معرفةٍ منّى بالخذلة...»، وكفى بهذه الخطبة بيّنة على كفرهم ونفاقهم... [۱۰۵۳] . قال المحقق الفاضل الألمعى عبدالزهراء عثمان محمد: ربما يعترض البعض على موقف فاطمة فيقول: لماذا إذن تقف فاطمة هذا الموقف الصلب فى مطالبتها بفدك، فلو لم يكن هناك هدف آخر تبتغيه من ورائه، لما طالبت هذه المطالبة الحقيقيّة به. ولأجل أن نبرز الحقائق التى دفعت الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام للمطالبة بفدك نضع أمامنا النقاط الآتية: ۱ ـ إنّها عليها السلام رأت أنّ تأميم فدك قد هيّأ لها فرصة ذهبيّةً فى الإدلاء برأيها حول الحكومة القائمة، وكان لا بدّ لها أن تدلى بتصريحاتها أمام الجماهير، وقد هيّأت لها قضيّة فدك هذه الملابسات المناسبة، فحضرت دار الحكومة فى المسجد النبوى صلى الله عليه وآله وسلم، وألقت بتصريحاتها التى لا تنطوى على أىّ لبس أو غموض. ۲ ـ تبيان أحقيّة علىّ فى قيادة الامة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وقد تجلّى ذلك فى خطبتها التى ألقتها فى مسجد [صفحه ۵۱۲] أبيها صلى الله عليه وآله وسلم على مسمع ومرأى من المسلمين، وبضمنهم الحكومة الجديدة، فكان من بعض أقوالها: «أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبى وابن عمى؟» وقولها: «وأبعدتم من هو أحقّ بالبسط والقبض». حيث أو ضحت أنّ عليّاً عليه السلام أعلم الناس بعد محمّد صلى الله عليه وآله وسلم بمعرفة الرسالة وأحكامها وقوانينها، وهو ذلك أحقّ برعاية شئون الامّة التى صنعها الوحى المقدّس. ۳ ـ كشف ألاعيب الحكومة الجديدة على الشرع المقدّس، واجتهاداتهم التى لا علاقة لها بأهداف الرسالة... وهذه النقاط الثلاث هى التى استهدفتها فاطمة عليها السلام فى مطالبتها الحثيثة بفدك، ليس غير، وليس لها وراء ذلك هدف مادىّ رخيص، كما يعتقد البعض من مورّخى حياتها، فهى ـ لعمر الحقّ ـ قد تصرّفت ما من شأنه أن يحفظ الرسالة من شبح الإنحراف الذى تنبأت بوقوعه بعد انتخاب الحكومة الجديدة، فاتّخذ من فدك خير فرصةٍ لخدمة المبدأ، وإلقاء الحجّة وإلقاء الحجّة على الامّة تأديةً للمسؤوليّة، ونصراً للرسالة، وحفظاً لبيضة الإسلام [۱۰۵۴] . قال المحقق المتتبع السيد كاظم القزوينى: من الممكن أن يقال: إنّ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام الزاهدة عن الدنيا وزخارفها، والتى كانت بمعزل عن الدنيا ومغريات الحياة، ما الذى دعاها إلى هذه النهضة وإلى هذا السعى المتواصل، والجهود المستمرّة فى طلب حقوقها؟ وما سبب هذا الإصرار والمتابعة بطلب فدك والاهتمام بتلك الأراضى والنخيل، مع ما كانت تتمتّع به السيّدة فاطمة من علوّ النفس وسموّ المقام؟ وما الداعى إلى طلب الدنيا التى كانت أزهد عندهم من عفطة عنز، وأحقر من عظم خنزير فى فم مجذوم، وأهون من جناح بعوضة؟ وما الدافع بسيّدة نساء العالمين أن تتكلّف هذا التكليف وتتجشّم هذه الصعوبات المجهدة للمطالبة بأراضيها، وهى تعلم أنّ مساعيها تبوء بالفشل، وأنّها لا تستطيع التغلّب على الموقف، ولا تتمكّن من انتزاع تلك الأراضى من المغتصبين؟ هذه تصوّرات يمكن أن تتبادر إلى الأذهان حول الموضوع. [صفحه ۵۱۳] أوّلاً: إنّ السلطة حينما صادرت أموال السيدة فاطمة الزهراء، وجعلتها فى ميزانيّة الدولة (بالاصطلاح الحديث) كان هدفهم تضعيف جانب أهل البيت، أرادوا أن يحاربوا عليّاً محاربة اقتصاديّة، أرادوا أن يكون على فقيراً حتّى لا يلتفّ الناس حوله، ولا يكون له شأن على الصعيد الاقتصادى [۱۰۵۵] . وهذه سياسة أراد المنافقون تنفيذها فى حقّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين قالوا: «لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضّوا» [۱۰۵۶] . ثانياً: لم تكن أراضى فدك قليلة الإنتاج، ضئيلة

الغلات، بل كان لها وارد كثير يعبأ به، بل ذكر ابن أبى الحديد أن نخيلها كانت تمثل نخيل الكوفة فى زمان ابن أبى الحديد؛ وذكر الشيخ المجلسى عن «كشف المحجّة» أنّ وارد فدك كان أربعة وعشرين ألف دينار فى كلّ سنة؛ وفى رواية اخرى: سبعين ألف دينار، ولعلّ هذا الاختلاف فى واردها بسبب اختلاف السنين. وعلى كلّ تقدير فهذه ثروة طائلة واسعة لا يصحّ التغاضى عنها. ثالثاً: إنّها كانت تطالب من وراء المطالبة بفدك الخلافة والسلطة لزوجها علىّ بن أبى طالب، تلك السلطة العامّة والولاية الكبرى التى كانت لأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ فقد ذكر ابن أبى الحديد فى شرحه، قال: سألت عليم بن الفارقى مدّرس مدرسة الغربيّة ببغداد، فقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟ قال: نعم قلت: فلم لم يدفع إليها أبوبكر فدك وهى عنده صادقة؟ فتبسّم، ثمّ قال كلاماً لطيفاً مستحسناً مع ناموسه وحرمته وقلّة دعابته، قال: لو أعطاها اليوم فدك بمجرّد دعواها، لجاءت إليه غداً وادّعت لزوجها الخلافة، وزحزحته عن مقامه؛ ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة بشىء، لأنّه يكون قد أسجل على نفسه بأنّها صادقة فيما تدّعى كائناً ما كان من غير حاجة إلى بيّنة ولا [صفحه ۵۱۴] شهود. وهذا كلام صحيح وإن كان أخرجه الدعابة والهزل [۱۰۵۷] . ... لهذه الأسباب قامت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وتوجّهت نحو مسجد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأجل المطالبة بحقّها، إنّها لم تذهب إلى دار أبى بكر ليقع الحوار بينها وبينه فقط، بل اختارت المكان الأنسب وهو المركز الإسلامى يومذاك، ومجمع المسلمين حينذاك، وهو مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما وأنّها اختارت الزمان المناسب أيضاً ليكون المسجد غاصّاً بالناس على اختلاف طبقاتهم من المهاجرين والأنصار؛ ولم تخرج وحدها إلى المسجد بل خرجت فى جماعة من النساء، وكأنّها فى مسيرة نسائية، وقبل ذلك تقرر اختيار موضع من المسجد الجلوس بضعة رسول الله وحبيبته، وعلّقوا ستراً لتجلس السيدة فاطمة خلف الستر، إذ هى فخر المخدّرات، وسيدة المحجّبات. كانت هذه النقاط مهمّة جدّاً واستعدّ أبوبكر لاستماع احتجاج سيدة نساء العالمين، وابنة أفصح من نطق بالضاد، وأعلم امرأة فى العالم كلّه. خطبت السيدة فاطمة الزهراء خطبة ارتجاليّة منظّمة منسّقة بعيدة عن الاضطراب فى الكلام، و منزّهة عن المغالطة والمراوغة والتهريج والتشنيع، بل وعن كلّ ما لا يلائم عظمتها وشخصيّتها الفذّة، ومكانتها السامية، وتعتبر هذه الخطبة معجزة خالدة للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وآية باهرة تدلّ على جانب عظيم من الثقافة الدينيّة التى كانت تتمتّع بها الصدّيقة فاطمة الزهراء. وأمّا الفصاحة والبلاغة، وحلاوة البيان، وعذوبة المنطق، وقوة الحجة، ومتانة الدليل، وتنسيق الكلام، وإيراد أنواع الإستعارة بالكناية، وعلوّ المستوى، والتركيز على الهدف، وتنوّع البحث... [۱۰۵۸] . [صفحه ۵۱۷]

فاطمة و علاقتها بالحسين

اشاره

الشيخ محمد على اليعقوبى أى برق حزوى فاستهلت دموعه وهاج بمن يهواه فيها ولوعه خليلّى مالى كلّما صنت فى الحشا هوايّ بدا دمع الشؤون يذيعه أحنّ لعهدٍ قد خلا بعدما حلى هيهات يرجى عوده ورجوعه ليّ الله كم نهنهت قلبّى عن هوى تحمّل منه فوق ما يستطيعه وكفكفت من طرفى الدموع فلم تكن لغير بنى الزهراء تهمى دموعه وخطب جرى بالطف لم ينس وقعه ولم تلتئم طول الزمان صدوعه عشية أمسى منزل البغّى اهلاً ومنزل وحّى الله أقوت ربوعه لقد كان من يوم السقيفة أصله وكلّ الرزايا الحادثات فروعه فما عذرهم عند النبّى ولم يزل يرى كلّ آن منهم مايروعه أفى غصبهم حقّ الوصىّ وظلمهم لبضعته الزهراء يجزى صنيعه لو أنّ رسول الله ينظر فاطماً تنوح ولم تهجع لعزّ هجوعه فلولا جنين أسقطوه لما هوى صريعاً على صدر الحسين رضيعه ومن رضّهم ضلع البتولة قد غدت ترض بجرى الصافنات ضلوعه [صفحه ۵۱۹] فاطمة وعلاقتها بالحسين للصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام عدة أولاد منهم الحسن والحسين عليهم السلام، علما ان علاقتها كانت بهذين الولدين تفوق علاقة أكثر الامهات فى تاريخ البشرية وذلك نابع من كونهم

ذريـة رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم اضافـة إلى كونهم النسل الطاهر لها، وبمقتضـى علاقـة الام بأبنائها ولقـد حدثنا التاريخ عن نشوء هذه العلاقة بين الام من جهة وبين ابنائها ومن خلال الاحاديث المروية عن أهل البيت عليهم السلام من جهة اخرى، والذى نريد التركيز عليه هنا فى هـذا الموضوع الختامى لكتابنا هـذا هو علاقـة الصديقـة الطاهرة فاطمة عليها السـلام بولدها الحسـين عليها السـلام ريحانـة رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم، الذى كان يلقمه حباً وحجراً دافأ خلال حياته الشـريفة، كيف لا وكان الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم ينظر إلى الحسـين بأنه حامل فكره على مدى الزمن حياةً وشـهادةً لكى يضىء من خلال ذلك للناس حياتهم الفكرية والاجتماعية والسياسـية عبر مرّ العصور، وعلى أى حال فان رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم استمد من وراء الغيب علمه بأن بضعته الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السـلام سوف يتفرع منها الغصن والثمرة الطيبة لأئمة أهل البيت عليهم السـلام والذين يعملون اعباء الإمامة ويدعون الناس عبر مرّ الالسـنين والاعوام إلى طريق الهداية والتقوى والصـلاح فى الدين والدنيا والاخرة لذا كان الرسول يولى اهتماماً بالغاً ببضـعته الطاهرة عليها السلام وبولديها الحسن والحسين عليهم السلام، وفى الموضوع وعلى هذا الاساس سوف نولى اهتماما بارزاً من خلال النصوص بحياة الصديقة الشـهيدة وعلاقتها انذاك بولدها الحسـين عليه السـلام مستمدين ذلك من آثار الرسول وأهل بيته وكلمـاتهم النورانيـة التى نشـروها خلال سـيرة حيـاتهم الشـريفة والتى كلها دروس وعبر للمؤمنين على مر العصور والازمان، [صـفحه ۵۲۰]

الولادة الميمونة

مضت عدة ايام على ولادة الإمام الحسن عليه السلام وامتلأ البيت النبوى سروراً وفرحاً ولم تمض الايام القليلة حددها المؤرخين باثنين وخمسين يومـاً حتى علقت سيدة النساء بحمل جديـد ظل يتطلع إليه الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم وسائر المسـلمين بفارغ الصبر وكلهم رجاء وأمل فى أن يشـفع الله ذلك الكوكب بكوكب آخر ليضىء فى سماء الأمة الاسلامية ويكون امتداداً لحياة المنقذ العظيم [۱۰۵۹] ورأت السيدة ام الفضل بنت الحارث [۱۰۶۰] فى منامها رؤية غريبة لم تهتد إلى تأويلها، فهرعت إلى رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم قائلة له: «إنى رأيت حلماً منكراً كأن قطعة من جسدك قطعت ووضـعت فى حجرى؟...» فأزاح النبى مخاوفها وبشرها بخير قائلًا: «خيراً رأيت، تلد فاطمة ان شاء الله غلاماً فيكون فى حجرك...» ومضت الايام سـريعاً فوضـعت سيدة النساء فاطمة ولدها الحسين فكان فى حجر أم الفضل كما أخبرها النبى صلى الله عليه وآله وسلم [۱۰۶۱] .

اخبار فاطمة بقتل الحسين

عن ابى عبدالله عليه السلام: ان جبرئيل عليه السلام نزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا محمد إن الله يقرأ عليك السلام، ويبشـرك بمولود يولد من فاطمة عليها السلام تقتله أمتك من بعدك. فقال: يا جبرئيل، وعلى ربى السلام، لاحاجة لى فى مولود تقتله امتى من بعـدى، قال: فعرج جبرئيل إلى السـماء، ثم هبط فقال له مثل ذلك. فقال: يا جبرئيل وعلى ربى السـلام، لاحاجة لى فى مولود تقتله أمتى من بعـدى، فعرج جبرئيـل إلى السـماء، ثم هبط فقال له: يا محمـد إن ربك يقرؤك السـلام، ويبشـرك انه جاعل فى ذريته الإمامة والولاية والوصـية، فقال: قد رضـيت، ثم أرسل إلى [صفحه ۵۲۱] فاطمة عليها السـلام أن الله «تبارك وتعالى» يبشرك بمولود يولـد منك تقتله أمتى من بعـدى، فأرسك إليه: أن لاحاجة لى فى مولود يولد منى تقتله أمتك، من بعدك. فأرسل اليها ان الله جاعل فى ذريته الإمامة والولاية والوصـية فأرسـلت: أنى قد رضيت، «حملته أمه كرها ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشـده وبلغ أربعين سـنة قـال رب أوزعنى أن اشـكر نعمتـك التى أنعمت على وعلى والـدى وان أعمل صالحاً ترضـيه وأصـلح لى فى ذريتى إنى تبت اليك وانى من المسـلمين» [۱۰۶۲] . وايضا عن ابى عبدالله عليه السـلام قال: كان الحسـين مع أمه صـلى الله عليه وآله وسلم تحمله، فأخذه النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وقال: لعن الله قاتلك، ولعن الله سالبك واهلك الله المتوازرين عليك، وحكم الله

بينى وبين من اعان عليك. قالت فاطمة الزهراء عليها السلام: يا أبة، أىّ شىء تقول؟ قال: يا بنتاه، ذكرت ما يصيبه بعدى وبعدك من الاذى والظلم والغدر والبغى وهو يومئذ فى عصبة، كأنهم نجوم السماء يتهاوون إلى القتل، وكأنى أنظر بالى معسكرهم وإلى موضع رحالهم، وتربتهم، قالت يا أبة، وأبة، واين الوضع الذى تصف؟ قال الموضع يقال له: «كربلاء» وهى دار كرب وبلاء علينا وعلى الأمة. يخرج عليهم شرار امتى، ولو أن أحدهم شفع له من فى السماوات والأرضين ما شفعوا فيه وهم المخلدون فى النار. قال يا أبة، فيقتل؟ قال: نعم يا بنتاه، وما قتل قتلته أحد كان قبله، وتبكيه السماوات والأرضين والملائكة والوحش والنباتات والبحار والجبال، ولو يؤذن لها ما بقى على الأرض منقذ، ويأتيه من محبينا ليس فى الأرض أعلم بالله ولا أقوم بحقنا منهم، وليس على ظهر الأرض أحد يلتفت إليه غيرهم، اولئك مصابيح فى ظلمات الجور، وهم الشفعاء وهم واردون حوضى غداً، أعرفهم ـ إذا وردوا على ـ بسيماهم. وكل أهل دين يطلبون ائمتهم وهم يطلبوننا ولاـ يطلبون غيرنا، وهم قوّام الأرض وبهم ينزل الغيث. [صفحه ۵۲۲] فقالت فاطمة الزهراء عليها السلام: يا أبة إنا لله، وبكت. فقال لها: يا بنتاه، إن أفضل أهل الجنان هم الشهداء فى الدنيا بذلوا أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً، فما عندالله خير من الدنيا وما فيها، قتلة أهون من ميتة ومن كتب عليه القتل خرج إلى مضجعه ومن لم يقتل سوف يموت. يا فاطمة محمد، أما تحبين أن تأمرين غداً بأمر، فتطاعين فى هذا الخلق عند الحساب؟ أما ترضين أن يكون ابنك من حملة العرش؟ أما ترضين أن يكون أبوك يأتونه يسألونه الشفاعة؟ أما ترضين أن يكون بعلك يذود الخلق يوم العطش عن الحوض، فيسقى منه أوليائه ويذود عنه أعدائه؟.. أما ترضين أن يكون بعلك مشيم النار بأمر النار، فتطيعه يخرج منها من يشاء، ويترك من يشاء. أما ترضين أن تنظرين إلى الملائكة على أرجاء السماء ينظرون إليك وما تأمرين به وينظرون إلى بعلك، قد حضر الخلائق وهو يخاصمهم عند الله، فما ترين الله صانع بقاتل ولدك وقاتلك وقاتل بعلك إذا أفلجت حجته على الخلائق وامرت النار أن تطيعه؟ اما ترضين ان تكون الملائكة تبكى لأبنك ويأسف عليه كل شىء؟ اما ترضين ان يكون من أتاه زائراً فى ضمان الله، ويكون من أتاه بمنزلة من حج إلى بيت الله واعتمر ولم يخل من الرحمة طرفة عين، وإذا مات مات شهيداً، وأن بقى لم تزل الحفظة تدعو له ما بقى ولم يزل فى حفظ الله وأمنه، حتى يفارق الدنيا. قال يا أبة، سلمت ورضيت وتوكلت على الله فمسح على قلبها ومسح على عينيها وقال: إنّى وبعلك وانت وابنيك فى مكان تقرّ عيناك ويفرح قلبك [۱۰۶۳] . [صفحه ۵۲۳]

اول مأتم للحسين

عندما بشر جبرئيل النبى صلى الله عليه وآله وسلم بولادة الحسين من ابنته الزهراء عليها السلام فرح فرحاً شديداً ولكن سرعان ما تبدد هذا الفرح وتحول إلى حزن وذلك عندما أخبر جبرئيل الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأن ولده هذا سوف يقتل من قبل امته فى أرض تسمى كربلاء فى العراق، ولكن الله سبحانه وتعالى على أثر شهادته وكرامةً له يجعل من صلبه تسعة من الأئمة الطاهرون المطهرون آخرهم قائمهم «عج» يملأ الله به الأرض عدلا وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ولذلك كان أول مأتم عزاء حقيقى فى تأريخ هذه الأمة عندما ولد الحسين عليه السلام حيث بكته أمه الزهراء وأباه أمير المؤمنين عليه السلام وكذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلى ذلك أشار التأريخ عبر رواياته وتاريخه الحافل، حيث يقول الشيخ التسترى فى كتابه الخصائص الحسينية «ان أول مأتم للحسين اقيم فى عهد هذه الأمة فى زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» فلو نظرنا إلى قوله هذا نجد هناك قرينة واضحة البيان وهى «فى عهد هذه الأمة» دالة على انه كانت هناك مآتم فى غير عهد هذه الأمة. اذن كانت هناك مآتم عزاء على الحسين عليه السلام من قبل الأنبياء والرسل الذين سبقوا خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولكن كيف اقاموا هؤلاء الأنبياء المآتم على الحسين، وكيف بكواعليه؟ هذا ما نجده واضحاً من خلال استقراء التاريخ حيث يخبرنا التاريخ أن ذلك كان ناتج من أخبار الله تعالى لهم بما يجرى على الحسين وان يجعلوه وسيلة لقربة وان يدعوا على قاتليه باللعنة وسوء العذاب وهذا ما تراه فى كتاب عوالم الإمام الحسين واضحاً وجلياً، اذن كان أول مأتم فى عهد امه الزهراء حيث بكت عليه وناحت لأجله لذا لابد لنا ان نقوى علاقتنا مع الحسين

لما له من تأثير كبير فی زيادهٔ علاقتنا بالصديقهٔ الطاهرهٔ فاطمهٔ عليها السلام. [صفحه ۵۲۴]

حب فاطمهٔ للحسين

روی أنه دخل الحسن والحسين عليهما السلام على النبی صلى الله عليه وآله وسلم يوماً فشم الحسن فی فمه الشريف وشم الحسين فی نحره فقام الحسين واقبل إلی أمه فقال لها: اماه شمی فمی هل تجدين فيه رائحهٔ يكرهها جدی رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فشمته فی فمه فإذا هو أطيب من المسك ثم جاءت به إلی ابيها فقالت له: ابه لم كسرت قلب ولدی الحسين فقال صلى الله عليه وآله وسلم مم؟ قالت: تشم اخاه فی فمه وتشمه فی نحره فلما سمع بكی وقال: بنيه اما ولدی الحسن فإنی شممته فی فمه لأنه يسقی السم فيموت مسموماً واما الحسين عليه السلام فإنی شممته فی نحره لأنه يذبح منالوريد إلی الوريد فلما سمعت فاطمهٔ بكت بكاء شديداً وقالت: أبه متی يكون ذلك؟ فقال: بنيهٔ فی زمان خال منی ومنك ومن أبيه وأخيه فأشتد بكاؤها ثم قالت: ابه فمن يبكی عليه ومن يلتزم بأقامهٔ العزاء عليه؟ فقال لها: بنيهٔ فاطمهٔ أن نساء أمتی يبكين عل نساء أهل بيتی ورجالهم يبكون علی ولدی الحسين وأهل بيته ويجددون عليه العزاء جيلاً بعد جيل فاذا كان يوم القيامهٔ انت تشفعين للنساء وانا اشفع للرجال وكل من يبكی علی ولدی الحسين أخذنا بيده وادخلناه الجنهٔ.

الحسين وحجر فاطمهٔ

وعنت سيدهٔ نساء عليها السلام بتربيهٔ وليدها الحسين فغمرته بالحنان والعطف لتكون له بذلك شخصيته الإستقلاليهٔ والشعور بذاتياته كما غذته بالآداب الإسلاميهٔ، وعودته علی الإستقامهٔ والإتجاه المطلق نحو الخير والصلاح، كيف لا، وهی ربيبهٔ الوحی وسليلهٔ التقوی فهی أم أبيها، وزوجهٔ أمير المؤمنين، كيف لا ـ ونحن نعلم ان الأم الطاهرهٔ هی المدرسهٔ الأولی للطفل فيها ينشأ وإليها يغدوا وعليها يربوا، وكما قيل: الأم مدرسهٔ إذا اعددتها اعددت شعباً طيب الأعراق الأم روض تعهده الحيا بالری أورق ايما ايراق الأم استاذ الأساتذهٔ الالی شغلت مآثرهم مدی الآفاق [صفحه ۵۲۵] هكذا هی الام فهی شمعهٔ مقدسهٔ تضیء ليل الحياهٔ بتواضع ليل الحياهٔ بتواضع ورقهٔ وفائدهٔ،فهی التی تصنع الحياهٔ وهی الكنز الحقيقی الذی لا اضمحلال له، وكما قيل: مدرستی الأولی علی صدر امی، وإنی مدين بكل ما وصلت إليه وما أرجوا أن أصل إليه من الرفعهٔ إلی أمی الملاك فالأم التی تهز السرير بيمينها تهز العالم بيسارها، وهكذا كانت الزهراء الام المثاليهٔ التی تربی فی حجرها الحسين عليه السلام وغذته بالاخلاق الحميدهٔ والخصال الرفيعهٔ وإلی ذلك يقول العلائلی فی كتابه الإمام الحسين ص ۲۸۹: «والذی انتهی إلينا من مجموعهٔ أخبار الحسين ان امه عنيت ببث المثل الإسلاميهٔ الإعتقاديهٔ لتشييع فی نفسه فكره الفضيلهٔ علی أتم معانيها، وأصح أوضاعها ولا بدع فأن النبی صلى الله عليه وآله وسلم أشرف علی توجيهه أيضاً فی هذا الدور الذی يشعر الطفل فيه بالإستقلال، فالسيدهٔ فاطمهٔ نمت فی نفسها فكرهٔ الخير، والحب المطلق والواجب ومددت فی جوانحه وخوالجه افكار الفضائل العليا بأن وجهت المبادیء الأدبيهٔ فی طبيعته الوليدهٔ، من أن تكون هی نقطهٔ دائرتها إلی الله الذی هو فكرهٔ يشترك فيها الجميع، وبذلك يكون الطفل قد رسم بنفسه دائرهٔ محدودهٔ قصيرهٔ حين أدار هذه المبادیء الأدبيهٔ علی شخص والدته وقصرها عليها وما تجاوز بها إلی سواها من الكوائن، ورسمت له والدته دائرهٔ غير متناهيهٔ حينجعلت فكرهٔ الله نقطهٔ الارتكاز، ثم أدارت المبادیء الأدبيهٔ والفضائل عليها فاتسعت نفسه لتشمل وتستغرق العالم بعواطفها المهذبهٔ، وتأخذه بالمثل الأعلی للخير والجمال...» لقد نشأ الحسين فی تلك الأسرهٔ الطبيعيهٔ الأعراف الطاهرهٔ من الأدناس وفی حجر سيدهٔ نساء العالمين من الأولين والآخرين، وقد صار بهذه التربيهٔ المثل الأعلی للأجيال حيث رسم الشهادهٔ فی جبين الإسلام كتضحيهٔ من أجل الأهداف التربويهٔ التی تغذاها من حجر امه ومن ضمير جده ورعايهٔ أبيه المرتضی، أجل إنّه الحسين الكبير ذلك الفذ من الأفذاذ الذی علموا البشريهٔ وعلموا الأجيال كل طرق الخير والصلاح لا خير فی أن يقول غاندی محرر الهند «تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوما فأنتصر». [صفحه

[۵۲۶

فاطمة یوم القیامة

للصدیقة فاطمة علیها السلام یوم القیامة مواقف عدیدة تقف فیها ضد قتلة الحسین وأنصارهم، فمنها عندما تأتی یوم القیامة وتقف فی عرصات المحشر، فیأتیه الخطاب من الباری عزوجل... یا فاطمی: سلی حاجتک، فتقول یا رب... یارب أرنی الحسین... فیأتیها الحسین علیه السلام وأوداجه تشخب دماً، وهو یقول: یا رب، خذ لی الیوم حقی ممن ظلمنی، عند ذلک تقف سلام الله علیها مؤقتا موقفا شریفا من مواقف یوم القیامة، ثم تنزل عن نجیبها فتأخذ قمیص الحسین علیه السلام بیدها ملطخا بدمه: لابد ان ترد القیامة فاطم وقمیصها بدم الحسین ملطخ ویل لمن شفعاؤه خصمائه والصور فی القیامة ینفخ وتقول یا رب، هذا قمیص ولدی، وقد علمت ماصنع به، یا عدل، احکم بینی وبین قاتل ولدی... أنت الجبار العدل اقضی بینی وبین من قتل ولدی... فیغضب عند ذلک الجلیل، وتغضب لغضبه جهنم والملائکة اجمعون... فیأتیها النداء من قبل الله عزوجل: یا فاطمة! لک عندی الرضا فتقول یا رب انتصر لی من قاتله، فیأمر الله تعالی عنقا من النار فتخرج من جهنم، فتلتقط من جهنم قتلة الحسین بن علی علیه السلام کما یلتقط الطیر الجید من الحب الردیء، ثم یعود العنق بهم إلی النار فیعذبون فیها بأنواع العذاب، ولها مواقف آخر مع انصار الحسین واصحابه وشیعته وفیمن بکی علیه فی الدنیا وأقام العزاء لمصابه الجلیل حیث ورد فی الأخبار الشریفة، انها تأتی یوم القیامة، فتقول ی رب حاجتی أن تغفر لی، ولمن نصر ولدی الحسین علیه السلام. اللهم اشفعنی فیمن بکی علی مصیبته... الهی أنت المنی وفوق المنی، أسألک أن لا تعذب محبی ومحب عترتی بالنار... إلهی وسیدی ذریتی من النار ووعدک الحق وأنت لا ـ تخلف المیعاد... فیأتیها الخطاب... یا فاطمة قد غفرت لشیعتک... وشیعة ولدک الحسین... یا فاطمة وعزتی وجلالی وارتفاع مکانی لقد آلیت علی نفسی من قبل أن اخلق السماوات والأرض بألفی عام أن لا أعذب محبیک ومحبی عترتک بالنار... فعند ذلک یود الخلائق أنهم کانوا فاطمیین، فتسیر فاطمة ومعها شیعتها، وشیعة ولدها [صفحه ۵۲۷] الحسین علیه السلام وشیعة آمیر المؤمنین علیه السلام آمنة روعاتهم، مستورة عوراتهم، قد ذهبت عنهم الشدائد، وسهلت لهم الموارد، یخاف الناس وهم لا یخافون، ویظمأ الناس وهم لا یظمأون... عند ذلک تصر فاطمة علیها السلام وتسیر إلی الجنة... فتکون أول من تکسی ویستقبلها من الفردوس، اثنتا عشر ألف حوراء لم یستقبل أحداً قبلها ولا أحد بعدها علی نجائب من یاقوتة اجنحتها وأزمتها اللؤلؤ علیها، حائل من درّ... فیجوزون بها الصراط حتی ینتهون بها إلی الفردوس... فیباشر بها أهل الجنان... فتجلسی علی کرسی من نور ویجلس حولها، ویبعث إلیها ملک لم یبعث إلی أحد بعد فتقول: قد أتم علی نعمته، وهنأنی کرامته، وأباحنی جنته، أسأله ولدی وذریتی ومن ودهم بعدی، وحفظهم من بعدی، فیوحی الله إلی الملک من غیر أن یزول من مکانه: أن سرّها وبشرها أنی قد شفعتها فی ولدها ومن ودّهم بعدها وحفظهم فیها... فتقول علیها السلام: الحمد لله الذی أذهب عنی الحزن وأقر عینی (والذین آمنوا واتبعتهم ذریتهم بأیمانهم ألحقنا بهم ذریتهم) [۱۰۶۴] . [صفحه ۵۲۸] یابن العسکری لا صبر یابن العسکری فشرعة الـ هادی النبی استنصرت أنصارها هدمت قواعدها وطاح منارها فأقم بسیفک ذی الفقار منارها فالام تغضی والطغاة تحکمت فی المسلمین وحکمت أشرارها مولای ماسن الضلال سوی الالی هجموا علی الطهر البتولة دارها منعوا البتول عن النیاحة اذ غدت تبکی أباها لیلها ونهارها قالوا لها قری فقد آذیتنا انّأ وقد سلب المصاب قرارها قطعوا اراکتها ومن أبناها قطعت امیّ یمینها ویسارها جمعوا علی بیت النبی محمدٍ حطباً وأوقدت الضغائن نارها رضوا سلیلة أحمد بالباب حتی أنبتوا فی صدرها مسمارها عصروا ابنة الهادی الامین واسقطوا منها الجنین وأخرجوا کرارها قادوه والزهراء تعدو خلفهم منها الجنین وأخرجوا کرارها والعبد سود متنها فاستنصرت أسفاً فلیتک تسمع استنصارها فقضت وآثار الصیاد بمتنها یالیت عینک عاینت آثارها تم الإنتهاء من تألیف ووضع اللمسات الآخیرة لهذا الکتاب فی ذکری تنصیب أمیر المؤمنین علیه السلام فی یوم الغدیر المبارک، نسأل الله تعالی أن

يتقبله منّا بأحسن القبول ويجعله فى الباقيات الصالحات، وأن ينفعنا به يوم لا ينفع مال ولا بنون. محمّد فاضل المسعودى

پاورقى

[۱] الأحزاب: ۳۳. [۲] الأحزاب: ۳۳. [۳] البحار ۳: ۱۴. [۴] الكافى ۱: ۴۴. [۵] ميزان الحكمة: الحديث رقم ۷۴۲۱. [۶] البحار ۴۲: ۱۰۵، عن تفسير الفرات. [۷] لقد سبقنى فى هذا المعنى والفتوى شيخنا الاُستاذ آية الله الشيخ حسن زاده الآملى دام ظلّه فى (حكمة عصمتيّة فى كلمة فاطميّة: ۱۴) قائلًا: كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ذات عصمة بلا دغدغة ووسوسة، وقد نصّ كبار العلماء كالمفيد والمرتضى وغيرهما بعصمتها عليها السلام بالآيات والروايات، والحقّ معهم، والمكابر محجوج ومفلوج، وكانت عليها السلام جوهرة قدسيّة فى تعيّن إنسيّ، فهى إنسيّة حوراء، وعصمة الله الكبرى، وحقيقة العصمة، إنّها قوّة نوريّة ملكوتيّة تعصم صاحبها عن كل ما يشينه من رجس الذنوب والادناس والسهو النسيان ونحوها من الرذائل النفسانيّة... وإذا دريت أنّ بقيّة النبوّة وعقيلة الرسالة ووديعة المصطفى وزوجة وليّ الله وكلمة الله التامّة فاطمة عليها السلام ذات عصمة، فلا بأس بأن تشهد فى فصول الأذان والإقامة بعصمتها وتقول مثلا:(أشهد أنّ فاطمة بنت رسول الله عصمة الله الكبرى)، ونحوها. [۸] إذا أردت تفصيل ذلك فراجع (حكمة عصمتية فى كلمة فاطميّة). [۹] وردت فى مفاتيح الجنان، فى قسم الزيارات، فراجع. [۱۰] كما من معانيه سيّدنا محسن الشهيد بقرينة (وبنيها)، كما جاء فى الدعاء: (اللهمّ إنّى أسألك بفاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسرّ المستودع فيها)، فكان المراد من البنين الحسن والحسين لولادتهما وظهورهما فى الدعاء، والسرّ المستودع سيّدنا المحسن الشهيد عليه السلام الذى سقط بين الباب والجدار. وليت الكاتب الجليل أشاره إلى هذا المعنى فى فصل بيان أسرار الدعاء. [۱۱] فرائد السمطين ۲: ۶۶. [۱۲] سماحة آية الله العلّامة الأستاذ السيّد عاجل العلوى. ولد فى مدينة الكاظميّة المقدّسة بين الطلوعين فى السادس من شهر رمضان المبارك عام ۱۹۵۵ م ـ ۱۳۷۵هـ ويتصل نسبه بـ (۳۸) واسطة إلى مولانا الإمام على بن الحسين (زين العابدين عليه السلام). والده العلّامة آية الله السيد على بن الحسين العلوى، من علماء الكاظميّة والنجف وبغداد، تلقّى دروسه فى العراق على يد والده المرحوم وعلى غيره، وفى قم المقدّسة على يد كبار المراجع العظام والعلماء الأجلاء أمثال السيّد المرعشى النجفى قدس سره والسيّد محمد رضا الكلبايكانى قد سره والشيخ محمد فاضل اللنكرانى (دام ظله) والشيخ جواد التبريزى (دام ظله) وغيرهم. يُعد اليوم من المدرسين الكبار فى حوزة قم المقدّسة، يقوم بتدريس الكفاية إضافة إلى دروسه فى خارج الفقه وكذلك المكاسب والفلسفة والكلام، مضافاً إلى محاضرات فى التفسير والأخلاق، وكتب رسالته (زبدة الأفكار فى نجاسة أو طهارة أهل الكتاب) التى نال عليها درجة الدكتوراه فى الشريعة الإسلامية، مضافاً إلى شهادات الاعلام باجتهاده فى الفقه والأصول، وقد اشتهر بكثرة تأليفاته المتنوعة، فهو يسعى إلى تأسيس موسوعة إسلاميّة بقلمه الشريف فى شتّى العلوم والفنون تقع فى (۱۲۰) كتاب ورسالة، وقد طبع منها (۶۴) كتاب ورسالة، فضلًا عن المقالات، هذا وقد عُرف بخدماته الثقافية والإجتماعيّة، مثل تأسيس مستوصف الإمام السجاد الخيرى والمؤسسة الإسلاميّة العامّة للتبليغ والإرشاد، وجماعه العلماء والخطباء فى الكاظمية وبغداد، ومكتبات عامّة، وحسينيّات كحسينيّة الإمامين الجوادين عليها السلام فى مشهد الإمام الرضا عليه السلام، ولقد أجازه فى الرواية ما يقرب عن عشرين من مشايخ الرواية كالآيات العظام: السيد المرعشى النجفى قدس سره والسيد الكلبايكانى قدس سره والشيخ الاراكى قدس سره والشيخ اللنكرانى (حفظه الله) والسيد عبدالله الشيرازى (حفظه الله) والسيد محمد الشاهرودى (حفظه الله) وغيرهم. [۱۳] من اللطائف الجميلة والصدف الحميدة التى شاهدناها خلال الإنتهاء من العمل فى هذا الكتاب المبارك إن شاء الله تعالى، أننا تفألنا بالقرآن الكريم فى يوم الإنتهاء من وضع اللمسات الأخيرة عليه وذلك يوم الغدير الإفعم، فخرجت لنا الآية المباركة المختصّة بيوم الغدير ويوم تنصيب أمير المؤمنين عليه السلام بالولاية العظمى، وهى قوله تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما اُنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس). [۱۴] فاطمة بهجة قلب المصطفى ۲۵۲. [۱۵] قبسات من حياة سيّدنا الأستاذ المرعشى النجفى رحمه الله: ص ۱۲۴. ولقد ذكر مؤلّف هذا الكتاب السيد العلوى: إنّ هذا الدعاء قد تلقّاه السيد المرعشى فى

ضمن الوصايا المهمـة التى أعطاها الإمام المهدى (عج) للسيّد المرعشـى فى إحدى تشرفاته بلقاء الإمام (عج). [۱۶] البقرة: ۳۷. [۱۷] البرهان: ۱: ۸۶، مجمع البيان ۱: ۸۹. [۱۸] المائدة: ۲۵. [۱۹] يوسف: ۹۷. [۲۰] الوهابية فى الميزان: ۱۶۳. [۲۱] سنن ابن ماجة: ۱: ۴۴۱، الوهابيـة فى الميزان ۱۶۴. [۲۲] كشف الأرتياب: ۳۱۲، حلية الأولياء: ۱۲۱، وفاء الوفا ۳: ۸۹۹. [۲۳] شرح نهج البلاغة ۱۵: ۸۰، السيرة الحلبية: ۳: ۲۶۳. [۲۴] الدرر السنية: ۲۷ زمينى دحلان، التوصل إلى حقيقة التوسل: ۳۰۰. [۲۵] تاريخ اُسد الغاية فى معرفة الصحابة: ۳: ۱۱۱. [۲۶] البحار: ۱۲: ۲۴۷. [۲۷] البلـد الأمين: ۱۵۹، البحار: ۱۰۲: ۲۵۴ ح ۱۳، مسـتدرك الوسائل: ۶: ۳۳۱ ح ۳ مثله. [۲۸] دلائل الإمامة: ۲۸. [۲۹] طه آية ۱۰۹. [۳۰] سبأ آية ۲۳. [۳۱] مريم آية ۸۷. [۳۲] النحل: ۱۹. [۳۳] الملك ۱۳. [۳۴] الفرقان ۶. [۳۵] النساء: آية ۵۸. [۳۶] الأحزاب: آية ۷۲. [۳۷] راجع تفسير الميزان: ۱۶: ۳۵۶، حيث فيه القول الفصل لهذا الموضوع. [۳۸] بصائر الدرجات: ۱: ۴۸. [۳۹] بصائر الـدرجات: ۱: ۴۸. [۴۰] راجع التقيـة بين الأعلام، بقلم سيّد عادل العلوى. [۴۱] بصائر الـدرجات ۱: ۴۵. [۴۲] اصول الكافى: ۱: ۴۶۷ ح ۵. [۴۳] ينابيع المودة: ۴۳۶، منتخب الاثر: ۱۹۲. [۴۴] من سـنن أبى داود عن العوالم: ۱۰۳۱. [۴۵] احقاق الحق ۵: ۴۰. [۴۶] النصوص على الأئمة الأثنى عشر: ۶۷، ح ۵ عن أمالى الطوسى، وعيون أخبار الرضا عليه السلام. [۴۷] الزيارة الجامعة الكبيرة. [۴۸] بصائر الدرجات: ۳: ۱۷۰ ح۱. [۴۹] بصائر الدرجات: ۳: ۱۷۲ ح۳. [۵۰] الكافى: ۱: ۴۶۷ ح ۵. [۵۱] الجنة العاصمة: ۱۴۸: كشف اللآلى: ۵، مستدرك سفينة البحار: ۳: ۳۳۴ عن مجمع النورين: ۱۴ عن العوالم: ۱: ۴۴. [۵۲] الكافى: ۱: ۲۸۶ ح ۱، بصائر الدرجات: ۴: ۲۲۸. [۵۳] نفس المصدر السابق. [۵۴] راجع بصائر الدرجات: ۵: ۲۳۷. [۵۵] بصائر الدرجات: ۴: ۲۳۰. [۵۶] تفسير العياشى: ۲: ۶۶ ح ۷۶، البرهان: ۲: ۹۳ ح ۴، الاختصاص: ۱۸۱. [۵۷] الشـهد: العسل والصاب: شـجر مر. [۵۸] آه: اسم فعـل للتوجع بمعنى المضـارع أى اتوجع من هذا الأمر. [۵۹] سادة القوم. [۶۰] نوابى: غير قاطعة. [۶۱] تفسير أطيب البيان: ۱۳: ۲۲۶. [۶۲] لسان العرب مادة حجة. [۶۳] اُصـول المظفر: ۲: ۱۸. [۶۴] هـذا التقسـيم اسـتفدناه من درس اسـتاذنا ايـة الله السـيد عـادل العلوى حفظه الله (خـارج الفقه) ـ الاجتهاد والتقليد. [۶۵] النساء: آية ۱۶۳ ـ ۱۶۵. [۶۶] غافر: آية ۴۷. [۶۷] آل عمران: آية ۶۱. [۶۸] كشف الغمة: ۱: ۳۵۵. [۶۹] الانوار القدسية: للمرحوم الشـيخ محمد حسين الاصفهانى. [۷۰] الجنة العاصمة: ۱۴۸، مسـتدرك سفينة البحار: ۳: ۳۳۴، عن مجمع النورين: ۱۴. [۷۱] البحار: ۴۳: ۱۰۵. [۷۲] ملتقى البحريـن: ۴۰. [۷۳] البحار: ۴۳: ۱۹. [۷۴] البحار: ۴۳: ۱۰ و۱۱. [۷۵] البحار: ۴۳: ۱۰ ـ ۱۱. [۷۶] دلائل الإمامة: ۲۸. [۷۷] مصباح الانوار: ۱۳۳، كشف الغمة ۱: ۴۷۲، فردوس الأخبار: ۳: ۴۱۸ ح ۵۱۷. [۷۸] ينابيع المودة: ۱۷۷، ۱۸۱. [۷۹] ينابيع المودة: ۴۳۶، منتخب الاثر: ۱۹۲. [۸۰] البحار: ۴۳: ۱۴۳. [۸۱] شـرح نهج البلاغة: ۱: ۱۰. [۸۲] فاطمة الزهراء ليلة القدر «للسـيّد عادل العلوى». [۸۳] الشـيخ حبيب شـعبان من شعراء أهل البيت يمتاز شعره بالمتانة والسلاسة. ولد فى النجف سنة ۱۲۹۰ هـ تقريباً. أما وفاته فقد سافر إلى الهند فى سنة ۱۳۲۵ وانقطعت اخباره إلى سنة ۱۳۳۶هـ وردت اخبار وفاته هناك. ترجمه السيد جواد شبر فى ادب الطف وعلى الخاقانى فى شـعراء الغرى. [۸۴] الحجى: العقل والفطنة. [۸۵] نوائب الدهور: ۳: ۱۹۴، الهداية الكبرى: ۴۱۷. [۸۶] دلائل الإمامة: ۲۸. [۸۷] المناقب: ۳: ۱۰۶. [۸۸] كنز الفوائد: ۱: ۱۵۰. [۸۹] سفينة البحار: ۲: ۳۷۵. [۹۰] ملتقى البحرين: ۱۴، فاطمة بهجة قلب المصطفى: ۹، عن كشف اللآلـى. [۹۱] تأويـل الآيات: ۱: ۱۳۷: ح ۱۶، البرهان: ۱: ۳۹۲ ح ۵. [۹۲] كشف الغمـة: ۱: ۴۶۷، الفصول المهمة: ۱۲۸، نور الأبصار: ۵۲، ونزهة المجالس: ۲: ۲۲۸. [۹۳] كشف الغمة: ۱: ۴۹۸. [۹۴] تفسير أطيب البيان: ۳: ۲۲۶. [۹۵] البحار: ۵۳: ۱۷۹ و ۱۸۰، غيبة الطوسى: ۱۷۲، الاحتجاج: ۲: ۲۷۷، الزام المناصب: ۱: ۴۳۹. [۹۶] الفصول المهمة: ۱۴۳. [۹۷] الزهراء: ۱۲ ـ ۱۳. [۹۸] يعنى قوله تعالى: قل تعالوا نَدْع أبناءنا وأبناءَكم ونساءنا ونساءكم وأنفسـنا وأنفسـكُم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين: (آل عمران: ۶۱). [۹۹] مطـالب السؤول: ۶ و ۷. [۱۰۰] حليـة الأولياء: ۲: ۴۹. [۱۰۱] شـرح نهج البلاغة: ۹: ۱۹۳. [۱۰۲] أهـل البيت: ۱۳۲، ۱۳۳. [۱۰۳] أهـل الـبيت لتوفيق أبو علم: ۱۲۸. [۱۰۴] فاطمـة الزهراء عليها السـلام للعلامة دخيل: ۱۷۱. [۱۰۵] كشف الغمـة: ۱: ۴۸۴. [۱۰۶] الذُّبالة: الفتيلة. [۱۰۷] علّبه: أثّر فيه وخدشه. [۱۰۸] التأنيب: المبالغة فى التوبيخ. [۱۰۹] المأفون: الضعيف الرأى. [۱۱۰] المصدر: ۴۵۴. [۱۱۱] أى سيّدتهنّ. [۱۱۲] المناقب: ۳: ۳۵۷، ۳۵۸. [۱۱۳] الارومة: أصل الشجرة. [۱۱۴] الرّعونة: الاسترخاء، الحمق، والمراد هنا

الأول. [۱۱۵] الخصائص الفاطمية: ۱. [۱۱۶] فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد: ۱۳ و ۱۴. [۱۱۷] النساء: ۴۰. [۱۱۸] الحج: ۷۱. [۱۱۹] هود: ۱۱۳. [۱۲۰] لسان العرب لابن منظور: ۱۵: ۲۲۶. [۱۲۱] المفردات فى غريب القرآن للراغب الاصفهانى: ۳۱۵. [۱۲۲] بصائر ذوى التمييز للفيروز ابادى: ۴: ۲۳۰. [۱۲۳] صحيح البخارى بشرح العسقلانى: ۵: ۹۵. [۱۲۴] عمدة القارى شرح صحيح البخارى للعينى: ۱۲: ۲۳۸. [۱۲۵] الدمعة الساكبة: ۶۹، كامل الزيارات: ۳۳۲، البحار: ۲۸: ۶۱. [۱۲۶] الاحتجاج: ۱: ۱۰۵، الإمامة والسياسة: ۱۲، بلاغات النساء: ۴: ۱۱۴. [۱۲۷] ۱: ۱۰۶ الاحتجاج عن سليم بن قيس الهلالى. [۱۲۸] كتاب سليم بن قيس: ۳: ۵۸۳. [۱۲۹] نهج الحق وكشف الصدق: ۲۷۱. [۱۳۰] الأعراف: ۱۵۰. [۱۳۱] الأنفال: ۶۵. [۱۳۲] تفسير العياشى: ۲: ۶۶ ح ۷۶، البرهان: ۲: ۹۳ ح ۴، الاختصاص: ۱۸۱. [۱۳۳] لسان الميزان: ۴: ۱۸۹، ۱۷ ج ۲۸، الإمامة والسياسة: ۱: ۱۸ مثله. [۱۳۴] كتاب سليم بن قيس: ۲: ۸۲۰ [۱۳۵] دلائل الإمامة: ۲۶. [۱۳۶] البحار: ۵۳: ۱۸، بهجة قلب المصطفى: ۵۲۸ ح ۲۳، اعلموا أنى فاطمة: ۸: ۷۱۶. [۱۳۷] علم اليقين فى اصول الدين: ۶۸۶ للفيض الكاشانى. [۱۳۸] ۱: ۵۷ للشهرستانى. [۱۳۹] ۵: ۳۴۷، عنه اعلموا أنى فاطمة: ۸: ۷۱۵. [۱۴۰] ۱: ۲۶۸. [۱۴۱] ۵: ۱۲، عنه البحار: ۲۸: ۳۳۹. [۱۴۲] عنه المناقب لابن شهر اشوب: ۳: ۱۳۲. [۱۴۳] ۱۴۳، عنه البحار: ۲۸: ۳۰۸ ضمن ح ۵۰. [۱۴۴] ۱۶۰. [۱۴۵] ۴۱۸. [۱۴۶] العوالم: ۲: ۵۸. [۱۴۷] الأحزاب: ۵۷. [۱۴۸] البرهان: ۱: ۸. [۱۴۹] زعيم أسرة آل سميسم من أصحاب الفضل والأدب والسخاء وله ديوان شعر مخطوط أكثره فى أهل البيت. ولد شاعرنا سنة ۱۲۷۹ هـ و توفى ۱۳۴۳ هـ. [۱۵۰] سورة النجم: ۲۳. [۱۵۱] الاسراء: ۳۶. [۱۵۲] الانعام: ۱۶. [۱۵۳] تفسير على بن إبراهيم ۵۳۳. عنه البحار ۴۳: ۲۵ ح ۲۳ فى تفسير الآية ۵۷ من الأحزاب، وجاء فى المناقب ۳: ۲۱۰ فى رواية مقاتل: «الذين يؤذون المؤمنين» يعنى علياً. «والمؤمنات» يعنى فاطمة «فقد احتملوا بهتاناً واثماً مبيناً». [۱۵۴] معانى الأخبار: ۳۰۳،؛ ح ۲. [۱۵۵] كشف الغمة: ۱: ۴۶۷، الفصول المهمة ۱۲۸۱، نور الابصار: ۵۲، نزهة المجالس ۲: ۲۲۸، ائمة الهدى: ۸۲، الاحقاق: ۱۰: ۲۱۲، ۲۱۳. [۱۵۶] المناقب: ۳: ۱۰۶ ومثله عن الحسين «ع» كشف الغمة ۱: ۴۵۸. [۱۵۷] ولقد روى هذا الحديث فى كتب مختلفة واسانيد معتبرة ومن هذا الكتب مقتل الخوارزمى ۱: ۵۱، ومجالس المفيد ۹۴ وروضة الواعظين ۱۸۰، تاريخ دمشق ۱: ۱۵۹، وسيلة النجاة ۲۱۲، وكنز العمال ۱۲: ۱۱۱، ميزان الاعتدال ۱: ۵۳۵ ح ۲۰۰۲، غاية المرام: ۲۹۴، صحيفة الرضا ۹۰: ح ۲۳. [۱۵۸] كنز العمال: ۱۳: ۶۷۴ ح ۳۷۷۲۵، الحاكم فى مستدركه: ۳: ۱۵۳ ميزان الاعتدال: ۱: ۵۳۵ ح ۲۰۰۲، التذكرة لابن الجوزى: ۳۲۰، كفاية الطالب ۳۶۳ أسد الغابة: ۵: ۵۲۲، ذخائر العقبى: ۳۹: ينابيع المودة: ۱۷۳، ۱۹۸ الاصابة: ۴: ۳۷۸، خصائص السيوطى: ۲: ۲۶۵، الكامل فى الرجال: ۲: ۷۶۲، اسعاف الراغبين: ۱۸۷ عنهم، العوالم: ۱: ۱۵۴. [۱۵۹] شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد والقول كله له: ۹: ۱۹۳، عنه اعلموا انى فاطمة: ۴: ۵۵. [۱۶۰] مجالس المفيد: ۲۵۹، أمالى الطوسى: ح ۱، ۲۴، بشارة المصطفى: ۸۵. [۱۶۱] الخصائص: ۳۵. [۱۶۲] مسند أحمد ۴: ۳۳۲. [۱۶۳] كشف الغمة ۱: ۴۶۷. [۱۶۴] مسند أحمد ۴: ۵، صحيح الترمذى ۵: ۶۹۸ ح ۳۸۶۹، الصواعق المحرقة: ۱۱۴، لسان العرب: ۱: ۷۵۸، النهاية: ۵: ۶۲. [۱۶۵] آل عمران: آية ۱۸. [۱۶۶] الرحمن: آية ۷. [۱۶۷] الحديد: آية ۲۵. [۱۶۸] البقرة: آية ۱۲۴. [۱۶۹] العدل الالهى: ۴۶. [۱۷۰] لسان العرب مادة عدل. [۱۷۱] العدل الالهى: ۷۱. [۱۷۲] شواهد التنزيل للحافظ الاسكافى الحنفى ۱: ۵۸، ۵۹. [۱۷۳] شواهد التنزيل للحافظ الحسكانى الحنفى ۱: ۵۸، ۵۹. [۱۷۴] البقرة: آية ۳۷. [۱۷۵] «الدر المنثور» ۱: ۱۴۷. [۱۷۶] آل عمران: آية ۶۱. [۱۷۷] «ذخائر العقبى»: ۲۵، ۲۴. [۱۷۸] «ذخائر العقبى» ۲۵، ۲۴. [۱۷۹] ابراهيم: آية ۲۴. [۱۸۰] كذا، والصواب «محبّوهم» [۱۸۱] شواهد التنزيل: ۱: ۳۱۲ ـ ۳۱۳. [۱۸۲] شواهد التنزيل: ۱: ۳۱۲، ۳۱۳. [۱۸۳] الاسراء: آية ۵۷. [۱۸۴] شواهد التنزيل: ۱: ۳۲۴. [۱۸۵] المؤمنون: آية ۱۱. [۱۸۶] المصدر: ۴۰۸. [۱۸۷] النور: آية ۳۵. [۱۸۸] المناقب لابن المغازلىّ: ۳۱۷. [۱۸۹] طه: آية ۱۳۲. [۱۹۰] شواهد التنزيل: ۱: ۳۸۱. والآية فى الأحزاب: آية ۳۳. [۱۹۱] الفرقان: آية ۵۴. [۱۹۲] المصدر: ۴۱۴. [۱۹۳] الفرقان: آية ۷۴. [۱۹۴] شواهد التنزيل: ۱: ۴۱۶. [۱۹۵] الأحزاب: آية ۳۳. [۱۹۶] ذخائر العقبى: ۲۴. [۱۹۷] الشورى: آية ۲۳. [۱۹۸] الكّشاف: ۳: ۴۶۷. [۱۹۹] محمد صلّى الله عليه وآله: آية ۱۱. [۲۰۰] شواهد التنزيل: ۲: ۱۷۴، ۱۹۴، ۱۹۷. [۲۰۱] الذاريات: آية ۱۷. [۲۰۲] شواهد التنزيل: ۲: ۱۷۴، ۱۹۴، ۱۹۷. [۲۰۳] الطور: آية ۲۱. [۲۰۴] شواهد التنزيل: ۲: ۱۷۴، ۱۹۴، ۱۹۷. [۲۰۵] الرحمن: آية ۱۹ ـ

۲۲. [۲۰۶] الدر المنثور: ۷: ۶۹۷. [۲۰۷] الحشر: آية ۸. [۲۰۸] شواهد التنزيل: ۲: ۲۴۶ ـ ۲۴۷. [۲۰۹] شواهد التنزيل: ۲: ۲۴۶ ـ ۲۴۷. [۲۱۰] الدهر: آية ۸. [۲۱۱] روح المعانى: ۲۹: ۱۵۸. [۲۱۲] القدر: آية ۳ ـ ۴. [۲۱۳] تأويل الآيات: للعلامة السيّد شرف الدين النجفّى: ۲: ۸۱۸. [۲۱۴] كذا. [۲۱۵] فرائد السمطين: ۱: ۳۶. [۲۱۶] بحار الانوار: ۱۵: ۱۰. [۲۱۷] تأويل الآيات: ۱: ۹۸. [۲۱۸] مسند فاطمة الزهراء عليها السلام للسيوطىّ: ۴۵، ۴۶. [۲۱۹] مسند فاطمة الزهراء عليها السلام: للسيوطى: ۴۵، ۴۶. [۲۲۰] تأويل الآيات: ۱: ۹۸. [۲۲۱] المصدر السابق: ۶۹. [۲۲۲] ذخائر العقبى: ۵۶. [۲۲۳] البحار: ۴۳: ۴۴. [۲۲۴] بحر المعارف: للمولى عبدالصمد الهمدانى: ۴۲۸. [۲۲۵] زين الفتى: للحافظ العاصمىّ، كما فى «فاطمة الزهراء» للعلاّمة الأمينى ص ۴۳. [۲۲۶] تاريخ بغداد: ۱: ۲۵۹. [۲۲۷] دلائل الإمامة: للطبرىّ، ص ۲۸. [۲۲۸] مرق من الدين: خرج منه بضلالة أو بدعة. [۲۲۹] بحار الانوار: ۱۵: ۱۹. [۲۳۰] مرآة العقول: ۵: ۱۹۰ ـ ۱۹۲. [۲۳۱] ۷۵. [۲۳۲] تأويل الآيات: ۲: ۵۰۹. [۲۳۳] كنز العمّال: ۶: ۱۹۳، كما فى فضائل الخمسة: ۳: ۱۶۳. [۲۳۴] روض الفائق: للعلاّمة الشيخ شعيب الحريفش، مطبعة المصطفى البابى الحلبى، ص ۲۵۵ وهذا الاشتراك مع ابنها الحسين عليه السلام حيث يكلّمها فى بطنها. [۲۳۵] كفاية الطالب: الباب ۸۵:۳۱۱. [۲۳۶] المناقب: لابن المغازلىّ: ۳۶۳. [۲۳۷] ملحقات إحقاق الحقّ: ۱۰: ۱۳۴. [۲۳۸] البحار: ۲۲: ۵۰۴. [۲۳۹] مسند أحمد: ۲: ۴۴۲. [۲۴۰] نور الأبصار للشبلنجى: ۵۲. [۲۴۱] الحذية من اللحم ما قطع طولاً. [۲۴۲] البحار: ۴۳: ۵۴. [۲۴۳] أهل البيت توفيق أبو علم: ۱۲۴. [۲۴۴] الطبقات لأبن سعد: ۸: ۲۶۲. [۲۴۵] «كنز العمّال» ۱۲: ۱۱۱، «مجمع الزوائد» ۹: ۲۰۳. [۲۴۶] كنز العمّال: ۱۲: ۱۱۱، مجمع الزوائد: ۹: ۲۰۳. [۲۴۷] صحيح البخارى: ۵: ۲۶. [۲۴۸] صحيح مسلم: ۷: ۱۴۱، ۱۴۲، باب الفضائل، ورابنى الأمر وأرابنى إذا رأيت منه ماتكره. [۲۴۹] «صحيح البخارى» ۵: ۱۴۱ و ۱۴۲، باب الفضائل، ورابنى الأمر وأرابنى إذا رأيت منه ما تكره. [۲۵۰] صحيح مسلم: ۷: ۱۴۱ و ۱۴۲. باب الفضائل. ورابنى الأمر وأرابنى إذا رأيت منه ما تكره. [۲۵۱] «مستدرك الصحيحين»: ۳: ۱۵۹. [۲۵۲] مستدرك الصحيحين: ۳: ۱۵۹. [۲۵۳] كنز العمّال: ۱۲: ۱۱۱. والاسعاف: القرب والإعانة وقضاء الحاجة. [۲۵۴] كنز العمال: ۱۲: ۱۱۱. [۲۵۵] مقتل الحسين الخوارزمى: ۱۰۷. [۲۵۶] النداوة: البلل. [۲۵۷] القمر: آية ۱۳. [۲۵۸] عبقات الأنوار: حديث السفينة: ۱۰۸۱. [۲۵۹] البهرة: تتابع النفس وانقطاعه. [۲۶۰] مريم: ۱. [۲۶۱] البحار: ۵۲: ۸۴. [۲۶۲] مقتل الحسين للخوارزمى: ۹۵. [۲۶۳] المناقب المرتضويّة للعلامة الكشفى: ۹۷. [۲۶۴] الأحزاب: آية ۵۶. [۲۶۵] ينابيع المودّة: ۲۹۵. [۲۶۶] احقاق الحق: ۹: ۲۳۷، عن عبد الوهاب الشعرانى فى كشف الغمّة: ۱: ۱۱۰. [۲۶۷] شرح إرشاد الأذهان: ۲: ۲۷۶، ۲۷۷. [۲۶۸] الغدير: ۲: ۳۰۴. [۲۶۹] التفسير الكبير: ۲۷: ۱۶۶. [۲۷۰] الصواعق: ۱۴۶. [۲۷۱] البحار: ۵۳: ۱۷۹ ـ ۱۸۰. [۲۷۲] تفسير فرات: ۱۶۹، دلائل الإمامة: ۵۷ تأويل الآيات: ۲: ۶۱۸: ح ۷. [۲۷۳] مستدرك الحاكم: ۳: ۱۶۱، الخصائص: ۲: ۲۶۵، الفصول المهمة ۱۲۷ فضائل الصحابة: ۲: ۷۶۳ ح ۱۳۴۴، ميزان الاعتدال: ۲: ۵۳۸، كفاية الطالب: ۳۶۴، تفسير فوات الكوفى: ۹۷. [۲۷۴] الثاقب فى المناقب: ۲۹۳: ح ۲۵۰. [۲۷۵] كشف الغمة: ۱: ۵۰۶. [۲۷۶] اخبار الدول: ۸۸، الاحقاق: ۱۰: ۳۶۷، وسيلة النجاة: ۲۱۷. [۲۷۷] هود: آية ۷۳. [۲۷۸] لسان العرب: ۱۱: ۲۹ «أهل». [۲۷۹] معجم مقاييس اللغة: ۱: ۱۵۰. [۲۸۰] هود: آية ۷۳. [۲۸۱] القصص: آية ۳۰. [۲۸۲] التبيان فى تفسير القرآن للشيخ الطوسى: ۸: ۳۳۹. [۲۸۳] علل الشرائع: ۱۹۱ باب ۱۵۱. [۲۸۴] وفاة الصديقة الزهراء: ۵۵ للمقرم. [۲۸۵] الفصول المختارة من العيون المحاسن: ۸۸. [۲۸۶] الأحزاب: آية ۵۷. [۲۸۷] التوبة: آية ۶۱. [۲۸۸] الأحزاب: آية ۵۳. [۲۸۹] الأحزاب: آية ۵۷. [۲۹۰] وفاة الصديقة الزهراء: ۵۴. [۲۹۱] قص حكمة عصمتية فى كلمة فاطمية ۱۴. [۲۹۲] السّرى: السيّد الشريف السّخى، الأبسل: الموطّن نفسه على الموت. [۲۹۳] القصيدة للمرحوم الشيخ محسن أبو الحب الكبير. قال السيّد جواد شبّر فى «أدب الطفّ» ج ۸: ص ۵۶: الشيخ محسن خطيب بارع وشاعر واسع الآفاق خصب الخيال. ولد سنة ۱۲۳۵ ه ونشأ بعناية أبيه وتربيته، وتحدّر من أسرةٍ عربية تعرف بآل أبى الحب تمتّ بنسبها الى قبيلة خثعم. تدرّج على نظم الشعر ومحافل الأدب وندوات العلم، ولا سيّما مجالس أبى الشهداء عليه السلام مدارس سيّارة وهى من أقوى الوسائل لنشر الأدب وقرض الشّعر، وشاعرنا الشيخ محسن نظم فأجاد وأكثر من النوح والبكاء على سيّد الشهداء عليه السلام وصوّر بطوله شهداء الطفّ تصويراً شعريّا لا زالت الأدباء ومجالس العلماء ترتشّفه وتستعيده وتتذوّقه. كتب عنه الشيخ محمّد السماوى فى

كتـاب «الطليعـة» فقـال: محسن بن محمّـد الحويزى الحـائرى المعروف بـأبى الحب كـان خطيباً ذاكراً بليغاً متصـرّفاً فى فنون الكلام اذا ارتقى الأعواد تنقّل فى المناسبات. [۲۹۴] ۵/۶۶۰ ح ۷۳۸۱، عنه ذخـائر العقبى: ۱۲۹، ومفتـاح النجا: ۱۱۷، وجـامع الأصول: ۱۰: ۸۲ وتيسير الوصول: ۲: ۱۵۴، وكنز العمّال: ۱۲: ۹۶ ح ۳۴۱۵۸ و ص ۱۰۲ ح ۳۴۱۹۲ وص ۱۰۷ ح ۳۴۲۱۷ وص ۱۱۰ ح ۳۴۲۳۰ وفى ج ۱۳: ۶۴۰ ح ۳۷۶۱۷ وفى ص ۱۸۹، والفتح الكبير: ۱: ۲۸ وص ۲۴۹ وص ۴۲۶. وسعد الشموس: ۲۰۳، والإدراك: ۴۹، وحسن الأسوة: ۲۹۰، وينـابيع المودّة: ۱۶۵ وص ۲۶۴، ومرقاة المفاتيـح: ۱۱: ۳۹۳، وأحمـد فى مسـنده: ۵: ۳۹۱، عنه الفصـول المهّمـة: ۱۲۷، وتاريخ دمشق: ۵۱ ح ۷۳، والخصائص: ۱۱۸، ومقتل الحسين: ۱: ۸۰ و ۱۳۰، وروى فى ص ۵۵ «صدره»، وكفاية الطالب: ۴۲۲، وحلية الأولياء: ۴: ۱۹۰، عنه المنتخب من صـحيح البخارى ومسـلم: ۲۱۹ «مخطوط»، وتاريخ الاسـلام: ۲: ۹۰ وص ۲۱۷، وفوائد السـمطين: ۲: ۲۰ ح ۳۶۳. وأخرجه فى الحبائك: ۱۰۵ و ۱۰۶، وتوضيح الدلائل: ۳۴۸، ووسيلة المآل: ۱۶۱. ورواه فى مصابيح السنّة: ۱۰۸، ومرآة المؤمنين: ۱۸۴، ومنال الطالب: ۲۲، وغالية المواعظ: ۲: ۷۳، والبداية والنهاية: ۳: ۲۰۶ ووسيلة النجاة: ۲۰۷، وابتسام البرق على مافى الإحقاق: ۱۹: ۳۲، والتاج الجامع للأصول: ۳: ۲۰۶ ووسيلة النجاة: ۲۰۷، وابتسام البرق على مافى الإحقاق: ۱۹: ۳۲، والتاج الجامع للأصول: ۳: ۳۱۷، والمطالب العالية: ۴: ۶۷، وأشعة اللمعات: ۴: ۷۰۵، وآل محمد صـلى الله عليه وآله وسلم: ۹۲ ح ۴۱۸ وأخرجه فى ص ۱۴۵ ح ۶۶۲، والروض الأـزهر: ۲۰۰، والحـاوى للفتاوى: ۲: ۲۶۷، وأسـد الغابة: ۵: ۵۷۴، وجمع الوسائـل: ۱: ۲۶۹، وجـامع الأحاديث: ۴: ۵۱۵ ح ۱۴۱۲۰. والحاكم فى المستدرك: ۳: ۱۵۱، عنه جواهر البحار: ۱: ۳۶۰ والخصائص الكبرى: ۲: ۲۲۶، وسير أعلام المستدرك: ۳: ۱۵۱، عنه جواهر البحار: ۱: ۳۶۰ والخصائص الكبرى: ۲: ۲۲۶، وسير أعلام النبلاء: ۲: ۱۲۳، وأرجح المطالب: ۲۴۱، والجامع الصغير: ۱: ۷۱، والمختار: ۵۶، أخرجه عن بعضـها الإحقاق: ۱۰: ۶۹ ح ۱ وج ۱۹: ۳۱، وج ۱۸: ۳۸۴. ورواه مرسـلًا فى طرح التثريب: ۱: ۱۴۹، ورسالة المفاضلة: ۲۱۶، وفى جمع الوسائل: ۱: ۲۷۰، وشرح الفقه: ۱۲۰، عنها الإحقاق: ۱۰: ۱۰۲. ورواه مرسلًا أيضاً فى تاريخ الإسلام: ۲: ۸۸، عنه الإحقاق ۱۰: ۱۱۰، وفى ج ۱۹: ۲۵، عن سـير أعلـام النبلاء: ۲: ۱۲۰ عن العـوالم ج ۱ ص ۱۳۷. [۲۹۵] الخصائص: ۲۲۵، وسائل الشيعة: ۱: ۲۲۵ ح ۵۸، البحار: ۱۴: ۲۰۱ ح ۱۱. [۲۹۶] الفصول المهمة ص ۱۲۷، مطالب السؤول ص ۱۰: شرح ثلاثيات مسند أحمد ۲: ۵۱۱. احقـاق الحق ۱۰: ۱۰۰، ۱۹: ۴۹. [۲۹۷] قلائـد الدرر على مافى الاحقاق: ۱۰: ۹۹. [۲۹۸] مسـند احمد ج ۱: ۲۹۳، رواه مثله فى الاستيعاب: ۴: ۳۷۶، ومسـتدرك الحاكم: ۲: ۴۹۷، وج ۳: ۱۶۰ من طريقين والإصابـة: ۴: ۳۷۸، وتهـذيب التهـذيب: ۱۲: ۴۴۱، ومرآة المؤمنين: ۱۸۴، وسير أعلام النبلاء: ۲: ۱۲۶، وتهذيب الكمال: ۲۲، وجامع الأحاديث: ۶۸۵، وتفسـير القرآن لابن كثير: ۹: ۴۶۷، وكنز العمّال: ۱۲: ۱۴۳، ومنتخب كنز العمّال: ۵: ۲۸۴، والفتح الكبير: ۱: ۲۱۴، وقصص الأنبياء: ۲: ۳۷۷، وينابيع المودة: ۱۷۲ و ۱۹۸ من ثلاث طرق، ومجمع الزوائد: ۹: ۲۲۳، وتهذيب التهذيب: ۱۳۴، وأرجح المطالب: ۲۴۰ و ۲۴۳، وآل محمّد: ح ۱۰۶، ومشكل الآثار: ۱: ۴۸، وأسد الغابة: ۵: ۴۳۷، والبداية والنهاية: ۲: ۶۰، وتأريخ الخميس: ۱: ۲۶۵، وذخائر العقبى: ۴۲، ووسيلة المآل: ۸۰، وإرشاد السارى: ۶: ۱۶۸، وطرح التثريب: ۱۴۹، وخصائص السيوطى: ۳: ۳۶۲، ومسنده ص ۵۷ ح ۱۳۹، والجامع الصغير: ۱: ۱۶۸، والإعتقاد: ۱۶۵، وروضة الاجباب: ۶۲۶ «مخطوط» والسـراج المنير: ۲۷۱، ومفتاح النجا: ۱۰۲ «مخطوط» وحسن الأـسوة: ۳۱، والبيان والتعريف: ۱: ۱۲۳، وضوء الشمس: ۹۱، وتأريخ الإسـلام: ۲: ۹۲ من قوله: أفضل...، عن بعضـها الإحقاق: ۱۰: ۵۲، وفى ج ۱۹: ۴۱ عن ضوء الشـمس، ورواه فى ذخائر العقبى: ۴۲، وفى سـير أعلام النبلاء: ۲: ۱۲۴ عنه فى الإحقاق: ۱۹: ۵۱،وفى وسيلة المآل: ۸۰، عنه الإحقاق: ۱۰: ۵۷، وذكره فى الـدرة اليتيمة على مافى الإحقاق: ۱۹: ۲۵، وكـذا فى الأنوار المحمّدية على ما فى الإحقاق: ۱۰: ۸۵ عن العوالم ص ۱۱۹: ج ۱. [۲۹۹] تفسير الكاشف: ۲: ۵۹. [۳۰۰] آل عمران: آية ۴۲. [۳۰۱] أمالى الصدوق: ۳۹۳: ح ۱۸، عنه البحار: ۴۳: ۲۴ ح ۲۰: تأويل الآيات: ۱: ۱۱۱ ح ۱۷ نور الثقلين: ۱: ۲۸۱ ح ۱۳۵. اثبات الهداة: ۱: ۵۳۸ ح ۱۶۶. بشارة المصطفى: ۲۱۸ روضة الواعظين ۱۸۰، غاية المرام ۵۲ ح ۳۲. [۳۰۲] الانعام: آيـة ۸۶. [۳۰۳] البقرة: آيـة ۶۱. [۳۰۴] النساء: ۱۵۵. [۳۰۵] الخرائـج والجرائح: ۵۲۸ ح ۳، البحار: ۴۳: ۲۷ ح ۳۰، الثاقب فى المناقب: ۲۹۵ تفسير الثعلبى: ۲۰۲،: فرائد السمطين: ۲: ۵۱، ابن كثير البداية والنهاية: ۶: ۱۱۱ وروح المعانى: ۳: ۱۲۴، الدرر

المنثور: ۲: ۲۰، واحقاق الحق: ۳: ۵۳۸. [۳۰۶] ذخائر العقبى: ۴۵، كفاية الطالب: ۳۶۷، ووسيلة المآل: ۸۹، ينابيع المودة: ۱۹۹، كشف الغمة: ۱: ۴۶۹، أمالى الطوسى: ۲: ۲۲۸ البحار: ۴۳: ۵۹ ح ۵۱. [۳۰۷] دلائل الإمامة: ۲۸. [۳۰۸] البحار: ۴۳: ۱۰۵. [۳۰۹] البحار: ۸: ۵۱. [۳۱۰] «شرح النهج»: ۹: ۱۹۳. [۳۱۱] تفسير روح المعانى: ۳: ۱۵۵. [۳۱۲] هامش النصّ والاجتهاد: المورد، ۱۱۴. [۳۱۳] إنما قال «عالمها» لأنّ عالمها أفضل من عالم مريم كما صرّح به المؤلف آنفاً. «فاطمة مهجة قلب المصطفى ۹۵. [۳۱۴] «السيرة الحلبيّة»: ۲: ۶. [۳۱۵] العوالم: ۱۱: ۴۶، ۴۹. [۳۱۶] العوالم: ۱۱: ۴۶، ۴۹. [۳۱۷] نفس المصدر السابق. [۳۱۸] «العوالم»: ۱۱: ۴۹، ۵۱. [۳۱۹] نفس المصدر السابق. [۳۲۰] نفس المصدر السابق. [۳۲۱] البقرة: آية ۱۵۰. [۳۲۲] «مصابيح الأنوار» ۲: ۳۹۳، ۳۹۴. [۳۲۳] السيف: الصقيل. [۳۲۴] الجنة العاصمة: ۱۴۸، مستدرك سفينة البحار: ۳: ۳۳۴ عن مجمع النورين: ۱۴، عن العوالم: ۴۴. [۳۲۵] فرائد السبطين: ۱: ۳۶ ح ۱، عنه غاية المرام: ۵ ح ۱، ح ۱۵ ح ۱ أرجح الطالب: ۴۶۱. [۳۲۶] راجع حديث الكساء الشريف. [۳۲۷] سورة الذاريات: الآية ۵۶. [۳۲۸] سورة طه: الآية ۱۰۵. [۳۲۹] راجع فاطمة ليلة القدر: ۱۴. [۳۳۰] اعلموا انى فاطمة: ۸: ۵۲۲. [۳۳۱] هو العلامة المحقق السيد حسن الهمدانى فى رسالته فى شرح الاسماء الحسنى: ۱۰۳. [۳۳۲] صاحب كتاب هداية المسترشد: ۲۲۶. [۳۳۳] شرح الزيارة الجامعة: ۱: ۳۰۵. [۳۳۴] الأعراف: ۱۹۶. [۳۳۵] وهو الملا عبدالرزاق الكاشانى على مافى عقائد الإيمان. [۳۳۶] توحيد الصدوق: ۱۳۹. [۳۳۷] الاعراف: ۱۸۰. [۳۳۸] الكافى ـ كتاب التوحيد: ۲: ۱۱۵. [۳۳۹] شرح الزيارة الجامعة: ۳۲۶. [۳۴۰] آل عمران: آية ۴۹. [۳۴۱] المائدة: آية ۱۱۰. [۳۴۲] تفسير الميزان: ۳: ۲۰۰. [۳۴۳] النمل: آية ۳۸، ۴۰. [۳۴۴] تفسير الميزان: ۱۵: ۳۶۳. [۳۴۵] البقرة: آية ۲۶۰. [۳۴۶] سورة ص: آية ۳۶. [۳۴۷] الرعد: آية ۳۱. [۳۴۸] البقرة: آية. [۳۴۹] أى لا يقع من هذه الامور او غيرها إلا بارادة الله وقدرته سبحانه. [۳۵۰] الكافى: ۱: ۲۸۶، بصائر الدرجات ۴: ۲۲۸ ح ۱. [۳۵۱] بصائر الدرجات: ۴: ۲۲۹. [۳۵۲] راجع بصائر الدرجات: ۶: ۲۸۹، ۲۹۳. [۳۵۳] المناقب: ۳: ۱۱۸. [۳۵۴] الحكومة الاسلامية: ۵۲. [۳۵۵] الجنة العاصمة: ۶۶ ـ ۶۸، عنه بهجة قلب المصطفى: ۲۹. [۳۵۶] مقاتل الطالبيين: ۲۹، المناقب لابن المغازلى: ۳۴۰ ح ۳۹۲، أُسد الغابة: ۵: ۵۲۰، الإستيعاب: ۴: ۳۸۰، تهذيب التهذيب: ۱۲: ۴۴۰. [۳۵۷] فاطمة بهجة قلب المصطفى: ۲۰۴. [۳۵۸] اللمعة البيضاء: ۵۰. [۳۵۹] مجمع البحرين: مادة شجر. [۳۶۰] ميزان الأعتدال: ۱: ۲۳۴، على ما فى إحقاق الحق: ۹: ۱۵۲. [۳۶۱] البقرة: ۲۶۱. [۳۶۲] تفسير نور الثقلين: ۱: ۲۸۲. [۳۶۳] القطرة للسيد أحمد المستنبط: ۱۵۸. [۳۶۴] اعلموا أنى فاطمة: ۲: ۷۲۳ ـ ۷۳۱. [۳۶۵] التحريم: ۱. [۳۶۶] طه: ۸۱. [۳۶۷] الأحزاب: ۵۳. [۳۶۸] الأحزاب: ۵۳. [۳۶۹] الأحزاب: ۶. [۳۷۰] هذه القصيدة العصماء للشاعر المرحوم الشيخ صالح الكواز الحلى. [۳۷۱] النور: ۴۱. [۳۷۲] الحديد: ۱. [۳۷۳] الحشر: ۲۴. [۳۷۴] ق: ۳۱. [۳۷۵] الأعلى: ۱. [۳۷۶] النمل: ۱۸ ـ ۱۹. [۳۷۷] الكافى: ۳: ۳۴۳: ح ۱۴، الوسائل: ۴: ۱۰۲۴: ح ۱، التهذيب: ۲: ۱۰۵. [۳۷۸] ثواب الأعمال: ۱۹۶: ح ۲، الوسائل: ۴: ۱۰۲۳ ح ۳. [۳۷۹] أمالى الصدوق: ۴۶۴ ح ۱۶، ثواب الأعمال: ۱۹۵، الكافى: ۳: ۳۴۳ ح ۱۳. [۳۸۰] قرب الإسناد: ۱۶۵. [۳۸۱] صفوة الصفوة: ۲: ۶ و كتاب فاطمة الزهراء لمحمد على دخيل: ۶۳. [۳۸۲] أعلام النساء لعمر كحالة ۳: ۲۱۶ وكتاب فاطمة الزهراء لمحمد على دخيل: ۶۳. [۳۸۳] سفينة البحار: ۱: ۵۷۱ وكتاب فاطمة الزهراء لمحمد على دخيل: ۶۵. [۳۸۴] شرح خطبة الزهراء للشيخ نزيه: ۲۹. [۳۸۵] مجلة يداها أى ظهر فيها المجل وهو ماء يكون بين الجلد واللحم من كثرة العلم الشاق. والمجلة القشرة الرقيقة التى يجتمع فيها ماء من أثر العمل الشاق. [۳۸۶] الدكنة: لون يضرب إلى السواد. [۳۸۷] من لا يحضره الفقية: ۱: ۳۲۰ ـ ۳۲۱. [۳۸۸] آل عمران: ۹۲. [۳۸۹] للاطلاع اكثر راجع كتاب اعلموا أنى فاطمة: ۲: ۶۶۱ ـ ۶۷۲. [۳۹۰] هو محمد بن مسملم بن عبيد الله بن عبدالله بن مهاجر الحارث بن زهرة. راجع «تهذيب التهذيب: ۹: ۴۴۵». [۳۹۱] هو سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب العدوى، أبو عبدالله المدنى روى عن أبيه وعن أبى هريرة، وعنه ابنه أبوبكر والزهرى. راجع فى ذلك «تهذيب التهذيب: ۳: ۴۳۶». [۳۹۲] ۱۰۳، عنه الإحقاق: ۲۵: ۳۴۶. [۳۹۳] ۵: ۱۰۷، عنه الإحقاق: ۲۵: ۳۴۵. [۳۹۴] ۶: ۲۹۸، كنز العمال: ۲۰: ۵۵. [۳۹۵] جامع الإحاديث: ۴: ۶۱۴، كنز العمال: ۲: ۵۷. [۳۹۶] مشكاة الأنوار: ۲۷۸ ح ۱۴، البحار: ۸۵: ۳۳۴ ح ۲۱. [۳۹۷] فقه الرضا: ۱۱۵، مستدرك الوسائل: ۵: ۵۱ ح ۱. [۳۹۸] الإحتجاج: ۱: ۳۱۵، الوسائل: ۴: ۱۰۳۹ ح ۴. [۳۹۹] التهذيب: ۳: ۶۷ ح ۲۱. [۴۰۰] سورة العلق: الايات من ۱ ـ ۵. [۴۰۱] سورة

الحج: الآية ۳۲. [۴۰۲] المزار الكبير: ۱۴۹: ح ۲۰۷، مستدرك الوسائل: ۴: ۱۲ ح ۲. [۴۰۳] سورة الصف: الايتان ۲ و ۳. [۴۰۴] سورة الحج: الآية ۳۲. [۴۰۵] سورة الحشر: الآية ۷. [۴۰۶] اعلموا انى فاطمة: ۲: ۶۸۱ ـ ۶۹۸. [۴۰۷] شرح السنة: ۵: ۱۰۷، مسند احمد: ۶: ۲۹۸ وكنز العمال: ۲۰: ۵۵. [۴۰۸] حلية الأولياء: ۱: ۶۹، نظم درر السمطين: ۱۹۲ فتح البارى فى شرح البخارى: ۱۱: ۱۰۲، اعلام النساء: ۳: ۱۲۰۲. [۴۰۹] كنز العمال: ۲: ۵۸. [۴۱۰] الكافى: ۳: ۳۴۳ ح ۱۴، الوسائل: ۴: ۱۲۰۴ ح ۱. [۴۱۱] ثواب الاعمال: ۱۹۶ ح ۲، البلد الامين: ۹ قطعة ـ الوسائل: ۴: ۱۰۲۳ ح ۳. [۴۱۲] امالى الصدوق: ۴۶۴ ح ۱۶، ثواب الاعمال: ۱۹۵. [۴۱۳] فلاح السائل: ۱۶۵، ثواب الاعمال: ۱۹۶ ح ۴. [۴۱۴] المصدر السابق. [۴۱۵] مشكاة الانوار: ۲۷۸ ح ۱۴. [۴۱۶] التهذيب: ۳: ۶۷ ح ۲۱. [۴۱۷] كشف الغمة: ۱: ۴۷۱. [۴۱۸] معانى الأخبار: ۱۹۳ ح ۵، تفسير العياشى: ۱: ۶۸. [۴۱۹] البحار: ۸۵: ۳۴۰ ح ۳۲. [۴۲۰] البحار: ۴۲: ۱۰۵. [۴۲۱] البحار: ۲: ۱۸۲. [۴۲۲] معانى الأخبار: ۲. [۴۲۳] البحار: ۲: ۱۶۰. [۴۲۴] البحار: ۲: ۱۶۰. [۴۲۵] البحار: ۳: ۱۴. [۴۲۶] الكافى: ۱: ۴۴. [۴۲۷] البحار: ۳: ۱۵۹. [۴۲۸] مسار الشيعة: ۲۱. [۴۲۹] حدائق الرياض: نقلا عن الاقبال: ۶۲۱، عن البحار: ۴۳: ۸ ح ۱۲. [۴۳۰] مصباح المتهجد: ۷۳۳، عن البحار: ۴۳: ۹ ح ۱۵. [۴۳۱] دلائل الإمامة: ۱۰ عن البحار: ۴۳: ۹ ح ۱۶. [۴۳۲] الكافى: ۱: ۴۵۷ ح ۱۰، عن البحار: ۴۳: ۹ ح ۱۳. [۴۳۳] اثبات الوصية: ۱۵۴، وذهب المسعودى فى ذكر تاريخ ولادة الإمام الحسن عليه السلام ونسبه له إلّا ان هذا التاريخ لفاطمة عليها السلام علما بان ولادة الإمام الحسن المشهورة سنة ۲ للهجرة. [۴۳۴] مسار الشيعة: ۳۱. [۴۳۵] مصباح المتهجد: ۷۳۳، عن البحار، ۴۳: ۹ ح ۸. [۴۳۶] كشف الغمة: ۱: ۴۴۹،عن البحار: ۴۳: ۷ ح ۸. [۴۳۷] دلائل الإمامة: ۷۹ ح ۱۸. [۴۳۸] الكافى: ۱: ۴۵۷ ح ۱۰. [۴۳۹] لم نعثر عليه فى السيرة. [۴۴۰] حلية الأولياء. [۴۴۱] مقاتل الطالبين: ۴۸. [۴۴۲] تواريخ النبى والال: ۲۵. [۴۴۳] الروم: ۴. [۴۴۴] «البحار» ۴۳: ۱۸. [۴۴۵] قيل انها صفوراء. [۴۴۶] «البحار» ۱۶: ۸۰. [۴۴۷] الوامق: المحب. [۴۴۸] أجفت الباب: رددته. [۴۴۹] البحار: ۱۶: ۷۸ ـ ۸۰. [۴۵۰] انظر «مجمع البحرين». [۴۵۱] روضة الكافى: ۳۴۰، الرقم ۵۳۶. [۴۵۲] البحار: ۴۳: ۹. [۴۵۳] «البحار» ج ۴۳، ص ۹. [۴۵۴] «كشف الغمة» ج ۱، ص ۳۳۹. [۴۵۵] القصيدة للمرحوم الخطيب السيد خضر القزوينى، ديوان شعراء الحسين عليه السلام: ص ۲۳۰. [۴۵۶] دلائل الإمامة ۴۵، البحار ۴۳ ص ۱۷۰. [۴۵۷] الاحتجاج للطبرسى: ۱: ۱۴۷، البحار: ۴۳: ۱۶۱، شرح ابن ابى الحديد: ۱۶: ۲۳۳، بلاغات النساء: ۱۹. [۴۵۸] البحار: ۴۳: ۲۱۸. [۴۵۹] البحار: ۴۳: ۱۹۸. [۴۶۰] البحار: ۴۳: ۱۹۱. [۴۶۱] مناقب ابن شهر اشوب: ۳: ۳۶۲. [۴۶۲] البحار: ۴۳: ۱۷۸. [۴۶۳] البحار: ۴۳: ۱۹۲. [۴۶۴] المصدر السابق. [۴۶۵] دلائل الإمامة: ۴۲. [۴۶۶] دلائل الإمامة: ۴۲. [۴۶۷] البحار: ۴۳: ۲۱۴. [۴۶۸] دلائل الإمامة: ۴۴. [۴۶۹] البحار: ۴۳: ۱۸۶. [۴۷۰] البحار: ۴۳: ۱۹۲. [۴۷۱] البحار: ۴۳: ۱۹۹. [۴۷۲] البحار: ج ۴۳: ص ۱۷۹. [۴۷۳] البحار: ۴۳: ۱۸۳. [۴۷۴] البحار: ۴۳: ۲۱۱، ۱۹۳. [۴۷۵] البحار: ۴۳: ۱۸۳. [۴۷۶] البحار: ۴۳: ۱۹۹. [۴۷۷] دلائل الإمامة: ۴۶، عن البحار: ۴۳: ۱۷۱ ح ۱۱. [۴۷۸] مسار الشيعة: ۳۱. [۴۷۹] مصباح المتهجد: ۷۳۳، عنه البحار، ۴۳: ۲۱۵ ح ۴۶. [۴۸۰] الاقبال: ۶۳۳، عنه البحار: ۴۳: ۱۹۶ ح ۲۶. [۴۸۱] كشف الغمة: ۱: ۵۰۳ عنه البحار: ۴۳: ۱۸۹. [۴۸۲] ونقل البحار عن العاصمى: ۴۳: ۲۱۳ ح ۴۴. [۴۸۳] مصباح المتهجد: ۷۴۸، عنه البحار: ۴۳: ۲۱۵ ح ۴۷. [۴۸۴] مقاتل الطالبيين: ۴۹، عنه البحار: ۴۳: ۲۱۵. [۴۸۵] كشف الغمة: ۱: ۵۰۲، عنه البحار: ۴۳: ۱۸۸ ح ۱۹. [۴۸۶] المعارف لابن قتيبة: ۱۴۲. [۴۸۷] كشف الغمة: ۱: ۵۰۳. [۴۸۸] الاحتجاج: عن كتاب سليم بن قيس الهلالى: ۲۱۲، عنه البحار: ۴۳: ۱۹۹ ضمن ح ۲۹. [۴۸۹] الكافى: ۴۵۸: ۱. [۴۹۰] كشف الغمّة: ۱: ۴۴۹، عن ابن الخشّاب. [۴۹۱] عينم المعجزات: ۵۵، عه البحار: ۴۳: ۲۱۲ ح ۴۱. [۴۹۲] الكافى: ۱: ۲۴۱ ح ۵، عنه البحار: ۴۳: ۱۹۴ ح ۲۲. [۴۹۳] الكافى: ۴: ۵۶۱ ح ۴، عنه البحار، ۴۳: ۱۹۵ ح ۲۴. [۴۹۴] الكافى: ۳: ۲۲۸ ح ۳، عنه البحار: ۴۳: ۱۹۵ ذح ۲۴. [۴۹۵] كشف الغمّة: ۱: ۵۰۳. [۴۹۶] كشف الغمة: ۱: ۵۰۳. [۴۹۷] كلام المؤلف (ره) هنا فى ثبوت وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم من صفر من كونه الثامن والعشرين وعدم ثبوته، وعلى قول أنه الثانى عشر من ربيع الأول والمقصود هنا وقع التحريف والتصحيف للتشابه وفى أكثر من هذا من الأقوال وهو غير بعيد من التحريف. [۴۹۸] تواريخ النبى والآل: ۵۵ ـ ۵۷. [۴۹۹] الخرائج والجرائح: ۵۳۰: ح ۶. [۵۰۰] الثاقب فى المناقب: ۲۹۱ ح ۲۴۹. [۵۰۱] البقبقة: حكاية صوت القدر فى غليانه (تاج العروس: ۶: ۲۹۷). [۵۰۲] العوالم: ۱: ۱۹۸. [۵۰۳] آل

عمران: ٣٧. [٥٠۴] الخرائج والجرائح: ٥٢٨ ح ٣، عنه البحار، ۴٣: ٢٧ ح ٣٠. ورواه فى الثاقب فى المناقب: ٢٩٥ بإسناده عن زينب، والعرائس: ٥٧، ومقتل الحسين: ١: ٥٧، وفرائد السمطين: ٢: ٥١، وابن كثير فى البداية والنهاية: ۶: ١١١ وفى تفسيره: ٢: ٢٢٢، والدرّ المنثور: ٢: ٢٠، وروح المعانى: ٣: ١٢۴، عن بعضها الإحقاق: ٣: ٥٣٨، و ١٠: ٣١۴. [٥٠٥] القتار: هو ريح القدر والشواء ونحوهما (النهاية: ۴: ١٢). [٥٠۶] آل عمران: ٣٧. [٥٠٧] البحار: ۴٣: ۶٩، وقد قال فى البحار بعد هذه الرواية: أقول: وجدت هذا الحديث فى كتاب قديم من مؤلفات العامّة، قال: حدّثنا أبو بكر أحمد بن على الطرشيشى ببغداد سنة ٨۴؛ قال: حدّثتنا كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المروزى بمكّة حرسها الله بقراءتها علينا فى المسجد الحرام فى ذى الحجة ۴٣١، قالت: أخبرنا أبو على زاهر بن أحمد الفقيه ـ الخ. يراجع البحار. ورواه فى مقتل الحسين: ١: ٧١، وفى نزهة المجالس: ١: ٢٢۴ (نحوه)، عنه الإحقاق: ١٠: ٣١٨، المستدرك: ١٠: ٣١٠ ح ١ (قطعة). [٥٠٨] قوله: رميا شحيحا، الشح: البخل مع حرص، وهو لا ـ يناسب المقام إلاّ ـ بتكلف. ويحتمل ان يكون اصله سحيحا، بالسين المهملة من السح بمعنى: السيلان، كناية عن المبالغة فى النظر والتحديق بال بالبصر وعلى ما فى النسخ يحتمل ان يكون من الحرص كناية عن المبالغة فى النظر، او البخل كناية عن النظر بطرف البصر على وجه الغيظ. [٥٠٩] كشف الغمة: ١: ۴۶٩، أمالى الطوسى: ٢: ٢٢٨، عنها البحار: ۴٣: ٥٩ ح ٥١. تأويل الايات: ١: ١٠٨ ح ١٥، والبحار: ٩۶: ١۴٧ ح ٢٥، واخرجه فى ذخائر العقبى: ۴٥، وكفاية الطالب: ٣۶٧ وينابيع المودة: ١٩٩، ملخصا عن الاربعين الطوال الدمشقى، ورواه فى أهل البيت: ١٢٢، والاحقاق: ١٠: ٣٢٣ وج ١٩: ١٢٠. ورواه فى المعيار والموازنة: ٢٣۶، وتوضيح الدلائل عنهما الاحقاق: ١٨: ٥٠. [٥١٠] مدينة المعاجز: ٢٣٩. [٥١١] البحار: ٨٩: ٣۶٥ ح ٥٩، البلد الامين: ٥٢٣، الجنة الواقية: ١٧٩. [٥١٢] ينابيع المودة: ٣۶٧. [٥١٣] الملاءة ـ بالضم والمد ـ الازار والريطة. [٥١۴] المناقب: ٣: ١١٧، والخرائج والجرائح: ٣٥٧ ح ١٣. [٥١٥] المناقب: ٣: ١١٨. [٥١۶] كشف الغمة: ١: ۴۶۶، مقتل الخوارزمى: ١: ۶٢، حلية الأولياء: ٢: ۴٠ أرجح المطالب: ٢۴۴، اسعاف الراغبين: ١٨٧. [٥١٧] نوادر الراوندى: ١٣. [٥١٨] البحار: ۴٣: ٩٢. [٥١٩] المرأة فى فكر الإمام الخمينى: ٢٣ ـ ٢۴. [٥٢٠] امالى الصدوق: ٣٩۴ ح ١٨ بشارة المصطفى: ٢١٨. [٥٢١] علل الشرايع: ١: ١٨١ ح ١، دلائل الإمامة (٥۶). [٥٢٢] المناقب: ٣: ١١٩، ربيع الابرار: ٢: ١٠۴. [٥٢٣] البحار: ج ۴٣: ص ٢١۶، عن الديوان المنسوب لأمير المؤمنين انشدها بعد وفاة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام ولم يذكر الجامع للديوان المنسوب لامير المؤمنين عليه السلام من هذه القصيدة سوى ثلاثة ابيات فقط. [٥٢۴] السفينة: ٥ «الشيخ جعفر الباقرى». [٥٢٥] الكافى: ١: ١٨١ ح ۴. [٥٢۶] عن الإمام على ع من حبه عنوان الصحيفة ٣٨ نقلها عن عبقات الانوار. [٥٢٧] القصيدة للمرحوم الشيخ محمد على اليعقوبى: الذخائر: ص ١٢. [٥٢٨] راجع فاطمة الزهراء ليلة القدر ـ لآية الله السيد عادل العلوى حفظه الله. [٥٢٩] سورة النور: آية ۶۶. [٥٣٠] المناقب لابن المغازلى: (من علماء العامة): ٣١٧. [٥٣١] عوالم العلوم والمعارف ۶: ٧. [٥٣٢] فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى: ٢۴: عن الخصائص الحسينية: ١. [٥٣٣] سورة آل عمران: الآية ١٨٥. [٥٣۴] فرائد السمطين: ٢: ٥٨. [٥٣٥] البحار ۴٣: ١۶. [٥٣۶] نور الابصار: ٥٢. [٥٣٧] البحار: ۴٣: ٥۴. [٥٣٨] فرائد السمطين: ٢: ۶٧. [٥٣٩] تفسير البرهان: ٣: ۴٨٧ ح ٢۴. [٥۴٠] امالى الصدوق: ۴٧۴، ح ١٨، علل الشرائع: ١: ١٧٨، الخصال: ۴١۴، ح ٣، روضة الواعظين: ١٧٩. [٥۴١] راجع كتابنا العبد الصالح الإمام موسى بن جعفر. [٥۴٢] الكافى: ٢: ١٨، باب الأسماء والكنى. [٥۴٣] الكافى: ۶: ١٩، باب الأسماء والكنى. [٥۴۴] الكافى: ۶: ١٩، باب الأسماء والكنى. [٥۴٥] أمالى الصدوق: ۴٧۴ ح ١٨، علل الشرائع: ١: ١٧٨، الخصال: ۴١۴ ح ٣، روضة الواعظين: ١٧٩، دلائل الإمامة: ١٠. [٥۴۶] المراد م الأسماء المعنوية أى المعانى التى تدل عليها الأسماء الظاهرية لفاطمة (عليها السلام). [٥۴٧] امالى الصدوق: ۴٧۴، ح ١٨، علل الشرائع: ١: ١٧٨، الخصال: ۴١۴، ح ٣، روضة الواعظين: ١٧٩. [٥۴٨] وسائل الشيعة: ١٥: ١٠٠ باب ٨٧. [٥۴٩] نوع من التمر سمى به لشدة حلاوته تشبيهاً بالسكر الطبرزد. [٥٥٠] الجلواز الشرطى الذى يخف فى المجىء والذهاب بين يدى الأمير. [٥٥١] البحار: ۴٧: ٣٧٩ ـ ٣٨١. [٥٥٢] سفينة البحار: ١: ۶۶٢. [٥٥٣] البحار: ٢٢: ۴٧٧. [٥٥۴] كشف الغمة: ١: ۴۶٣. [٥٥٥] البحار: ۴٣: ١٣ ح ٧، علل الشرائع: ١: ١٧٨ ح ٢. [٥٥۶] البحار: ۴٣: ۶٥. [٥٥٧] البحار: ۴٣: ١٥. [٥٥٨] البحار: ۴٣: ١۶، المناقب لابن شهر اشوب: ٣: ١١٠. [٥٥٩] البحار: ۴٣: ١۶. [٥۶٠] البحار: ۴٣: ١۴ ـ ١٥، الجواهر

السنیهٔ: ۲۴۷، المختصر: ۱۳۲. [۵۶۱] البحار: ۴۳: ۱۳ ـ ۱۴، الکافی: ۱: ۴۶ ح ۶، المحجهٔ البیضاء: ۴: ۲۱۲. [۵۶۲] اللمعهٔ البیضاء: ۳۷ ـ ۳۹. [۵۶۳] فاطمهٔ بهجهٔ قلب المصطفی: ۱۵۲. [۵۶۴] البحار: ۴۳: ۶۵. [۵۶۵] ما تکاملت النبوّهٔ لنبیّ حتی أقرّ بفضلها ومحبّتها، ملتقی البحرین، للمرندی: ۳۹. [۵۶۶] راجع فرائد السمطین: ۱: ۳۸. [۵۶۷] بیت الأحزان: ۱۰۰. [۵۶۸] سورهٔ الحدید: ۱۹. [۵۶۹] المائدهٔ: ۷۵. [۵۷۰] البحار: ۲۲: ۴۹۱. [۵۷۱] الوسائل: ۲: ۷۱۴ ـ ۷۱۵. [۵۷۲] الریاض النضرهٔ: ۲: ۲۰۲ علی ما فی الغدیر: ۲: ۳۰۵. [۵۷۳] مرآهٔ العقول: ۵: ۳۱۵. [۵۷۴] البحار: ۴۳، ۱۰۵. [۵۷۵] لسان العرب: مادهٔ برک. [۵۷۶] تاج العروس: مادهٔ البرکهٔ. [۵۷۷] البحار: ۴۳: ۲۲. [۵۷۸] المیزان: ۲۰: ۳۷۰ ـ ۳۷۱. [۵۷۹] التفسیر الکبیر: ۳۲: ۱۲۴. [۵۸۰] التفسیر الکبیر: ۳۲: ۱۲۸. [۵۸۱] روح المعانی: ۳۰: ۲۴۷. [۵۸۲] فاطمهٔ الزهراء من المهد إلی اللحد: ص ۸۶ ـ ۸۷. [۵۸۳] الأنعام: ۸۴ ـ ۸۵. [۵۸۴] کفایهٔ الطالب: ۳۷۹. [۵۸۵] البحار: ۴۳: ۱۰۱. [۵۸۶] نهج البلاغهٔ: الخطبهٔ ۲۰۵. [۵۸۷] آل عمران: ۶۱. [۵۸۸] الأحزاب: ۴۰. [۵۸۹] شرح النهج: ۱۱: ۲۶. [۵۹۰] تاریخ بغداد: ۱: ۳۱۶ ـ ۳۱۷. [۵۹۱] الأنعام: ۳۸. [۵۹۲] الأنعام: ۸۴. [۵۹۳] آل عمران: ۶۱. [۵۹۴] الأنبیاء: ۶۰. [۵۹۵] البحار: ۴۸: ۱۲۷. [۵۹۶] النساء: ۲۳. [۵۹۷] البحار: ۴۳: ۲۳۳. [۵۹۸] البحار: ۴۳: ۲۲۹. [۵۹۹] البحار: ۴۳: ۱۹، ۱۶. مصباح الأنوار علی ما فی العوالم: ۲۲۲ مخطوط. [۶۰۰] الماقب: ۳: ۱۱۰. التهذیب: ۷: ۴۷۵. بشارهٔ المصطفی: ۳۰۶. [۶۰۱] اللمعهٔ البیضاء: ۲۴. [۶۰۲] الغدیر: ۳: ۲۱۱. [۶۰۳] سنن البیهقی: ۷: ۶۵. [۶۰۴] سنن البیهقی: ۷: ۶۵. [۶۰۵] منتقی الجمان: ۱: ۲۲۴. [۶۰۶] مسند أحمد: ۶: ۴۶۱، وکذلک ورّد هذا الخبر فی کتب مختلفهٔ للعامّهٔ والخاصّهٔ، منها «الاصابهٔ» لابن حجر فی ترجمتها علیها السلام، و «حلیهٔالأولیاء»: ۲: ۴۳، و «کشف الغمّهٔ»: ۱: ص ۵۰۲، و «الماقب» لابن شهر آشوب: ۳: ۳۶۴، و «المستدرک» للمحدث النوریّ: ۱: ۱۰۴ فی نوادر الغسل. [۶۰۷] اصول الکافی: ۲: ۶۶. [۶۰۸] اصول الکافی: ۲: ۶۶. [۶۰۹] اصول الکافی: ۲: ۶۸. [۶۱۰] مسند فاطمهٔ علیها السلام للحافظ البوطی: ۱۱۰. [۶۱۱] اللمعهٔ البیضاء: ۹۲. [۶۱۲] سورهٔ مریم: آیهٔ ۱۶ ـ ۲۱. [۶۱۳] آل عمران: ۴۳. [۶۱۴] هود آیهٔ: ۷۱ ـ ۷۳. [۶۱۵] القصص: ۷. [۶۱۶] سورهٔ مریم: آیهٔ ۱۱. [۶۱۷] فصلت: ۱۲. [۶۱۸] المائدهٔ: ۱۱۱. [۶۱۹] الأنفال: ۱۲. [۶۲۰] النحل: ۶۸. [۶۲۱] القصص: ۷. [۶۲۲] طه: ۳۸. [۶۲۳] موجز علوم القرآن: ۱۱۰. [۶۲۴] النساء: ۱۶۳. [۶۲۵] الشوری: آیهٔ ۵۱. [۶۲۶] إشارهٔ إلی الآیهٔ: ۴۲ من سورهٔ آل عمران. [۶۲۷] البحار: ۴۳: ۷۸. [۶۲۸] الحج: ۵۲. [۶۲۹] البحار: ۴۳: ۷۹. [۶۳۰] الغدیر: ۵: ۴۲. [۶۳۱] الغدیر: ۵: ۴۹. [۶۳۲] فیض القدیر: ۴: ۵۰۷. [۶۳۳] بصائر الدرجات: ۱۵۶. [۶۳۴] أعیان الشیعهٔ: ۱: ۹۷. [۶۳۵] فاطمهٔ من المهد إلی اللحد: ۸۳. [۶۳۶] راجع بصائر الدرجات: ۱۵۱ ـ ۱۶۱. [۶۳۷] بصائر الدرجات: ۱۵۱ ـ ۱۶۱. [۶۳۸] نفس المصدر السابق. [۶۳۹] نفس المصدر السابق. [۶۴۰] البحار: ۴۳: ۸۰. [۶۴۱] البحار: ۴۳: ۸۰. [۶۴۲] دلائل الإمامهٔ للطبری: ۲۷ ـ ۲۸. [۶۴۳] فاطمهٔ بهجهٔ قلب المصطفی: ص ۱۷۶. [۶۴۴] البحار: ۴۰: ۴۴، ارشاد القلوب، ۴۰۳، الفضائل لابن شاذان: ۱۷۲. [۶۴۵] البحار: ۴۳: ۱۱ ح ۲، علل الشرائع ۱: ۱۸۰ ح ۲. [۶۴۶] البحار: ۴۳: ۱۶، المناقب: ۳: ۱۱۰. [۶۴۷] البحار: ۴۳: ۱۶، المناقب: ۳: ۱۱۱. [۶۴۸] معانی الأخبار: ۶۴ ح ۱۵، دلائل الإمامهٔ: ۵۴. [۶۴۹] البحار: ۴۳: ۱۲. [۶۵۰] البحار: ۴۳: ۵۲. [۶۵۱] وفاهٔ الزهراء: ۱۵. [۶۵۲] لسان العرب: مادهٔ بتل. [۶۵۳] النهایهٔ: مادهٔ بتل. [۶۵۴] مجمع البحرین: مادهٔ بتل. [۶۵۵] احقاق الحق: ۱۰: ۲۵، المناقب المرتضویهٔ ۱۱۹. [۶۵۶] ینابیع المودهٔ: ۲۶۰. [۶۵۷] معانی الأخبار: ۶۴. [۶۵۸] أخبار الدول: ۸۷، احقاق الحق: ۱۰: ۲۴۴. [۶۵۹] ذخائر العقبی: ۲۶. [۶۶۰] تاریخ بغداد: ۳: ۳۳۱. [۶۶۱] التاریخ الکبیر لابن عساکر: ۱: ۳۹۱. [۶۶۲] نزههٔ المجالس: ۲۲۷. [۶۶۳] البحار: ۴۳: ۱۶. [۶۶۴] البحار: ۴۳، ص ۷. [۶۶۵] البحار: ۴۳: ۱۹. [۶۶۶] فاطمهٔ بهجهٔ قلب المصطفی: ۱۶۰ ـ ۱۶۱. [۶۶۷] نهج البلاغهٔ: خطبهٔ ۷۸. [۶۶۸] البحار: ۴۳: ۱۶. [۶۶۹] یقول السید الأمین فی المجالس السنیهٔ ص ۱۰۱ ج ۵ وجدت هذه القصیدهٔ بخط الشهید الأول محمد بن مکی العاملی ویظهر أنها لبعض أشراف مکهٔ. [۶۷۰] الکری: النعاس. [۶۷۱] معجم البلدان: ۴: ۲۳۸، لسان العرب: ۱۰: ۲۰۳. [۶۷۲] الحشر: آیهٔ ۶ ـ ۷. [۶۷۳] ج ۱: ص ۴۷۶. [۶۷۴] ۲: ۲۸۷ ح ۵۰. [۶۷۵] ۱: ۴۳۵ ح ۵، البرهان: ۳: ۲۶۴ ح ۳. [۶۷۶] ۶: ۴۱۱. [۶۷۷] ۲۳۹: ح ۳۲۳، ۳۲۲: ح ۴۳۷. [۶۷۸] عیون أخبار الرضا: ۱: ۲۳۳ ضمن ح ۱، البرهان: ۲: ۴۱۵ ح ۲، غایهٔ المرام: ۳۲۳ ح ۲۱۹، نور الثقلین: ۵: ۲۷۵. [۶۷۹] نهج البلاغهٔ: ۴۱۷ ضمن کتاب: ۴۵. [۶۸۰] العوالم: ۷۰۷ الخاصهٔ بفاطمهٔ علیها السلام. [۶۸۱]

شرح نهج البلاغة: ۱۶: ۲۱۰. [۶۸۲] فى الشرح: ما أقام بالمدينة. [۶۸۳] أقول: إنّ فدك كانت فى أيديهم، وتحت تصرّفهم، وعلى هذا فلم يكن للخليفة الغاصب مطالبتهم بالبينة، فإنّها خلاف موازين القضاء، ولم يكن إقطاع الرسول صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام وأهلها أمراً فريداً يخصّها: ففى فتوح البلدان للبلاذرى: ۳۱: انه صلى الله عليه وآله أقطع من أرض بنى النضير أبا بكر وعبد الرحمن بن عوف وأبا دجانة، وغيرهم، وفى ص ۳۴: وأقطع الزبير بن العوام أرضاً من أرض بنى النضير ذات نخل. وفى ص ۲۷: وأقطع بلالاـ أرضاً فيها جبل ومعدن، وقال مالك بن أنس: أقطع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلال بن الحارث معادن بناحية الفرع؛ وأقطع علياً عليه السلام أربع أرضين: الفقيرين وبئر قيس والشجرة. وفى ص ۳۴: وأبو بكر نفسه أقطع الزبير الجرف، وعمر أقطعه العقيق، أجمع. فما أدرى لماذا أخذوا من فاطمة نحلة أبيها صلى الله عليه وآله؟ وهل كانت هى فقط من الأموال العامة للمسلمين؟ نعم، كان سبب ابتزازها نحلة فاطمة وأبنيها تكون دعماً لبيت الإمامة ملازمة. [۶۸۴] أى ملقياً نفسه على الرمال لا حاجز بينهما، ورمال السرير ـ بالكسر: ما رمل أى نسج، جمع رمل بمعنى مرمول كالخلق بمعنى المخلوق، والمراد به أنّه كان السرير قد نسج وجهه بالسعف ولم يكن على السرير وطا سوى الحصير. [۶۸۵] الوسادة: المخدّة. [۶۸۶] ودفّ أهل أبيات: أى دخلوا المصر، يقال: دفّ دافّة من العرب. [۶۸۷] الرضخ ـ بالضاد والخاء المعجمتين ـ: العطاء القليل. [۶۸۸] يرفأ ـ بالراء والفاء والهمز على صيغة المضارع ـ: كينع، علم مولى عمر بن الخطاب. [۶۸۹] اتئدوا: امر من التؤدة أى التانى والتثبت. [۶۹۰] أى مسنداً. [۶۹۱] جامع الاصول: ۳: ۳۱۱. [۶۹۲] ۳: ۳۱۱. [۶۹۳] كذا فى البحار. [۶۹۴] قال العلامة المجلسى رضى الله عنه فى البحارج ۸: ص ۱۱۴، ط الكمبانى: ولنوضح الخطبة الغّراء عن سيدّة النساء صلوات الله عليها، الّتى تحيّر من العجب منها والاعجاب بها أحد الفصحاء والبلغاء، ونبنى الشرح على رواية، «الاحتجاج» ونشير أحياناً إلى الروايات الأخر. [۶۹۵] أى أحكم التيۀ والعزيمة عليه. [۶۹۶] أى عصبته وجمعته يقال: لاث العمامة على رأسه يلوثها لوثاً، أى شدّها وربطها. [۶۹۷] الجلباب، بالكسر: يطلق على الملحفة والرداء والازارة، والثوب الواسع للمرأة دون الملحفة والثوب كالمقنعة تغطّى بها المرأة رأسها وصدرها وظهرها. والأول هنا أظهر. [۶۹۸] اللمة، بضم اللام وتخفيف الميم: الجماعة. قال فى النهاية: «فى حديث فاطمة عليها السلام أنّها خرجت فى لمة من نسائها، تتوطّأ ذيلها إلى أبى بكر فعاتبته، أى فى جماعة من نسائها. قيل: هى ما بين الثالثة إلى العشرة، وقيل: اللمة: المثل فى السن والترب». وقال الجوهرى: «الهاء عوض من الهمزة الذاهبة من وسطه، وهو مما اخذت عينه كسهٍ ومذ، وأصلها فعلة من الملائمة وهى الموافقة». انتهى. أقول: ويحتمل أن يكون بتشديد الميم، قال الفيروز آبادى: «اللّمّة بالضم: الصاحب والاصحاب فى السفر والمونس، للواحد والجمع». [۶۹۹] الحفدة، بالتحريك: الأعون والخدم. [۷۰۰] أى كانت أثوابها طويلة تستر قدميها وتضع عليها قدمها عند المشى. وجمع الذيل باعتبار الأجزاء أو تعدد الثياب. [۷۰۱] فى بعض النسخ «من مشى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم». والخرم: الترك والنقص والعدول. المشية بالكسر: الاسم من مشى يمشى مشيا، أى لم تنقص مشيتها من مشيته صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً كأنّه هو بعينه. قال فى النهاية: «فيه: ما خرمت من صلاة رسول الله شيئاً، أى ما تركت. ومنه الحديث: لم أخرم منه حرفاً، أى لم أدع». [۷۰۲] الحشد، بالفتح وقد يحرّك: الجماعة. وفى الكشف: «إنّ فاطمة عليها السلام لمّا بلغها إجماع أبى بكر على منعها فدكاً لاثت خمارها، وأقبلت فى لميمه من حفدتها ونساء قومها، تجرّ أدراعها، وتطأ فى ذيولها، ما تخرم من مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتّى دخلت على أبى بكر وقد حشد المهاجرين والأنصار، فضرب بينهم بريطة بيضاء ـ وقيل: قبطيّة ـ فأنّت أنّه أجهش لها القوم بالبكاء، ثمّ أمهلت طويلاً حتى سكنوا من فورتهم، ثمّ قالت: ابتدىء بحمد من هو أولى بالحمد والطول والمجد، الحمد لله على ما أنعم». [۷۰۳] الملاءة، بالضم والمدّ: الريطة والازار، ونيطت بمعنى علّقت، أى ضربوا بينها عليها السلام وبين القوم ستراً وحجاباً. والريطة، بالفتح: الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين، أوهى كلّ ثوب ليّن رقيق، والقبطّية، بالكسر: ثياب بيض رقاق من كتّان تتّخذ بمصر، وقد يضمّ لأنّهم يغيّرون فى النسبة. [۷۰۴] الجهش أن يفزع الإنسان إلى غيره وهو مع ذلك يريد البكاء كالصبىّ يفزع إلى امه وقد يتهيّا للبكاء يقال: جهش إليه ـ كمنع ـ وأجهش. [۷۰۵] الارتجاع: الاضطراب. [۷۰۶] أى صبرت زماناً قليلاً. [۷۰۷] النشيج: صوت معه توجع وبكاء كما يردد الصبىّ بكاءه فى صدره. [۷۰۸] هدأت ـ

كمنعت ـ أى سكنت. وفورة الشىء: شدته، وفارالقدر أى جاشت. [۷۰۹] أى بنعم أعطاها العباد قبل أن يستحقوها. ويحتمل أن يكون المراد بالقديم الإيجاد والفعل من غير ملاحظة معنى الابتداء فيكون تأسيساً. [۷۱۰] السبوغ: الكمال. والآلاء: النعماء، جمع ألى، بالفتح والقصر وقد يكسر الهمزة. وأسدى وأولى وأعطى بمعنى واحد. [۷۱۱] والاها، أى تابعها بإعطاء نعمة بعد اخرى بلافصل. [۷۱۲] جمّ الشىء أى كثر. والجم: الكثير، والتعدية بعن لتضمين معنى التعدى والتجاوز. [۷۱۳] الأمد بالتحريك: الغاية «و» المنتهى، أى بعد عن الجزاء بالشكر غايتها. فالمراد بالأمد إمّا الأمد المفروض إذلا أمد لها على الحقيقة، أو الأمد الحقيقى لكل حد من حدودها المفروضة، يحتمل أن يكون المراد بأمدها ابتداؤها، وقد مر فى كثير من الخطب بهذا المعنى. وقال فى النهاية: «فى حديث الحجّاج قال للحسن: ما أمدك؟ قال: سنتان من خلافة عمر. أراد أنه ولد لسنتين من خلافته. وللإنسان أمدان: مولده وموته» انتهى. وإذا حمل عليه يكون أبلغ. ويحتمل على بعد أن يقرأ بكسر الميم، قال الفيروز آبادى: «الآمد: المملوّ من خير وشرّ، والسفينة المشحونة». [۷۱۴] التفاوت: البعد. والأبد: الدهر، والدايم، والقديم الازلىّ. وبعده عن الإدراك لعدم الانتهاء. [۷۱۵] يقال: ندبه لإمر وإليه فانتدب، أى دعاه فأجاب. واللام فى قولها «لا تصالها» لتعليل الندب، أى رغّبهم فى استزاده النعمة بسبب الشكر لتكون نعمة متصلة لهم غير منقطعة عنهم. وجعل اللام الاولى للتعليل والثانية للصلة بعيد. وفى بعض النسخ: «لإفضالها» فيحتمل تعلقه بالشكر. [۷۱۶] أى طلب منهم الحمد بسبب إجزال النعم وإكمالها عليهم، يقال: أجزلت له من العطاء، أى أكثرت، وأجزاك النعم، كأنه طلب الحمد، أو طلب منهم الحمد حقيقة لإجزال النعم. وعلى التقديرين التعدية بإلى لتضمين معنى الانتهاء أو التوجه؛ وهذه التعدية فى الحمد شايع بوجه آخر، يقال: أحمد إليك الله، قيل، أى أحمده معك، وقيل: أى أحمد إليك نعمة الله بتحديثك إياها. ويحتمل أن يكون «استحمد» بمعنى تحمّد، يقال: فلان يتحمّد علىّ، أى يمتن، فيكون إلى بمعنى على، وفيه بعد. [۷۱۷] أى بعد أن أكمل لهم النعم الدينوية ندبهم إلى تحصيل أمثالها من النعم الاخروية أو الأعم منها ومن مزيد النعم الدنيوية. ويحتمل أن يكون المراد بالندب إلى أمثالها أمر العباد بالإحسان والمعروف وهو إنعام على المحسن إليه، وعلى المحسن أيضاً، لأنه به يصير مستوجباً للأعواض والمثوبات الدنيوية والاخروية. [۷۱۸] المراد بالاخلاص جعل الأعمال كلها خالصة لله تعالى، وعدم شوب الرياء والأغراض الفاسدة، وعدم التوسل بغيره تعالى فى شىء من الامور؛ فهذا تأويل كلمة التوحيد، لأن من أيقن بأنه الخالق والمدبر وبأنه لا شريك له فى الالهية فحق له أن لا يشرك فى العبادة غيره، ولا يتوجه فى شىء من الامور إلى غيره. [۷۱۹] هذه الفقرة تحتمل وجوهاً. الأول: أن الله تعالى الزم وأوجب على القلوب ما تستلزمه هذه الكلمة من عدم تركيبه تعالى وعدم زيادة صفاته الكمالية الموجودة وأشباه ذلك مما يؤول إلى التوحيد. الثانى: أن يكون المعنى: جعل ما يصل إليه العقل من تلك الكملة مدرجاً فى القلوب بما أراهم من الآيات فى الآفاق وفى أنفسه، أو بما فطرهم عليه من التوحيد. الثالث: أن يكون المعنى لم يكلف العقول الوصول إلى منتهى دقايق كلمة التوحيد وتأويلها، بل إنما كلف عامة القلوب بالإذعان بظاهر معناها وصريح مغزاها، وهو المراد بالوصول. الرابع: أن يكو الضمير فى «موصولها» راجعاً إلى القلوب، أى لم يلزم القلوب إلاّ ما يمكنها الوصول إليها من تأويل تلك الكلمة الطيبة والدقايق المستنبطة منها، أو مطلقاً؛ ولولا التفكيك لكان أحسن الوجوه بعد الوجه الأوّل، بل مطلقاً. [۷۲۰] أى أوضح فى الاذهان ما يتعقل من تلك الكلمة بالتفكر فى الدلايل والبراهين. ويحتمل إرجاع الضمير إلى القلوب. والفكر بصيغة الجمع، أى أوضح بالتفكر ما يعقلها العقول. هذا يؤيّد الوجه الرابع من وجوه الفقرة السابقة. [۷۲۱] يمكن أن يقرأ «الأبصار» بصيغة الجمع، والمصدر، والمراد بالرؤية العلم الكامل والظهور التامّ. [۷۲۲] الظاهر أنّ الصفة هنا مصدر، ويحتمل المعنى المشهور بتقدير، أى بيان صفته. [۷۲۳] «لا من شىء» أى مادة. [۷۲۴] احتذى مثاله: اقتدى به. «وامتثلها» أى تبعها ولم يتعدّ عنها، أى لم يخلقها على وفق صنع غيره. [۷۲۵] لأن ذوى العقل ينتبهون بمشاهدة مصنوعاته بأن شكر خالقها والمنعم بها واجب وأنّ خالقها مستحق للعبادة، أو بأنّ من قدر عليها بقدر على الإعادة والانتقام. [۷۲۶] أى خلق البرّية ليتعبدهّهم، أو خلق الأشياء ليتعبد البرايا بمعرفته والاستدلال بها عليه. [۷۲۷] أى خلق الأشياء ليغلب ويظهر دعوة الأنبياء إليه بالاستدلال بها. [۷۲۸] الذود والذياد، بالذال المعجمة: السوق والطرد والدفع والإبعاد. [۷۲۹] حشت الصيد أحوشه: إذا جئته من حوإليه لتصرفه على الحبالة، ولعل

التعبير بـذلك لنفور الناس بطباعهم عما يوجب دخول الجنة. [۷۳۰] الجبل: الخلق، يقال: جبلهم الله أى خلقهم، وجبله على الشـيء أى طبعه عليه، وعلى المعنى أنّه تعالى سماه لأنبيائه قبل أن يخلقه -؛ ولعل زيادة البناء للمبالغة تنبيها على أنه خلق عظيم. وفى بعض النسخ بالحاء المهملة، يقال: احتبل الصيد، أى أخذه بالحبالة، فيكون المراد به الخلق أو البعث مجازاً، وفى بعضها «قبل أن اجتباه» أى اصطفاه بالبعثة، وكلّ منها لا تخلو من تكلف. - قال السيوطى فى «الاتقان» ج ۲: ص ۱۴۱ اخرج ابن أبى حاتم عن عمرو بن مرة قال: خمسة سموا قبل أن يكونوا: محمـد: ومبشـراً برسول يأتى من بعدى آسـمه أحمد... [۷۳۱] لعل المراد بالستر ستر العـدم، أو حجب الأصـلاب والأرحـام. ونسبته إلى الأهاويـل لمـا يلحق الأشـياء فى تلـك الاـحوال من موانع الوجود وعوائقه ويحتمـل ان يكون المراد انها كانت مصونـة عن الأهاويل بستر العـدم إذ هى إنّما تلحقها بعـد الوجود. وقيل: التعبير بالأهاويل من قبيل التعبير عن درجات العدم بالظلمات. [۷۳۲] على صـيغة الجمع أى عواقبهـا، وفى بعض النسـخ بصـيغة المفرد. [۷۳۳] أى لمعرفته تعـالى بم يصـلح وينبغى من أزمنـة الامور الممكنـة، المقـدورة وأمكنتها ويحتمل أن يكون المراد بالمقـدور المقـدر، بل هو أظهر. [۷۳۴] أى للحكمة التى خلق الأشياء لأجلها. [۷۳۵] الإضافة فى «مقـادير حتمه» من قبيـل اضافـة الموصوف إلى الصـفة، أى مقـاديره المحتومـة. [۷۳۶] تفصـيل وبيان للفرق بـذكر بعضـها، يقـال: عكف على الشـىء ـ كضـرب ونصـر ـ أى أقبـل عليه مواظبـاً ولاـزمه فهو عاكف، ويجمع على عكّف بضم العين وفتح الكـاف المشـددة كمـا هو الغـالب فى فاعل الصـفة نحو شـهّد وغيّب. والنيران جمع نار وهو قياس مطرد فى جمع الأجوف نحو تيجان وجيران. [۷۳۷] لكون معرفته تعالى فطرية، أو لقيام الدلائل الواضـحة الدالة على وجوده سـبحانه. [۷۳۸] الضمير فى «ظلمها» راجع إلى الاـمم، والضـميران التاليـان له يمكن ارجاعهمـا اليها وإلى القلوب والابصار. والظلم بضم الظاء وفتـح اللام: جمع ظلمـة، اسـتعيرت هنا للجهالة. [۷۳۹] البهم: جمع بهمة بالضم، وهى مشـكلات الامور. [۷۴۰] جلوت الأمر: أوضـحته وكشفته، والغمم: جمع غمة. يقال: أمر غمّـة، أى مبهم ملتبس، قال الله تعالى: «ثمّ لا يكن أمركم عليكم غمّـة» قال أبو عبيدة: مجازها ظلمة وضـيق، وتقول غممت الشـىء إذا غطيته وسترته. [۷۴۱] العماية: الغواية واللجاج، ذكره الفيروز آبادى. [۷۴۲] واختيار، أى من الله له ماهو خير له، أو باختيار منه صلى الله عليه وآله ورضاً، وكذا الايثار، والأول أظهر فيهما. [۷۴۳] لعلّ الظرف متعلق بالايثار بتضـمين معنى الضنة أو نحوها، وفى بعض النسخ: «محمـد» بـدون الباء بتكون الجملة استينافيه، أو مؤكدة للفقرة السابقة أو حالية بتقدير الواو. وفى بعض كتب المناقب القديمة «فمحمد صلى الله عليه وآله وسـلم» وهو أظهر. وفى رواية كشف الغمّة: «رغبة بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم عن تعب هذه الدار» وفى رواية أحمـد بن أبى طاهر: «بأبى عزّت هـذ الـدار» ولعّل المراد دار القرار، ولو كان المراد الدنيا تكون الجملة معترضة. وعلى التقادير لايخلو من تكلف. [۷۴۴] قال الفيروز آبادى: «النصب بالفتح: العلم المنصوب، ويحرك. وهذا نصب عينى، بالضم والفتح» انتهى. أى نصـبكم الله لأوامره ونواهيه وهو خير الضمير. و «عباد الله» منصوب على النداء. [۷۴۵] أى تؤدون الأحكام إلى ساير الناس لأنكم أدركتم صحبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. [۷۴۶] أى زعمتم أن ما ذكر ثابت لكم، وتلك الأسـماء صادقة عليكم بالاستحقاق. ويمكن أن يقرأ على الماضـى المجهول. وفى إيراد لفظ الزعم إشـعار بأنهم ليسوا متصـفين بها حقيقـة وإنما يـدّعو ذلك كذبا. ويمكن أن يكون «حق لكم» جملـة اخرى مسـتانفة، أى زعمتم أنكم كـذلك وكـان يحق لكم وينبغى أن تكونـوا كـذلك لكن قصـرتم. وفى بعض النسـخ: «وزعمتم حـق له فيكم وعهـد» وفى كتـاب المنـاقب القـديم: «زعمتم أن لاـ حـق لى فيكم، عهـداً قـدمه إليكم» فيكون «عهـداً» منصوباً باذكروا ونحوه - وفى الكشف: «إلى الامم حولكم، لله فيكم عهد». - وفى الإحتجاج المطبوع: «زعيم حقّ له فيكم وعهد...» فلا يحتاج إلى التكلف. [۷۴۷] العهد: الوصـية. وبقية الرجل: ما يخلفه فى أهله. والمراد بهما القران، أو بالاوّل ما أوصاهم به فى أهل بيته وعترته، وبالثـانى القرآن، وفى روايـة أحمـد بن أبى طـاهر: «وبقيّـة اسـتخلفنا عليكم ومعنـا كتاب الله» فالمراد بالبقيـة أهل البيت عليهم السـلام، وبالعهـد مـا أوصاهم به فيهم. [۷۴۸] البصـائر: جمع بصـيرة وهى الحجّـة. [۷۴۹] المراد بانكشاف السـرائر وضوحها عنـد حملـة القرآن وأهله. [۷۵۰] الغبطـة أن يتمنى المرء مثـل حـال المغبوط من غير أن يريـد زولهـا منه، تقول: غبطته فاغتبـط. والباء للسببيـة أى أشياعه مغبوطون بسـبب اتبـاعه. وتلك الفقرة غير موجودة فى ساير الروايات. [۷۵۱] على بنـاء الافعال، أى تلاوته. وفى بعض نسـخ الاحتجاج

وسایر الروایات: «استماعه». [۷۵۲] المراد بـالعزائم: الفرائض، وبالفضائـل: السنن، وبـالرخص: المباحـات بـل مـا يشـمل المكروهات، وبالشرایع ما سوى ذلک من الاحکام کالحدود والـدیات والأعم، وأما الحجج والبینات والبراهین فالظاهر أن بعضـها مؤکدهٔ لبعض، ویمکن تخصیص کـل منهـا ببعض مـا یتعلق باصول الـدین لبعض المناسـبات. وفی روایـهٔ أبی طاهر: «وبیناته الجالیـهٔ وجمله الکافیـهٔ» فـالمراد بالبینـات: المحکمـات وبالجمـل: المتشابهـات، ووصـفها بالکافیـهٔ لـدفع توهم نقص فیها لاجمالها فإنها کافیـهٔ فیما اریـد منها، ویکفی معرفـهٔ الراسـخین فی العلم بـالمقصود منها فإنهم المفسـرون لغیرهم. ویحتمل أن یکون المراد بالجمل العمومات التی یسـتنبط منها الأحکام الکثیرهٔ. [۷۵۳] أی من دنس الـذنوب، أو من رذیلـهٔ البخـل، إشارهٔ إلی قوله تعالی: (تطهرهم وتزکیهم بها). [۷۵۴] إیماء إلی قوله تعالی (وما آتیتم من زکوهٔ تریدون وجه الله فاولئک هم المضـعفون)، علی بعض التفاسیر. [۷۵۵] أی لتشید الإخلاص وإیقائه أو لاـ ثبـاته وبیانه. ویؤیـد الأخیر أن فی بعض الروایات: «تبیینا». وتخصـیص الصوم بـذلک لکونه أمراً عـدمیاً لا یظهر لغیره تعالی، فهو أبعـد من الریـاء وأقرب الی الاخلاص. وهـذا أحـد الوجوه فی تفسـیر الحـدیث المشـهور: «الصوم لی وأنا أجزی به» وقـد شـرحناه فی حواشـی الکـافی وسـیاتی فی کتاب الصوم إن شاء الله تعالی. [۷۵۶] إنمـا خص التشـید به لظهوره ووضوحه وتحمل المشاق فیه وبـذل النفس والمـال له؛ فالاتیـان به أدل دلیـل علی ثبـوت الـدین؛ أو یوجب اسـتقرار الـدین فی النفس لتلـک العلـل وغیرهـا ممـا لاـ نعرفه. ویحتمل أن یکون إشارهٔ إلی ما ورد فی الأخبار الکثیرهٔ من أن علهٔ الحج التشرف بخدمهٔ الإمام وعرض النصرهٔ علیه وتعلم شریع الدین منه، فالتشـید لا یحتاج إلی تکلف. وفی العلل وروایـهٔ ابن أبی طاهر: «تسـلیهً للـدین» فلعل المعنی تسـلیهٔ للنفس بتحمل المشاق وبـذل الأموال بسبب التقید بالدین؛ أو المراد بالتسـلیهٔ الکشف والأیضاح فإنها کشف الهم؛ أو المراد بالدین أهل الدین. أو اسـند إلیه مجازاً. والظاهر أنه تصـحیف «تسنیهٔ» وکذا فی بعض نسخ العلل، أی یصبیر سبباً لرفعهٔ الدین وعلوّه. [۷۵۷] التنسیق: التنظیم. وفی العلل: «مسکاً للقلوب» أی مـا یمسـکها. وفی القـاموس: «المسـکهٔ بـالضم: ما یتمسک به وما یمسک الأبـدان من الغـذاء والشـراب، والجمع کصـرد. والمسک محرکـهٔ: الموضع یمسک الماء». وفی روایـهٔ ابن أبی طاهر والکشف: «تنّسـکا للقلوب» أی عبادهً لها، لأن العـدل أمر نفسانی تظهر آثاره علی الجوارح. [۷۵۸] إذ به یتم فعل الطاعات وترک السیئات. [۷۵۹] أی سخطهما أو سخط الله تعالی، والأول أظهر. [۷۶۰] المنماهٔ: اسم مکان أو مصـدر میمی أی بصـیر سـبباً لکثرهٔ عـدد الأولاد والعشایر، کما أن قطعها یـذر الدیار بلاقع من أهلها. [۷۶۱] فی سایر الروایات: «للبخسـهٔ»، أی لئلا ینقص مال من ینقص المکیال والمیزان إذ التوفیـهٔ موجبـهٔ للبرکهٔ وکثرهٔ المال؛ أو لئلا ینقصوا أموال النـاس، فیکون المقصود أن هـذا أمر یحکم العقـل بقبحه. [۷۶۲] إی النجس أو مـا یجب التنزه عنه عقلاًـ والأـوّل أوضـح فی التعلیل، فیمکن الاستدلال علی نجاستها. [۷۶۳] أی لعنـهٔ الله، أو لعنهٔ المقذوف، أو القاذف، فیرجع إلی الوجه الأخیر فی السابقهٔ، والأول أظهر، إشارهٔ إلی قوله تعالی: (لعنوا فی الدنیا والآخرهٔ). [۷۶۴] أی لاولهٔ عن التصرف فی أموال الناس مطلقاً، أو یرجع الی ما مر، وکذا الفقرهٔ التالیـهٔ. وفی الکشف بعـد قوله «للعفهٔ»: «والتنزه عن أموال الأیتام، والإستیثار بفیئهم إجارهٔ من الظلم، والعدل فی الاحکام إیناساً للرعیهٔ، والتبری من الشرک إخلاصاً للربوبیهٔ». [۷۶۵] أی أوّلاً وآخراً، وفی روایهٔ أبن أبی الحدید وغیره «أقول عوداً علی بدء». والمعنی واحد. [۷۶۶] الشـطط بالتحریک: البعد عن الحقّ ومجاوزهٔ الحدّ فی کل شـیء. وفی الکشف: «ما أقول ذلک سـرفاً ولا شططاً». [۷۶۷] أی لم یصبه شیء من ولادهٔ الجاهلیهٔ، بل عن نکاح طیب، کما روی عن الصادق علیه السلام. وقیل: أی من جنسکم من البشر، ثمّ من العرب، ثمّ من بنی إسماعیل. [۷۶۸] أی علی إیمانکم وصلاح شانکم. [۷۶۹] التوبهٔ: آیهٔ ۱۲۸. [۷۷۰] أی رحیم بالمؤمنین منکم ومن غیرکم، والرأفـهٔ: شـدهٔ الرحمـهٔ، والتقـدیم لرعایهٔ الفواصل. وقیل: رؤوف بمن رآه، رحیم بمن لم یره. فالتقدیم للاهتمام بالمتعلق. [۷۷۱] یقال: «عزوته إلی أبیه» أی نسـبته إلیه، أی لن ذکرتم نسـبه وعرفتموه تجدوه أبی وأخا بن عمّی، فالاخوهٔ ذکرت اسـتطراداً، ویمکن ان یکون الانتساب أعمّ من النسب ومما طرأ أخیراً، ویمکن ان یقرأ «وآخا» بصـیغهٔ الماضـی، وفی بعض الروایات: «فإن تعزّروه وتوقروه». [۷۷۲] الصـدع: الإظهار تقول: صدعت الشـیء، أی أظهرته، وصدعت بالحقّ إذا تکلمت به جهاراً، قال الله تعالی: «فاصدع بما مؤثر». والنذارهٔ بالکسـر: الإنـذار وهـو الإعلام علی وجـه التخویـف. [۷۷۳] المدرجـهٔ: المـذهب والمسلک. وفی الکشـف: «ناکبـاً عن سـنن مـدرجهٔ

المشركين» وفى رواية ابن أبى طاهر «مائلاً على مدرجة» أى قائماً للرد عليهم، وهو تصحيف. [۷۷۴] الثبج بالتحريك: وسط الشيء ومعظمه، والكظم بالتحريك: مخرج النفس من الحلق، أى كان صلى الله عليه وآله لا يبالى بكثرة المشركين واجتماعهم ولا يداريهم فى الدعوة. [۷۷۵] كما أمره سبحانه: «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن». وقيل: المراد بالحكمة: البراهين القاطعة، وهى للخواص وبالموعظة الحسنة،: الخطابات المقنعة والعبر النافعة، وهى للعوام، وبالمجادلة التى هى أحسن: إلزام المعاندين والجاحدين بالمقدمات المشهورة والمسلمة، وأمّا المغالطات والشعريات فلا يناسب درجة أصحاب النبوات. [۷۷۶] النكت: إلقاء الرجل على رأسه، ويقال: طعنه فنكته. والهام جمع الهامة، بالتخفيف فيهما، وهى الرأس والمراد قتل رؤساء المشركين، وقمعم وإذلا لهم، أو المشركين مطلقاً وقيل: أريد به إلقاء الأصنام على رؤوسها، ولا يخفى بعده لا سيما بالنظر إلى ما بعده. وفى بعض النسخ: «ينكس الهام» وفى الكشف وغيره: «يجذّ الاصنام» ومن قولهم: جذذت الشيء: كسرته. ومنه قوله تعالى: «فجعلهم جذاذا». [۷۷۷] الواو مكان حتى كما فى رواية ابن أبى طاهر أظهر: و «تفرّى الليل» أى انشق حتى ظهر ضوء الصباح. [۷۷۸] يقال: «أسفر الصبح» أى أضاء. [۷۷۹] زعيم القوم: سيّدهم والمتكلم عنهم. والزعيم أيضاً الكفيل. والإضافة لاميّة، ويحتمل البيانية. [۷۸۰] خرس بكسر الراء. والشقاشق جمع شقشقة بالكسر، وهى شيء كالرية يخرجها البعير من فيه إذا هاج. وإذا قالوا للخطيب: ذو شقشقة فإنما يشبّه بالفحل. وإسناد الخرس إلى الشقاشق مجازىّ. [۷۸۱] يقال: طاح فلان يطوح، إذا هلك أو أشرف على الهلاك وتاه فى الارض وسقط. والوشيظ المعجمتين: الرذل والسفلة من الناس، ومنه قولهم: إياكم والوشايظ. وقال الجوهرى: «الوشيظ: لفيف من الناس «ليس» أصلهم واحد «أ» أو بنو فلان وشيظة فى قومهم أى هم حشو فيهم. والوسيط بالمهملتين: أشرف القوم نسباً وأرفعهم محلاً: وكذا فى بعض النسخ وهو أيضاً مناسب. [۷۸۲] يقال: فاه فلان بالكلام ـ كقال ـ أى لفظ به، كتفوّه. وكلمة الإخلاص كلمة التوحيد. وفيه تعريض بأنه لم يكن إمانهم عن قلوبهم. [۷۸۳] البيض: جمع أبيض وهو من الناس خلاف الاسود. والخماص بالكسر: جمع خميص؛ والخماصة تطلق على دقة البطن خلقة وعلى خلوّه من الطعام، يقال: فلان خميص البطن من أموال الناس، أى عفيف عنها. وفى الحديث: «كالطير تغدو خماصاً، وتروح بطاناً». والمراد البيض الخماص إما أهل البيت عليهم السلام ويؤيده ما فى كشف الغمة: «فى نفر من البيض الخماص الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، ووصفهم بالبيض لبياض وجودهم، أو هو من قبيل وصف الرجل بالاغر؛ وبالخماص لكونهم ضامرى البطون بالصوم وقلّة الاكل ولعفتهم عن أكل أموال الناس بالباطل. أو المراد بهم من آمن من العجم لسلمان ـ رضى الله عنه ـ وغيره، وياقل لأهل فارس: بيض، لغلبة البياض على الوانهم وأموالهم، إذا الغالب فى أموالهم الفضة، كما يقال لأهل الشام: حمر، لحمرة ألوانهم وغلبة الذهب فى أموالهم؛ والأول أظهر. ويمكن اعتبار نوع تخصيص فى المخاطبين فيكون المراد بهم غير الراسخين الكاملين فى الإيمان، وبالبيض الخماص الكمل منهم. [۷۸۴] شفا كل شيء: طرفه وشفيره، أى كنتم على شفير جهنم مشرفين على دخولها لشرككم وكفركم. [۷۸۵] مذقة الشارب: شربته. والنهزة بالضم: الفرصة، أى محل نهزته. أى كنتم قليلين أذلاء يتخطفكم الناس بسهولة. [۷۸۶] القبسة بالضم، شعلة من نار يقتبس من معظمها. والإضافة إلى العجلان لبيان القلة والحقارة. [۷۸۷] وطى الاقدام مثل مشهور فى المغلوبية والمذلة. [۷۸۸] الطرق بالفتح: ماء السماء الذى تبول فيه الإبل وتعبر. [۷۸۹] الورق بالتحريك: ورق الشجر. وفى بعض النسخ: «تقتاتون القد» وهو بكسر القاف وتشديد الدال: سير يقد من جلد غير مدبوغ. والمقصود وصفهم بخباثة المشرب وجشوبة المأكل لعدم اهتدائهم إلى ما يصلحهم فى ديناهم، ولفقرهم وقلة ذات يدهم، وخوفهم من الاعادى. [۷۹۰] الخاسىء: المبعد المطرود. [۷۹۱] التخطف: استلاب الشيء وأخذه بسرعة؛ اقتبس من قوله تعالى: «واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون ان يتخطفكم الناس فآويكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون». وفى نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام إن الخطاب فى تلك الآية لقريش خاصة، والمراد بالناس ساير العرب أو الاعم. [۷۹۲] اللتيا بفتح اللام وتشديد الياء: تصغير التى، وجوز بعضه فيه ضم اللام، وهما كنايتان عن الداهية الصغيرة والكبيرة. [۷۹۳] يقال: منى بكذا ـ على صيغة المجهول ـ أى ابتلى. وبهم الرجال ـ كصرد ـ: الشجعان منهم، لأنهم لشدة بأسهم لا ـ يدرى من أين يؤتون. وذؤبان العرب:

لصوصهم وصعاليكهم الذين لامال لهم ولا اعتماد عليهم. والمردة: العتاة المتكبرون المجاوزون للحد. [۷۹۴] نجم الشيء ـ كنصر ـ نجوماً: ظهر وطلع. والمراد بالقرن: القوّة. وفسر قرن الشيطان بامته ومتابعيه. [۷۹۵] فغر فاه، أی فتحه، يتعدى ولا يتعدى. والفاغرة من المشركين: الطائفة العادية منهم تشبيهاً بالحية أو السبع. ويمكن تقدير الموصوف مذكراً على أن يكون التاء للمبالغة. [۷۹۶] القذف: الرمی، ويستعمل فی الحجارة، كما أن الحذف يستعمل فی الحصا؛ يقال: هم بين حاذف وقاذف. واللهوات بالتحريك: جمع لهاة وهی اللحمة فی أقصى سقف الفم.وفی بعض الروايات: «فی مهواتها» بالميم وهی بالتسكين: الحفرة وما بين الجبلين ونحو ذلک. وعلى أی حالٍ المراد أنه صلى الله عليه وآله كلما أراده طائفة من المشركين أو عرضت له داهية عظيمة بعث علياً عليه السلام لدفعها وعرضه للمهالک. وفی رواية الكشف وابن أبی طاهر: «كلما حشوا ناراً للحرب ونجم قرن للضلال». قال الجوهری: «حششت النار: أوقدتها». [۷۹۷] انكفأ، بالهمزة: أی رجع؛ من قولهم: كفأت القوم كفأ: إذا أرادوا وجهاً فصرفتهم عنه إلی غيره فانكفؤا، أی رجعوا. [۷۹۸] الصماخ، بالكسر، ثقب الاذن، والاذن نفسها، وبالسين كما فی بعض الروايات لغة فيه. والاخمص: مالا يصيب الأرض من باطن القدم عند المشی. ووطی الصماخ بالاخمص عبارة عن القهر والغلبة على أبلغ وجه، وكذا اخماد اللهب بماء السيف استعارة بليغة شايعة. [۷۹۹] المكدود: من بلغه التعب والأذى. وذات الله: أمره ودينه وكلّ ما يتعلق به سبحانه. وفی الكشف: «مكدوداً دؤوباً فی ذات الله». [۸۰۰] بالجر صفة الرسول، أو بالنصب عطفاً على الأحوال السابقة، ويؤيد الأخير ما فی رواية ابن أبی طاهر «سيداً فی أولياء». [۸۰۱] التشمير فی الأمر: الجدّ والإهتمام فيه. [۸۰۲] الكدح: العمل والسعی. [۸۰۳] قال الجوهری: «الدعة: الخفض، تقول منه: ودع الرجل فهو وديع أی ساكن، ووادع أيضاً، يقال: نال فلان المكارم وادعاً من غير كلفة». وقال: «الفكاهة بالضمّ: المزاح، وبالفتح مصدر فكه الرجل ـ بالكسر ـ فهو فكه: إذا كان طيب النفس مزاجاً والفكه أيضاً: الاشر والبطر» وقریء «ونعمة كانوا فيه فاكهين» أی أشرين، وفاكهين أی ناعمين. والمفاكهة: الممازحة. وفی رواية ابن أبی طاهر: «وأنتم فی بلهنية وادعون آمنون» قال الجوهری: «هو فی بلهنيةٍ من العيش أی سعة ورفاهية، وهو ملحق بالخماسی بألف فی آخره، وإنّما صارت ياء لكسرة ماقبلها» وفی الكشف: «وأنتم فی رفهنية» وهی مثلها لفظاً ومعنى. [۸۰۴] صروف الزمان وحوادث الأيام والعواقب المذمومة، وأكثر ما تستعمل الدائرة فی تحول النعمة إلی الشدة. أی كنتم تنتظرون نزول البلايا علينا، وزوال النعمة عنا. [۸۰۵] التوكّف: التوقع. والمراد إخبار المصائب والفتن. وفی بعض النسخ: «تتواكفون الإخيار»، يقال: واكفه فی الحرب أی واجهه. [۸۰۶] النكوص: الإحجام والرجوع عن الشئ. والنزال بالكسر: أن ينزل القرنان عن إبلهما إلی خيلهما فيتضاربا. والمقصود من تلک الفقرات أنّهم لم يزالوا منافقين لم يؤمنوا قطّ. [۸۰۷] الحسيكة: العداوة. قال الجوهری: «الحسک: حسک السعدان، الواحدة: حسكة وقولهم: فی صدره علیّ حسيكة وحساكة أی ضغن وعداوة». وفی بعض الروايات «حسكة النفاق» فهو على الاستعارة. [۸۰۸] سمل الثوب ـ كنصر ـ صار خلقاً. والجلباب بالكسر: الملحفة، وقيل: ثوب واسع للمرأة غير الملحفة، وقيل: هو إزار ورداء، وقيل: هو كالمقنعة تغطّی به المرئة رأسها وظهرها وصدرها. [۸۰۹] الكظوم: السكوت. [۸۱۰] نبغ الشی ـ كمنع ونصر ـ أی ظهر، ونبغ الرجل: اذا لم يكن فی ارث الشعر ثم قال وأجاد. والخامل: من خفی ذكره وصوته وكان ساقطاً لانباهة له. والمراد بالأقلين: الأذلون. وفی بعض الروايات: «الأوّلين» وفی الكشف: «فنطق كاظم، ونبغ خامل». [۸۱۱] الهدير: ترديد البعير صوته فی حنجرته. والفنيق: الفحل المكرم من الإبل الذی لا يركب ولا يهان لكرامته على أهله. [۸۱۲] يقال: خطر البعير بذنبه يخطر ـ بالكسر ـ خطراً و خطراناً: إذا رفعه مرة بعد مرة وضرب به فخديه، ومنه قول الحجاج لما نصب المنجنيق على الكعبة: «خطّارة كالجمل الفنيق»، شبه رميها بخطران الفنيق. [۸۱۳] مغرز الرأس، بالكسر: ما يختفی فيه. وقيل: لعل فی الكلام تشبيهاً للشيطان بالقنفذ، فإنه انما يطلع رأسه عند زوال الخوف؛ أو بالمرجل الحريص المقدم على أمر، فانه يمد عنقه إليه. والهتاف: الصياح. «وأللفاكم» أی وجدكم. [۸۱۴] الغرة، بالكسر: الاغترار والانخداع. والضمير المجرور راجع إلی الشيطان. وملاحظة الشیء: مراعاته؛ وأصله من اللحظ وهو النظر بمؤخر العين، وهو اينما يكون عند تعلق القلب بشیء، أی وجدكم الشيطان لشدة قبولكم للإنخداع كالذی كان مطمح نظره أن يغتر بأباطيله. ويحتمل أن يكون «للعزة» بتقدم المهملة على المعجمة. وفی الكشف: «واللعزة ملاحظين» أی وجدكم طالبين للعزة. [۸۱۵] النهوض:

القيام، واستنهضه لأمر أى امره بالقيام إليه. [۸۱۶] أى مسرعين إليه. [۸۱۷] أحمشت الرجل: أغضبته، وأحمشت النار: ألهبتها. أى حملكم الشيطان على الغضب فوجدكم مغضبين لغضبه، أو من عند انفسكن. وفى المناقب القديم: «عطافاً بالعين المهملة والفاء، من العطف بمعنى الیل والشفقة، ولعلة أظهر لفظاً ومعنى. [۸۱۸] الوسم: أثر الكى، يقال: وسمته ـ كوعدته ـ وسماً. [۸۱۹] الورود: حضور الماء للشرب، والايراد: الاحضار. والاحضار. والشرب بالكسر: الحظّ من الماء، وهما كنايتان عن أخذ ما ليس لهم بحق من الخلافة والإمامة وميراث النبوة. وفى الكشف: «وأوردتموها شرباً ليس لكم». [۸۲۰] الجرح بالضم، الاسم، وبالفتح المصدر. و «لما يندمل» أى لم يصلح بعد. [۸۲۱] قبرته: دفنته. [۸۲۲] «ابتداراً» مفعول له للأفعال السابقة، ويحتمل المصدر بتقدير الفعل. وفى بعض الروايات: «بداراً زعمتم خوف الفتنة» أى ادعيتم وأظهرتم لناس كذباً وخديعة أنا اجتمعنا فى السقيفة دفعاً لفتنة، مع أن الغرض كان غصب الخلافة عن أهلها وهو علين الفتنة. والالتفات فى «سقطوا» لموافقة الآية الكريمة. [۸۲۳] التوبة: ۴۹. [۸۲۴] «هيهات» للتبعيد، وفيه معنى التعجب كما صرح به الشيخ الرضى، وكذلك «كيف» و «أنى» تستعملان فى التعجب. وأفكه ـ كضربه ـ: صرفه عن الشى وقلبه، أى إلى أين يصرفكم الشيطان وأنفسكم والحال أن كتاب الله بينكم! وفلان بين أظهر قوم وبين ظهرانيهم أى مقيم بينهم محفوف من جانبيه أو من جوانبه بهم. [۸۲۵] الزاهر: المتلألئ المشرق. وفى الكشف: «بين أظهركم، قائمة فرائضه، واضحة دلائله، نيرة شرائعه. [۸۲۶] الكهف: ۵۰. [۸۲۷] «بدلاً» أى من الكتاب ما اختاروه من الحكم الباطل. [۸۲۸] آل عمران: ۸۵. [۸۲۹] ريث ـ بالفتح ـ بمعنى قدر، وهى كلمة يستعملها أهل الحجاز كثيراً، وقد يستعمل مع ما، يقال: لم يلبث إلا ريثما فعل كذا، وفى الكشف هكذا: «ثم لو تبرحوا ريثاً» وقال بعضهم: هذا ولم تريثوا حتها إلا ريث. وفى رواية ابن أبى طاهر: «ثم لم تريثوا اختها» وعلى التقديرين ضمير المؤنث راجع إلى فتنة وفاة الرسول صلى الله عليه وآله. وحتّ الورق من الغصن: نثرها، أى لم تصبروا إلى ذهاب أثر تلك المصيبة. ونفرة الدابة، بالفتح: ذهابها وعدم انقيادها. والسلس، بكسر اللام: السهل اللّين المنقاد، ذكره الفيروز آبادى، وفى مصباح اللغة: سلسل سلساً من باب تعب: سهل ولإن. والقياد بالكسر: ما يقاد به الدابة من خبل وغيره. [۸۳۰] فى الصحاح: «ورى الزّند يرى ورياً: إذا خرجت ناره. وفى لغة اخرى: «ورى الزند يرى، بالكسر فيهما، وأوريته أنا وكذلك وريته تورية. وفلان يستورى زناد الضلالة». ووقده النار بالفتح: وقودها، ووقدها: لهبها. [۸۳۱] الجمرة: المتوقد من الحطب، فاذا برد فهو فحم. والجمر بدون التاء جمعها. [۸۳۲] الهتاف، بالكسر: الصياح، وهتف به أى دعاه. [۸۳۳] إهماد النار ك: إطفاؤها بالكلية. والحاصل أنكم انما صبرتم حتى استقرت الخلافة المغصوبة عليكم، ثم شرعتم فى تهييج الشرور والفتن واتباع الشيطان وإبداع البدع وتغيير السنن. [۸۳۴] الإسرار: ضد الإعلان. والحسو بفتح الحاء وسكون السين المهملتين: شرب المرق وغيره شيئاً بعد شى: والارتغاء: شرب الرغوة وهو زبد اللبن، قال الجواهرى: «الرغوة مثلثة: زبد البن. وارتغيت: شربت الرغوة. وفى المثل: «يسر حسواً فى ارتغاء» يضرب لمن يظهر أمراً ويريد غيره. قال الشعبى لمن سأله عن رجل قبل أم امرأته [قال]: يسر حسواً فى ارتغاء، وقد حرمت عليه امرأته». وقال الميدانى: قال أبو زيد والأصمعى: أصله الرجل يؤتى باللبن فيظهر أنه يريد الرغوة خاصة ولا يريد غيرها فيشربها وهو فى ذلك ينال من اللبن؛ يضرب لمن يريك أنه يعينك وإنما يجر النفع إلى نفسه. [۸۳۵] الخمر، بالتحريك ما واراك من شجر وغيره، يقال: نوارى الصيد عنى فى خمر الوادى؛ ومنه قولهم: دخل فلان فى خمار الناس ـ بالضم ـ أى ما يواريه ويستره منهم. والضراء الضاد المعجمة المفتوحة والراء المخففة: الشجر الملتفت فى الوادى؛ ويقال لمن ختل صاحبه وخاده: يدب له الضراء ويمشى له الخمر. وقال الميدانى: قال ابن الأعرابى: الضراء ما انخفض من الأرض. [۸۳۶] الحزّ، بفتح الحاء المهملة: القطع أو قطع الشى من غير إبانة. والمدى بالضم: جمع مدية وهى السكّين والشفرة. [۸۳۷] الوخز: الطعن بالرمح ونحوه لا يكون نافذاً، يقال: وخزه بالخنجر. [۸۳۸] المائدة: ۵۰. وفيها «يبغون». [۸۳۹] أى الظاهرة البيّنة، يقال: فعلت ذلك الأمر ضاحية أى علانية. [۸۴۰] فى رواية ابن أبى طاهر: «وبها معشر المهاجرة ابتز إرث أبيه» قال الجوهرى: «إذا أغريته بالشى قلت: ويها يا فلان، وهو تحريض» انتهى. ولعل الانسب هنا التعجب. والهاء فى «أبيه» فى الموضعين «وإرثيه» ـ بكسر الهمزة بمعنى الميراث ـ للسكت، كما فى سورة الحاقة، «كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانية» تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل. وقرئ بإثباتها فى الوصل أيضاً. وفى الكشف:

«ثم أنتم أولاء تزعمون أن لا إرث ليه» فهو أيضاً كـذلك. [۸۴۱] اقتباس من سورة مريم: ۲۷. [۸۴۲] أي أمرأ عظيما بـديعا، وقيل: أي أمرأ منكراً قبيحاً. وهو مأخوذ من الافتراء بمعنى الكذب. واعلم أنه قد وردت الروايات المتظافرة ـ كما ستعرف ـ في أنها عليها السلام ادّعت أن فدكاً كانت نحلة لها من رسول الله صلى الله عليه وآله ـ فلعل عدم تعرضها ـ صلوات الله عليها ـ في هذه الخطبة لتلك الدعوى ليأسها عن قبولها إياها، إذ كانت الخطبة بعد ما ردّ أبو بكر شهادة أمير المؤمنين عليه السلام ومن شهد معه، وقد كان المنافقون الحاضرون معتقدين لصدقه، فتمسكت بحديث الميراث لكونه من ضروريات الدين. [۸۴۳] النمل: ۱۶. [۸۴۴] مريم: ۶. [۸۴۵] الأنفال: ۷۵. [۸۴۶] النساء: ۱۱. [۸۴۷] البقرة: ۱۸۰. [۸۴۸] بكسر الحاء وضمّها وسكون الظاء المعجمة: المكانة والمنزلة، ياقل: حظيت المرأة عند زوجها: إذا دنت من قبله. [۸۴۹] في الكشف: «فزعمتم أن لا ـ حظ لي ولا إرث لي من أبيه. أفحكم الله بآية أخرج أبي منها، أم تقولون أهل ملّتين لا ـ يتوارثان، أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي؟ أفحكم الجاهليّة (الآية). إيها معاشر المسلمة أأبتزّ إرثيه؟ الله أن ترث أباك ولا ـ ارث أبيه؟ لقد جئتم شيئاً فرياً». [۸۵۰] الضمير راجع إلى فدك المدلول عليها بالمقام، والأمر بأخذها للتهديد، والخطام، بالكسر: كل ما يوضع في أنف البعير ليقاد به، والرحل ـ بالفتح ـ للناقة كالسرج للفرس، ورحل البعير ـ كمنع ـ شد على ظهره الرحل. شبهتها عليها السلام في كونها مسلمة لايعارضه في أخذها احد بالناقة المنادة المهياة للركوب. [۸۵۱] في بعض الروايات: «والغريم» أي طالب الحق. [۸۵۲] كلمة «ما» مصدرية، أي في القيامة يظهر خسرانكم. [۸۵۳] «ولكل نبأ مستقر» أي لكل خبر ـ يريد نبأ العذاب او الايعاد به ـ وقت استقرار ووقوع «وسوف تعلمون» عند وقوعه «من ياتيه عذاب يخزيه». [۸۵۴] الاقتباس من موضعين: احدهما سورة الانعام، والاخر في سورة هود قصة نوح عليه السلام حيث قال: «ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم» فالعذاب الذي يخزيهم الغرق والعذاب المقيم عذاب النار. [۸۵۵] الطرف بالفتح: مصدر طرفت عين فلان: اذا نظرت، وهو ان ينظر ثم يغمض. والطرف أيضا: العين. [۸۵۶] المعشر: الجماعة، والفتية بالكسر: جمع فتى وهو الشاب والكريم السخي. وفي المناقب «يا معشر البقية، وأعضاد الملة وحصنة الاسلام» وفي الكشف: «يا معشر البقية، ويا عماد الملة وحصنة الاسلام». [۸۵۷] الأعضاد: جمع عضد بالفتح: يقال: عضدته كنصرته لفظار ومعنى. [۸۵۸] قال الجواهري: «ليس في فلان غميزة، أي مطعن»، ونحوه ذكر الفيروز آبادي وهو لا ـ يناسب المقام إلاّ ـ بتكلف، وقال الجواهري: «رجل غمز، أي ضعيف». وقال الخليل في كتاب العين: «الغميزة بفتح العين المعجمة والزاي: ضعفة في العمل وجهلة في العقل، ويقال: سمعت كلمة فاغتمزتها في عقله، أي علمت انه احمق» وهذا المعنى انسب. وفي الكشف: «ما هذه الغميزة» بالفاء المفتوحة وسكون التاء، وهو السكون، وهو أيضا مناسب، وفي رواية ابن ابي طاهر بالراء المهملة، ولعله من قولهم: غمر على اخيه، أي حقد وضغن، او من قولهم،غمز عليه، أي اغمى عليه، أو من الغمر، بمعنى الستر، ولعله كان بالضاد المعجمة فصحف، فان استعمال اغماض العين في مثل هذا المقام شايع. [۸۵۹] السنة بالكسر: مصدر وسن يوسن ـ كعلم يعلم ـ وسنا وسنة، والسنة: اول النوم او النوم الخفيف، والهاء عوض عن الواو. والظلامة بالضم كالمظلمة بالكسر: ما اخذه الظالم منك فتطلبه عنده. والغرض تهييج الانصار لنصرتها، او توبيخهم على عدمها. وفي الكشف بعد ذلك،: «ما كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يحفظ». [۸۶۰] سرعان مثلثة السين: وعجلان بفتح العين كلاهما من أسماء الأفعال بمعنى سرع وعجل، وفيهما معنى العجب، أي ما اسرع واعجل. وفي رواية ابن ابي طاهر: «سرعان ما اجديتم فاكديتم» يقال: اجدب القوم أي أصابهم الجدب. واكدى الرجل: اذا قل خيره، والاهالة بكسر الهمزة: الودك وهو دسم اللحم. وقال الفيروز آبادي: «قولهم: سرعان اذا اهالة، اصله ان رجلا كانت له نعجة عجفاء وكانت رغامها يسيل من منخريها لهزالها، فقيل له: ما هذا الذي يسيل؟ فقال السائل: سرعان ذا اهالة. ونصب «اهالة» على الحال: وذا اشارة إلى الرغام او تميز على تقدير نقل الفعل كقولهم: تصبب زيد عرقا، والتقدير: سرعان اهاله هذه، وهو مثل يضرب لمن يخبر بكينونة الشيء قبل وقته» انتهى. والرغام بالضم: ما يسيل من انف الشاة والخيل، ولعل المثل كان بلفظ عجلان، فاشتبه على الفيروز ابادي او غيره. او كان كل منهما مستعملا في هذا المثل. وغرضها صلوات الله عليها التعجب من تعجيل الانصار ومبادرتهم إلى احداث البدع، وترك السنن والاحكام، والتخاذل

عن نصرة سيد الانام، مع قرب عهدهم به، وعدم نسيانهم ما اوصاهم به فيهم، وقدرتهم على نصرتها واخذ حقها ممن ظلمها ولا يبعد ان يكون المثل اخبارا مجملا بما يترتب على هذه البدعة من المفاسد الدنيوية وذهاب الاثار النبوية. [۸۶۱] الخطب، بالفتح: الشان والأمر عظم أو صغر. والوهى كالرمى: الشق والخرق يقال: وهى الثوب: اذا بلى وتخرق واستوسع. [۸۶۲] استنهر: استفعل من النهر - بالتحريك - بمعنى السعة، أى اتسع، والفتق: الشق، والرتق ضده. انفتق أى انشق. والضماير المجرورات الثلاثة راجعة إلى الخطب بخلاف المجرورين بعدهما فانهما راجعان إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم. [۸۶۳] كسف النجوم: ذهاب نورها، والفعل منه يكون متعديا ولازما، والفعل كضرب. وفى رواية ابن ابى طاهر مكان الفقرة الاخيرة: «واكتأبت خيرة الله المصيبة» والاكتئاب: افتعال من الكآبة بمعنى الحزن. وفى الكشف: «واستنهز فتقه، وفقد راتقه، وأظلمت الأرض، وأكتأبت لخيرة الله - إلى قولها - واديلت الحرمة -» من الادالة بمعنى الغلبة. [۸۶۴] يقال: اكدى فلان أى بخل او قل خيره. [۸۶۵] حريم الرجل: ما يحميه ويقاتل عنه. [۸۶۶] الحرمة: ما لا يحل انتها كه. وفى بعض النسخ: «الرحمة» مكان «الحرمة». [۸۶۷] النازلة: الشديدة. [۸۶۸] البائقة: الداهية. [۸۶۹] فناء الدار، ككساء: العرصة المتسعة امامها. والممسى والمصبح. بضم الميم فيها - مصدران وموضعان من الاصباح والامساء. [۸۷۰] الهتاف: بالكسر: الصياح، والصراخ، كغراب: الصوف او الشديد منه، والتلاوة، بالكسر: القراءة والالحان: الافهام يقال: ألحنه القول أى افهمه اياه، ويحتمل ان يكون من اللحن بمعنى الغناء والطرب، قال الجوهرى: «اللحن واحد الالحان واللحون، ومنه الحديث: اقرأوا القرآن بلحون العرب، وقد لحن قرائته اذا طرد به وغرد، وهو الحن الناس اذا كان احسنهم قراءة او غناء» انتهى. ويمكن ان يقرأ على هذا بصيغة الجمع ايضا، والأوّل اظهر. وفى الكشف: «فتلك نازلة اعلن بها كتاب الله فى قبلتكم ممساكم ومصبحكم هتافا هتافا». [۸۷۱] الحكم الفصل: هو المقطوع به الذى لا - ريب فيه ولا - مرد له، وقد يكون بمعنى القاطع الفارق بين الحق والباطل. [۸۷۲] والحتم فى الاصل: احكام الامر، والقضاء الحتم هو الذى لا يتطرق إليه التغيير. [۸۷۳] مضت. [۸۷۴] الانقلاب على العقب: الرجوع القهقرى، اريد به الارتداد بعد الإيمان. [۸۷۵] آل عمران: ۱۴۴. [۸۷۶] الشاكرون: المطيعون المعترفون بالنعم الحامدون عليها. قال بعض الامائل: واعلم ان الشبهة العارضة للمخاطبين، بموت النبى صلى الله عليه وآله وسلم اما عدم تحتم العمل بأوامره وحفظ حرمته فى أهله، فان العقول الضعيفة مجبولةعلى رعاية الحاضر اكثر من الغايب وانه اذا غاب عن ابصارهم ذهب كلامه عن اسماعهم ووصاياه عن قلوبهم، فدفعها اشارة إليه صلوات الله عليه واله - من اعلان الله جل ثناؤه واخباره بوقع تلك الواقعة الهايلة قبل وقوعها وان الموت مما قد نزل بالماضين من انبياء الله ورسله - تثبيتا واخباره بوقوع تلك الواقعة الهايلة قبل وقوعها وان الموت مما قد نزل بالماضين من انبياء الله ورسله - تثبيتا للامة على الإيمان، وازالة لتلك الخصلة الذميمة عن نفوسهم. ويمكن ان يكون معنى الكلام. اتقولون مات محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبعد موته ليس لنا زاجر ولامانع عما، نريد ولانخاف احدا فى ترك الانقياد للاوامر وعدم الانزجار عن النواهى. ويكون الجواب ما يستفاد من حكاية قوله سبحانه «افأن مات او قتل» الآية لكن لايكون حينئذ لحديث اعلان الله سبحانه واخباره، بموت الرسول مدخل فى الجواب إلاّ - بتكلف. ويحتمل ان يكون شبهتهم عدم تجويزهم الموت على النبى صل الله عليه وآله وسلم كما افصح عنه عمر بن الخطاب، وسيأتى فى مطاعنه، فبعد تحقق موته عرض لهم شك فى الأيمان، ووهن فى الاعمال، فلذلك خذلوها وقعدوا عن نصرتها، وحينئذ مدخلية حديث الاعلان وما بعده فى الجواب واضح. وعلى التقادير لا يكون قولها - صلوات الله عليها - «فخطب جليل» داخلا - فى الجواب ولا - مقولا - لقول المخاطبين على استفهام التوبيخى، بل هو كلا - مستأنف لبث الحزن والشكوى، بل يكون الجواب ما بعد قولها «فتلك والله النازلة الكبرى» ويحتلم ان يكون مقولا لقوهم، فيكون حاصلا شبهتهم ان موته صلى الله عليه وآله والذى هو اعظم الدواهى قد وقع، فلا يبالى بما وقع بعده من لمحظورات، فلذلك لم ينهضوا بنصرها، والانتصاف ممن ظلمها. ولما تضمن ما زعموه كون مماته صلى الله عليه وآله أعظم المصائب سلمت عليها السلام اولا فى مقام تلك المقدمة لكونها محض الحق ثم نبهت على خطابهم فى انها مستلزمة لقلة المبالاة بما وقع والقعود عن نصرة الحق وعدم اتباع اوامره صلى الله عليه و آله بقولها اعلن بها كتاب الله إلى اخر الكلام، فيكون حاصل الجواب: ان الله قد اعلمكم بها قبل الوقوع واخبركم بانها سنة

ماضية في السلف من انبيائه وحذركم الانقلاب على اعقابكم كيلا تتركوا العمل بلوازم الإيمان بعد وقوعها، ولا تهنوا عن نصرة الحق وقمع الباطل، وف تسليمها ما سلمته اولا دلالة على ان كونها اعظم المصائب مما يؤيد وجوب نصرتي، فاني انا المصاب بها حقيقة وان شاركني فيها غيري، فمن نزلت به تلك النازلة الكبرى فهو بالرعاية احق واحرى. ويحتمل ان يكون قولها عليها السلام «فخطب جليل» من اجزاء الجواب، فتكو شبهتهم بعض الوجوه المذكورة او المركب من بعضها مع بعضها مع بعض، وحاصل الجواب حينئذ انه اذا نزل بي مثل تلك النازلة وقد كان الله عزوجل اخبركم بها وامركم ان لا ترتدوا بعدها على اعقابكم، فكان الواجب عليكم دفع الضيم عني والقيام بنصرتي. ولعل الانسب بهذا الوجه ما في رواية ابن ابي طاهر من قولها «وتلك نازلة أعلن بها كتاب الله» بالواو دون الفاء. ويحتمل ان لا تكون الشبهة العارضة للمخاطبين مقصورة على احد الوجوه المذكورة بل تكون الشبهة لبعضهم بعضا وللآخرى اخرى، ويكون كل مقدمة من مقدمات الجواب اشارة إلي دفع واحدة منها. أقول: ويحتمل ان لا تكون هناك شبهة حقيقية، بل يكون الغرض انه ليس لهم في اتكاب تلك الامور الشنيعة حجة ومتمسك إلّا ان يتمسك احد بامثال تلك الامور الباطلة الواهية التي لا يخفى على احد بطلانها. وهذا شايع في الاحتجاج. [۸۷۷] ايها ـ بفتح الهمزة والتنوين ـ بمعنى هيهات. وبنو قيلة: الاوس والخزرج قبيلتا الانصار. وقيلة بالفتح: اسم ام لهم قديمة وهي قيلة بنت كاهل. [۸۷۸] الهضم: الكسر يقال: هضمت الشيء أي كسرته، وهضمته: اذا ظلمه وكسر عليه حقه. والتراث، واصل التاء فيه الواو. [۸۷۹] أي بحيث اراكم واسمعكم (اسمع ظ) كلامكم. وفي رواية ابن ابي طاهر: «منه» أي من الرسول صلى الله عليه واله و سلم. [۸۸۰] والمبتدأ في اكثر النسخ بالباء الموحدة مهموزاً، فلعل المعنى انكم في مكان يبتدأ منه الامور والاحكام، والاظهر أنه تصحيف المنتدا بالنون غير مهموز بمعنى المجلس، وكذا في المناقب القديم، فيكون «المجمع» كالتفسير له. والغرض الاحتجاج عليهم بالاجماع (بالاجماع ـ خ ل) الذي هو من اسباب القدرة على دفع الظلم. واللفظان غير موجودين في رواية ابن ابي طاهر. [۸۸۱] «تلبسكم» على بناء المجرد أي تغطيكم وتحيط بكم. والدعوة: المرة من الدعاء أي النداء كالخبرة ـ بالفتح ـ من الخبر بالضم بمعنى العلم، او الخبرة بالكسر بمعناه. والمراد بالدعوة نداء المظلوم للنصرة، وبالخبرة علمهم بمظلوميتها صلوات الله عليها. والتعبير بالاحاطة والشمول للمبالغة او للتصريح بان ذلك قد عمهم جميعاً. وليس من قبيل الحكم على الجماعة بحكم البعض او الاكثر. وفي رواية ابن ابي طاهر: «الحيرة» بالحاء المهملة، ولعلة تصحيف، ولا يخفى توجيهه. [۸۸۲] الكفاح: استقبال العدو في الحرب بلا ترس ولا جنة، ويقال: فلا يكافح الامور أي يباشرها بنفسه. [۸۸۳] النجبة، كهمزة: النجيب الكريم. وقيل: يحتمل ان يكون بفتح الخاء المعجمة او سكونها بمعنى المنتخب المختار، ويظهر من ابن الاثير انها بالسكون تكون جمعا. [۸۸۴] الخيرة، كعنبة: المفضل من القوم المختار منهم. [۸۸۵] أي حاربتم الخصوم ودافعتموها بجد واهتمام كما يدافع الكبش قرنه بقرنه. والبهم: الشجعان كما مر ومكافحتها: التعرض لدفعها من غير توانٍ وضعف. [۸۸۶] في المناقب: «لنا هل البيت قاتلتم وناطحتم الامم وكافحتم البهم». [۸۸۷] «أو تبرحون» معطوف على مدخول النفي، فالمنفي احد الأمرين، ولا ينتفي إلاّ بانتفائهما معاً، فالمعنى لا نبرح ولا تبرحون. [۸۸۸] أي كما لم نزل آمرين، وكنتم مطيعين لنا في اوامرنا، وفي كشف الغمة: «وتبرحون بالواو، فالعطف على مدهول النفي ايضا ويرجع إلي مامر. وعطفه على النفي اشعارا بأنه قد كان يقع منهم براح عن الاطاعة كما في عزوة احد وغيرها بخلاف أهل البيت عليهم السلام اذا لم يعرض لهم كلال عن الدعوة والهداية، بعيد عن المقام. والاظهر ما في رواية ابن ابي طاهر من ترك املعطوف رأسا: «لانبرح نأمركم» أي لم نزل عادتنا الأمر، وعادتكم الايتمار، وفي المناقب «لا نبرح ولا تبرحون نأمركم» فيحتمل ان يكون «أو» في تلك النسخة ايضا بمعنى الواو، أي لانزال نأمركم ولا تزالون تأتمرون، ولعل ما في المناقب اظهر النسخ واصوبها. [۸۸۹] دوران الرحى كناية عن انتظام امرها، والباء للسببية. [۸۹۰] در اللبن: جريانه وكثرته. والحلب بالفتح: استخراج ما في الضرع من اللبن،وبالتحريك: اللبن المحلوب، والثاني اظهر للزوم ارتكاب تجوز في الاستناد، او في المسند إليه على الأوّل. [۸۹۱] والنعرة بالنون والراء المهملتين مثال همزة: الخيشوم والخيلاء والكبر او بفتح النون من قولهم نعر العرق بالدم أي فار. فيكون الخضوع بمعنى السكون، او بالغين المعجمة من نغرت القدر أي فارت. وقال الجوهري «نغر الرجل ـ بالكسر ـ أي اغتاض. قال الاصمعي: هو الذي

يغلى جوفه من الغيظ. وقال ابن السكيت: يقال: ظل فلان يتنعر على فلان أى يتذمر عليه». وفى اكثر النسخ بالثاء المثلثة المضمومة والغين المعجمة وهى نقرة النحر بين الترقوتين. فخضوع ثغرة الشرك كناية عن محقه وسقوطه كالحيوان الساقط على الأرض، نظيره قول امير المؤمنين ـ صلوات الله عليه وسلامه عليه ـ «انا وضعت كلكل العرب» أى صدورهم. [۸۹۲] الافك بالكسر: الكذب وفورة الافك: غليانه وهيجانه. [۸۹۳] خمدت النار: أى سكن لهبها ولم يطفأ جمرها. ويقال: همدت ـ بالهاء ـ اذا طفى جمرها. وفيه اشعار بنفاق بعضهم وبقاء مادة الكفر فى قلوبهم. وفى رواية ابن ابى طاهر: «وباخت نيران الحرب» قال الجوهرى: «باخ الحر والنار والغضب والحمى أى سكن وفتر». [۸۹۴] هدأت أى، سكنت، والهرج، الفتنة والاختلاط. وفى الحديث: الهرج القتل. [۸۹۵] استوسق أى اجتمع وانضم، من الوسق بالفتح وهو ضم الشىء إلى الشىء، واتساق الشىء: انتظامه. وفى الكشف: «فناويتم العرب، وبادهتم الامور (إلى قولها عليها السلام) حتى دارت لكم بنا رحى الاسلام، ودر حلب البلاد وخبت نيران الحرب» يقال: بدهه بأمر أى استقبله به، وبادهه: فاجاه. [۸۹۶] كلمة «انى» ظرف مكان بمعنى «أين» وقد يكون بمعنى «كيف» أى من اين حرتم وما كان منشأه؟ و «جرتم» اما بالجيم من الجور وهو الميل عن القصد والعدول عن الطريق، أى لماذا تركتم سبيل الحق بعد ما تبين لكم. او بالحاء لمهملة المضمومة من الحور بمعنى الرجوع او النقصان، يقال: «نعوذ بالله من الحور بعد الكور» أى من النقصان بعد الزيادة، واما بكسرها من الحيرة. [۸۹۷] النكوص: الرجوع إلى الخلف. [۸۹۸] التوبة: ۱۳. [۸۹۹] نكث العهد، بالفتح: نقضه والإيمان جمع يمين وهو القسم. المشهور بين المفسرين ان الآية نزلت فى اليهود الذين نقضوا عهودهم، وخرجوا مع الاحزاب، وهموا باخراج الرسول من المدينة، وبدأوا بنقض العهد والقتال. وقيل: نزلت فى مشركى قريش وأهل مكة حيث نقضوا ايمانهم التى عقدوها مع الرسول والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم اعدائهم، فعاونوا بنى بكر على خزاعة، وقصدوا اخراج الرسول صلى الله عليه وآله من مكة حين تشاوروا بدار الندوة وأتاهم ابليس بصورة شيخ نجدى ـ إلى اخر مامر فى القصة ـ فهم بدأوا بالمعاداة والمقاتلة فى هذا الوقت، أو فى يوم بدر، او بنقض العهد، والمراد بالقوم الذين نكثوا ايمانهم فى كلامها ـ صلوات الله عليها ـ اما الذين نزلت فيهم الآية، فالغرض بيان وجوب قتال الغاصبين للامامة ولحقها، الناكثين لما عهد اليهم الرسول صلى الله عليه وآله فى وصيه عليه السلام وذوى قرباه وفى أهل بيته كما وجب بأمره سبحانه قتال من نزلت الآية فيهم. او المراد بهم الغاصبون لحق هل البيت عليهم السلام، فالمراد بنكثهم ايمانهم نقض ما عهدوا إلى الرسول حين بايعوه من الانقياد له فى اوامره والانتهاء عند نواهيه وان لا ـ يضمروا له العداوة، فنقضوه وناقضوا ما امرهم به، والمراد بقصدهم بقصدهم اخراج الرسول عزمهم على اخراج من كنفس الرسول وقائم مقامه بامر الله وامره عن مقام الخلافة، وعلى ابطال اوامر ووصاياه فى أهل بيته النازل منزلة اخراجه من مستقره وحينئذ يكون من قبيل الاقتباس، وفى بعض الروايات: «لقوم نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدأوكم اول مرة اتخشو نهم». فقوله «لقوم» متعلق بقوله «تخشونهم». [۹۰۰] الرؤية هنا بمعنى العلم أو بالنظر بالعين، وأخلد إليه: ركن ومال. والخفض بالفتح: سعة العيش. [۹۰۱] المراد بمن هو احق بالبسط والقبض امير المؤمنين صلوات الله عليه، وصيغة التفضيل مثلها فى قوله تعالى: «قل اذلك خير ام جنة الخلد». [۹۰۲] خلوت الشىء: انفردت به واجتمعت معه فى خلوة. والدعة: الراحة والسكون. [۹۰۳] مج الشراب من فيه: رمى به. و «وعيتم» أى حفظتم. [۹۰۴] الدسع، كالمنع: الدفع والقىء واخراج البعير جرته إلى فيه. وساغ الشراب يسوغ سوغا: اذا سهل مدخله فى الحلق، وتسوغه: شربه بسهولة. [۹۰۵] صيغة «تكفروا» فى كلامها عليها السلام اما من الكفران وترك الشرك كما هو الظاهر من سياق الكلام المجيد حيث قال تعالى: «واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لا زيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى بالمعنى الاخص. والتغيير فى المعنى لاينافى الاقتباس، مع ان فى الآية ايضا يحتمل هذا المعنى. والمراد ان تكفروا انتم ومن فى الارض جميعا من الثقلين فلا يضر ذلك إلا انفسكم فانه سبحانه غنى عن شكركم وطاعتكم، مستحق للحمد فى ذاته، او محمود تحمده الملائكة بل جميع الموجودات بلسان الحال، وضرر الكفران عائد اليكم حيث حرمتم من فضله تعالى ومزيد انعامه واكرامه. والحاصل انكم انما تركتم الإمام بالحق، وخلعتم بيعته من رقابكم، ورضيتم ببيعة ابى بكر لعلمكم بأن امير المؤمنين عليه السلام لايتهاون ولا ـ يداهن فى دين الله ولا ـ تأخذه فى الله لومة لا ـ ثم، ويأمركم بارتكاب الشدائد فى الجهاد وغيره،

وترک ما تشتهون من زخارف الدنیا، ویقسم الفیء بینکم بالسویة، ولایفضل الرؤساء والأمراء، وان ابابکر رجل سلس القیاد، مداهن فی الدین لارضاء العباد، فلذا رفضتم الإیمان، وخرجتم عن طاعته سبحانه إلی طاعة الشیطان، ولا یعود وباله إلّا الیکم. وفی الکشف: «إلّا وقد أری ـ ان قد اخلدتم إلی الخفض ورکنتم إلی الدعة فمججتم الذی أوعیتم، ولفظتم الذی سوغتم» وفی روایة ابن ابی طاهر: «فعججتم عن الدین». یقال: رکن إلیه ـ بفتح الکاف ـ وقد یکسرت أی مال إلیه وسکن. وقال الجوهری: «وعجت بالمکان اعوج أی أقمت به. وعجت غیری، یتعدی ولا یتعدی. وعجت البعیر: عطفت رأسه بالزمام. والعایج: الواقف. وذکر ابن الاعرابی: فلان ما یعوج عن شی أی ما یرجع عنه». [۹۰۶] إبراهیم: ۸ وفیها «إن تکفروا». [۹۰۷] الخذالة: ترک النصر. و«خامرتکم» أی خالطتکم. [۹۰۸] الغدر: ضد الوفاء. واستشعره أی لبسه، والشعار: الثوب الملاصق اللبدن. [۹۰۹] الفیض فی الاصل کثرة الماء وسیلانه، یقال: فاض الخبر أی شاع، وفاض صدره بالسر أی باح به واظهره، ویقال: فاضت نفسه أی خرجت روحه، والمراد به هنا اظهار المضمر فی النفس لاستیلاء الهم وغلبة الحزن. [۹۱۰] النفث بالضم شبیه بالنفخ، وقد یکون للمغتاط تنفس عال تسکینا لحر القب واطفاء لناثرة الغضب. [۹۱۱] الخور، بالفتح والتحریک: الضعف. ولاقنا: جمع قناة وهی الرمح، وقیل: کل عصا مستویة او معوجة قناة. ولعل المراد بخور القنا ضعف النفس عن الصبر علی الشدة وکتمان الضر او ضعف ما یعتمد علیه فی النصر علی العدو، والأوّل انسب. [۹۱۲] البث: النشر والاظهار والهم الذی لا یقدر صاحبه علی کتمانه فیبثه أی یفرقه. [۹۱۳] تقدمة الحجة: اعلام الرجل قبل وقت الحاجة قطعا لاعتذاره بالغفلة والحاصل ان استصاری منکم وتظلمی لدیکم واقامة الحجة علیکم لم یکن رجاء للعون والمظاهرة، بل تسلیة للنفس وتسکینا للغضب واتماما للحجة، لئلا تقولوا یوم القیامة «انا کنا عن هذا غافلین». [۹۱۴] الحقب، بالتحریک: حبل یشد به الرحل إلی بطن البعیر، یقال: احقبت البعیر، أی شددته به، وکل ماشد فی مؤخر رحل او قتب فقد احتقب، ومنه قیل: احتقب فلان الاثم کأنه جمعه واحتقبه من خلفه، فظهر ان الانسب فی هذا المقام «أحقبوها» بصیغة الافعال، أی شدوا علیها ذلک، وهیأواها للرکوب، لکن فیما وصل الینا من الروایات علی بناء الافتعال. [۹۱۵] الدبر، بالتحریک: الجرح فی ظهر البعیر، وقیل: جرح الدابة مطلقاً. [۹۱۶] النقب، بالتحریک: رقة خف البعیر. [۹۱۷] العار الباقی: عیب لا یکون فی معرض الزوال. [۹۱۸] وسمته وسما وسمة: اذا اثرت فیه بسمة وکی: والشنار: العیب والعار. [۹۱۹] نار الله الموقدة: المؤججة علی الدوام. والاطلاع علی الفئدة: اشرافها علی القلوب بحیث یبلغ المها، کما یبلغ ظواهر البدن. وقیل: معناه ان هذه النار تخرج، الباطن إلی الظاهر بخلاف نیران الدنیا، وفی الکشف «انها علیهم مؤصدة» والمؤصدة: المطبقة. [۹۲۰] أی متلبس بعلم الله اعمالکم ویطلع علیها کما یعلم احدکم ما یراه ویبصره. وقیل فی قوله تعالی: «تجری باعیننا» ان المعنی تجری بأعین اولیاؤنا من الملائکة والحفظة. [۹۲۱] المنقلب: المرجع والمنصرف. «أیّ» منصوب علی انه صفة مصدر محذوف والعامل فیه «ینقلبون» لأن ما قبل الاستفهام لا یعمل فیه وانما یعمل فیه ما بعده والتقدیر: «سیعلم الذین ظلموا ینقلبون انقلابا أی انقلاب». [۹۲۲] الشعراء: آیة ۲۲۷. [۹۲۳] أی انا ابنة من انذرکم بعذاب الله علی ظلمکم، فقد تمت الحجة علیکم. [۹۲۴] الأمر فی «اعلموا» و «انتظروا» للتهدید. واما قول الملعون: «الرائد لا یکذب اهله» – فهو مثل استشهد به فی صدق الخبر الذی افراه علی النبی صلی الله علیه وآله وسلم. الراید: من یتقدم القوم یبصر لهم الکلاء ومساقط الغیث. جعل نفسه لاحتماله الخلافة التی هی الریاسة العامة بمنزلة الرائد للامنة الذی یجب علیه ان ینصحهم ویخبرهم بالصدق. – هذه الفقرة غیر موجودة فی الخطبة. [۹۲۵] اقتباس من سورة هود: ایة ۱۲۱، و ۱۲۲. [۹۲۶] المجالدة: المضاربة بالسیوف. [۹۲۷] استبد فلان بالرأی، أی انفرد به واستقل. [۹۲۸] أی لانقبض ولانصرف. [۹۲۹] أی لانحط درجتک ولا ننکر فضل اصولک واجدادک وفروعک واولادک. [۹۳۰] ترین: من الرأی بمعنی الاعتقاد. [۹۳۱] الصادف عن الشیء: المعرض عنه. [۹۳۲] الاثر، بالتحریک وبالکسر، اثر القدم. [۹۳۳] القفو: الاتباع والسور بالضم: کل مرتفع عال، ومنه سور المدینة، ویکون جمع سورة وهی کل منزلة من البناء، ومنه سورة القرآن، لأنها منزلة بعد منزلة، وتجمع علی سور بفتح الواو، وفی العبارة یحتملها، والضمایر المجرورة تعود إلی الله تعالی أو إلی کتابه والثانی اظهر. [۹۳۴] الاعتدال: ابداء العلة والاعتذار، والزور: الکذب. [۹۳۵] البغی: الطلب، والغوایل: المهالک والدواهی اشارات علیها السلام بذلک إلی مادبروا ـ لعنهم الله ـ فی اهلاک النبی صلی الله

عليه وآله وسلم واستيصال أهل بيته عليهم السلام فى العقبتين وغيرهما مما أوردناه متفرقا. أقول: سيأتى الكلام فى مواريث الأنبياء فى باب المطاعن ان شاء الله تعالى. والتوزيع: التقسيم، والقسط بالكسر: والحصة ولنصيب. [۹۳۶] الازاحة: الاذهاب والابعاد. [۹۳۷] التظنى: اعمال الظن واصله التظنن، والغابر، الباقى: وقد يطلق على الماضى. [۹۳۸] التسويل: تحسين ماليس بحسن وتزيينه وتحبيبه إلى الإنسان ليفعله او يقوله: وقيل: هو تقدير معنى فى النفس على الطمع فى تماهه. [۹۳۹] أى فصبرى جميل أو الصبر الجميل اولى من الجزع الذى لا يغنى شيئا. وقيل: انما يكون الصبر جميلا اذا قصد به وجه الله تعالى وفعل للوجه الذى وجب، ذكره السيد المرتضى رضى الله عنه. [۹۴۰] يوسف: آية ۱۸. [۹۴۱] من المصدر المضاف إلى الفاعل. [۹۴۲] مراده بما تقلدوا ما اخذ فدك او الخلافة، أى اخذت الخلافة بقول المسلمين واتفاقهم فلزمنى القيام بحدودها التى من جملتها اخذ فدك، للحديث المذكور. [۹۴۳] المكابرة: المغالبة والاستبداد والاستيثار: الانفراد بالشيء. [۹۴۴] القيل بمعنى القول:، وكذا القال، وقيل: القول فى الخير، والقيل والقال فى الشر، وقيل: القول مصدر، والقيل والقال اسمان له. [۹۴۵] الاغضاء: ادناء الجفون، واغضى على الشيء، أى سكت ورضى به. [۹۴۶] روى عن الصادق والكاظم عليهما السلام فى الآية: ان المعنى: أفلا يتدبرون القرآن فيقضوا بما عليهم من الحق؟ وتنكير القلوب لا رادة قلوب هؤلاء ومن كان مثلهم من غيرهم. [۹۴۷] محمد: آية ۲۴. [۹۴۸] الرين: الطبع والتغطية، واصله الغلبة. [۹۴۹] التأول والتاويل: التصيير والارجاع ونقل الشيء عن موضعة، ومنه تأويل الالفاظ أى نقل اللفظ عن الظاهر. [۹۵۰] الاشارة: الأمر بأحسن الوجوده فى أمر. [۹۵۱] شرّ ـ كفرّ ـ بمعنى ساء ـ ولاعتياض: أخذ العوض والرضاء به، والمغنى: ساء ما اخذتم منه عوضا عما تركتم. [۹۵۲] المحمل ـ كمجلس ـ مصدر. [۹۵۳] الغب، بالكسر:العاقبة، والوبال، فى الاصل: الثقل والمكروه، ويراد به فى عرف الشرع عذاب الاخرة، والعذاب الوبيل: الشديد. [۹۵۴] الضراء، بالفتح والتخفيف: الشجر الملتف كما مر، يقال: توارى الصيد منى فى ضراء، والوراء يكون بمعنى خلف، وبالاول فسر قوله تعالى: «وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا». ويحتمل ان تكون الهاء زيدت من النساخ، او الهمزة، فيكون على الاخير بتشديد الراء من قولهم «ورى الشى تورية» أى اخفاه، وعلى التقادير فالمعنى: وظهر لكم ما ستره عنكم الضراء. [۹۵۵] اقتباس من سورة الزمر، ۴۷. [۹۵۶] أى ظهر لكم من صنوف العذاب ما لم تكونوا تنتظرونه ولاـ تظنونه واصلا اليكم ولم يكن فى حسبانكم. [۹۵۷] الغافر: آى ۷۸. [۹۵۸] المبطل: صاحب الباطل، من ابطل الرجل: اذا اتى بالباطل. [۹۵۹] فى الكشف: «ثم التفتت إلى قبر ابيها متمثلة بقول هند ابنة اثاثة» ثم ذكر الابيات. [۹۶۰] قال فى النهاية: «الهنبثة: واحدة الهنابث، وهى الامور الشداد المختلفة، والهنبثة: الاختلاط فى القول، والنون زائدة» وذكر «فيه: ان فاطمة عليها السلام قالت بعد موت النبى صلى الله عليه وآله: «قد كان بعدك انباء» إلى اخر البيتين، إلاّـ انه قال: «اشهدهم ولا تغب». والشهود: الحضور، والخطب، بالفتح: الأمر الذى تقع فيه المخاطبة، والشأن والحال، والوابل: المطر الشديد ونكب فلان عن الطريق ـ كنصر وفرح ـ أى عدل ومال. [۹۶۱] القربى، فى الاصل: القرابة فى الرحم، والمنزلة: المرتبة والدرجة، ولاـ تجمع، والادنين: هم الاقربون. واقترب أى تقارب. وقال فى مجمع البيان: «فى اقترب زيادة مبالغة على قرب. كما ان فى اقتدر زيادة مبالغة على قدر» ويمكن تصحيح تركيب البيت وتأويل معناه على وجوه: الأوّل، وهو الاظهر: ان جملة «له قربى» صفة لاهل، والتنوين فى «منزلة» للتعظيم، والظرفان متعلقان بالمنزلة لما فيها من معنى الزيادة والرجحان، و«متقرب» خبر لكل، أى ذو القرب الحقيقى، اوعند ذى الاهل كل أهل كانت له مزية وزيادة على غيره من الاقربين عنه الله تعالى. والثانى: تعلق الظرفين بقولها «متقرب» أى كل له قرب ومنزلة من ذى الاهل فهو بين عند الله تعالى مقترب مفضل على ساير الادنين. والثالث: تعلق الظرف الأوّل بالمنزلة، والثانى بالمقترب، أى كل أهل اتصف بالقربى بالرجل وبالمنزلة عند الله، فهو مفضل على من هو أبعد منه. الاحتمالات: ان يكون جملة «له قربى» خبرا للكل، و «مقترب» خبرا ثانيا، وفى الظرفين يجرى الاحتمالات السابقة، والمعنى، ان كل أهل نبى من الأنبياء له قرب ومنزلة عند الله ومفضل على ساير الاقارب عند الامة. [۹۶۲] بدا الأمر بدواً: ظهر، وابداه: أظهر.والنجوى: الاسم من نجوته. اذا ساررته؛ ونجوى صدورهم: ما أضمروه فى نفوسهم من العداوة ولم يتمكنوا من اظهاره فى حياته صلى الله عليه وآله وسلم. وفى بعض النسخ: «فحوى صدورهم»، وفحوى القول: معناه؛ ولم يسمع لسايرها بجمع» انتهى. فيمكن ان يكون بصيغة

المفرد، والتأنيث بتأويل الأرض، كما قيل، والاظهر انه بضم التاء وفتح الراء: جمع تربة، قال فى مصباح اللغة: «التربة: المقبرة، والجمع: ترب، مثل غرفة وغرف». وحال الشىء بينى وبينك أى منعنى من الوصول اليك، ودون الشىء: قريب منه، يقال: دون النهر جماعة، أى قبل ان تصل إليه. [۹۶۳] التهجم: الاستقبال بالوجه الكريه، والمغتصب على بناء المفعول: المغصوب. [۹۶۴] المحتجب على بناء الفاعل. [۹۶۵] صادفه: وجده ولقيه. والكثب، بضمتين: جمع كثيب وهو التل من الرمل. [۹۶۶] الرزء، بالضم مهموزا: المصيبة بفقد الاعزة، ورزيتا على بناء المجهول، والشجن بالتحريك: الحزن. وفى القاموس: «العجم، بالضم وبالتحريك، خلاف العرب». أقول: وجدت فى نسخة قديمة لكشف الغمة منقولة من خط المصنف مكتوبا على هامشها بعد ايراد خطبتها ـ صلوات الله عليها ـ ما هذا لفظة: وجد بخط السيد المرتضى علم الهدى الموسوى ـ قدس الله روحه ـ انه لما خرجت فاطمة عليها السلام من عند أبى بكر ردها عن فدك استقبلها امير المؤمنين عليه السلام فجعلت تعنفه ثم قالت: اشتملت إلى اخر كلامها عليها السلام. [۹۶۷] الانكفاء: الرجوع. وتوقعت الشىء واستوقته، أى انتظرت وقوعه. وطلعت على القوم: اتيتهم. وتطلع الطلوع. انتظاره. [۹۶۸] أى سكنت كانها اضطربت وتحركت لخروجها، أو على سبيل القلب، وهذا شايع، يقال: استقرت نوى القوم واستقرت بهم النوى، أى اقاموا. [۹۶۹] اشتمل بالثوب أى اداره على جسده كله. والشملة، بالفتح: كساء يشتمل به. والشملة، بالكسر، هيئة الاشتمال، فالشملة اما مفعول مطلق من غير الباب كقوله تعالى: «نباتا» او فى الكلام حذف وايصال. وفى رواية السيد: «مشية الجنين» وهى محل الولد فى الرحم؛ ولعلة اظهر. والجنين: الولد مادام فى البطن. [۹۷۰] الحجرة، بالضم: حظيرة الابل، ومنه حجرة الدار، والظنين، المتهم؛ والمعنى: اختفيت عن الناس الجنين، وقعدت عن طلب الحق ونزلت منزلة الخائف المتهم. وفى رواية السيد: «الحجزة» بالزاء المعجمة. وفى بعض النسخ: «قعدت حجزة الظنين». وقال فى النهاية: «الحجزة: موضع شد الازار، ثم قيل للازار حجزة، للمجاورة». وفى القاموس: «الحجزة، بالضم: معقد الازار، ومن الفرس: مركب مؤخر الصفات بالحقو.» وقال: «شدة الحجزة كناية عن الصبر». [۹۷۱] قوادم الطير: مقاديم ريشه، وهى عشر فى كل جناح، واحدتها: قادمة. والاجدل: الصقر. [۹۷۲] الاعزل الذى لاسلاح معه. قيل: لعلها ـ صلوات الله عليها ـ شبهت الصقر الذى نقضت قوادمه. بمن لا سلاح له. والمعنى: تركت طلب الخلافة فى أول الأمر قبل ان يتمكنوا منها ويشيدوا أركانها، وظننت ان الناس لا يرون غيرك اهلاـ للخلافة، ولاـ يقدمون عليك احدا، فكنت كمن يتوقع الطيران من صقر منقوضة القوادم. اقول: يحتمل ان يكون المارد انك نازلت الابطال، وخض الاهوال، ولم تبال بكثرة الرجال حتى نقضت شوكتهم، واليوم غلبت من هؤلاء الضعفاء والارذال، وسلمت لهم الأمر ولاتنازعهم. وعلى هذا، الاظهر انه كان فى الاصل «خاتک» بالتاء المثناة الفوقانية فصحف. قال الجوهرى: «خات البازى واختات، أى انقض لياخذه» وقال الشاعر: «يخوتون اخرى القوم خوت الاجادل». والخائتة: العقاب اذا انقضت فسمعت صوت انقضاضها. والخوات: دوى جناح العقاب. والخوات، بالتشديد: «الرجل الجرىء». وفى رواية السيد: «نفضت» بالفاء، وهو يؤيد المعنى الأوّل. [۹۷۳] قحافة بضم القاف وتخفيف المهملة. [۹۷۴] الابتزار: الاستلاب واخذ الشىء بقهر وغلبة، من البز بمعنى السلب. والنحلة: فعلية مفعول، من النحلة ـ بالكسر ـ بمعنى الهبة والعطية عن طيبة نفس من غير مطالبة او من غير عوض. والبلغة بالضم: ما يتبلغ به من العيش يكتفى به. وفى اكثر النسخ: «بليغة» بالتصغير، فالتصغير فى النحيلة ايضا انسب. وابنى اما تبخفيف الياء، فالمراد به الجنس، او تشديدها على التثنية. [۹۷۵] اجهاز الشىء: اعلانه. والخصام: مصدر كالمخاصمة، ويحتمل ان يكون جمع خصم، أى اجهر العداوة او الكلام لى بين الخصام، والأوّل اظهر. [۹۷۶] «الفيته» أى وجدته. والالد: شديد الخصومة، وليس فعلا ماضيا، فان فعله على بناء المجرد. – والاضافة فى «كلامى» اما من قبيل الاضافة إلى المخاطب او إلى المتكلم. و«فى» للظرفية او السببية. وفى رواية السيد «هذا بنى ابى قحافة ـ إلى قوله ـ لقد اجهد فى ظلامتى، والد فى خصامتى». قال الجزرى: «يقال جهد الرجل فى الأمر، اذا جد وبالغ فيه. واجهد دابته، اذا حمل عليها فى السير فوق طاقتها». – قد اتى فعله على بناء الافعال ايضا كما فى القاموس وغيره. [۹۷۷] قلية، بالفتح: اسم ام قديمة لقبيلتى الانصار، والمراد بنو قيلة. وفى رواية السيد: «حين منعتنى الانصار نصرها» وموصوف المهاجرة الطائفة او نحوها. والمراد بوصلها عونها. [۹۷۸] الطرف، بالفتح: العين. وغضه: حفظه. [۹۷۹] فى رواية السيد بعد قولها «ولا مانع ولا ناصر ولا شافع» خرجت كاظمة،

وعـدت راغمـة» كظم الغيـظ: تجرعه والصبر عليه، ورغم فلاـن، بالفتـح: إذا ذل وعجز عن الإنتصـاف ممن ظلمه. والظاهر من الخروج، الخروج من البيت وهو لا يناسب «كاظمة» إلّا ان يراد بها الامتلاء من الغيظ فانه من لوازم الكظم، ويحتمل أن يكون المراد الخروج من المسجد المعبر عنه ثانيا بالعود، كما قيل فى رواية السيد مكان «عدت» «رجعت». [۹۸۰] ضرع الرجل، مثلثة: خضع وذل. وأضرعه غيره. واسـناد الضـراعة إلى الخـد، لأنّه أظهر أفرادهـا وضع الخـد على التراب، أو لأنّ الـذل يظهر فى الوجه. [۹۸۱] اضاعة الشـىء وتضييعه: اهماله واهلاكه. وحد الرجل، بالحاء المهملة: بأسه وبطشه. وفى بعض النسخ بالجيم، أى تركت اهتمامك وسعيك. وفى رواية السيد: «فقد أضعت جدك يوم اصرعت خدك». [۹۸۲] فرس الأسد فريسـته ـ كضرب ـ وافترستها: دق عنقها، ويستعمل فى كل قتل. ويمكن أن يقرأ بصـيغة الغايب، فالذئاب مرفوع، والمعنى: قعدت عن طلب الخلافة ولزمت الأرض مع انك اسد الله والخلافة كانت فريسـتك، حتى افترسـها واخـذها الـذئب الغـاصب لها. ويحتمل ان يكون بصـيغة الخطاب، أى كنت تفترس الـذئاب واليوم افترشت التراب. وفى بعض النسـخ: «الـذباب» بالبائين الموحـدتين، جمع ذبابـة، فيتعين الأوّل. وفى بعضـها: «افترست الذئاب، وافترسك الذئاب». وفى رواية السـيد مكانهما: «وتوسـدت الوراء كالوزع، ومسـتك الهناة والنزع»، والوراء بمعنى خلف والهناة: الشدة والفتنة. والنزع: الطعن والفساد. [۹۸۳] الكف: المنع. والاغنـاء: الصـرف والكف، يقـال: اغن غنى شـرك، أى اصـرفه وكفه و «و» به فسـر قوله سـبحانه: «انهم لن يغنوا عنـك من الله شـيئا» وفى روايـة السـيد: «ولاـ أغنيت طائلاـ» وهو أظهر. قال الجوهرى: «يقال: هـذا امر لا طائل فيه، اذا لم يكن فيه غناء ومزيـة» انتهى. فـالمراد بالغنـاء: النفع، ويقـال: مـا يغنى عنـك هـذا، أى ما يجـديك وما يفعك. [۹۸۴] الهنيـة بالفتـح: العادة فى الرفق والسـكون، ويقال: امش على هنيتك، أى على رسلك، أى ليتنى مت قبل هذا اليوم الذى لابد لى من الصبر على ظلمهم ولامحصيص لى عن الرفق. [۹۸۵] الزلـة، بفتـح الزاى كما فى النسـخ: الإسم من قولك: زللت فى طين أو منطق، إذا زلقت، ويكون بمعنى السـقطة، والمراد بها عـدم القدرة على دفع الظلم، ولو كانت الكلمة بالذال المعجمة كان أظهر واوضح كما فى رواية السـيد، فان فيها: «والهفتاه! ليتنى مت قبـل ذلتى ودون هنيتى». [۹۸۶] العـذير بمعنى العاذر كالسـميع، أو بمعنى العذر كالأليم. وقولها «منك» أى من أجل الإساءة إليـك وايـذائك. و«عـذيرى الله» مرفوعان بالإبتدائيـة والخبريـة. و«عادياً» أما من قولهم: عـدوت فلانا عن الأمر أى صـرفته عنه، أو من العـدوان بمعنى تجـاوز الحـد، وهو حـال عن ضـمير المخـاطب، أى الله يقيم العـذر من قبلى فى إسـاءتى اليك حال صـرفك المكارة ودفعك الظلم عنى، أو حال تجاوزك الحـد فى القعود عن نصـرى، أى عـذرى فى سوء الأدب إنك قصـرت فى إعانتى والذب عنى. والحمايـة عن الرجـل: الـدفع عنه. ويحتمـل ان يكون «عـذيرى» منصوبـا كما هو الشايع فى هـذه الكلمـة، و«الله» مجروراً بالقسم، يقال: عـذيرك من فلاـن أى هـات من يعـذرك فيه. ومنه قـول امير المؤمنين عليه السـلام حين نظر إلى ابن ملجم ـ لعنه الله ـ: «عـذيرك من حليلـك من مراد». والأوّل أظهر. [۹۸۷] قـال الجوهرى: «ويل» كلمـة مثل ويـح إلّا انها كلمـة عـذاب، يقال: ويله وويلك وويلى، وفى النـدبـة ويلاه». ولعله جمع بين الف النـدبـة وياء المتكلم. ويحمتل ان يكون بصـيغة التثنية، فيكون مبتدأ والظرف خبره، والمراد به تكرر الويل. وفى روايـة السـيد: «ويلاه فى كل شارق، ويلاه فى كل غارب، ويلاه مات العمـد، وذل العضـد ـ إلى قولها عليها السـلام ـ اللّهمّ أنت أشد قوة وبطشا». والشارق: الشمس، أى عند كل شروق شارق وطلوع صباح كل يوم. قال الجوهرى: «والشرق: المشرق، والشرق: الشـمس، يقال: طلع الشـرق، ولا آتيك ما ذر شارق، وشـرقت الشـمس تشـرق شـروقا، وشـرقا، أيضا، أى طلعت اشرقت أى أضاءت». [۹۸۸] العمـد، بالتحريك وبضـمتين: جمع العمود. ولعل المراد هنا ما يعتمـد عليه فى الامور. [۹۸۹] الشـكو: الإسم من قولك: شكوت فلانـا شـكاية. والعـدوى: طلبـك إلى وآل لينتقم لـك ممن ظلمك. [۹۹۰] الحول: القوة والحيلـة والـدفع والمنع، والكـل هنـا محتمل. [۹۹۱] البـأس: العـذاب. والتنكيـل: العقوبـة، وجعل الرجل نكالا وعبرة لغيره. [۹۹۲] العذاب والشـر لمبغضك، والشـناءة: البغض. وفى رواية السيد: «لمن احزنك». [۹۹۳] نهنهت الرجل عن الشىء فتنهنه، أى كففته وزجرته فكف. والوجد: الغضب أى امنعى نفسك عن غضـبك، وفى بعض النسـخ: «تنهنهى» وهـو أظهر. والصـفوة، مثلثـة: خلاصـة الشـىء وخيـاره. [۹۹۴] الـونى، كفـتى: الضـعف والفتور والكلال، والفعـل كوقى يقى، أى مـاعجزت عن القيـام بما أمرنى به ربىء وما تركت ما دخل تحت قـدرتى. [۹۹۵] البلغة: بالضـم: ما

يتبلغ به من العيش، والضامن والكفيل للرزق هو الله تعالى. ومااعد لها هو ثواب الاخرة. [۹۹۶] الاحتساب: الاعتداد. ويقال لمن ينوى بعمله وجه الله تعالى: احتسبه. أى اصبرى وادخرى ثوابه عند الله تعالى. وفى رواية السيد: «فقال لها امير المؤمنين عليه السلام: لاويل لك، بل الويل لمن احزنك؛ نهنهى عن وجدك يابنية الصفوة وبقية النبوة، فما ونيت عن حظك، ولا اخطات (مقدرتى)، فقد ترين. فان ترزئى حقك، فرزقك مضمون، وكفيلك مأمون، وما عند الله خير لك مما قطع عنك. فرفعت يدها الكريمة وقالت: رضيت وسلمت». قال فى القاموس: «رزأه ماله ـ كجعله وعلمه ـ رزءاً بالضم: اصاب منه شيئاً». [۹۹۷] «بحار الانوار» ج ۸، ص ۱۰۹ ـ ۱۱۲، ط الكمباني. وانما اوردنا الخطبة من نفس المصدر لامن «الاحتجاج» لأن الالفاظ المفسرة كانت على نسخة المؤلف (ره)، ولها اختلاف معتد به مع النسخة المطبوعة من «الاحتجاج» وقد اشير إلى موارده فى ضمن الشرح. [۹۹۸] عائفة: أى كارهة، يقال: عاف الرجل الطعام يعافه عيافاً أذا كرهه. [۹۹۹] القالية: المبغظة، قال تعالى: «ما ودعك ربك وما قلى». [۱۰۰۰] لفظت الشىء من فمى: أى رميته وطرحته، العجم: العض، تقول: عجمت العود اعجمه ـ بالضم ـ اذا عضضته. [۱۰۰۱] شنأة، كمنعه وسمعه: أبغضه، وسبرتهم: أى اختبرتهم. فعلى ما فى اكثر الروايات المعنى: طرحتهم وأبغضتهم بعد امتحانهم ومشاهدة سيرتهم واطوارهم. وعلى رواية الصدوق المعنى: انى كنت عالمة بقيح سيرته وسوء سريرتهم فطرحتهم ثم لما اختبرتهم شنأتهم وأبغضتهم، أى تأكد انكارى بعد الاختبار. ويحتمل ان يكون الأوّل اشارة إلى شناعة اطوارهم الظاهرة، والثانى إلى خبث سرائرهم الباطنة. [۱۰۰۲] قبحا، بالضم، مصدر حذف فعله، اما من قولهم: قبحه الله قبحا، او من قبح بالضم قباحة، فحرف الجر على الأوّل داخل على المفعول، وعلى الثانى على الفاعل. والفلول بالضم: جمع فل بالفتح، وهو الثملة والكسر فى حد السيف، وحكى الخليل فى «العين» انه يكون مصدراً، ولعله انسب بالمقام، وحد الشىء: شباته، وحد الرجل باسه. [۱۰۰۳] الخور بالفتح وبالتحريك: الضعف. والقناة: الرمح. [۱۰۰۴] الخطل بالتحريك: المنطق الفاسد المضطرب، وخطل الرأى: فساده واضطرابه. [۱۰۰۵] المائدة: ۸۰. [۱۰۰۶] الشن: رش الماء رشا متفرقا والسن بالمهملة: الصب المتصل، ومنه قولهم: شنت عليهم الغارة اذا فرقت عليهم الغارة اذا فرقت عليهم من كل وجه. [۱۰۰۷] الجدع قطع الانف او الاذن او الشفة، وهو بالانف اخص، ويكون بمعنى الحبس، والعقر بالفتح: الجرح، ويقال فى الدعاء على الإنسان: عقراً له وحلقا، أى عقر الله جسده وأصابه بوجع فى حلقه، واصابه بوجع فى حقله، واصل العقر: ضرب قوائم البعير او الشاة بالسيف ثم اتسع فيه فاستعمل فى القتل والهلاك، وهذه المصادر يجب حذف الفعل منها. والسحق بالضم: البعد. [۱۰۰۸] ويح كلمة تستعمل فى الترحم والتوجع والتعجب، والزحزحه، التنحية والتبعيد. والزعزعة: بالتحريك. والرواسى من الجبال: الثوابت الرواسخ. وقواعد البيت: اساسه. [۱۰۰۹] الطبين: هو بالطاء المهملة والباء الموحدة: الفطن الحاذق. [۱۰۱۰] فى كشف الغمة: «وما الذى نقموا من ابى الحسن». يقال: نقمت على الرجل كضربت، وقال الكسائى: كعلمت لغة، أى عتبت عليه وكرهت شيئا منه. [۱۰۱۱] التنكير: الانكار، والتنكير: التغير عن حال يسرك إلى حال تكرهما، والاسم: النكير، وما هنا يحتمل المعنين، والأوّل اظهر أى انكار سيفه فانه عليه السلام كان لا يسل سيفه إلّا لتغيير المنكرات. [۱۰۱۲] الوطأة: الأخذة الشديدة والضغطة، وأصل الوطىء: الدوس بالقدم ويطلق على الغزو والقتل لأنّ من يطأ الشىء فقد استقصى فى هلاكه واهانته. [۱۰۱۳] النكال: العقوبة التى تنكل الناس. والوقعة: صدمة الحرب. [۱۰۱۴] تنمر فلان: أى تغير وتنكر واوعد، لأنّ النمر لا تلقاه ابداً إلّا متنكراً غضبان. «فى ذات الله»، قال الطيبى: ذات الشىء: نفسه وحقيقته، والمراد ما اضيف إليه، وقال الطبرسى فى قوله تعالى:: «واصلحوا ذات بينكم»: كناية عن المنازعة والخصومة، والذات: هى الخلقة والبينة، يقال: فلان فى ذاته صالح: أى فى خلقته وبينته، يعنى اصلحوا نفس كل شىء بينكم، او اصلحوا حال كل نفس بينكم، وقيل: معناه: واصلحوا حقيقة وصلكم، وكذلك معنى اللهم اصلح ذات البين: أى اصلح الحال التى بها مجتمع المسلمون. انتهى. أقول فالمراد بقولها: فى ذات الله، أى فى الله ولله، بناء على ان المراد بالذات الحقيقة، او فى الامور والاحوال التى تتعلق بالله من دينه وشرعه وغير ذلك كقوله تعالى: «انه عليم بذات الصدور» أى المضمرات التى فى الصدور. [۱۰۱۵] التكاف، تفاعل من الكف: هو الدفع والصرف، والزمام ككتاب: الخيط الذى يشد فى البرة والخشاش ثم يشد فى طرفه المقود، وقد يسمى المقود زماماً، ونبذه: أى طرحه. وفى «الصحاح»: «اعتلقه: أى

احبه» ولعله هنا بمعنى تعلق به وان لم اجد فيم عندنا من كتب اللغة. [۱۰۱۶] السجح، بضمتين: اللين السهل. [۱۰۱۷] الكلم: الجرح والخشاش بكسر الخاء المعجمة: ما يجعل فی انف البعير من خشب ويشد به الزمام ليكون اسرع لا نقياده. [۱۰۱۸] تعتعت الرجل: أی اقلقته وازعجته. [۱۰۱۹] المنهل: المورد، وهو عين ماء ترده الابل فی المراعی، وتسمی المنازل التی فی المفاوز علی طرق السفار: مناهل، لأنّ فيه ماء، قاله الجوهری، وقال: ماء نمير: أی ناجع، عذبا كان او غيره. وقال الصدوق نقلا عن الحسين بن عبدالله بن سعيد العسكری: النمير: الماء النامی فی الجسد (فی الحشد ـ ظ). وقال الجوهری: «الروی سحابة عظيمة القطر، شديدة الوقع ويقال: شربت شربا رويا» والفضفاض: الواسع، يقال: ثوب فضفاض، وعيش فضفاض، ودرع فضفاضة. [۱۰۲۰] تطفح: أی تمتلیء حتی تفيض. وضفتا النهر بالكسر وقيل: وبالفتح ايضاً: جانباه. [۱۰۲۱] بطن كعلم: عظم بطنه من الشبع، ومنه الحديث: تغدو خماصاً وتروح بطاناً، والمراد عظم بطنهم من الشرب. [۱۰۲۲] تحير الماء: أی اجتمع ودار كالمتحير، يرجع اقصاه إلی ادناه، ويقال: تحيرت الأرض بالماء، اذا امتلأت، ولعل الباء بمعنی فی، أی تحير فيهم الری، او للتعدية، أی صاروا حياری لكثرة الری. والری بالكسر والفتح: ضد العطش. وفی رواية الشيخ: «قد خثر» بالخاء المعجمة والثاء المثلثة: أی اثقلهم، من قولك: اصبح فلا خاثر النفس أی ثقيل النفس غير طيب ولا نشيط. [۱۰۲۳] حلی منه بخير: كرضی: أی اصاب خيراً، وقال الجوهری: «قولهم: لم يحل منها بطائل، أی يستفاد منها كثير فائدة». والتحلی: التزين، والطائل: الغناء والمزية والسعة والفضل. [۱۰۲۴] الردع: الكف والدفع. والردعة: الدفعة منه، وفی جميع الروايات سوی معانی: الاخبار: «سورة الساغب» وفيه شررة الساغب»، ولعله من تصحيف النساخ. والشرر: ما يتطاير من النار، ولا يبعد ان يكون من الشره بمعنی الحرص، وسورة الشیء بالفتح: حدته وشدته. والسغب: الجوع. [۱۰۲۵] فی رواية ابن ابی الحديد: «ألا هلمن فاسمعن، وما عشتن اراكن الدهر عجبا، إلی أی لجأوا واستندوا، وبأی عروة تمسكوا؟ لبئس المولی ولبئس العشير ولبئس للظالمين بدلا». قال الجوهری: «هلم يا رجل، بفتح الميم: بمعنی تعال، يستوی فيه الواحد والجمع والتأنيث، فی لغة أهل الحجاز، وأهل نجد يصرفونها فيقولون للاثنين: هلما، وللجمع هلموا، وللمرأة: هلمی، وللنساء هلممن، والأوّل افصح، واذا ادخلت عليه النون الثقيلة قلت: هلمن يا رجل، وللمرأة هلمن بكسر الميم، وفی التثنية هلمان للمؤنث والمذكر جميعا، وهلمن يا رجال بضم الميم، وهلممنان يا نسوة» انتهی، وعلی الروايات الاخر الخطاب عام. وما عشتن: أی اراكن الدهر شيئا عجيبا لا يذهب عجبه وغرابته مدة حياتكن، او يتجدد لكن كل يوم امر عجيب متفرع علی هذا الحادث الغريب. [۱۰۲۶] الذنابی: بالضم: ذنب الطائر، ومنبت الذنب، والذنابی، فی الطائر اكثر استعمالا من الذنب، وفی الفرس والبعير ونحوهما الذنب اكثر، وفی جناح الطائر اربع ذنابی بعد الخوافی، وفی الفرس والبعير ونحوهما الذنب اكثر، وفی جناح الطائر اربع ذنابی بعد الخوافی وهی مادون الريشات العشر من مقدم الجناح التی تسمی قوادم، والذنابی من الناس: السفلة والاتباع. [۱۰۲۷] العجز كالعضد: مؤخر الشیء، يؤنث ويذكر، وهو للرجل والمرأة جميعا، والكاهل: الحارك، وهو ما بين الكتفين، وكاهل القوم: عمدتهم فی المهمات وعدتم للشدائد والملمات. [۱۰۲۸] رغما، مثلثة: مصدر رغم انفه أی لصق بالرغام، بالفتح، وهو التراب، ورغم الانف يستعمل فی الدل والعجز عن الانتصار، والانقياد علی كره. والمعاطس جمع معطس بالكسر والفتح وهو الآنف، وقال الجوهری: «شعرت بالشیء أشعر به شعرا أی فطنت له ومنه قولهم: ليت شعری، أی ليتنی علمت». واللجا محركة: الملاذ والمعقل كالملجأ، ولجأت إلی فلان اذا استندت إليه واعتضدت به. والسند: ما يستند إليه. [۱۰۲۹] يونس: ۳۵. [۱۰۳۰] فی بعض نسخ ابن ابی الحديد: «اما لعمر الله» وفی بعضها: «اما لعمر الهكن»، والعمر بالفتح والضم بمعنی: العيش الطويل، ولا يستعمل فی القسم الا العمر بالفتح، ورفعه بالابتداء، أی لعمر الله قسمی، ومعنی عمر الله بقاؤه ودوامه. [۱۰۳۱] لقحت كعلمت: أی حملت، والفاعل فعلتهم، او فعالهم، او الفتنة، او الازمنة. [۱۰۳۲] النظرة بفتح النون وكسر الظاء: التأخير، واسم يقوم مقام الانظار، ونظرة اما مرفوع بالخبرية والمبتدأ محذوف كما فی قوله: «فنظرة إلی ميسرة» أی فالواجب نظرة ونحو ذلك، واما منصوب بالمصدرية، أی انتظروا «او انظروا» نظرة قليلة، والاخير اظهر كما اختاره الصدوق. وريثما تنتج، أی قدرما تنتج، يقال: نتجت الناقة ـ علی مالم يسم فاعله ـ تنتج نتاجا وقد نتجها اهلها نتجا ـ وانتجت الفرس: اذا حان نتاجها. [۱۰۳۳] القعب: قدح من خشب يروی الرجل، او قدح ضخم. واحتلاب

طلاع القعب: هو ان يمتلىء من اللبن حتى يطلع عنه ويسيل. والعبيط: الطرى. [۱۰۳۴] الذعاف كغراب: السم. والمقر بكسر القاف: الصبر، وربما يسكن، وأمقر أى صار مرا. [۱۰۳۵] غب كل شىء: عاقبته. [۱۰۳۶] طاب نفس فلان بكذا: أى رضى به من دون ان يكرهه عليه احد، وطابت نفسه عن كذاء أى رضى ببذله، ونفسا، منصوب على التمييز. [۱۰۳۷] فى كتاب ناظر عين الغريبين: «طأمنته: سكنته فاطمان». والجأش مهموزا: النفس والقلب، أى اجعلوا قلوبكم مطمئنة لنزول الفتنة. [۱۰۳۸] الصارم: القاطع. والغشم: الظلم. [۱۰۳۹] الهرج: الفتنة والاختلاط. وفى رواية ابن ابى الحديد: «وقرح شامل» فالمراد بشمول القرح، اما للافراد او للاعضاء. [۱۰۴۰] الاستبداد بالشىء: التفرد به. [۱۰۴۱] الضمير المرفوع فى «يدع» راجع إلى الاستبداد. والفىء: الغنيمة والخراج وما حصل المسلمين من اموال الكفار من غير حرب. والزهيد: القليل. [۱۰۴۲] الحصيد: المحصود، وعلى رواية «زرعكم» كناية عن اخذ اموالهم بغير حق، وعلى رواية «جمعكم» يحتمل ذلك، وان يكون كناية عن قتلهم واستنصالهم. [۱۰۴۳] أى وانى تلحق الهداية بكم. [۱۰۴۴] عميت عليكم، بالتخفيف: أى خفيف والتبست، وبالتشديد على صيغة المجهول أى، لبست، وقرىء فى الآية بهما، والضمائر فيها، قيل: هى مراجعة إلى الرحمة المعبر عن النبوة بها، وقيل إلى البينة وقى المعجزة، او اليقين والبصيرة فى امر الله، وفى المقام يحتمل رجوعها إلى رحمة الله الشاملة للامامة والاهتداء إلى الصراط المستقيم بطاعة امام العدل، او إلى الإمامة الحقة، وطاعة من اختاره الله وفرض طاعته، او إلى البصيرة فى الدين ونحوها. [۱۰۴۵] «البحار» ۴۳: ۱۵۸ ـ ۱۵۹. وقد اخذنا الشرح منه مع حذف الزوايد والمكررات واوردناه كالتعليقة كما فعلنا ذلك بشرح الخطبة الفدكية، وقد اورد هذا الكلام جمع من الافذاذ من الخاصة والعامة وهم: ۱ ـ ابن ابى الحديد المعتزلى المتوفى ۶۵۵ فى «شرح النهج»: ۱۶: ۲۳۴. ۲ ـ ابن ابى طيفور احمد بن طاهر المتوفى ۲۸۰ فى «بلاغات النساء» ۱۹. ۳ ـ ابن جرير بن رستم الطبرى، من اعلام القرن الرابع فى «دلائل الإمامة»: ۴۰ ـ ۴۱. ۴ ـ الشيخ الثقة الصدوق ابن بابويه المتوفى ۳۸۱ فى «معانى الأخبار»: ۳۵۴ ـ ۳۵۵. ۵ ـ العلامة على بن عيسى الاربلى قدس سره المتوفى ۶۹۳ فى «كشف الغمة»: ۱: ۴۹۲ ـ ۴۹۴. ۶ ـ الشيخ الجليل أبو منصور الطبرسى من اعلام القرن السادس، فى «الاحتجاج»: ۱: ۱۴۷ ـ ۱۴۹. [۱۰۴۶] ذكره ابن ابى الحديد فى شرح النهج: ۱۲: ۵۳، والطبرى فى تأريخه: ۵: ۳۱. [۱۰۴۷] مجمع البحرين: مادة فدك. [۱۰۴۸] أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: القسم الثالث من الجزء الرابع: ۴۷، عن ربيع الأبرار، للزمخشرى. [۱۰۴۹] شرح ابن ابى الحديد: ۱۶: ۲۱۴ ـ الرعة: بالتخفيف أى الاستماع والاصغاء، القائلة: القول، فعالة: اسم الثعلب تحكم غير معروف، شهيده ذنبه: أى لا شاهد له على ما يدعى إلّا بعضه وجزء منه، واصله مثل، قالوا: ان الثعلب اراد ان يغرى الاسد بالذئب فقال الثعلب: انه قد اكل الشاة التى كنت قد اعددتها لنفسك وكنت حاضرا قال: فمن يشهد لك بذلك؟ فرفع ذنبه وعليه دم، وكان الاسد قد افتقد الشاة فقبل شهادته وقتل الذئب. [۱۰۵۰] نهج البلاغة: قسم الكتب، ۴۵. [۱۰۵۱] شرح نهج البلاغة: ۱۶: ۲۳۶. [۱۰۵۲] فدك: ۱۶۶ ـ ۱۷۴. [۱۰۵۳] البحار: ۸: ۱۲۷ ـ ۱۲۸. [۱۰۵۴] الزهراء عليها السلام: ۱۱۸ ـ ۱۲۰. [۱۰۵۵] قال العلامة المجلسى رحمه الله: روى العلامة فى كشكوله المنسوب إليه عن المفضل بن عمر قال: قال مولاى جعفر الصادق عليه السلام: لما ولى أبو بكر بن أبى قحافة، قال له عمر: إنّ الناس عبيد هذه الدنيا، لا يريدون غيرها، فامنع عن على وأهل بيته الخمس والفىء وفدكا، فإنّ شيعته إذا عملوا ذلك تركوا عليّا، وأقبلوا إليك رغبة فى الدنيا وإيثاراً ومحاماة عليها... (البحار: ج ۸، ص ۱۰۴، ص الكمبانى). [۱۰۵۶] المنافقون: ۷. [۱۰۵۷] شرح النهج: ۱۶: ۲۸۴. [۱۰۵۸] فاطمة الزهراء من المهد اللحد: ۳۵۳ ـ ۳۵۹. [۱۰۵۹] حياة الإمام الحسين للشيخ القرشى: ۱: ۲۵. [۱۰۶۰] راجع ترجمتها فى الطبقات الكبرى: ۸: ۲۷۸، والاصابة: ۴: ۴۶۴. [۱۰۶۱] مستدرك الصحيحين: ۳: ۱۲۷ عن حياة الإمام الحسين للقريشى: ۲۶. [۱۰۶۲] كامل الزيارات: ۵۶: الكافى: ۱: ۴۶۴ ح ۴، اثبات الهداية: ۱: ۴۱۴ ح ۱۳. [۱۰۶۳] تفسير فرات الكوفى: ۱۷۱، عنه البحار: ۴۴: ۲۶۴ ح ۲۲. [۱۰۶۴] هذه المضامين ملخص احاديث من الكتب التالية: تفسير فرات: ۱۶۹، ينابيع المودة: ۲۶۰، مجالس المفيد: ۸۴، عيون اخبار الرضا: ۲: ۸ ح ۱۲، امالى الصدوق: ۲۵ ح ۴، علل الشرائع ۱: ۱۷۹ ح ۶، دلائل الامامة: ۵۷، تأويل الايات: ۲: ۴۸۳ ح ۱۲، روضة الواعظين: ۱۷۹، مناقب ابن شهر آشوب: ۳: ۱۰۷ بشارة المصطفى: ۲۲.

تعريف المركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبِيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱). قالَ الإمامُ عليّ بْنُ موسَى الرِّضا – عليه السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷). مؤسّس مُجتمَع "القائميّة "الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ الله – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَعَفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ عليهم) و لاسيَّما بحضرة الإمام عليّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم. مركز "القائميّة "للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة... الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت – عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و... - مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فی آكناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَى. - من الأنشطة الواسعة للمركز: الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و... د) إبداع الموقع الانترنتی "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَى ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴) ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و... ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلةَ السَّنَةَ المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان" ومُفترَق "وفائی/"بناية "القائميّة "تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة) رقم التسجيل: ۲۳۷۳ الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶ الموقع: www.ghaemiyeh.com البريد الالكترونی: Info@ghaemiyeh.com المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱) الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱) مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱) التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱) ملاحَظة هامّة: الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ

التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

